فراس عبد الرحمن البغدادي
باحث في شؤون العرب والإسلام



العرب

بين أحقيّة الانتصار ... ومرارة الانكسار

NOUR Publishing House



العرب

بين أحقيّة الانتصار ... ومرارة الانكسار

العنوان: العرب بين احقية الانتصار... ومرارة الانكسار

المؤلف: فراس عبد الرحمن البغدادي

التنضيد الضوئي والإخراج: محمد أمير حمد

تصميم الغلاف: حسام عبد الرحمن البغدادي

الطبعة: الأولى: حزيران ٢٠١٣

هاتف المؤلف: ٠٠٩٦٣ - ٩٩٩١٢٩١٦٣



دار العراب

للدراسات والنشر والترجمة

دمشق - سوريا - حلبوني الجادة الرئيسية

هاتف: ٠٠٩٦٣١١٢٢٤٧٤٣٢

فاكس: ٠٠٩٦٣١١٢٣٤٨٥٢٤٦

جوال: ٠٠٩٦٣٩٣٣٤٠٦٣٢١

٠٠٩٦٣٩٤٠٤٥٥٥٩٣

E-MAIL:daralaraab@yahoo.com



دار نور حوران

للدراسات والنشر والترجمة

دمشق - سوريا - ص.ب ٥٦٥٨

هاتف: ٠٠٩٦٣١٥٧١٥٤٣٠

٠٠٩٦٣١٥٧١٩٨٤٢٠

فاكس: ٠٠٩٦٣١٥٧١٩٨٤٢٥

جوال: ٠٠٩٦٣٩٣٣٣٢٩٥٥٥

E-MAIL: NOURPUBLISHING@GMAIL.COM

فراس عبد الرحمن البغدادي

باحث في شؤون العرب والإسلام



العرب

بين أحقيّة الانتصار... ومرارة الانكسار





دار العراب للدراسات والنشر والترجمة دار نور حوران



الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ
فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى
ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ
وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ [سورة المائدة: ٥٤]

صدق الله العظيم

المقدمة

عندما فكرت في كتابة هذا الكتاب لم يغب عن مخيلتي هذا السؤال (كيف اذا أردنا النهوض؟).

هذا السؤال الذي ما زال عموم العرب المسلمين يتساءلونه منذ عقود، منذ اللحظة التي غابت شمس حكمهم المشرقة على العالم، وبدأ ليلهم الطويل، وتحولوا من سادة الدنيا بإذن الله، الى عبيد لا حول لهم ولا قوة ولا يملكون من زمام أنفسهم شيئاً، فبعد أن كانوا هم الحق والحقيقة هم العمل والأمل والقوة والخير والمثل والقدوة والعزيمه، وإذ بهم فجأة قد تحولوا أو حولوا الى الباطل والخيال، الى التواكل والتشاؤم والكسل، والى الضعف والعجز، الى شيء يرفضه الجميع ويتبرؤون منه وكأن هذه الأمة العظيمة التي أنشأها الله بقدرات وصفات خاصة وأمكانيات عالية من الايمان والحزم والعزم والشجاعة والاقدام والعقل والحكمة والطهارة والرفعة وسمو الأخلاق لتكون قادرة على حمل أمانة السماء ونشرها وتطبيقها في الأرض هي أمة أخرى مختلفة عما نراه اليوم!

فبعد العصر الذهبي في حياة رسول الله محمد ﷺ الذي أدى الأمانة وأتم الرسالة وترك للأمة دستورها وهو القرآن ورجالا رباهم بالنهج الرباني، وبعد عصر الخلفاء الراشدين الفاتحين الهادين المهديين الذي حملوا راية الحق وكسروا عروش الظلم والطغيان وحطموا قيود الاستعباد لغير الله عز وجل، وبعد عصر دولة بني أمية، هذه الدولة التي كانت على عاتقها أن توسع دائرة النهج الرباني وتصل بها الحد الأقصى وان تبعد الخطر نهائيا عن نواة الدولة العربية الاسلامية وأن تنشر رسالة الله في الأرض بقرع جيوش الفتح منها أبواب الكفر والوثنية والإلحاد في كل اتجاه.

ابتدأ العد العكسي والضمني بمرحلة التراجع والعجز والهزيمة، هذه النتيجة التي كانت حلماً يراود أعداء هذه الامة الربانية منذ لحظة الإسلام

الاولى، ففي بداية عصر الدولة العباسية والتي كان قيامها أساسا ليس رغبة بمتابعة تطبيق النهج الرباني في الأرض وانما كان رغبة بتحقيق مصالح ومطامع أرضية بحتة تتعلق بالمال والملك والسلطان والنفوذ، فهذه الدولة كانت أمل الفئات الباغية الظالمة، هذه الفئات التي كان الاسلام قد أزاحها عن عروشها وسلطانها وأخمد نارها وحطم أتون كفرها وضلالها فلما انكسرت بساحات الحرب أمام العرب المسلمين الذين كانوا قلة حينها في الأرض، وأدركت أنه لا مفر من انتصار دين الله لأنه الحق فدخلت تلك الفئات من اليهود والشعوبيين وأحفاد كسرى وقيصر في الاسلام ليعلنوا حربهم المقدسة ولكن هذه المرة من داخل رحم العرب المسلمين وهم من لحظة هزيمتهم الأولى والى يومنا هذا لم يتوانوا عن التفكير والتخطيط والتهيئة لتحطيم هذه الأمة الربانية.

هذه الأمة التي كان وما زال ولسوف يبقى على كاهلها والى قيام الساعة مسؤولية تصحيح المسار عن طريق الاتصال مجددا بالله سبحانه وتعالى من خلال القرآن دستور الحق الذي أراده الله أن يكون خريطة انقاذ لكل من ضاع وابتعد عن الحق لذلك كان لا بد لنا من أن نقف ونفهم أبعاد هذه الحرب التي شوهت وخربت ودمرت وقطعت هذه الأمة وقلبت الحقائق وبثت سمومها فيها وكأني بقول الشاعر وقد انطبق علينا :

كم حسنت لذة للمرئ قاتلة   من حيث لم يدر أن السم في الدسم

ولما كانت قوة المعرفة والكلمة هي إحدى أهم القوى الأساسية في هذا العالم كان هذا الكتاب الذي أردته أن يكون أداة اتصال مع كل عربي مسلم حر ذا سوية عالية وعقل راجح يسعى ليكون فرداً من عصبة الحق يتمتع بولاء كامل ومحبة مطلقة لله سبحانه وتعالى، وذلك لايجاد الطرق التي تؤدي الى فهم ديننا الفهم الصحيح واستعادة كياننا المخطوف واحياء ارادتنا من جديد وادراكنا لذاتنا وإعادة إحياء الشعورالوطني فينا والسعي لارجاع الحقائق برغم أنف الكارهين وايقاف حالة التقهقر والضياع والفساد والافساد التي نحياها اليوم وقلب عقارب الهزيمة باتجاه النصر

بـالرجوع الى الاسـلام العربـي الربـاني وسـد الثغـرات والاسـتعداد لمعركـة المصـير قبـل فـوات الاوان، عنـدها لات حـين منـدم، علينـا فعـل هـذا وأكثـر اذا أردنا النهوض حقا.

دمشق في ١٧ ربيع أول / ١٤٣٣هـ - ١٠/ ٢/ ٢٠١٢م

فراس عبد الرحمن البغدادي

البيئة الربانية للعرب وتهيأتهم للرسالة

في البداية أرغب أن نرمي بنظرنا الى جزيرة العرب قبل الاسلام ونفهم مميزات وصفات هذه الحاضنة التي اختارها الله لتكون منبت للرسل ومهبط للرسالات.

فلقد كان من حكمة الله سبحانه وتعالى أن هيأ للعرب عناصر تساعدهم على جلخ ذاتهم، وتعدهم للمهام المناطة بهم مكونة من عنصري (البيئة والمناخ) فلا شك أن هذه العناصر تترك تأثيراً مباشراً على كل من يتعرض لها، وهي في حالة العرب بجزيرتهم أثمرت سلامة الفطرة لديهم نفسيا وعقليا وبدنيا وجعلتهم منساقين الى الخالق كيفما توجهوا فطعامهم وهوائهم وشمسهم وذلك الأفق الذي يحيط بهم، كل هذه العوامل كانت أسباباً أنتجت تلك الشخصية العربية التي كانت قادرة على احداث التغيير أينما وجدت، ففي هذه البيئة يمكن أن تتسع حواس الانسان الى المجال الأقصى لها، ورحابة الصحراء وآفاقها البعيدة وريحها ميزت العرب عن من سواهم ببصرهم وسمعهم وشمهم وذوقهم ولغتهم، كما أنها خلقت في نفس العربي الشجاعة والحمية والأنفة، ولما كانت الفطرة الأولى تسيطر على العرب في باديتهم فكانوا مجبولين على الحرية والبأس والعطاء، واشتهروا بالكرم والسخاء وعزفوا عن الصغائر، وكانت الصراحة والوفاء من أعظم مميزاتهم، فكان ديدنهم كما قال الشاعر:

عش عزيزاً أو مت وأنت كريمٌ   بين طعن القنا وخفق البنودِ

فاطلب العز في لظىً وذر الذ   ل ولو كان في جنان الخلودِ

فللبيئة اذا دورها الحاسم في بناء شخصيات الأمم وسلوكها ولو رجعنا الى القرن الخامس للهجرة لوقفنا على كتاب (طبقات الأمم) لصاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي، المتوفى عام ٤٦٢ للهجرة ونراه يضع معيار الأمم عند بيان طبقاتها في عنايتها بالعلوم ويقرر في شأن تلك الطبقات التي لم تُعنَ بالعلوم فيقول واصفاً أحوال شعوب البلاد

الأسكندنافية (انهم اشبه بالبهائم منهم بالناس، لأن من كان موغلا في بلاد الشمال ما بين آخر الأقاليم السبعة التي هي نهاية المعمور في الشمال فان افراط بعد الشمس عن مسامة رؤوسهم، وبرد هوائهم، وكثف وجوههم فصارت لذلك امزجتهم باردة، وأخلاقهم فجة فعظمت أبدانهم، وابيضت ألوانهم وأنسدلت شعورهم، فعدموا بهذا دقة الأفهام، وثقوب الخواطر، وغلب عليهم الجهل والبلادة ونشأ فيهم العمى والغباوة).

هذا ويؤكد المؤرخ الفرنسي (هنري بر) على أهمية البيئة وتأثيرها المباشرعلى ساكنيها فيقول:"أن الدور المفترض أن تلعبة البيئة الطبيعية لم يعد بحاجة تأكيد، فهو لاينقصة سوى التحديد ...فالمناخ والتربة والغذاء، تمارس كلها تأثيراً فيزيائياً ونفسياً مباشراً .ولعل طبيعة الأرض وأسلوب العيش الذي تفرضة البيئة ينعكس على تكوين الطبائع...فالبيئة تؤثر تاريخياً لأن الوضع الجغرافي يحث المجموعات الإنسانية على التحرك أو بالعكس يحد من مجالاتها الحيوية... فالبيئة اذاً محرك تاريخي قوي".

ولما كانت المياه حاجة العربي الأولى فقد كان سعيه وراء المياه سعيا شاقا وجادا، مما أبعد عنه خمول الجسد وفساد البدن وأكسبه نقاء النفس وصفاء السريرة، ودفعتهم هذه الحياة ليكونوا أكثر قدرة على تحمل الشدائد والصبر عليها مما عداهم فعرفوا الله واهب المطر ومرسله، عرفوا الخالق المنعم الذي لا يساويه شيء فاتصلوا به وكانوا سباقين في الوقت الذي كان غيرهم من الشعوب يكتبون الأساطير ويتخيلون الآلهة على هواهم.

ان العربي الذي امتلأت نفسه بشعور الرضى والسعادة والطمأنينة قد أعدته بيئته ليرتبط ارتباطاً مباشرا بينه وبين الخالق واهب الحياة وأصل كل شيء، وهكذا فقد اختار الله سبحانه وتعالى هذه البيئة لبيان حكمته في الخلق وجلاء آياته للعيان، فكانت موجودات بيئتهم هذه سبباً لتفكر العرب بآيات الله وتدبرها وفهم ما فيها من آثار الرحمة والنعمة فصدق

قوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) [آل عمران: ١٩٠].

وقوله: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [فصلت: ٥٣].

فكانت قلوبهم معلقة بالله وجوارحهم منساقة اليه طبيعيا وكانت أنفسهم مهيأة لقبول الخير، مسلحة بالبسالة والشجاعة متشربة الخلايا الحميدة، وأجسادهم الرافضة للترف والدعة متكافئة مع قوة حواسهم كشرط لا بديل عنه لصناعة الجسد الفطري وسلوك النفس السوية فكانت أرضهم أرض الفطرة الواسعة القابلة لما يغرس فيها من فكر الايمان والتقوى وكانوا متميزين بكل شيء في حياتهم وانسابهم وفصاحتهم وخطبهم، في قتالهم وملابسهم، في اخلاقهم ومطاعمهم، في كرمهم ومرؤتهم وعلاقاتهم الانسانية والاجتماعية، فكان كل ما ذكرنا سبب قوي لوضوح الغاية لدى العربي فهو ينطلق مباشرة باتجاه هدفه بلا كلل او ملل حتى يتمه وهو لا يخشى شيئاً فقد علمته بيئته أن نجاة نفسه لا تكون الا بوضوح الغاية وبالسعي لانجازها فكانت نفسه الحرة التي تأبى الأسر والخضوع والخنوع، والتي اودع الله فيها ذلك الخير الفطري أساسا لتحركاته فعرفوا حقوق الجار وإغاثة الملهوف وإضافة الضيف ورفض الظلم ونصرة المظلوم ومشاركة الآخرين أفراحهم وأتراحهم ومن هنا نفهم أن دعوة الله سبحانه وتعالى منذ البداية، من زمن سيدنا ابراهيم عليه السلام موجودة في أرض العرب فاذا ما غطتها رمال الانحراف حينا فسرعان ما تجيء رياح الحق لتكشفها في انفسهم من جديد فيجدوها متقدة مشتعلة في قلوب كالمراجل حصنت بمناعة طبيعية ضد تلوث الأفكار وضياع الأنفس وهلاك الأجساد بالشهوات واللذات كما في الأمم الأخرى التي تحيط بهم، يقول ابن قتيبة في (كتاب العرب): "فأنها (أي العرب) لم تزل في الجاهلية تتواصى بالحلم والحياء، والتذمم، وتتعاير بالبخل والغدر والسفه، وتتنزه عن الدناءة والمذمة، وتتدرب بالنجدة والصبر

والبسالة، وتوجب للجار من حفظ الجوار ورعاية الحق فوق ما توجبه للحميم والشقيق"، ان هذه الصفات والخصائص والميزات التي اتصف بها العرب قبل الاسلام كانت قاعدتهم التي بنيت عليها أخلاقهم الكريمة وشخصيتهم الفريدة وهمتهم العالية، وكانت حياتهم التى تقوم على واقع فطرتهم السليمة بعيداً عن أي نظريات بشرية منحرفة، نظريات أبعد ما تكون عن الواقع، بل تدخل مع الواقع في حالة من الصراع الدائم والمستمر، فإذا كان الواقع هو دفق الحياة المتمردة على أية نظرية والتي تصنع نفسها بنفسها متجاوزة كل التخمينات والتوقعات الفارضة نفسها بقوه لأنها الواقع الكائن على الأرض، فالنظرية هي التي تحاول أن تشكل المجتمع وفق منظورها والتنبوء بالحياة في محاولة لخلق الواقع كما يجب أن يكون، من خلال حشره مسبقاً في قوالبها الجاهزة.

لذلك فانهم وبالرغم من ولائهم لقبائلهم وفخرهم بها وتنافسهم في الشرف والرفعة والسمو، الا إن الحق كان يجمعهم متناسين ما بينهم من خلافات، وإن حوادث تاريخهم لتشهد على ذلك وأذكر هنا مثالا لتوضيح هذا الأمر ففي معركة ذي قار في الجاهلية والتي قامت بين جيوش كسرى المنتشية بنصرها على جيوش الروم، والمتفردة في الزعامة وبين بعض قبائل العرب التي هبت للدفاع عن شرف ملك الحيرة النعمان ابن المنذر على ما بينهم وبينه من خلاف وعداوة والذي كان قد رفض طلب كسرى بأن يرسل النعمان له بناته حتى يختار منهن زوجة لولده، فما كان من كسرى أبرويز الا أن هدد وتوعد بارسال جيوشه لتأديبه.

فقام المنذر بايداع نسوته ودروعه وسلاحه عند شيخ قبيلة بني شيبان هانئ بن مسعود الشيباني الذي أجاره، ثم ذهب الى كسرى علّه يثنيه عما يريد فكان مصيره القتل، ولما كان اصرار كسرى كبيرا على ما يريد وليس أكبر منه الا اصرار تلك القبائل العربية بقيادة بني شيبان للدفاع عن بنات النعمان وشرفهم فكانت المواجهة بينهم محتومة في ذي قار على اختلاف موازين القوة الكبيرة لصالح الفرس في ذلك الوقت، الا ان قبائل العرب لم

تتردد ولم تتراجع ولم تفكر في تضييع الامانة التي وضعت لديها، وها هو هانئ الشيباني يجمع قومه ويخطب فيهم قائلاً:(يا معشر بكر، هالك معذور، خير من ناج فرور، إن الحذر لا ينجي من القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر، المنيه ولا الدنيه، استقبال الموت خير من استدباره، الطعن في ثغر النحور، أكرم منه في الاعجاز والظهور، يا آل بكر قاتلوا فما للمنايا من بد)، فكانت معركة ذي قار وكان نصر العرب فيها مدويا ساطعا كشمسهم مخلدا في التاريخ وفي أشعار العرب الذين دونوا بطولات رجالهم ونسائهم في ذي قار، وكذلك في ذاكرة أعدائهم.

قالت هند بنت النعمان تصف صاحبتها صفية الشيبانية وقد سفرت في الحرب بين قومها وبين جيش كسرى وهي تحرض فرسان شيبان وتشد من عزائمهم هذه الأبيات:

المجد والشرف الجسيم الأرفع ... لصفيّة في قومها يتوقع

ذات الحجاب لغير يوم كريهة ... ولدى الهياج يحل عنها البرقع

وبعد النصر تعالت صيحات الفخر بيوم النصر العظيم ، فقال العُديل بن الفرخ العجلي البكري:

ما أَوْقَدَ الناسُ مِنْ نارٍ لَمَكْرُمَةٍ ... إلاّ اصطَلَيْنا، وكُنَّا مُوقِدي النَّارِ

ومايَعُدُّونَ مِن يومٍ سمعْتُ بهِ ... للناسِ أفْضَلَ مِنْ يَومٍ بذي قارِ

وقد أكثر الأعشى من الافتخار بذي قار، ومن ذلك قوله:

وَجُنْدُ كِسْرَى غَداةَ الحِنْوَ صَبَّحَهُمْ ... مِنّا كتائبُ تُزْجي الموتَ، انْصَرَفُوا

جَحَاجِحٌ وَبَنُو مُلْكٍ غَطارِفَةٌ ... مِنَ الأعَاجِمِ في آذانِها النُّطَفُ

إذا أَمَالُوا إلى النُّشّابِ أيديَهُمْ ... مِلْنا ببِيضٍ فَظَلَّ الهامُ يُخْتَطَفُ

وخيلُ بَكْرٍ فَما تَنْفَكُّ تَطْحَنُهُمْ ... حتى تَوَلَّوا، وكادَ اليَوْمُ يَنْتَصِفُ

لو أنَّ كلَّ مَعَدٍّ كانَ شارَكَنا ... في يومِ ذي قارَ ما أخطَاهُمُ الشَّرَفُ

ويروى عن رسول الله محمد ﷺ أنه لما بلغه انتصار العرب على الفرس قال: " هذا أول يوم انتصف فيه العرب على العجم، وبي نُصروا ".

هذه هي البيئة الربانية التي سخرها الله سبحانه وتعالى لتكون منبعا لأناس سيحملون أعظم حضارة عالمية مؤمنة عادلة عرفتها البشرية في تاريخها ليواجهوا بها تلك الحضارات الوثنية العدوانية المنهارة أخلاقيا واجتماعيا وعقليا (تلك الحضارة التي عبر عنها الصحابي ربعي بن عامر - رضي الله عنه - عندما خاطب رستم قائد الفرس قائلا له: نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد الى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة) فكانوا أكثر الناس حبا للحق والعدل يسعون اليه بعمق واجتهاد كارهين للشر عاملين في سبيل الخير والسعادة ناشدين الطمأنينة والسلام، فوجدت مبادئ الإسلام الرباني وقواعده في أرض العرب البيئة المناسبة للتطبيق العملي دون تحامل أو إجبار، يقول تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) [آل عمران: ١١٠].

ما معنى لفظة عرب

لو سألنا أي عربي هذه السؤال لرأيته صامتا متحيرا الا من رحم ربي، وإن أجاب فسيكون جوابه خليطاً مما علق في ذهنه من عبارات سمعها من هنا أو هناك.

فتارة العرب هم احفاد عدنان وقحطان واذا كان ذا علم ومعرفة واطلاع لأجابنا بشيء من التفصيل عن العرب العارية والعرب المستعربة واستفاض في الشرح، وربما يلجأ الى الجغرافية علّه يجد فيها ضالته المنشودة في الاجابة.

ولكن هل حقا أن العرب هم عرق محدد أو قومية منغلقة أو جنس بعينه كما أرادوها في كتب التاريخ والجغرافية والمعاجم[1]، أم انهم شيء أكبر من هذا وأعز، خاصة اذا ما عرفنا بأنه لا توجد قومية ينحدر شعبها من عنصر واحد مهما ادعت ذلك، خصوصا بعد تلك الأبحاث العلمية والتي أكدت بشكل لا يترك أي مجال للشك بأنه لا يوجد شعب على وجه هذه الأرض ينحدر من أصل واحد، أو لعلها كما قيل بأن كلمة عرب جاءت من العربة بمعنى الوادي العظيم أو ربما كانت كما ادعى البعض بأن هذه التسمية جاءت نتيجة اطلاق سكان ما بين النهرين على جيرانهم من جهة الغرب اسم (أ - ري - بي) ثم تحولت مع الزمن الى عرب[2].

في الحقيقة اذا أردنا أن نفهم الجواب!! فعلينا البحث بمعنى الكلمة في القرآن الكريم فهناك سنجد المعنى الحقيقي لهذه الكلمة، خصوصاً وأن لفظ العروبة قد ذكر في القرآن الكريم ٢٢ مرة وهذا أن دل على شئ فإنما يدل على خطورة هذا الموضوع وأهميته، فالمتتبع في الآيات القرآنية سيجد

(١) في معجم المنجد يقول مؤلفه بعد أن حذف كل المعاني القرآنية العظيمة والمفاهيم الرائعة لكلمة عرب: إن العرب من عربَ وهن النساء الخائنات لأزواجهن وفي نفس المعجم يقول إن اليهود من الهداة المهديين ومما يزيد الطين بلة، إن معظم ان لم يكن كل أساتذة مدراسنا ينصحون طلابنا الأعزاء بالاعتماد على معجم المنجد للاستفادة منه فتخيل يرعاك الله.

(٢) عمر فروخ (تاريخ الجاهلية).

أن (العربي) هو(الرباني) الذي ارتبط بالله مباشرة عندما اتبع النهج الرباني، فالعروبة ليست أمرا بشريا ولا ارتباطاً بالدم وانما هي أمر الهي يطلق على كل من اتبع المسار الرباني الذي أنزله الله في القرآن، فهي ليست قومية منغلقة كحال القوميات الأخرى وانما هية مصهر عالمي ينصهر فيه الجميع عندما يخلصون الأمر لله سبحانه وتعالى.

عندها فقط يتحولون تلقائيا وفوريا الى عرب مسلمين أيا كان جنسهم أو لونهم أو لغتهم أو عرقهم متجاوزين كل الحدود والسدود والقيود وهم بذلك سيكونون قولا وفعلا أمة الله المختارة التي لا يعلو عليها أحد، فالعروبة هي صفة لازمة لكل شيء بقي على فطرته التي فطرة الله تعالى عليها ومن هنا نفهم قول رسول الله ﷺ ((كل مولود يولد على الفطرة، وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))[1]، وقوله: ((من أبغض العرب أبغضة الله)) وكذلك قوله: ((احبوا العرب لثلاث، لأني عربي، والقرآن عربي، ولسان اهل الجنة عربي)) وهناك غيرها من الأحاديث الشريفة التي تؤكد على تعظيم وتشريف وتكريم كل ما هو عربي.

ولذلك فقد سمي العرب عربا في الجزيرة العربية، فلقد كانت رسالة الله فيهم دائما وكانوا يمشون أبدا على الدرب الالهي فكانوا العرب المسلمين، حتى اذا ما تقاعس قوم منهم أو ضلوا الطريق فيمدهم الله بفيض رحمته برسالة مجددة لما كان قد سبقها، فالعروبة هي ارتباط عالمي بالله عز وجل، وليس كما ظن البعض بانها تفوق لجنس يريد لنفسه الاستعلاء، وقد كانت العروبة ضد العجمة فاذا كانت الأولى تعني الاتصال بالله سبحانه وتعالى بشكل مباشر وقويم غير ذي عوج فان الثانية تعني انقطاع الاتصال بالله وضياع الطريق الموصل الى الحق وفقدان الاستقامة والوضوح، يقول تعالى: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي

---

(١) أخرجه الشيخان البخاري ومسلم.

أذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) [فصلت: ٤٤] وليس صحيحا ما قاله البعض عن ان العربي هو من يتكلم العربية ومن عاش في الارض العربية أو من دافع عن القضايا العربية أومن ولد في الأرض العربية، لأنه وببساطة شديدة يمكن لأي عدو من أعداء العرب أن يتكلم العربية بطلاقة ويمكن له أن يعيش على بطاح الارض العربية وأن يدعي بأنه يدافع عن قضايا العرب المصيرية ولكن في حقيقة الأمر هو اكبر خطر على العرب والاسلام وكثير من الناس الذين ولدوا في الأرض العربية لم يشعروا يوماً بالولاء أو الإنتماء لهذه الأرض بل كانوا عيناً ويداً ومدخلاً للغريب المحتل لها، لذلك فان قول رسول الله ﷺ ((حب العرب ايمان وبغضهم نفاق)) وقوله ايضا ((اذا ذل العرب ذل الاسلام)) لأوضح دليل وأكبر برهان على ان كل مسلم هو عربي بالضرورة ولا يمكن أن يكون مسلما ما لم يكن عربيا غيورا على عروبته مدافعا عنها متبنيا قضاياها مفتخرا بها ومعتزا بانتمائه اليها فالاسلام قد نشأ في قلب العروبة وأفصح عن عبقريتها بأحسن ما يكون الافصاح وسارا معا وامتزجا في أعظم الأدوار فلا يمكن أن يكون ثمة اختلاف او اصطدام بينهما، ولقد أوجدت مذاهب فلسفيه ونظريات كثيره وأستخدمت كل الأساليب في سبيل ايجاد الفصل بين العروبة والاسلام على إن العلاقة بين العروبة والاسلام ليست مسالة عابرة أو محض صدفة.

ومما لا شك فيه أن العروبة والانتماء اليها كانوا مرادفين لاعتناق الاسلام حتى منتصف القرن الثالث الهجري- التاسع الميلادي على أقل تقدير عندما بدأ هجوم الشعوبية[1] واليهودية على كل ما هو عربي

---

(١) الشعوبية: هي حركة تسعى للاساءة الى العرب وتعمل على الانتقاص منهم وقد ظهرت للعيان في بدايات العصر العباسي وعملت هذه الحركة الشعوبية على ترويج المشاعر القومية والتعصب لها واشاعة اليأس من العرب والاسلام وامعانا في التضليل فقد عملت على اضفاء الطابع الديني عليها وجرها الى داخل البيت النبوي لكي تضفي على نفسها طابعا روحيا ساخنا ومسحة قداسة دينية، وقد انتشرت الشعوبية بين الفرس بشكل واسع واتخذت الشعوبية من الآداب وسيلة لزرع بذور العنصرية والكراهية في نفوس ابناء امتها تجاه العرب والاسلام، ومن أعمدة الأدب الشعوبي: الفردوسي والخيام وقد قام محمود الغزنوي في القرن الثالث الهجري بتكليف أبو القاسم الفردوسي بكتابة قصائد شعرية يمجد فيها تاريخ فارس وحضارتها ويشتم العرب وحضارتهم الاسلامية ويحط من شأنهم وتحقيرهم وتمجيد الفرس

وتحقيره فحدث الخرق والانحراف، فبعد انهيار الدولة الأموية والتي كانت قد اتخذت قرارات مصيرية في تاريخ الدولة العربية الاسلامية من تعريب الدواوين والنقود الاسلامية وغيرها من الانجازات التي كانت لها كبير الاثر في بناء الأمة العربية الاسلامية وانعتاقها من أي سيطرة خارجية، فلما جاءت الدعوة العباسية والتي كانت من أهم مهامها تهميش العرب وابعادهم عن مركز القرار وتقديم أنصار الدولة العباسية والذي كان جلهم من الفرس والذين استلموا القيادة والوزارة مكان العرب سواء في عاصمة الخلافة الجديدة أو حتى في الأقاليم الشرقية من دولة الخلافة والذي كان من نتائجه بطبيعة الحال تزايد نفوذهم وسيطرتهم حتى انتهى الأمر بقيام دويلات فارسية مستقلة سياسيا في شرق دولة الخلافة وكان لهذه الدويلات دور أساسي في تشجيع النعرة الشعوبية للفرس وإعادة إحياء اللغة الفارسية وجعلها لغة ادارية وثقافية في هذه الدويلات بدلا من لغة القرآن وهي العربية، كما عملوا على إعادة الاحتفال بأعيادهم الفارسية الوثنية ومنها عيد النيروز والتي كان الصحابة الكرام قد منعوهم عنها بشكل كامل ونهائي باعتبارها أعياد وثنية واستمر الوضع على هذا الحال الى أن استلم المأمون الخلافة بعد حربه مع أخيه الأمين وقتله فسمح لأخواله الفرس اعادة الاحتفال بهذه الأعياد الوثنية، ومنذ ذلك الحين تقوم كل تلك الطوائف والفرق الشعوبية المنبثقة من الزردشتية والمزدكية وغيرها بالاحتفال بأعيادها الوثنية تلك الى يومنا هذا بالاضافة الى ممارستهم لكثير من الانحرافات الخطيرة كزواج المتعة والذي لم يكن معروفا للعرب وانما كان جزءا من تراث الفرس القديم والذي أضيف الى الدين في زمن تسلط الأعاجم على دولة العرب المسلمين ومن هنا نفهم محاولة البعض

وملوكهم، وقد وعده بأن يعطيه وزن ما يكتب ذهبا وعلى هذا الأساس وضع الفردوسي ملحمته وأسماها (الشاهنامة) "ملك الكتب" ووضع جلها في شتم العرب وتحقيرهم، وربما كان من اول وأهم الأعمال التي قامت بها الشعوبية مبكرا هو قيام أبو لؤلؤة المجوسي باغتيال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك انتقاما للدولة الساسانية التي قهرت في عهده كما كان لهم دورا خطيرا وأساسيا عندما تدخلوا في الصراع بين الأمين والمامون الذي استعان بهم ضد أخيه وجعل منهم قادة الجيش وكان لهم ايضا دورا كبيرا في انشاء الفرق الباطنية كالقرامطة وغيرهم.

الفصل بشكل كامل ما بين العروبة والاسلام والايحاء بأن العروبة هي نقيض الاسلام وبأنه لا يمكن أن تكون مسلما حقيقيا الا اذا وأدت العروبة ودفنتها وتبرأت منها ومن كل ما تمثله، مع إنه ليس بين العروبة والأسلام خصام وإنما يوجد فصام في عقول أولئك الذين روجوا لهذه المقولات، ففي مقابلة مع الدكتور صبحي الصالح رحمه الله الذي كان مدير كلية الآداب في الجامعة اللبنانية - الفرع الاول - والذي يعتبر من أبرز المفكرين الإسلاميين وهو صاحب مؤلفات وكتابات كثيرة، تحدث قائلا: " نريد أن نطمئن الخائفين من خلط العروبة بالإسلام عندما نؤكد لهم الإسلام طبعا غير العروبة. العروبة كانت قبل الإسلام طبعا هي غيره. الإسلام جاء بعدها طبعا هو غيرها. كل ما في الأمر أن الإسلام له دستور وهو كتاب وحي القرآن وقد نزّل بلسان عربي مؤمن. والرسول عربي وكانت الشريعة التي نزّلت في بلد عربي ذات طابع عربي. انما هذا كله لا علاقة له بالإسلام من قريب أو بعيد فقد يكون أي مسلم أعجمي أفضل مليون مرة من اعظم فرد عربي " ثم يضيف لاحقاً في نفس اللقاء " ولكون بلدنا بلداً عربياً ربما يدعونا إلى الرغبة في مزيد من اندماج لبنان في محيطه العربي. وهذا لا ينبغي ان يفسر تفسيرا إقليميا. ولا يجوز أن يفسر بنزعة تطرف قومي. وإنما هو اعتراف ضمني بأن هذا البلد تاريخياً عربي الوجه والدم واللسان ولا علاقة لشيء من ذلك بموضوع الدين. لأن إمكان الفصل تصنيفياً وتبيانياً بين موضوعات العروبة وموضوعات الإسلام أمر غير واضح للعيان. فليس كل موضوع إسلامي موضوعاً عربياً ولكن صادف أن كل موضوع عربي موضوع إسلامي. ومن الطبيعي أن يكون الإسلام وهو في الدعوة العالمية الشاملة مستوعباً كل قضايا العروبة إلى جانب قضايا الإسلام والمسلمين. مع هذا كله مخافة التردد الطويل في نفوس فريق من اللبنانيين ما نبرح نصر على أن العروبة غير الإسلام. وإن الإسلام غير العروبة "[1]!!!.

(١) في مقابلة مع مجلة الجيل العدد - ١١-آب - أغسطس - ١٩٨١.

وأنا هنا لا أفهم كيف صح عند الكتور صبحي رحمة الله، بأن الوحي والقرآن واللسان والرسول والشريعة والأرض وهم جميعاً عرباً ولكنهم مع ذلك لا علاقة لهم بالإسلام، وأيضاً كيف صح عنده أن الأعجمي يمكن أن يكون أفضل من العربي بمليون مرة مخالفاً بذلك قول الحق عز وجل في القرآن، وكذلك تلك المصادفات العجيبة والتي جعلت من كل موضوع عربي هو موضوع إسلامي بمحض الصدفة فقط، ولايمكن لي أن أفهم ذلك الأصرار من قبلة على الفصل التام بين العروبة والإسلام، فهل محاباة الفريق الآخر في الوطن تعني التنازل عن الحق والإنحراف عن الصواب والتسليم بالخطأ كرمى لعينيه، ولنقارن بين هذا الموقف وبين موقف المطران مبارك[1] الذي صرح من بارس عام ١٩٤٨م بما يلي: "إن لبنان بلد كاثوليكي، ويحاول المسلمون أن يستعبدوه كما يحاولون إستعباد جميع المواطنين الذين يسكنون معهم في بلد واحد كاليهود في فلسطين".

ويضيف: " يجب أن يكون لليهود وطن قومي كي يتمكنوا من العيش الهادئ، وإلا فإن أي ولاية غير إسلامية لا تستطيع أن تعيش بحرية وتمارس معتقداتها الدينية تحت سيطرة إسلامية بحتة"[2].

إن كثيراً ممن كتبوا في عالمنا العربي والإسلامي عن العروبة والإسلام، إما لم يكونوا في مرحلة تمكنهم من الرشد الفكري أو انهم أنزلقوا في ميدان التبعيه والتقليد الأعمى للاخرين مرددين عباراتهم كالببغاوات دون فهم او إدراك أو انهم عملوا بكامل وعيهم وتصميمهم على دس الشبهات وتشويه الحقيقه وجعل البديل مكان الأصيل وحرف مسار الحق في عقول هذه الأمه، ففي مطلع القرن الثاني الهجري أثناء الفتح الاسلامي للمشرق في العصر الأموي طلب والي خراسان الأشرس بن عبد الله المسلمي من قائد

(١) وعلى النصارى العرب أن يبحثوا في أعماق ذواتهم ويفهموها حتى يجدوا الحقائق المدفونة فيها ويسترجعوا فطرتهم الاولى، عندها فقط سيحرصون على الاسلام العربي حرصهم على أثمن ما يمتلكون في حياتهم وعلى النصارى العرب أن يبادروا الى الاسلام العربي إذ لا شيء يعادل شرف الانتساب اليه.

(٢) مجلة بيروت المساء، بيروت في حزيران عام ١٩٤٨م.

الجيش العربي المسلم الذي فتح ما وراء النهر ووصل الى تخوم الهند والصين، أن يجمع الخراج من رعاياه غير المسلمين، ومن المدن والمقاطعات التي تم فتحها شرق خراسان، وفي سمرقند ونهر السند فاجابه: " كيف لي أن اجمع الخراج من الناس وقد أصبحوا كلهم عربا ! " والمقصود هنا بأنهم قد صاروا مسلمين ولا يجوز أخذ الخراج منهم وفي التاريخ الاسلامي نلمح بشكل جلي وواضح مدلول لفظ (العربي) والذي كان يشير الى المسلم ولفظ (العربية) والذي يشير الى الاسلام ورسالة التوحيد، واستمر هذا المدلول خلال العصور الاسلامية الأولى وحتى أواخر العصر العباسي، والغريب أن كثيراً من اليهود والغربيين كانوا أكثر قدره من كثير من العرب على فهم أن العروبة والإسلام مترابطان ترابطاً جذرياً، فها هو الباحث (موروبيرجو) والذي يقول في كتابه (العالم العربي اليوم) :"إن العروبة تعني الإسلام، وإن الأبتعاد بالعرب عن الإسلام معناه انفصال البناء عن أساسه، وقد ثبت تاريخياً ان قوة العرب تعني قوة الأسلام"، وقد أشار كثير من الباحثين والدارسين الى تشابك العروبة والإسلام تشابكاً عضوياً لا مجال فيه لفصل أحدهما عن الأخر.

ثم يأتي بعض من يدعون بانهم وعاظ وكتاب ومثقفون اسلاميون يدافعون عن الاسلام ويقاتلون في سبيله ليسيؤوا الى العروبة وينعتوها بأقبح الأوصاف في خطبهم وكتبهم ومحاضراتهم بغير ادراك منهم لمفهوم العروبة العظيم وربما كانت بسبب تلك المناهل الفكرية الملوثة والتي من خلالها تم تشكيل وعيهم فيكفرون بالله سبحانه وتعالى والذي أكد في القرآن الكريم على مسألة العروبة تأكيدا شديدا فأخبرنا بأن القرآن عربي وبأن الحكم عربي وبأن اللسان عربي (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [يوسف: ٢]، (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ) [الرعد: ٣٧]، (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٦)) [الشعراء: ١٩٣-١٩٦] فهم في محاولاتهم لاظهار عظمة الاسلام لا يجدون أمامهم سوى الاساءة للعرب والطعن بهم والحط من قدرهم فيمشون بادراك منهم او عدم ادراك

بطريق رسمه لهم اليهود والشعوبيون الحاقدون على العرب والاسلام، ولا بد من الأشاره الى أن من ثمار الفصل بين العروبة والإسلام في الزمن الحديث إيجاد منفذ للصهيونية العالمية لتحطيم وحدة الأمة ومن ثم الولوج الى فلسطين وإحتلالها، وحدث أني كنت أصلي منذ فترة صلاة الجمعة في أحد مساجد دمشق وكان الخطيب الواقف على المنبر يصرخ بصوت مرتفع معددا مساوئ العرب قبل الاسلام فهم في نظره كانوا قتلة، اجلافاً، لا اخلاق لهم ولا رحمة ولا مبادئ، أشبه بالحيوانات فهم جماعات من المتخلفين والبلهاء والمجانين وفجأة!! بعث الله محمدا ﷺ بالاسلام ليحول بقدرته العظيمة هذه الحثالة الى أناس عقلاء حكماء وأنجاد فيهم العزة والكرامة والخير والشجاعة ناسيا خطيبنا المحترم أن رسول الله وغيره من أنبياء الله جاؤوا من هذه الأمة الملعونة على لسانه ولسان آخرين، ويبدو ان هذا الشيخ الفاضل لم ينتبه الى أنه من غير الممكن بل ومن المستحيل عملياً أن يحدث هذا التطور والأنقلاب لدى الشعوب بشكل فجائي، فالقاعدة تقول أن التحول الكيفي هو نتيجة التراكم الكمي والذي سيؤدي بالنهاية إلى تطور نوعي، كنت أستمع الى خطيبنا هذا وفي داخلي احساس عميق مختلط من الحزن والخجل والغضب من أن يقال مثل هذا الكلام على أعز وأشرف وأكرم الأمم في عاصمة العروبة دمشق والتي لا يمضي فيها يوم قبل أن تتوضأ فية بالعروبة خمس مرات، وفي عرين دولة حكم فيها العرب المسلمون العالم زمن بني أمية[1]، وتساءلت لماذا كلما تكلموا عن مرحلة ما

---

(١) كنت جالسا في أحد الأمسيات أقلب في قنوات التلفاز العربية علّي أحظى بقناة تستحق المتابعة فوقعت عيني على برنامج في أحد القنوات الشقيقة يستضيف فيه المحاور امرأة عرف عنها بالها شاعرة ومثقفة عربية مسلمة من ليبيا الشقيقة وفي الجانب الآخر أحد المشايخ من لبنان الشقيق والذي جاء طبعا ليكون مدافعا عن الاسلام المتهم دوما بعيون الآخرين وكان موضوع ذلك النقاش هو الفضيحة التي فجرتها الشاعرة الفاضله عندما طرحت سؤالا في أحد الاجتماعات وهو اذا كان يحق للرجل الزواج من أكثر من امرأة في الاسلام فما الذي يمنع المرأة من الزواج من أكثر من رجل؟! وما لفت انتباهي في هذا الموضوع هو جواب فضيلة الشيخ المحترم على السؤال الذي طرحته شاعرتنا الفاضلة ففي أثناء تبيينه لأسباب السماح للرجل ومنع المرأة من تعدد الأزواج، رأيته يعلن على شاشة التلفاز مباشرة أمام كل الناس ويقول: " لقد كانت نساء العرب في الجاهلية يفعلن هذا الأمر فكانت الواحدة منهن تتزوج بأكثر من رجل في نفس الوقت وعندما تحبل وتضع مولودها كانت تجمع أزواجها معا فتنظر فيهم فمن راق لها تعلنه والدا لطفلها ولا يحق لأزواجها الآخرين الاعتراض على قرارها!!!" الى هنا انتهى كلام فضيلة الشيخ المحترم والذي قام جزاه الله خيرا بالايضاح اللازم وأعطى الجواب الكافي والوافي وهنا خطر في بالي مباشرة ما دار بين رسول الله ﷺ وبين هند بنت عتبة والتي جاءت تقود نسوة مكة لما كان رسول الله يأخذ بيعة الناس على

قبـل الاسـلام لم يجـدوا أمـامهم الا العـرب ليلصـقوا بهـم شـتى الاتهامـات والنقـائص والشـتائم والأفـتراءات وكـأن الاسـلام قـد جـاء الى العـرب دون

الاسلام في مكة فلما قال لهن رسول الله: ولا تزنين فأجابت هند يا رسول الله وهل تزني الحرة؟! وانا هنا اتسائل كيف يمكن لانسان يمتلك ذرة من عقل أن يصدق مثل هذه الترهات واخطر من ذلك أن ينشرها بين الناس على الها حقائق كانت في التاريخ وكيف يمكن لأحد منا أن يصدق بان العربي في الجاهلية كان يطلب من زوجته أو ابنته أن تعاشر رجلا ما عرف ببسالته أووسامته أو غير ذلك من الصفات المحببة حتى ياتي ولده أو حفيده حاملا لهذه الصفات المميزة، فأين ذهبوا بكرامة ومروءة وشرف وعزة ونخوة العرب وماذا تركوا إذن لتلك الأمم الساقطة أخلاقيا وانسانيا كالفرس والروم ولماذا كلما تكلموا عن مرحلة ما قبل الاسلام لم يجدوا أمامهم الا العرب ليلصقوا بهم شتى الاتهامات والنقائص والشتائم وكأن الاسلام قد جاء الى العرب دون غيرهم ليخرجهم من الضلال الى النور وكأن الأمم الأخرى كانت بخير وهي ليست بحاجة الى الاسلام، ولماذا كلما تكلمنا عن العرب بعد الاسلام وعن دورهم فيه وقف الجميع معترضون متهمين ايانا بالتعصب الأعمى، فلماذا يخصصون العرب دون سواهم في المغرم ويرفضون مشاركة العرب اياهم في المغنم!!!.

ان المتتبع لأخبار وأشعار العرب في الجاهلية سيرى بأن للمرأة العربية مكانة عالية رفيعة لا يشتم منها الاهانة لها بل على العكس تماما حتى أن بعض قبائلهم قد سميت بأسماء الأمهات مما يأكد المكانة الرفيعة للمرأة العربية في ذلك الزمان مثل قبيلة (باهلة – بجيلة – مزينة) فالعرب أصحاب الحمية كانوا يفخرون ويعتزون بنسبتهم لأمهاتهم تماما كما يفخرون بنسبهم لآبائهم وما كانوا ليقبلوا الدنية لنسائهم والشواهد كثيرة على ذلك:

قال عمرو بن المنذر بن ماء السماء وأمه هند بنت الحارث بن عمرو الكندي لجلسائه: هل تعلمون أحدا من العرب يأنف أن تخدم أمه أمي؟ قالوا: ما نعرفه الا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبي، فان أمه ليلى بنت مهلهل وعمها كليب بن وائل وزوجها كلثوم وابنها عمرو فسكت عمرو على مافي نفسه ثم أرسل الى ابن كلثوم يستزيره ويأمره أن تزور أمه هندا بنت الحارث أم الملك فقدم ابن كلثوم في فرسان من قومه تغلب ومعه أمه ليلى فنزل على شاطئ الفرات وضرب ابن هند خيامه بين الحيرة والفرات وصنع لأهل مملكته طعاما وجلس هووابن كلثوم ووجهاء الدولة داخل السرادق وليلى أم عمرو مع هند في القبة، وقد قال ابن هند لأمه: اذا فرغ الناس من الطعام فنحي خدمك عنك، فإذا دنى الطرف فاستخدمي ليلى ومريها أن تناولك الشيء بعد الشيء ففعلت ما أمرها به ابنها فلما استدعى الطرف قال هند لليلى: ناوليني ذلك الطبق قالت: لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها فألحت عليها فقالت ليلى: وا ذلاه يا آل تغلب فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه والقوم يشربون وقام وتناول سيف ابن هند وهو معلق في السرادق وليس هناك سيف غيره فأخذه وضرب به رأس ابن هند فقتله وقال في ذلك شاعر التغلبيين:

لعمرك ما عمـرو بـن هنـد وقـد دعـا	لتخـدم ليلـى أمـه بموفـق
فقـام ابـن كلثـوم الى السـيف مصـلتاً	وأمسـك مـن ندمانـه بـالمخنق

وقال ابن كلثوم في معلقته:

بـأي مشـيئة عمـرو بـن هنـد	تطيـع بنـاة الوشـاة وتزدرينـا
بـأي مشـيئة عمـرو بـن هنـد	نكـون لقيلكم فيهـا قطينـا
تهـددنا وتوعـدنا رويـداً	متـى كنـا لأمـك مقتوينـا
فـان قناتنـا يـا عمرو أعيـت	علـى الأعـداء – قبلـك – أن تلينـا

وكان كثير من العرب لاينادي زوجته الا بكنيتها وحتى في أشعارهم وهذا من سمات التشريف في عرفهم يقول الشاعر:

سـلي الطـارق المعتـر يـا أم مالـك	إذ مـا أتـاني بـين قـدري ومجـزري
أيسـفر وجهـي وهـو في أول القـرى	وأبـذل معـروفي لـه دون منكـر

فمن كانت هذه أخلاقهم يرفضون أن تخدش كبرياء امهاتهم وفي سبيل كراماتهم تهدر دماء الملوك، فهل يمكن لنا بعدها أن نصدق أن المرأة العربية كانت ممتهنة الكرامة تورث كأي قطعة متاع يمتلكوها وأن الرجل اذا مات وله زوجة وأولاد من غيرها كان الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه من غيره و يعتبرها ارثا كبقية أموال أبيه، فمن صاحب المصلحة في تشويه وتخريب واختلاق كل تلك الترهات والأكاذيب والتي تهدف للنيل من أعراض العرب وشموخهم وشرفهم وكبريائهم ونقاء أنسابهم.

غيرهم ليخرجهم من الضلال الى النور ولا يأتون على ذكر أحوال الأمم الأخرى وكيف أنها كانت غارقة في المفاسد والظلم والجور والإنحطاط والانحلال الأخلاقي وكأن الأمم الأخرى كانت بخير وهي ليست بحاجة الى الاسلام، وهل حقاً كما ذكرت كتب السيرة والتفاسير، في تفسير الآية القرآنية (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) [الأعراف: ٣١] والذي كان كثير من كتابها يهود ومجوس دخلوا في الإسلام، أن العرب قبل الإسلام كانوا يطوفون حول الكعبة عراة رجالاً ونساءً، حتى جاء الإسلام منددا بذلك مقرراً وجوب الظهور بمظهر الحشمة والوقار عند المساجد بارتداء الملابس التي تحقق ذلك، وبأن العرب في الجاهلية كانوا يكرهون أن يطوفوا بالكعبة وعليهم ثيابهم التي قد يكونوا قد ارتكبوا الذنوب والآثام وعصوا الله وهي عليهم، فيطوفون عراة! فإذا طافوا بها كانوا يلقونها ثم لا يأخذونها بعد ذلك أبدا، وهل حقاً ما تذكره بعض الروايات الاسلامية والتي تقول: إن الحجر الأسود كان أبيض ولكنه أسود من مس الحيض في الجاهلية، أي أنه كان هناك طقس لدى الجاهليين تؤديه النساء في الحجر، وهو مس الحجر الأسود بدماء الحيض، وبأن عادة الطواف بالعري ظلت قائمة إلى ما بعد فتح مكة على يد النبي، حتى أبطل الرسول ﷺ هذه العادة وحرم أن يطوف بالبيت مشرك أو عريان في السنة التاسعة للهجرة، فهل كان الله سبحانه وتعالى حقا سيضع أعز رسالة في أخس أمة، وهل هذه الروايات والتي من سخرية القدر يرددها كثير من علماء المسلمين في مساجدهم وفي معاهدهم وفي مقابلاتهم التلفزيونية أخذين بصدقيتها دون أن يحاولوا ولو للحظة أن يشغلوا عقولهم ليصلوا من خلالها إلى الحقيقة، وأيضاً يرددها ويستشهد بها كثير من أهل الديانات الأخرى التي تحارب الإسلام والمسلمين وتطعن بهم، هل هي روايات تمت للمنطق بصلة، وهل كان رب العالمين سيتحدى مجموعة من المتخلفين والضعفاء والمجانين والمنحرفين!! وهو الذي يقول في القرآن الكريم متحديا العرب (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا

نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [البقرة: ٢٣] (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [يونس: ٣٨] (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [هود :١٣].

لقد عملت كثير من الأمم والجماعات الدنية، والتي ارتفعت بعد انحطاط وعزت بعد ذل وتمكنت بعد حرمان، من قلب الحقائق وتشويهها، كما يعز عليها أن ترى أمة الشرف والأمجاد تنال احترام الإنسانية وتقديريها، فتراهم يحاولون أن يضعوا من مكانة هذه الأمة، ويحطوا من منزلتها، إشباعاً لعقدة النقص لديهم بكل الوسائل المكنة.

لقد أبدى العرب المسلمون في فتوحاتهم روح التسامح الديني نحو أهل البلاد المسالمين من أتباع الديانات القديمة الذين لم يقاتلوهم ولم يهددوا قط سلامة الدولة العربية الاسلامية بل على العكس تماما. فكثير من أهل تلك البلدان شعروا بالرضى والسرور ورحبوا بهؤلاء الفاتحين الرحماء لأنهم رفعوا عنهم جور وظلم واستبداد حكامهم، وجلبوا لهم الحرية والعلم والخير والبركه، يقول المستشرق الهولندي (دوزي) " وكان الفتح العربي (للأندلس) عاملا في تحسين أحوال الطبقات المستغلة وكذلك حسنت أحوال أرقّاء الضياع، اذ غدوا من الزراع تقريبا، وتمتعوا بشيء من الاستقلال والحرية "، الا أن العرب بنفس الوقت لم يكونوا ليستطيعوا أن يتهاونوا أبدا ازاء المنافقين الذين تظاهروا بالاسلام، بينما ظلت قلوبهم غارقة في ظلام الوثنية والذين بذلوا قصارى جهدهم في الخفاء لتشويه وجه الاسلام العربي الحق من خلال تسميمه بعقائدهم الملوثة المنحرفة والذين عملوا على نشرها بعيدا عن أعين السلطة العربية الاسلامية وهم أيضا لم يكتفوا بذلك بل عمدوا الى بعث قومياتهم القديمة والتعصب لها على حساب الحق عندما حانت لهم الفرصة بزوال الدولة الاموية ومجيء الدولة العباسية والتي كانت تربة خصبة لتلك الطوائف السرية المخربة

والأفكار الفلسفية التي تبزها خطورة وكان من نتائج هذا الامر خلق مجتمع اسلامي يضج بالطوائف والملل والديانات المختلفة والتي عملت بمكر شيطاني الى نشر العلوم والأفكار والآراء الهدامة داخل أمة الحق، فعجل ذلك بتفكيك وتخريب دولة الاسلام من الداخل وما زالت نتائج فعال ذلك التخريب ظاهرا الى يومنا هذا فلقد كان العرب أول من دعى الى الأخوة العربية الاسلامية والتزم بشريعتها ولكن الشعوبية واليهود أرادوا أن يجعلوا من تطبيق مبدأ الأخوة الاسلامية سببا لتضييع الروح الوطنية وتمييع الهوية ومدخلا لنخر أمة الحق من الداخل وان تكون نتيجة تطبيق هذا المبدأ لصالح أعداء الأمة بالكلية.

لقد كان العرب المسلمين في واقع أمرهم وفي ذروة انتصارهم الساحق والباهر أول وأصدق من التزم بمبدأ القرآن الكريم في قوله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [الحجرات: ١٠] فكانت كل تلك المحاولات التي كانت تهدف الى اماتة الروح الوطنية[1] لدى العرب المسلمين المتخمة بالفضائل وسمو الفعال، وقطع كل اتصال مع ماضيهم المجيد وعظائم اعمالهم الرائعة، فان قوة الانسان تاتي من خلال ايمانه بالله سبحانه وتعالى وتنشقه هذه الروح الوطنية فيعلو بأفكاره وسلوكه فيكون مستعدا للتضحية والعطاء بشكل دائم ومستمر في سبيل الله والوطن والأهل لذا فقد حاول أعدائنا جاهدين لقتل هذه الروح فينا أو على الأقل اضعافها وتشويهها في داخلنا وانتاج شخصية هلامية لا ملامح ولا انتماء لها، لانتاج أمة ميتة لا حياة فيها يسهل خداعها واقتيادها كيفما شاؤوا وتعطيل طاقاتها وضمان عدم قدرتها على أخذ المكان الذي تستحق والذي اذا ما أخذته فانها ستكون قائدة لذاتها قادرة

---

(١) يقول العلامة القهامة أبي العباس محمد ابن يزيد والمعروف بالنحوي في كتابه (الكامل في اللغة والأدب) ص ٢٢٦ الآتي: كان نافع بن جبير أحد بني نوفل بن عبد مناف، كان اذا مر عليه بالجنازة سأل عنها، فان قيل له قرشي قال وا قوماه، وان قيل عربي قال وا مادتاه، وان قيل مولى أو أعجمي قال اللهم عبادك تأخذ منهم من شئت وتدع من شئت.

وقال المبرد: يروى أن ناسكا من بني الهجيم بن عمر بن تميم كان يقول في قصصه: اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالي عامة فأما العجم فهم عبيدك والأمر اليك.

علـى تسـيير أمورهـا وأمـور الآخـرين ممـا يعـني تلاشـي دور هـذه القـوى الظالمـة المسـتبدة بمصيرنا ومصـير العـالم[1] وأفـول نجمهـا فالشـعور الـوطني هـو شـعور طبيعـي ورائـع وأساسـي لا غنـى عنـه، فـالقرآن عربـي واللسـان عربـي والحكـم عربـي ولسـان أهـل الجنـة عربـي، فالعروبـة ليسـت شـيئا مخترعـا وانمـا هـو شعور رباني أزلي زرع في العربي المسلم من قبل الله سبحانه وتعالى.

فكانـت الوطنيـة أمـرا فطريـا وتلقائيـا وهـو أمـر هـام ورائـع، فالاسـلام جـاء ليعـزز هـذه الـروابط ويقويهـا ويـدفعها بالاتجـاه الصـحيح، باتجـاه الحـق ولـيس ليلغيهـا ويبترهـا كمـا يحسـب الـبعض، فكـثيرا مـن مآسـي العـرب ومشـاكلهم كضـياع فلسـطين وقيـام تحـالف الشـر في العـالم بـاحتلال العـراق ومـن قبلـه الصـومال ولبنـان وغيرهـم وتجـزأة السـودان وكـثيرا مـن المصـائب والهـزائم الـتي يعـاني منـها العـرب في العـالم انمـا سـببها تضـييعنا لهـذه الـروح الوطنيـة العربيـة، وإنـي لأتعجـب وانـا أرى هـذا الطـرح الخـاطئ الهـدام ولكـن المـدروس والمبثـوث في عقـول العـرب منـذ قـرون والـذي يعـارض قـول الله سـبحانه وتعـالى الـذي قـال (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤) [فصلت:٣-٤] وقولـه (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (٤) [الزخـرف: ٣-٤] وقـول رسـول الله ﷺ: " أنـا أعـربكم، أنـا مـن قـريش، وأسترضـعت في بكـر بـن سـعد " فهـل سـيفهم العـرب المسـلمون أنهـم المقصـودون وإنهم هدف اليهود والشعوبية والصليبية العالمية وإن الدوائر تدور عليهم.

فقـد شـنت علـى العـرب المسـلمين حروبـا مرئيـة وخفيـة، معلومـة ومجهولـة في كـل المجـالات، وكـل ذلـك فقـط لأنهـم عـرب مسـلمون[2] وقـد يقـول الـبعض أن

---

(١) في عام ١٨٦٢ منحت الأكادمية الفرنسية جائزة للمحمة تنظم حول قناة السويس وقد ربح الجائزة بورنييه الذي قال: " الى العمل، أيها العمال الذين تدفعكم فرنسانا شقوا للعالم هذا الطريق الجديد. آباؤكم الأبطال وصلوا الى هنا فكونوا حازمين مثل أولئك الباسلين، مثلهم ستحاربون عند أقدام الأهرام، وستأملكم أيضا آلافها الأربعة، بلى ستحاربون للعالم، لآسيا وأوروبا. للأقاليم البعيدة التي يلفها الليل، للصينيين المكرة، والهنود نصف العراة للشعوب السعيدة الحرة، الانسانية والشجاعة، وللشعوب الشريرة وللعبيد، لأولئك الذين لم يعرفوا بعد المسيح.

(٢) احتج اتحاد المحامين العرب على ما تضمنته الطبعة الثالثة من معجم المفردات الأمريكي الشهير (وبستر) حول مدلول كلمة عربي

كلامي هذا عن العروبة هو تعصب أعمى ولكن أقول لهؤلاء اذا كانت العروبة هي تلك المسألة الربانية بكل ما تحمله من حق ونور وعدل ونقاء فنعم أنا متعصب لها، وكيف لا أتعصب للعروبة التي أعزها الله ورفعها وكرمها، فالمشكلة ليست بالتعصب، فأين الخطأ في أن يتعصب المرء للحق والعدالة أو للخير ولكن المشكلة في الأمر الذي تتعصب له، كالتعصب لعرق أو قرابة أو جور على ما يحمل ذلك في طياته من مظالم ومآسي وتضييع الحقوق، يقول رسول الله ﷺ " أنصر اخاك ظالما أو مظلوما فقال رجل أنصره اذا كان مظلوما أفرأيت اذا كان ظالما كيف أنصره قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فان ذلك نصره " وهنا نرى أن رسول الله ﷺ يأمرنا بالنصر والنصرة (أي بالتعصب) لا للقرابة والدم ولكن للحق والعدل.

ولقد كان لصحابة رسول الله والتابعين والفاتحين والمجاهدين ذلك الشعور بتعظيم العروبة والدفاع عنها ورد أي اعتداء عليها لفهمهم لما تعنيه من معاني عظيمه وجليله، يقول ابن عبد الحكم: ثم خرج الى المغرب بعد معاوية بن حديج عقبة بن نافع الفهري ٤٦ هـ -٦٦٦ م ومعه بسر بن أرطاة وشريك بن سمي المرادي... فخلف جيشه هناك، واستخلف عليهم عمر بن علي القرشي، وزهير بن قيس البلوي، ثم سار بنفسه وبمن خف معه: أربعمئة فارس، وأربعمئة بعير، وثمانمئة قربة حتى قدم ودّان فافتتحها، واخذ ملكهم فجدع أذنه، فقال: لما فعلت هذا بي وقد عاهدتني؟.

فقال عقبة: فعلت هذا بك أدباً لك، إذا مسست أذنك ذكرته فلم تحارب العرب، واستخرج منهم ما كان بسرٌ فرضه عليهم ثلاثمئة رأس وستين رأساً.

ثم سألهم عقبة: هل من ورائكم أحداً؟

حيث جاءت في المعجم مدلولا لكلمات وضيعة ك (المتشرد أو المتسكع أو العالة أو الشحاذ)وتعرف الاسلام بأنه (كل من يعادي السامية ويتعاطف مع أعداء اسرائيل) في الوقت الذي يدافع فيه المعجم عن الصهيونية وكيالها القائم على الغصب والاحتلال وانتهاك كل القيم والأعراف الدولية.

فقيل له جَرْمَة وهي مدينة فزان العظمى، فسار اليها ثماني ليال من ودّان فلما دنا منها أرسل فدعاهم الى الاسلام، فأجابوا، فنزل منها على ستة أميال وخرج ملكهم يريد عقبة، وأرسل عقبة خيلاً فحالت بين ملكهم وبين موكبه، فأمشوه راجلاً حتى أتى عقبة بن نافع، وقد لغب – أي تعب – وكان ناعماً فجعل يبصق الدم، فقال له: لما فعلت هذا بي وقد أتيتك طائعاً؟

فقال عقبة: أدباً لك اذا ذكرته لم تحارب العرب، وفرض عليه ثلاثمئة عبد وستين عبداً.

وتوجه عقبة بعد ذلك الى المشرق، حيث توجد قصور فزان، فافتتحها قصراً قصراً حتى انتهى الى أقصى الشرق، فسألهم: هل من ورائكم أحد؟ قالوا: نعم أهل خاوار.

وهو قصر عظيم على رأس المفازة في منطقة وعرة تقع فوق ظهر جبل، فسار اليهم خمسة عشرة ليلة في جيشه، فلما انتهى اليهم لجؤوا الى حصونهم فتحصنوا بها، فحاصرهم عقبة شهرا، ولم يستطع فتح هذا الحصن.

فسار أمامه حتى أتى قصور كوّار فافتتحها، حتى انتهى الى أقصاها، وكان فيه ملكهم فأخذه، وقطع اصبعه، فقال له: لما فعلت هذا بي؟ قال: أدباً لك، إذا أنت نظرت الى اصبعك لم تحارب العرب، وفرض عليه ثلاثمئة عبد وستين عبداً.

وسألهم: هل من ورائكم أحد؟ فقال الدليل: ليس عندي بذلك معرفة ولا دلالة، فانصرف عقبة راجعاً[1].

وكان جيش صلاح الدين في حطين من أصول متعددة، ولكنهم جميعاً كانوا أبناء هذه الأرض العربية الطيبة، لم تفرقهم إقليمية ضيقة، ولا

---

(١) (فتوح مصر وأخبارها ص ١٩٥).

طائفية حمقاء، ولا شوفينية عمياء، كانوا جميعاً أبناء وطن واحد تجمعهم راية العروبة والإسلام ويطلبون جميعاً تحرير الوطن.

فأين هذا الفعل والفكر، من آراء ظهرت في العالم العربي في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين يوم ظهر جيل عمل على استبدال البديل بالأصيل بدعوى التنوير والتطوير فوُجد بعض المفكرين العرب ممن يقولون عن أنفسهم بأنهم تقدميون، يميلون إلى الغرب مخلصين الولاء له، وصار عندهم مقدار التقدم هو مقدار ابتعادهم عن عروبتهم ودينهم وذاتهم وهويتهم ولغتهم وتنكرهم لجذورهم، ولكن إذا نسي الإنسان هويته وتبرأ منها فماذا يبقى منه؟!، فكان من هؤلاء سلامة موسى الذي قال: " إن الرابطة الدينية وقاحة "، وليطالب قاسم أمين واحمد لطفي السيد إلى استعمال العامية المصرية، وليتحول الدين إلى مجرد أوهام وخرافات على يد زكي نجيب محمود، وليصرح الدكتور لويس عوض والذي يأخذ لقب مفكر ومؤلف بأن العروبة (لونا من ألوان النازية)، او بعض الآراء الأخرى التي تدعوا الى الأنعزال عن العروبة والتبرؤ منها والإنطواء على النفس!!.

عشية هزيمة حزيران ١٩٦٧ رفع شعار (اعرف عدوك)، ولا شك ان هذا الشعار له معناه ودلالاته، وهو ذو أهمية بالغة، الا انني أعتقد أنه لا بد من رفع شعار يفوقه أولوية وأهمية وخطورة وهو (اعرف نفسك)، فمن هنا تكون الخطوة الصحيحة الأولى لبناء الذات ومواجهة الأخطار وتحقيق النصر، فالجاهل لنفسه مضيع لها[1].

---

(١) أذكر أني في يوم من أيام عام ٢٠٠٩م كنت قد التقيت مع أحد أصدقائي من حركة حماس وكنت قد سالته عن معنى كلمة (العروبة)، وبعد فترة من التامل والصمت المطبق من قبله حاوبني قائلاً: علينا ان لا نشغل أنفسنا بهذه الصغائر والمسائل الهامشية، بل علينا الاهتمام بالمسائل الخطيرة والملحة التي تواجه الأمة العربية والإسلامية اليوم، فقلت له: لقد ذكر الله سبحانه وتعالى لفظ العروبة ٢٢ مرة في القرآن الكريم فهل كان الله سبحانه عز وجل سيذكر امراً هامشياً ٢٢ مرة، وأضفت: كيف لنا أن نواجه الأخطار الملحة التي تواجه الأمة ونحن نجهل ذواتنا وأبسط البديهيات فيها، تبسم صديقي ورأيت حيرة في عينيه، وأحببت أن أخرجه من ارتباكه عندما طلبت منه التفكير بمعنى العروبة في القرآن الكريم لنناقشه لاحقاً، فأجاب بالموافقة وانصرف مسرعاً بحجة أن لديه مسائل عاجلة بانتظاره.

لذلك كان لا بد لكل عربي مسلم أن يربي نفسه وأهله وأولاده على فهم وعشق العروبة المسلمة والانصهار فيها على الرغم من الواقع السيئ والمؤلم، وأن يجعلهم يتنفسون روح العروبة في صدورهم وعقولهم، وأن يدفعهم ليلوذوا بالعروبة فتكون لهم خير ملاذ، وأن يستعيذوا بالإسلام فيكون لهم خير معاذ، وأن يفهمهم ان لا ينغروا كثيراً بأعداء العروبة فهم لا يتكاثرون إلا ليبيد بعضهم بعضاً وأن الحق يجمع والباطل يفرق، فتتفتح ورود الغد المشرق للأمة في أجيال العرب المسلمين القادمة، والتي عليها أن تقف في وجه كل المؤامرات التي صنعها أعداؤها عبر قرون، فنعرف أعداء العروبة وأساليبهم ونستعد لهم بكل ما أوتينا من قوة وامكانيات فنحاسبهم أشد الحساب ونعاقبهم على ما ارتكبوه من جرائم ومذابح ومآسي بحق العرب المسلمين فمعركتنا معهم مستمرة الى أن يشاء الله، قال تعالى: (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) [الفتح: ١٦].

الشخصية الايجابية للعربي المسلم

لو اننا تعمقنا في أساس الرسالة السماوية والبعثات النبوية لوجدنا أن الهدف الرباني كان دوما خلق الشخصية الايجابية لدى عباده المؤمنين الصادقين، تلك الشخصية العابدة لله والشاكرة له نعمه عليها والمتفاعلة مع محيطها والقادرة على بناء الأرض وتعميرها بما امر الله سبحانه وتعالى، ونشر الخير والسعادة فيها وفق نهجه الرباني وضمن منظومة محكمة متقنة، فما أن يدخل الشخص، أي شخص كان داخل هذه المنظومة الربانية فيؤمن بها ويطبقها على نفسه وأهله ومحيطه قولا وفعلا، الا وتجده شخصا آخر مختلف لا يعرف المستحيل ولا يقنع بالضعف ولا يقبل بالهزيمة ولا يرجع عن غايته حتى يصلها وينجزها، فكانت تلك الشخصية الايجابية الفاعلة للعربي المسلم، مع وجود الاختلافات في القدرات والطاقات والامكانيات لدى الأفراد، على أن هذا الأمر لا يلغي أن هذه الصفات هي صفات عامة لدى كل المنتسبين لهذه المنظومة من العرب المسلمين وان كانت بدرجات متفاوتة على حسب الشخص نفسه.

ولما يأتي البعض من خارج هذه المنظومة الربانية ليقرأوا مثلا تاريخ الفاتحين العظام يصابون بالدهشة والمفاجأة فيرفضون التصديق حينا ويقللون من انجازات الفاتحين العرب المسلمين أحيانا أخرى ويصفونها بالمبالغات والأكاذيب، وهنا تكمن المشكلة، فهؤلاء يضعون من أنفسهم مقياس الحقيقة ويعكسون الأشياء على ذواتهم الضعيفة وشخوصهم الهزيلة وقدراتهم المبددة وعقولهم المشتتة ويقولون ان كنا نعجز عن القيام بهذه الأفعال فانهم أيضا عاجزون، والبعض الآخر يعلم بأن هذه الانجازات هي حتى أقل من الحقيقة بكثير ولكنه ينظر بعين الخجل لنفسه الكسيرة وشخصيته السلبية وهمته الضائعة وطاقته المهدورة فيقنع نفسه بأنه لن يكون يوما بنفس روح أولئك العظام من الفاتحين والمجاهدين وبأنهم جيل لم ولن يتكرر، لكن الحقيقة غير ذلك، فالخالق عز وجل قد جعل في

الجسم البشري مناجم ضخمة من الطاقات والامكانيات، وينابيع متفجرة من القدرات، ولكن كل هذه الثروات النفسية والجسدية والعقلية تبقى مجهولة ومهدورة وغير مستغلة مالم نفهم الآلية السليمة لاستثمارها على أكمل وجه، ولم يكن الله سبحانه وتعالى ليعطينا كل تلك النعم ثم يتركنا دون القدرة على الاستفادة منها، لذا فقد أرسل الله فينا الأنبياء والرسل ليدلونا على أكمل وأجمل وأحسن الطرق الموصلة الى السعادة في الدنيا والآخرة وجعل فينا صلة الوصل الممدودة اليه أبدا والى قيام الساعة من خلال القرآن الكريم الذي أراده الله أسلوب حياة لنا، فجعل فيه اشارات تنبيه وتوضيح وتوجيه وتحذير على طريق سعادتنا وجعل فيه قواعد للنهوض بعد السقوط والنصر بعد الهزيمة والعودة بعد الضياع شرط أن نفهم القرآن كما أرادنا الله أن نفهمه باللسان العربي المبين وأن نطبقه التطبيق الصحيح يقول تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) [محمد: ٢٤] وهاهي السيدة عائشة رضي الله عنها تصف رسول الله ﷺ فتقول " كان قرآنا يمشي على الأرض" فهذا الدين العظيم لم يكن يوما دين حركات جسدية نؤديها من باب الواجب دون أن نستشعر عظمة الخالق ونحن بين يديه ونتصل بالله عز وجل من خلالها كما لم يكن يوما دين السذج والدراويش والبلهاء ولا دين الحضرة والخرافة بل كان دوما دينا يصنّع أعظم النماذج من الرجال والنساء، فمن أساس ومقومات هذا الدين صنع الشخصية الايجابية للعربي المسلم التي لا تعرف الكلل ولا الملل ولا التراجع ولا الاستسلام، هذه الشخصية التي تم تصنيعها على أساس أن لا مانع ولا عائق ولا عقبة تقف في وجه العربي المسلم مهما بلغت ومهما صعبت فكان ذلك الانسان صاحب تلك الشخصية الايجابية يمتلك الاصرار لتحقيق ذاته وهو يطوع كل امكانياته في سبيل بلوغ هدفه، يقول أبو تمام:

قد علمنا أنْ ليس إلا بشِقّ ... النفس صار العظيم يدعى عظيماً
طلبُ المجد يورثُ المرءَ خَبْلاً ... وهموماً تُقَضْقِضُ لَحْيَز وما

فتـــراهُ وهـــو الخلـــي شـــجياً وتـــراه وهـــو الصـــحيحُ ســـقيما
تيمتـــه العُلـــى فلـــيس يَعُـــدُ البـــؤسَ بؤســـاً ولا النعـــيم نعيمـــا
كـــل حـــال تلقـــاه فيهـــا ولكـــن لـــيس يُلقَـــى في حالـــة مـــذموما

فالانسـان الايجـابي يبتعـد عـن أثقـال الحيـاة المتمثلـة برفاهيتـها الـلا محـدودة ويكتفـي منـها بأقـل القليـل فهـذا الانسـان أعـاد تنظـيم ذاتـه وأقـام فيهـا ترتيبـا جديـدا فبدلا مـن أن يكون عبـدا لغرائـزه الـتي تريـد الارتـواء، فقـد أخضـع ذاتـه لنظـام عـالٍ بحثـاً عـن تحقيـق أهدافـه المنشـودة، فالانسـان الايجـابي عقلانـي يراقـب ذاتـه وينظمهـا ولـذلك فهـو يقـف في الطـرف النقـيض مـن الانسـان السـلبي المستسـلم، كمـا ان الانسـان الايجـابي صـاحب نظام عقلي محكم عالي التنظيم فلا يدع للظروف أن تخرجه عن طوره.

وهـو شـخص محصـن ضـد الاغـراء ولا يمكـن زحزحتـه عـن هدفـه، لـذلك فلقـد كانـت هـذه الشخصـية رافضـة للقيـود طامعـة للحريـة فهـو يمكـن أن يمشـي في أصـعب السـبل وأكثرهـا تعبـا للوصـول الى غايتـه المنشـودة وهـو دومـا ينشـد المسـتقبل فـذلك هدفـه ويسـعى في الـزمن الحاضـر لامـتلاك المقبـل مـن الايـام، فهـو لا يحيـى في الحاضـر منتظـرا مجـيء المسـتقبل وانمـا ينطلـق هـو الى المسـتقبل ويسـعى اليـه ولا يسـتكين علـى الوقـت ويتركـه يفعـل فعلـه وانمـا يعيـد تنظيمـه حتـى لا يـذهب بـلا قيمـة فـالزمن لديـه لـيس دقـائق تمـر وتنقضـي، ولكنـه يشـكل مصـيره وذاتـه، لـذلك فانـه دائمـا في حالـة تـذكر مسـتمر لهدفـه فمسـتقبله يصـنعه بنفسـه بعـد أخـذ أسـباب التوكـل علـى الله الا أنـه لا يقتـع بالـدعاء دون العمـل فقـوة هـذا الانسـان الايجـابي المـؤمن تكمـن في ذاتـه في مسـتقبله، بالهـدف الـذي يسـعى ويجتهـد لينالـه ويحصـله، وهـو في هـذا لا ينتظـر مـن أحـد أن يعطيـه أحلامـه، بـل يقاتـل في سـبيل تحقيقهـا بنفسه، وهو لذلك في حالة صدام مع هذا العالم من حوله.

ولقـد كـان الانسـان الايجـابي المـؤمن في القـرآن صـاحب قضـية بكـل خليـة مـن خلايـا عقلـة وجسـمة، وكـان علـى عاتقـه تقـع عمليـة التغيير في كـل زمـان ومكـان فالانسـان السـلبي مستسـلم لكـل الظـروف والأوضـاع الاجتماعيـة مـن

حوله، يقبلها كما هي بعلاتها وأمراضها، أما نقيضه فبعكسه تماما فهو لا يتنازل ولا يستسلم وانما يسعى للحق قدر استطاعته فهو مقاوم وعنيد بالحق واذا ما فشل عاود الكرة مرات ومرات حتى ينجح أو يرسم طريق النجاح لمن سيأتي من بعده والأمثلة في تاريخنا العربي الاسلامي كثيرة، لا عد ولا حصر لها وها هو عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين أحد اهم الأمثلة على تلك الشخصية الايجابية الهمامة التي لا تعرف العجز ولا الاستكانة، حازماً لا يكل أمره الى غيره، فلما استلم الخلافة وكان وضع الأمة في حالة اضطراب وانقسام فسير الجيوش لتوحيد الأمة وربط ما انفرط من عقدها فجائته أخبار هزيمة الجيوش التي أرسلها وتحرك جيوش أعداء الأمة باتجاهها من الخارج مستغلين حالة الانقسام فيها وخروج حركات الشغب والتخريب والسلب والنهب في الداخل، يقول المسعودي: " كان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قد سار في جيوش أهل الشام، فنزل بطنّان ينتظر ما يكون من امر ابن زياد، فأتاه خبر مقتله ومقتل من كان معه، وهزيمة الجيش بالليل وأتاه في تلك الليلة مقتل حبيش بن دلجة، وكان على جيش بالمدينة لحرب ابن الزبير، ثم جاءه خبر دخول ناتل بن قيس فلسطين من قبل ابن الزبير ومسير مصعب بن الزبير من المدينة الى فلسطين ثم جاءه مسير ملك الروم - لاوي بن فلنط - ونزوله المصيصة يريد الشام ثم جاءه خبر دمشق، وأن عبيدها وأوباشها ودعارها قد خرجوا على أهلها ونزلوا الجبل، ثم أتاه أن من في السجن بدمشق فتحوا السجن وخرجوا منه مكابرين، وأن خيل الأعراب أغارت على حمص وبعلبك والبقاع وغير ذلك مما نما اليه من المفظعات في تلك الليلة، فلم يُرى عبد الملك في ليلة قبلها أشد ضحكا، ولا أحسن وجها، ولا أبسط لسانا، ولا أثبت جنانا منه تلك الليلة تجلداً وسياسة للملوك"[1] فشمر عبد الملك بن مروان صاحب تلك الشخصية الايجابية الرائعة عن ساعديه، وعزم على اعادة هيبة الدولة العربية الاسلامية ومكانتها فقابل كل هذه

(١) مروج الذهب (٣ \ ١٠٥)

المفزعات والانتكاسات بابتسامة لم تفارق شفتيه، ويقين لم يبرح قلبه، وعزم لم يعرف الخور ولا الوهن فكان مثالا رائعا للعربي المسلم في عدم الركون للهزيمة والاستسلام للظروف فوحد دولة العرب المسلمين بعد تمزقها واستأصل الخلاف فيها وعدل ميزانها وأعاد تسيير جيوش الفتح باتجاه أعداء الله والأمة، ففتح البلدان والأقاليم ناشراً فيها رسالة الحق والهداية، فكان من أعظم السياسيين دهاء وهمة، ومن أشجع القادة العسكريين حزما وعزما، ومن أكثر العباد عملاً وعلما، فصح فيه قول القائل، "من رقي في درجات الهمم عظم في عيون الأمم"، وقد وصف الشعبي، عبد الملك بن مروان فقال: "ما علمته إلا آخذاً بثلاث تاركاً ثلاث. آخذاً: بحسن الحديث اذا حدث، وبحسن الاستماع إذا حُدّث، وبأيسر المؤنه إذا خولف. تاركاً: مجاوية اللئيم، ومماراة السفيه، ومنازعة اللجوج"، وقيل لابن عمر رضي الله عنه:"أرأيت لو تفانى أصحاب رسول الله ﷺ فمن نسأل بعدهم؟ فقال: سلوا هذا الفتى " يعني عبد الملك، وكانت له اعمال جليله تدل على بعد نظره إذ قام بتعريب دواوين الدوله العربية الاسلامية بعد أن كانت تكتب بالروميه في بلاد الشام، وبالفارسيه في العراق، وبالقبطيه في مصر، وسلم مقاليدها للعرب المسلمين، وضرب النقود العربية الاسلامية بعد أن كانت رومية وفارسيه وغيرها من الأشياء التي حصنت أمة العرب المسلمين من الداخل ومنعت أي وصايه أو تهديد عليها من الخارج.

وهذه شخصية السلطان العثماني محمد الفاتح، فاتح القسطنطينية ومحطم الدولة البيزنطية أعظم سلاطين آل عثمان والذي وصل لدرجة كان يعتبر معها محورا للسياسة الدولية في عهده وصاحب الكلمة الأولى فيها والذي اشتهر عند الأوربيين حتى أطلقوا عليه لقب (السيد العظيم - **grand seigneur**) وكان مجرد سماع اسمه يثير الرعب والهلع في قلوب اعدائه، ولا أدل على ذلك من احتفال أوروبا بموته، فقد أقامت البابا وية في روما الحفلات والمهرجانات الصاخبة ابتهاجا بذلك الخبر، وظلت الرهبة

والرعب من هذا السلطان تخيم على أعدائه في أوروبا حقبة طويلة من الزمن، كما ظلت ذكراه تلقي الرعب والفزع في قلوب أهلها الى عشرات من السنين بعد وفاته، وكان رحمه الله صاحب جلد وشجاعة وشدة مراس صبورا على المكاره ولم يعرف اليأس يوما وكان مجاهدا مؤمنا صادقا بالله يحسن التوكل عليه وكان واسع الدهاء وشديد الذكاء عميق الحيلة قوي الشكيمة، صلب الارادة لا تلين له قناة يتوقد غيرة على الاسلام ويسعى للجهاد في سبيله ونصره اهله حتى نال بشارة النبي الأعظم محمد ﷺ (لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش)[1] فكان حقا مثالا رائعا آخر عن تلك الشخصية الايجابية العربية المسلمة التي لا تعرف الكلل ولا الملل ولا الاستسلام.

وقد يتساءل البعض أين توجد تلك الشخصية الايجابية؟! فنقول، انها في داخلنا، في ذواتنا قد نسمع صراخها فينا، تطلب منا أن نمسك بيدها وننهض، ولكن الكثيرين آثروا أن يدفنوها في اعماقهم، فهذا من وجهة نظرهم أسهل عليهم وأهون، فصاحب تلك الشخصية هو آخر ما يمكن أن يصل اليه الانسان في الحياة، ولذلك فهم قله بين الناس، يرفضون أن يكونوا عبيدا للظروف وهم دوما أصحاب مبادرة، فالشخصية الايجابية المؤمنة تحرث الأرض وتشيد العمران وتعملُ الفكر وتذيب الأرواح لتكتب التاريخ سطرا سطرا وتبني المستقبل حجرا حجرا فالبطولة هنا لا توزع الا بنسبة الصعوبة ولا يورث المجد الا بقدر الجهد، والمغنم أبدا بقدر المغرم، فصاحب الشخصية الايجابية إذا عزم أنجز وإذا هم أتم، ومهما كبرت العقبات وبلغت الصعوبات في الحياة فإن همته وإصراره أكبر، فهو يمشي حثيث الخطى نحو هدفه بجرأة وثقة، ومهما تعثر فإنه ينهض مقاتلا حتى يحقق الغاية[2]، وليس العمر مقياساً لهذا الأمر، إذ ليس الصغير بالسن

---

(١) رواه الامام أحمد والحاكم عن بشر الغنوي

(٢) يقول الفيلد مارشال مونتغمري في كتابه الحرب عبر التاريخ الآتي: أهم مميزات الجيوش الاسلامية لم تكن في المعدات أو التسليح أو التنظيم، بل كانت في الروح المعنوية العالية.

فهناك صغار ولدوا بنفوس كبيرة وعظيمة، وهناك أناس وصلوا إلى أرذل العمر وهم مازالوا صغار القدر والعقل والهمة.

ومن أنار طريقاً للعلا رحباً ظلّت تغازله من شوقها النُجُم

وهذا بعكس الشخصية السطحية والتي من صفاتها أنها أنانية لا تهتم للآخر مهما كان، فهي تهتم فقط بمصلحتها ولو كانت على حساب الجميع كما وأنها بحكم تراكم هذه السلبية فقد أبتليت بعقل منغلق لا يستوعب الأشياء بسرعة وبعناد في الباطل، ورفض للتغيير وان كان للأفضل، كما وانها تستغل عواطف الآخرين وأخلاقهم لتحقيق مآربها فهي تحيا في تلك الحياة السطحية ولم تدخل في جريان الحياة الحارة القوية، لذلك كان صاحب الشخصية الايجابية ليس لديه مشكلة في خوض تحدي المشكلات الماثلة أمامه وخوض غمارها والمخاطرة فيها من أجل حلها، بينما السلبي وربما كان هو أساس المشكلات والمتسبب فيها يكتفي في الجلوس بالظل ولوم الايجابي وتأنيبه والتكسير من عزيمته ولجم اندفاعه للقتال من أجل الحق، بل وأحيانا وضع العراقيل امامه لاعاقته عن اتمام هدفه، وكثيرا ما قد يعتبر هذا السلبي بأن الايجابي غريمه وعدوه وأساس آلامه وخيباته في الحياة، يقول علي ابن أبي طالب رضى الله عنه: (لو سكت من لا يعمل لسقط الخلاف)، فصاحب هذه الشخصية السلبية أعجز من ان يغير من نفسه، وليست لديه تلك القدرة على التنظيم في ذاته وحياته ولذلك فهو مخترق دائما فالوقت لديه ليس بذي قيمة ولا يهتم لأكثر من لحظته العابرة، فالماضي والمستقبل غير موجودين لدى هذا النوع فهو يحيا في اللحظة الحاضرة فقط، لذلك ترا حياته فارغة عبثية وهو لا يتمتع بأي صلابة ولا يبذل أي جهد لتغيير حياته، فهو أساسا لا يدرك الفرق بين أن يكون فاعلا متحركا وبين أن يكون ساكنا غير فاعل، فالحياة تحتفي بمن يقدم ويعطي، وتدير ظهرها لكل سلبي منسحب منها، فالحياة أقصر من أن نقضيها في التأجيل والتسويف والمماطلة والتراخي فالوقت لا ينتظر، أما لو نظرنا الى نقيضه لوجدناه في حركة دائمة وجهد متواصل وسعي دائم

لتفعيل ذاته للوصول الى أهدافه وغاياته وهو أكثر الناس قدرة على التمييز بين السكون والاستسلام وبين الحركة والمقاومة والانجاز، ولما كان صاحب الشخصية السلبية مصاب بمرض فقر العطاء، فهو مجرد شخص يعيش في هذا العالم يستهلك أوكسجين الأرض وخيراتها فهو عبئ عليها وعلى البشرية، كان الايجابي يرفض أن يكون مجرد طيف يمر على هذه الأرض مرور الهوام فهو يقاتل ليتحول ولو للبنه تنفع في بناء أمته، ويرفض الخروج من هذا العالم قبل أن يضع بصمته ويترك أثره الايجابي فيه مع علمه ان أحلامه العظيمة كانت دوماً متعبة للآخرين، ولذلك فكان لكلتا الشخصيتين ثمن لا بد من دفعه، فمن اختار تلك الشخصية السلبية الهزيلة فعليه أن يتحمل احساسه الدائم بالفراغ والعبث والاستسلام والضياع وبالتالي خسارة الاحساس بعظمة الحياة ونشوتها، واما من اختار الشخصية الايجابية المؤمنة فلا بد ان يتنازل عن كثير من متع الحياة ورفاهيتها حتى يتصل بالله عز وجل ويحقق ذاته وماهيته وأهدافه نحو الحق والخير والتقدم والتغيير للأحسن أي نحو القيمة في هذه الحياة، مؤمناً بأن من كبرت هَمته كثرت قيمته، وهذا هو الانسان الذي اراده الله ان يكون خليفته في الارض، يقول تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [البقرة: ٣٠]، بقي أخيراً أن أشير إلى أن صاحب الشخصية الإيجابية المؤمنة في جزء منه عليه أن يكون مشاغباً ومسبباً للقلق، بل هذا واجبه إذا وجد في مجتمع فاسد ومنحرف وساقط، يرفض أن يمالئ هذا المجتمع ويرفض الإنخراط في مسلماته المريضة وتعصباته البغيضة، بل يقلق هذا المجتمع ويحرضه ويدفعه للخروج من متاهته المغلقة، ويكسر جمود آراءه ومواقفه، فيساعد في تخليص المجتمع من حيرته وتساؤلاته وضياعه، ويدفعه في الإتجاه الصحيح ويجعله في وجوده أشد غزارة، وفي حياته أشد حرارة وجيشاناً، بعيداً عن عبثية الحياة، والتمزق والفوضى والتناقض والعجز التي يحيى فيها هذا المجتمع.

محاولة القضاء على الشخصية الايجابية للعربي المسلم

رأينا في ما سبق كيف أن الله عز وجل قد جعل في القرآن مصنعا لخلق الشخصية الايجابية للعربي المسلم وكيف أنه عز وجل قد جعل من القرآن رسالته الى البشرية والى قيام الساعة وكيف أن رسول الله محمد ﷺ كان تجسيدا لذلك القرآن الذي يمشي على الارض فعن عائشة رضي الله عنها " كان رسول الله قرآنا يمشي على الأرض " فكانت تلك الحقبات المشرقة والتي تربع فيها العرب المسلمون على عرش البشرية فنشروا نهج الحق والعدالة في أصقاع الأرض وقضوا على الضيم والظلم والقهر في كل مكان فتحوه، فكانوا يروون بذلك الشوق الانساني الفطري لتلك الشعوب المغلوبة على امرها والمضللة في نهج عيشها للاتصال بالله سبحانه وتعالىٰ واتباع نهج الحق والعدل فينتشلونهم من لحظات حياتهم الحالكة ومن متاهات ارواحهم الضائعة ويكسرون كل القيود التي تحاصر عقولهم وتحول بينها وبين شمس الحقيقة الساطعة، فحققوا لتلك الشعوب كمال ذواتهم وحرروهم من ماضيهم الاسود وجعلوهم منسجمين مع هذا الكون وفق النظرة الربانية، فأحدث العرب المسلمون تلك الانعطافة التاريخية الفاصلة في عصور الانسانية فبات العالم ما قبل الاسلام غيره بعد الاسلام فكانوا تماما كالماء الذي يأتي من السماء ليتساقط على أرض يابسة قاحلة ميتة لا حياة فيها فيسقيها ويرويها وإذ ترى الحياة تدب فيها فتتفجر بالزرع والخيرات وتتظر فتراها تزدحم بكل انواع الحياة فيها من الزرع والانسان والطير والحيوان، هكذا كان ذلك العربي المسلم ذو الشخصية الايجابية وهذا طبعا لن يعجب بأي حال من الأحوال أعداء العرب المسلمين وأعداء النهج الرباني القويم في الأرض من يهود وشعوبيين وصليبيين متصهينين، فتظافرت المصالح وتلاقت الأهداف على تدمير هذه الشخصية العظيمة الرائعة ايذانا بتدمير الاسلام وافنائه.

حتى صح وصف محمد إقبال في وضع العربي المسلم كيف كان وكيف صار وتحول الى ما هوعليه الآن بقوله: " إن المسلم القويّ الذي أنشأته الصحراء، وأحكمته رياحها الهوجاء، أضعفته رياح (العجم) فصار فيها كالناي نحولا ونواحا!! وإن الذي كان يذبح اللّيث كالشاة تهاب وطئ النملة رجلاه، والذي كان تكبيره يذيب الأحجار، انقلب وجلا من صفير الأطيار، والذي هزأ عزمه بشمم الجبال، غل يديه ورجليه بأوهام الإتكال، والذي كان ضربه في رقاب الأعداء، صار يضرب صدره في اللأواء، والذي نقشت قدمه على الأرض ثورة، كسرت رجلاه عكوفا في الخلوة، والذي كان يمضي على الدهر حكمه، ويقف الملوك على بابه، رضي من السعي بالقنوع، ولذّ له الاستجداء والخشوع".

فهم في سعيهم هذا لم يدخروا قليلا ولا كثيرا من الجهد والمال والرجال والصبر، فبعد أن أزاح العرب المسلمون هذه الفئات عن عروشها واهلكوا سلطانها واخمدوا نارها وحطموا آتون كفرها وضلالها، فما كان من هذه الفئات الباغية الفاسدة عند انكسارها امام العرب المسلمين والذين كانوا قلة حينها في الارض بساحات الحرب، سوى الدخول في الأسلام، خاصة بعد أن أدركت أنه لا مفر من انتصار دين الله لأنه الحق، فدخلت تلك الفئات من اليهود والشعوبيين وأحفاد كسرى وقيصر، ليعلنوا حربهم المقدسة ولكن هذه المرة من داخل العرب المسلمين[1] وهم من لحظة

(١) كانت وصية امام الدعوة العباسية ابراهيم بن محمد لأبي مسلم الخراساني: يا عبد الرحمن انك رجل منا اهل البيت فاحفظ وصيتي وانظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم، وحلّ بين أظهرهم فان الله لا يتم هذا الأمر الا بهم، وانظر هذا الحي من ربيعة فاتهمهم في أمرهم، وانظر هذا الحي من مضر فالهم العدو القريب الدار، فاقتل من شككت فيه ومن كان في أمره شبهة؛ ومن وقع في نفسك منه شيء وان استطعت ألا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل فأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله، ولا تخالف هذا الشيخ – سليمان بن كثير – ولا تعصه وان أشكل عليك الأمر فاكتف به مني (ابن كثير ١٠\٢٨).
تلك هي وصية الامام لأبي مسلم الخراساني وفيها افراط شديد لأنه يتهم أهل خراسان كلهم ما عدا اليمنية وأفرط كذلك في قوله لأبي مسلم " فان استطعت ألا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل "، وهذا يدل على أن الدولة العباسية انما قامت معتمدة على العجمة وهذا هو الذي أودى بالعرب والاسلام وبالعباسيين أنفسهم فقد كانت نهاية دولتهم على يد الأعاجم فما كادت دولتهم تصل الى الخليفة العاشر حتى تكالب العجم على خلفاء بني العباس وقتلوهم شر قتلة واستبدوا بالملك وضاعت الخلافة بعد ذلك والعرب المسلمون على الجملة، ومهما اجتهد البعض لايجاد مبررات لامام الدعوة العباسية ابراهيم بن محمد بوصيته تلك لأبي مسلم فلن يجد أسبابا مقنعة تجيز لرجل أعجمي بقتل العرب وبينه وبينهم ما يوقد نفسه ويضرمها غيظا عليهم وقد بلغ عدد من قتلهم أبا مسلم صبرا ستمائة ألف (الطبري ٧\٤٩١) وانتهت حياة أبو مسلم بنفس الأسلوب الذي اتبعه مع أعدائه فقتل بالشبهة واغتيل بالظنة وصدق الله العظيم إذ قال: وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [الأنعام: ١٢٩]

هزيمتهم الأولى والى يومنا هذا لم يتوانوا عن التفكير والتخطيط والتهيئة لتحطيم هذه الأمة الربانية التي كان ومازال ولسوف يبقى على كاهلها والى قيام الساعة مسؤولية تصحيح المسار عن طريق الاتصال مجددا بالله سبحانه وتعالى من خلال القرآن، لذلك كان لا بد لنا من أن نقف ونفهم أبعاد هذه الحرب التي شوهت وخربت ودمرت وقطعت أوصال هذه الأمة وقلبت الحقائق وبثت سمومها فيها وقد أخذت حربهم هذه أشكالا مختلفة ولكن من أخطر تلك الحروب ما طال الأمة في عقلها وتاريخها وهنا سنقف محللين وشارحين كل واحدة منها على حدة.

١- العقل العربي:

أولا علينا أن نفهم غاية هذا العقل، فبه أصبح العربي المسلم مدركا لغايته التي لا خلاف عليها، فهو لم يعد ضائعا في فراغ الأفكار وتصادم الأهداف والغايات لقد غدا بعقله مدركا لعظمة الحياة وحكمتها وسبب وجوده فيها فعمل على تعمير الأرض وايجاد الذرية الصالحة الطيبة فيها (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [الأحقاف: ١٥] وتركه ميراث الأخلاق والمعروف والعمل الصادق والفكر النير ليكون منارة تنير درب ذريته الطاهرة الصالحة التي تفهمه وتدافع عنه وتطوره كلما أمكنها ذلك، وهنا يتبين فعل العقل العربي الذي اتجه بفطرته الى حكمة الله في حياة البشر بالعمل الصالح والذرية الصالحة فصيّر هذا الانسان غير متناقض مع سنن الله في الخلق والحياة وصيّره انسانا مطمئناً كامل الايمان فهو يعلم أن لكل شيء حكمة في الوجود، وهو لا يكره شيئاً لذاته في هذه الحياة وانما يكره أن توضع هذه الأشياء في غير مواضعها التي وجدت لها، فارتبط هذا العربي المسلم بما حوله من آيات الله ومخلوقاته وفهم حكمة الحياة وقوانينها وكانت هذه الحكمة ظاهرة في أقوال العرب وأشعارهم قبل وبعد الاسلام فكان كلامهم المشتمل على أصل الحق في كل أمر، والحكمة في كل موضع، بعيدين عن اضطراب العقل ثابتين في طريقهم لا يتعثرون فيه، يرون الأشياء واضحة جلية وليست ضبابية خفية ومجتمعة غير منفصلة، فاذا كان سقراط اعتبر أن الفضيلة هي المعرفة، فان العربي اعتبر الفضيلة هي العمل بها فكان الحمد والاقبال صفتان لهذا الانسان، الذي أدرك حكمة الحياة وحقيقتها فهو الحامد لله بقلبه ولسانه وعمله، والمقبل عليه بكل جوارحه.

فكانت تلك الطمأنينة، وكان ذلك الايمان، سببا لادارك العقل غايته وحكمته، فكانت بلاغة هذا العقل الفاهم لأهداف الحياة والمدرك كفايته منها، فتحول اللسان العربي والذي هو نتاج هذا العقل العربي اداة تظهر

حكمة العقل فيه بما لا يغني عنه أو يفيده أي كلام آخر واصلا الى قلب الحقيقة دونما اطالة أو زيادة فكان العقل العربي منطلقا لهذا اللسان والذي يقع بكلامه في النفس والعقل والقلب نافذا الى الصميم مسترعيا انتباه الجميع، فكان البيان العربي بلاغيا.

فالعربي المسلم قليل الكلام كثير الفعال وهذا طبعا عكس حاضرنا الآن، وكانت بلاغة الكلام عند العرب، فيأخذ القول البليغ مجراه يتدفق كالسيل على ألسنتهم فكان كلامهم على قدر الحاجة دون زيادة أو نقصان وكان الايجاز والقصد في الحديث، ويتجلى ذلك الايجاز الحكيم في كل نتاج العرب البياني وفي كافة أحوالهم فكان العقل العربي المستعد دوما لفهم الحق هو أساس ذلك التكليف الالهي لهم، كما وأن الدهاء كان دوما صفة لازمة للعربي الذي لم يكن طعما سهلا للآخرين يتلاعبون فيه كيفما شاؤوا بل كان دوما رقما صعبا حير أعدائه ودوخهم[1] ويظهر ذلك جليا في الخطط العسكرية الباهرة في البر والبحر للعرب المسلمين والتي ما زالت تدرس الى الآن في كليات العالم العسكرية وكذلك مفاوضاتهم السياسية الناجحة مع الممالك والأمم المختلفة وادارتهم لتلك البلاد التي فتحوها

---

(١) لما خرج القائد المجاهد قتيبة بن مسلم الباهلي أحد قوات الفتح زمن بني امية يريد فتح الصين سنة ٩٦ ﻫ - ٧١٤ م اتجه الى مدينة كاشغر، وهي ادنى بلاد الصين، سار اليها من مرو، فمر بفرغانة، وجاءه وهو بها موت الخليفة الوليد بن عبد الملك فلم يوقف الزحف عنيها، وسار الى كاشغر فافتتحها.

وكان بينه وبين ملك الصين مراسلات: أرسل اليه قتيبة وفداً عليهم هبيرة بن المشمرج الكلابي. فلما تكلم معهم ملك الصين، قال له: قولوا لقتيبة يرجع فإني قد عرفت حرصه، وقلة أتباعه والا بعثت اليكم من يهلكه ويهلككم.

فقال هبيرة: كيف يكون قليل الأتباع من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون؟ وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا وراءه قادرا عليها وغزاك؟

وأما تخويفك إيانا بالقتل، فإن لنا آجالنا إذا حضرت فأكرمها الموت فلسنا نكرهه ولا نخافه.

قال: فما الذي يرضي صاحبكم؟

قال: إنه قد حلف ألا ينصرف حتى يطأ أرضكم، ويختم ملوككم، ويعطى الجزية.

قال: فإنا نخرجه من يمينه، نبعث اليه بتراب من تراب أرضنا فيطؤه ونبعث اليه ببعض أبنائنا فيختمهم، ونبعث اليه بجزية يرضاها.

ثم دعا بصحاف من ذهب فيها تراب، وبعث بحرير وذهب، وأربعة غلمان من ملوكهم، ثم أجاز الوفد فساروا حتى بلغوا قتيبة، فقبل الجزية، وختم الغلمة وردهم، ووطئ التراب ثم عاد الى مرو. (تاريخ الطبري (٦ \ ٥٠٢، ٥٠٣)).

فكان ومن معه من كتائب العرب المسلمين المتقدمة من أحفاد البدريين المتاخرين عن عصر النبوة ممن آمنوا بالله ورسوله والذين خرجوا ليؤدوا فريضة الجهاد فثبت الله أقدامهم في صراعهم مع أعداء الله والأمة وانكسرت بسببهم شوكة الكافرين الحاقدين الطامعين بالعرب والاسلام، وما عاد في زمانهم أحد من أعداء الحق ليفكر في التحرش أو التطاول عليهم وخنع اهل الباطل فابتلعوا هزيمتهم وماتوا بغيظهم.

فأحبهم شعوبها وانساقوا اليهم، وفي نهجهم الاقتصادي والاجتماعي والتربوي الفريد، اذا هل هذا العقل هو خطابي سلبي ليس له الا ما ينزل من الوحي اليه كما يزعم أعدائه أم أنه عقل نير مفكر يؤمن بالعلم ويعتمد التجربة طريقا للبرهان والحكم، يقول العلامة (سيديو): "ان العرب المسلمين كانوا أساتذة أوروبا كلها في جميع فروع المعرفه، وإن ما شيد من المدارس والجامعات في أرجاء دولتهم كان يوقد مصباح الحضارة ما بين الشرق الأقصى وبين هركول (مضيق جبل طارق) ناشراً آثار العلم العربي في كل مكان، عاملاً على تجديد الدم في عروق العالم الهرم، ونحن مدينون للعرب في الحقل العلمي".

فلو دققنا النظر لرأينا أن كل تلك الاكتشافات العربية الاسلامية قامت على هذا العقل، الذي أقام أيضا هذا المجتمع الفاضل، مجتمع انساني رحيم[1] طاهر متنور فنجحوا فيما فشل به الآخرون.

ذلك المجتمع الذي بناه خير الخلق جميعا محمد ﷺ فضمن فيه حقوق الانسان ونشر فيه العدل والأمن والاحسان وسار من جاء بعده على نهجه فكان مجتمعا واقعيا لا في الخيال، وكان حقيقة لا مجرد حلم عابر، فكان ذلك النهوض الحضاري الانساني العربي الاسلامي من أرض الصين في الشرق وحتى الأندلس في الغرب، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا متجمدة في جليدها الفكري وغارقة في ظلامها العقلي ومقيدة بقيود السلطان الكنسي فيها، فكانت أعظم جائزة لها أنها رأت الحقيقة في دولة العرب المسلمين في الأندلس وبدأت تتذوق لأول مرة منذ عهود بعيدة طعم الحضارة والتقدم والنهج العلمي بعيدا عن وثنيتها، وحتى في زمن الحروب الصليبية لم تذهب صدمة ودهشة جيوش اوروبا الغازية وهم يرون جهلهم وتخلفهم مقارنة ببعض مدن العرب المسلمين وهي في لحظة الغروب

(١) يروى عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز زمن بني أمية قوله: " انثروا القمح على رؤوس الجبال حتى لا يقال جاع طير في جبال المسلمين" وهذا يظهر مدى الرحمة والانسانية لهذه الأمة ليس بالانسان فقط وانما يشمل المخلوقات دون استثناء.

الحضاري عندما دخلوها فتفاجئوا بذلك النسيج الاجتماعي الفريد وبروعة العمارة وبالمكتبات والمدارس والحمامات المتوفرة للجميع، فكانت تلك الصدمة الحضارية الشديدة والتي غيرت وجه اوروبا، التي وقفت مبهورة بالعقل العربي الاسلامي وبنتاجه العلمي التجريبي والتي انقضت عليه بكل طاقتها لتأخذ منه ما تستطيع في كل العلوم وفهم كل تلك الاكتشافات عن القوانين التي أدت الى علو صرح المعرفة الانسانية في مختلف المجالات[1]، ويكفينا هنا أن نشير الى المقارنة التي عقدها المستشرق الأمريكي (فيكتور روبنسون) بين الأندلس في حكم بني أمية وبين أوروبا، حيث قال كانت مدن أوروبا في ظلام حالك بعد غروب الشمس، بينما كانت قرطبة تضيئها المصابيح العامة، كانت أوروبا قذرة بينما شيدت قرطبة ألف حمام، كانت أوروبا تغطيها الهوام، بينما كان أهل قرطبة مثال النظافة كانت أوروبا غارقة في الوحل، بينما كانت قرطبة مرصوفة الشوارع، كانت سقوف القصور في أوروبا مملوءة بثقوب المداخن بينما كانت قصور قرطبة تزينها الزخرفة العربية العجيبة، كان أشراف أوروبا لا يستطيعون إمضاء أسمائهم، بينما كان أطفال قرطبة يذهبون الى المدارس.

---

(١) لقد استفاد العرب المسلمون من حضارات الأمم التي سبقتهم ولكنهم لم يسلموا بها كما هي بل قاموا باعادة التفكير والنظر في كل علوم من سبقوهم فترجموا ثم درسوا ثم صوبوا وصححوا ثم أضافوا وأبدعوا في كل المجالات والأمثلة على ذلك كثيرة:

- فها هو عباس بن فرناس (٢٧٤هـ) أول رائد للطيران في العالم، وأول من أبدع قبة سماوية، واول من أبدع قلم حبر.
- ابن حائك الهمداني (٣٣٤ هـ) أول من تكلم في الجاذبية الأرضية وشبه الأرض بالمغناطيس مركزه الأرض، فسبق نيوتن بثمانية قرون.
- الحسن بن الهيثم (٤٣٠ ه) مبتكر المنهج التجريبي في العلوم وله بحوث في الضوء والرؤية والهندسة.
- علي بن عبد الرحمن (ابن يونس)، (٣٩٩ هـ) مبتكر رقاص الساعة (البندول) قبل غاليليو بستة قرون.
- بديع الزمان الجزري (٦٠٠ هـ) اخترع المضخة ذات الاسطوانات الست والتي هي في جوهرها فكرة المحركات الانفجارية.
- ابن النفيس (٦٨٧ ه) مكتشف الدورة الدموية الصغرى، قبل وليم هارفي بقرون.
- زين الدين الآمدي (٧١٤ هـ) أول من اخترع الحروف البارزة، قبل برايل بقرون وغيرهم الكثير.

وقد تخرج من جامعات الأندلس العربية الكثير من أبناء أوروبا الذين انطلقوا باتجاه قرطبة والتي كانت جامعاتها مصدر الاشعاع والنور لأوروبا كلها ومن هؤلاء الطبيب المشهور (بطرس الفونسو) والذي بلغ من منزلته الطبية أن اتخذه ملك انجلترا طبيبا خاصا له، وكذلك (سكوت) الفيلسوف الطبيب الذي نبغ في العلوم العربية فقد رحل الى طليطلة ونهل من حكمة المسلمين هناك، وألف في الطب والكيمياء والفلك معتمدا في ذلك كله على المصادر العربية، وغير هؤلاء كثير ذكرهم الكاتب الايطالي (البدوميلي) في كتابه (العلم عند العرب).

ويقول أحد المؤرخين الأوروبيين: لو لم يظهر العرب في التاريخ لتأخرت نهضة العلوم والفنون في أوروبا قرونا عديدة [1]، وبعد ثلاثة قرون كانت اوروبا تهضم فيها ذلك المنهج العلمي التجريبي العربي فبدأت بوادر ثورتها العقلية ونهضتها العلمية رامية وراء ظهرها تقاليد فكرها الفاسد وخرافات فلاسفتها ومتاهاتهم حتى أن فرنسيس بيكون في القرن السابع عشر يعلن فلسفته الجديدة والتي ترى أهمية الابتعاد نهائيا عن قواعد التفكير بالطريقة الافلاطونية والارسطاليسية معتبرا أن هذا المنطق ليس أداة صالحة للكشف العلمي ومن هنا نرى أن أثر حضارة العرب على حضارة أوروبا في عصر النهضة وما بعده واضحا وضوح الشمس وقد تحدث عن تلك الحقبة علماء وكتاب عديدون منهم المستشرقة الالمانية (زيغريد هونكة) في كتابها الشهير (شمس العرب تسطع على الغرب) والتي قالت فيه:"إن مآثر العرب والمسلمين الخالده لتقوم على تطويرهم بواسطة المشاهده والتجربه للمعطيات العلميه، إن العرب والمسلمين هم مبدعو هذه التجربه بالمعنى الدقيق للكلمه، وهم الخالقون الحقيقيون للاستقصاء العلمي، فقد كانوا أول من جعل من الوقائع المعزوله عن متنها نقطة الأنطلاق لكل بحث، وعند ئذ أصبح الأرتقاء العبور من الخاص الى العام، أي الطريقه الأستقرائيه:الطريقه العلميه الأساسيه"، والمؤرخ الأمريكي الشهير(آرثر لايسي) الذي قال:"أنني كفرد أنتمي الى العنصر السكسوني أعترف بأننا مدينون لكم معشر العرب، وأنتم السابقون، إن أسبانيا العربية هي مدرسة أوروبا التي علمتنا الأدب والفلسفة والعلوم، ومنكم تعلمنا الكسور العشرية، وحساب التفاضل والمقابلة، ومنكم تعلمنا القول بكروية الأرض، وأن الكرة الفضيه التي أهداها الشريف الجغرافي العربي الأول الى روجر الثاني أمير نابولي في منتصف القرن الثاني عشر، خير شاهد على ما أقول، وذلك قبل رحلات كولومبس بخمسمائة سنة"، والمستشرق المجري (ليو بولد فايس) في كتابه (الاسلام على مفترق الطرق) وكتابه (الطريق الى

---

(١) (مقرر التاريخ للسنة الأولى الثانوية الأزهرية لمحمد الحسيني رضا ص ١٣٦ — ١٣٨).

مكة) والكاتب الشهير (غوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب) والذي قال فيه: "كانت اسبانيا زمن القوط ذات رخاء قليل وثقافة واطئة، ولكن بعد ان دخلها العرب في القرن الثامن الميلادي حتى بدأوا ينشرون فيها رسالة الحضارة، فأستطاعوا في اقل من مئة عام ان يحيوا خراب الأرض ويقيموا افخر المباني وينشطوا الحركة التجارية، بعدها تفرغوا الى دراسة العلوم والأداب وترجموا الكتب الأجنبية واسسوا الجامعات التي كانت وحدها الملجأ الوحيد لثقافة اوروبا لزمن طويل - وقد نمت مدينة قرطبة بسرعة حتى زاد عدد سكانها على المليون نسمة وغدت الحياة فيها متسمة بالرفاه والنعيم.

بدأ المسلمون في تأسيس حضارة متفوقة جعلت من اسبانيا اجمل واغنى البلدان الأوروبية وانشأو مدناً كبيرة مزدهرة لم يكن لها نظير على وجه الأرض، خططها مهندسون واسعو الإطلاع وشيدها بناؤون مهرة فغدت قرطبة عاصمة الأندلس مركز الثقافة لبلدان اوروبا قاطبة. كانت شوارع العاصمة تزيد على عشرة اميال طولا وقد عبدت وتمت انارتها في الوقت الذي كانت فيه شوارع لندن وباريس ترابية وعرة وكان المواطنون يشقون طريقهم اثناء الليل في الظلام الحالك بصعوبة ويغوصون عميقا في الوحل بعد هطول الأمطار"، وغيرهم الكثير، كما وهبت حضارة القرآن لأوروبا أصول العلوم والمعارف في الطب والفلك والأدب والفن والقانون وحقوق الانسان والحيوان فكان الدين الذي اختاره الله لعبادة والذي كان قائدا للعلم وجعله في خدمة الحياة الانسانية والذي شكل ذلك العقل العربي المسلم الحافظ لأهداف الدين والقائد لقوى العلم بحكمة الايمان هو دين الحق، فكانت تلك المفارقة، فنهوض العرب المسلمين كانت بالتمسك بدينهم الحق وتطبيقه التطبيق الصحيح وكان نهوض اوروبا بترك دينهم والتخلص من كل قيد للكنيسة عليهم وأخذهم تلك العلوم والمعارف من العرب المسلمين، فكانت تلك مشيئة الله وحكمته، روي عن النبي ﷺ أنه قال: (أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له: أقبل، فأقبل ثم قال له:

أدبر، فأدبر، فقال عز من قائل:"وعزتي وجلالي ما خلقت أعز عليَّ منك، بك آخذ وبك أعطي وبك أحاسب وبك أعاقب ").

على أن اوروبا التي تقبلت حقائق العلم العربي الاسلامي لم تستطع أن تتقبل حقائق الايمان عن العرب المسلمين وذلك يرجع للغاتها القاصرة وتراكمات الخرافة والأسطورة لديها وطبيعتها العدوانية، فالأوروبيون لم يستطيعوا وهم أصحاب عهد قريب بالوثنية أن يتقبلوا فكرة إله لا يشاهد ولا يلمس في السماوات، فحرفوا المسيحية لتتماشى مع رؤيتهم السطحية وقصور عقولهم، فعجزت أوروبا عن إقامة حضارة إنسانية إيمانية عادلة، والملاحظ انها كلما ازدادت تقدما في العلم ابتعدت اكثر عن الاخلاق والسلم والطمأنينة، وغرقت في مشاكل مجتمعاتها المزقة اجتماعيا وغاصت في الجريمة والشذوذ والعنف والجنس وازدادوا ابتعادا عن الله، بل انهم اشعلوا حربا على الدين كله وظهرت نظريات تسعى في مجملها الى تأكيد أن لا حياة بعد هذه الحياة، فلا بعث ولا حساب ولا خلود وان الجنة هي هذه الحياة بمتعها وملذاتها فظهرت الداروينية والماركسية ونظريات تدعو الى الجنس بكل أشكاله كنظرية سيجموند فرويد اليهودي الذي يرد كل شيء للجنس.

والآن بعد كل ما تقدم علينا أن نسأل السؤال التالي: ما الذي جرى وما الذي أدى بذلك العقل العربي المسلم الرائع الذي كان في القمة وفي أحسن أحواله وهو يعمل بطاقته الكاملة الى أن يسقط للقاع ويصبح في أسوأ أحواله ويتوقف عن الانتاج والعطاء والابتكار والابداع؟!!.

فبعد تشكل ذلك التفكير السياسي المضاد للعرب المسلمين والمؤلف من بقايا قوى الظلم الطاغية وعروش الماضي المستبدة المتهارة والذين هالهم أن يروا العدل الذي يمقتون والمساواة بينهم وبين الآخرين يتحقق على يد العرب المسلمين فبدأوا بتهيئة الخطط العملية والتنظيمية والدعائية السرية والعلنية في وقت مبكر والى يومنا هذا، بدؤوه باغتيال الخليفة الثاني سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكانت بداية حربهم الملعونة

علـى العـرب المسـلمين ولكـن مـن داخـل عباءة العـرب المسـلمين أنفسـهم ثـم أتبعـوه باغتيـال الخليفـة الثالـث سـيدنا عثمـان بـن عفـان رضـي الله عنـه ومـن ثـم اغتيـال الخليفـة الرابـع سيدنا علـي بـن أبـي طالـب رضـي الله عنـه، واسـتمر مخططهـم حتـى اوقـف في عهـد دولـة بـني أميـة، فحوصـروا ولوحقـوا وتشـتتوا فاضـطروا للسـكون والخضـوع ولـو مؤقتـا، واسـتمر الامـر علـى هـذا النحـو حتـى كـان نهايـة دولـة بـني أميـة والـتي كـان سـقوطها علـى أيـديهم وبتـدبيرهم وبسـعيهم فجاءت دولـة بـني العبـاس والـتي وان كانـت في دورهـا الأول خاضـعة لخلفـاء بـني العبـاس فانهـا قـد خرجـت عـن سـيطرتهم واشـرافهم عليهـا في أدوارهـا التاليـة فاسـتعاد أعـداء العـرب المسـلمين أدوارهـم، وبـدأ التنـافس علـى السـيادة في داخـل دولـة العـرب المسـلمين ونشـطت الحركـات الهدامـة الداخليـة وتجـددت غـارات الأعـداء الخارجيـة مـن روم وافـرنج علـى اطرافهـا وتسـارعت الدسـائس والفـتن في الأمـة حتـى خـرج العـرب المسـلمين نهائيـا مـن الحكـم وان بقـي بنـو العبـاس هـم الخلفـاء اسمـا فقـط لا حـول لهـم ولا قـوة ولا يملكـون مـن زمـام انفسـهم شـيئاً، فعمـد اعـداء الـدين أول مـا عمـدوا الى القـرآن الكـريم فجعلـوا لـه ظـاهرا عربيـا لكـل النـاس وباطنـا اعجميـا للزنادقـة والمرتـدين وفسـروه وفـق أهـوائهم ورغبـاتهم ووفـق فهمهـم القاصـر لآيـات الله، يقـول عـز وجـل (إِنَّـا أَنزَلْنَـاهُ قُرْآنًـا عَرَبِيًّـا لَعَلَّكُـمْ تَعْقِلُـونَ (٢) نَحْـنُ نَقُـصُّ عَلَيْـكَ أَحْسَـنَ الْقَصَـصِ بِمَـا أَوْحَيْنَـا إِلَيْـكَ هَـذَا الْقُـرْآنَ وَإِنْ كُنْـتَ مِـنْ قَبْلِـهِ لَمِـنَ الْغَـافِلِينَ) [يوسـف: ٢-٣] وبـدؤوا ببـث فلسـفة اليونـان وضـخ أسـاطير الفـرس ونشـر صـوفية الهنـد في أرجـاء امـة العـرب المسـلمين، فكانـت الشـعوبية واليهوديـة تشـن حربهـا علـى العـرب المسـلمين في محاولـة منـهم لاسـتعجام هـذه الأمـة وتحريـف قواعـد منـهج العربـي المسـلم في الـتفكير والحيـاة، وخلـق قناعـة لـدى العـرب المسـلمين بـانهم أعجـز مـن أن يشـيدوا حضـارة انسـانية عظيمـة كـالتي شـادها الفـرس والرومـان واليونـان، وبالتـالي فعلـى هـؤلاء العـرب المسـلمين أن يتركـوا هـذه المهمـة لمـن يسـتحقها مـن أهـل تلـك الأمـم وعلينـا أن نعـترف بـأنهم قـد اسـتطاعوا النجـاح الى حـد بعيـد بتحقيـق أهـدافهم وغايـاتهم بزعزعـة ثقـة أمـة العـرب المسـلمين بـذاتها وتشـويه شخصـيتها وخلـق حالـة الانفصـال في

تلك الشخصية، ووضعوا بين كتاب الله وبين الناس حواجز وعقبات وأوجدوا علوما بشرية لا علاقة للدين بها وانما هي من عند انفسهم وأوهموا الناس بأنهم جهلة وبأنهم لن يستطيعوا فهم كتاب الله بدونها وبمساعدتها، فكان علم الناسخ والمنسوخ والتجويد وقواعد اللغة والاعراب وغيرها مما باعد اكثر المسافة بين الناس وبين كتاب الله، وأوجدوا في المجتمع الاسلامي قضايا تثير البلبلة في الفكر والتشويش في العقل والضعف في العقيدة كقضية خلق القرآن وما رافقها من محنة على العرب المسلمين والذي كان احد ضحاياها الامام أحمد ابن حنبل الشيباني والذي كان رافضا مقولة أن القرآن مخلوق وامتحن فيها فتعرض للتعذيب والحبس في عهد المأمون ومن ثم المعتصم ولم تنتهي محنته ومحنة الامة الا في عصر الخليفة الواثق[1]، ومن المعلوم ان القول بخلق القرآن كان منشؤه اليهود كما يقول (أبن نباته) المصري في كتابه (سرح العيون): "أن جعداً أخذ القول بخلق القرآن من (إبان بن سمعان)، وأخذه إبان من (طالوت بن أعصم) اليهودي الذي سحر النبي ﷺ، وكان يقول بخلق القرآن، وكان طالوت زنديقاً وهو من صنّف لهم في ذلك، ثم أظهره (جعد بن درهم)، وقد أقام جعد بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن فتطلبه بنو أميه، فهرب وسكن الكوفه فلقيه بها جهم بن صفوان فنقل عنه هذا القول"، هذا عدى عن تلك الفرق التي ظهرت والتي تدعي بأنها على حق وأن الآخرين على باطل، وما أحدثته من تفرقة لصف المسلمين وتشويه رسالة السماء، والتي ظهر فيما بعد أن من وضعوا أسس تلك الفرق هم من أولاد المجوس واليهود ومن لف لفهم سعيا منهم لهدم الاسلام العربي والتشكيك به، فأباحوا المحرمات والمحارم كشرب الخمر والبنات والأخوات وجميع الملذات، ومنهم من ادعى النبوة ومن ثم الالوهية وخربوا وشوهوا وأولوا

(١) سأل الخليفة الواثق من أحد وزراءه عن رأيه في الخليفة الأول أبو بكر فمدحه وأثنى عليه ثم سأله رأيه في الخليفة الثاني عمر فمدحه وأثنى عليه فقال له وزيره ألا يسعك ما وسعهم قال بلى قال: هم لم يتكلموا في مسالة خلق القرآن، فألهى الواثق ذلك الجدل وأفرج عن الامام أحمد ابن حنبل بعد محنة طويلة.

آيات القرآن بما يوافق هواهم، يقول صاحب العقد الفريد : "كان لليهود أثر غير قليل في بعض المذاهب الاسلامية، ولا ريب ان ملامح المؤامرة اليهودية المجوسية واضحة في تاريخ الاسلام وضوحاً تاماً"، قال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن افْتَرَى عَلَى اللَّه كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْه شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إذ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّه غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِه تَسْتَكْبِرُونَ) [الأنعام:٩٣]، وتواصل التخريب والخداع والنفاق في الدولة الفاطمية والتي كانت منشأ ومرتعا خصبا لهذه الأفكار والحركات والفتن فسعت بكل قواها لتحطيم الأمة وزرع الضغائن فيها وبث سمومها الفكرية في جسد هذه الأمة ونشرت في الأمة أقوالا لم تكن متداولة من قبل واستمرت قرونا (كنعم للنقل ولا للعقل) و(كل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف) و(قرآن وسنة بفهم سلف الأمة) وكان نتيجة كل ذلك التخريب والتشويه والتحريف أن كبلت عقول الأمة وماتت هممها وحرم الاجتهاد فيها وانتشر الجهل وصارت الخرافة والدجل بديلا عن الدين الحق، بعد أن كان الأسلام العربي قد جاء ليحارب الخرافات والسحر والكهانه وأنكر العرافين، وطرد الأوهام وارتقى بالأنسانيه التي كانت فيما مضى ألعوبه لأضاليل الطوالع وأوهام العرافين وأسيرة الوثنية والأسطورة وهو الذي ربط بين الأخلاق والعلم وألبس العلم والحضارة ثوب الخير والرحمة، محارباً التحلل والأباحيه رافضاً استعلاء الأجناس ودعوات العنصرية البغضاء، وأستطاع أن يعطي البشرية حلولاً لمشاكلها ومعضلاتها فكان دين الحق البسيط اليسير البعيد عن الغموض والتعقيد والإبهام، قبل أن يأتي البعض ممن سموا أنفسهم برجال الدين رغم أن في الأسلام لا يوجد رجل دين وانما ارتبطت فكرة رجل الدين بالفكر المسيحي، فأوهموا الناس بأن لا قدرة لهم على فهم رسالة السماء إلا من خلالهم لما فيها من التعقيد والأسرار التي لا يعرفها أحد سواهم، فقنع الناس مع مرورالزمن بهذا القول وسلموا لهم زمام عقولهم يعبؤنها لهم بما شاؤوا، ومع بداية عصر السبات العربي

الإسلامي، عندما كان الفكر العربي الإسلامي قد بدأ بمرحلة التراجع والإنكفاء نتيجة التخريب والتآمر والحرب التي شنت عليه داخلياً وخارجياً، ومع توقف العقل العربي الإسلامي عن التطوير والتقدم في مختلف نواحي العلوم الدينية والدنيوية، ظهرت فئة من رجال الدين إستأثرت بالإشراف على آخر بقايا معارف المسلمين، واعتبروا من أنفسهم آخر مستودعات العلم والمعرفة، وعلى هذا الأساس شكلوا لاحقاً طبقة اجتماعية متميزة، فلعبوا دوراً مهماً في شؤون البلاد والعباد قبل أن يضاف إليهم لاحقاً طبقة جديدة نافستهم نفوذهم ومغانمهم، وهم مشايخ الطرق الصوفية، الذين استطاعوا إكتساب فئة كبيرة من الناس الذين صاروا لاحقاً من الأتباع الذين لا يرجون أكثر من التبرك بدعاء شيوخهم الذين قد صاروا في موقع التقديس عند كثير من الخلق وإلى اليوم، وكان من الطبيعي لهذه الطبقات التي نعمت بالإمتيازات من ان تعارض أي تجديد أو تطوير للفكر والعقل العربي الإسلامي، حفاظاً على مكتسباتها، والتي لا يمكن أن تستمر إلا بإبقاء الوضع على حاله[1]، فأوجدوا في سبيل ذلك علوماً بشرية ما أنزل الله بها من سلطان، وإذا سألت أحدهم من ذا الذي يستطيع أن يلم بكل هذه العلوم وهل يكفي العمر لفهمها كلها؟!! فيجيبوك، ان هذه العلوم هي أختصاصات وكل يعمل في أختصاصه، وأناهنا أتساءل، أهكذا حقاً كان الوضع في عهد خير الخلق محمد ﷺ، وهل كان في زمانه وزمان أصحابه كل هذه الأختصاصات؟، وهل كان الله عزوجل سيكلفنا بما لاطاقة لنا به ثم

---

(١) ربما كان وصف المستشرق الأمريكي (لوثر وب ستو دارد) لحال العالم الإسلامي في ذلك الوقت يختصر الحال عندما قال: " في القرن الثامن عشر كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ، ومن التدني أعمق درجة، فأربد جوه، وطبقت الظلمة كل صقيع من أصقاعه، ورجاء من أرجائه، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب وتلاشى ما كان باقياً من آثار التهذيب العربي واستغرقت الامم الإسلامية في إتباع الاهواء والشهوات، وماتت الفضيلة في الناس، وساد الجهل، وانطفأت قبسات العلم الضئيلة، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واختيال، ليس يرى في العالم الإسلامي ذلك العهد سوى المستبدين الغاشمين، كسلطان تركيا، وأواخر ملوك المغول في الهند يحكمون حكماً واهناً، فاشي القوة، متلاشي الصبغة... وأما الدين فقد غشته غاشية سوداء فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة سجفاً من الخرافات وقشور الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عديد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين، يخرجون من مكان إلى مكان، يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات... فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدهور المسلمين لغضب، وأطلق اللعنة على من استحقها منهم ".

يحاسبنا على تقصيرنا؟!، وهل جعل الله في الإسلام أوصياء على عقول الخلق؟ لقد كان العرب المسلمون قله في الأرض وحكموها بالحق والعدل، أحراراً أشرافاً أعزاء تهابهم قوى الشر وأعوان الشيطان، بينما اليوم وقد بلغ تعداد العرب والمسلمين مليارونصف المليارنسمه في العالم مع كل تلك الجامعات والمعاهد الشرعيه، ومع كل رجال الدين هؤلاء والتي أتخمت أرض العرب والمسلمين بهم!، نراهم أعجز من أن يسيروا شؤونهم، مخترقين، مستباحي الحقوق، يتلقون الضربات من كل أتجاه، فما الذي جرى ليكونوا على هذه الحال، وصرنا نسمع بعض النظريات الجديده من أولئك الذين جعلوا من أنفسهم وكلاء حصريين للعلم والمعرفه في عالم العرب الجديد، كإعتبار أن العلم في الإسلام، أنما يقتصرعلى العلم الشرعي، وأن العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية والهندسية والفلك والطب والكيمياء وفنونها وصناعاتها حرام، فهي من وجهة نظرهم علوم أرضية لا تتعلق بالاخرة فليس لها الأولوية، كما وانها بدعة جاءتنا من الغرب الكافر، الذي أراد من منظورهم أن يبعد العرب المسلمين عن علوم الشرع الرباني، ناسين هؤلاء القوم، أن تلك العلوم وغيرها كانت تدرس في كل مدن الدولة العربية الإسلامية من دمشق وحتى قرطبة، وان العرب المسلمين كانوا رواد تلك العلوم والأختصاصات، عندما كان الإسلام العربي في عز قوته وسؤدده، محاطاً برجال يحمكون الدنيا بدستور السماء فجمعوا بين الحق والعدل، والعلم والحكمة، فسادوا وشادوا!.

فما الذي صير أمة أولئك الربانيين الذين حملوا الأمانة ونشروا الرسالة في الأرض، الى أمة الجهل والعجز، وليقتنع العرب المسلمين بأنهم أضعف من أن يقودوا زمام أنفسهم، ولماذا قلبت الحقائق لديهم وذهبت حيويتهم وتوقفت مصانع عطائاتهم في مختلف الميادين وفقدوا الثقة بانفسهم وتبرؤوا من دينهم وذواتهم، وتحولت امة الله المختارة لتقاد كالقطعان من الآخرين وهدمت وقوضت كل قوة لديهم واهمها العقل الذي سعى أعدائهم لتسطيحه، وتتفيه شخصية العربي المسلم وتحويله لانسان يعجز عن سلوك الطريق الصعب ويسعى لكل ما هو سهل، يتقبل رد الفعل دون أن يكون

فـاعلا، لا يملـك أي هـدف أو غايـة، شخصـيته مشوشـة تتلاعـب بـه ريـاح أعدائـه كيفمـا شـائت فهـو أبعـد مـا يكـون عـن التماسـك والتنظـيم، انسـان مستسـلم للأقـدار لا يسعى لتبـديل وتغـيير واقعـه نحـو الأفضـل ومـع الوقـت تعـود المسـلمون ان يبـاغتوا بأسمـاء وصـفات حـاكميهم، وأن يسـتقبلوهم اسـتقبال الأقـدار النازلـة، ان خـيرا فخـير وان شـرا فشـر والنـاس اذا مـا جـائهم الغيـث فرحـوا وابتـهجوا وحمـدوا الله عليـه واذا أصـابهم القحـط والجفـاف حزنـوا وتحسـروا علـى أنفسـهم ولا شـيء لـديهم الا أن يقولـوا (إِنَّـا لِلَّـهِ وَإِنَّـا إِلَيْـهِ رَاجِعُونَ).

يقـول الشـيخ محمـد عبـده واصـفا حـال مصـر: "ان اهـالي مصـر قبـل سـنة ١٢٩٣هـ كـانوا يـرون شـؤونهم العامـة والخاصـة ملكـا لحـاكمهم الأعلـى يتصـرف فيهـا حسـب ارادتـه ويعتقـدون ان سـعادتهم وشـقاوتهم موكولتـان الى أمانتـه وعدلـه، أو خيانتـه وظلمـه، ولـيس لأحـد رأي يحـق لـه أن يبديـه في ادارة الـبلاد أو اقـتراح يتقـدم بـه لصـلاح الأمـة، النـاس منصـرفون فيمـا تكلفهـم بـه الحكومـة أو تضربه عليهم".

ومـع الوقـت تحـول العربـي المسـلم الى وعـاء فـارغ يملـؤه أعدائـه بمـا شـاؤوا وكيفمـا أرادوا فتحـول الى مسـخ يسـيره خصـومه دون أي مشـقة أو عنـاء في أي اتجاه أرادوا.

وكـان مـن نتـائج انتشـار تلـك العـادات والتقاليـد والأفكـار الغريبـة والمعتقـدات الشـاذة الـتي انتشـرت عنـد العـرب المسـلمين الى أن تم تغييـب العقـل العربـي المسـلم تمامـا، وتقـويض الاسـلام العربـي السـمح، وخلـق شخصـية عربيـة مريضـة ضـعيفة مشـوهة لا تثـق بنفسـها وتـرد كـل فضـل صنعه آباؤها الى الآخرين، يقول أحمد شوقي:

ومـن لَسَـي الفضـلَ للسـا بقين فما عرفَ الفضلَ فيمـا عـرف
ألـيسَ إلـيهمُ صـلاح البنـا ء إذا مـا الأسـاس سمـا بـالغرف

فمـا أن تـتكلم عـن دولـة العـرب المسـلمين حتـى يأتيـك أحـدهم وينسـب الفضـل كـل الفضـل للأعـاجم ويقـول لـك لقـد فعـل علمـاء الأعـاجم كـذا وكـذا،

وكانت لهم اسهامات عظيمة ولولاهم لما كان هناك شيء يذكر ولا ينسى أن ينهي كلامه بالاساءة الى العرب والقول ماذا صنع العرب؟! ويجيب لم يصنعوا شيئا وهناك من يكمل فيصف العرب بأسوء الأوصاف والنعوت[1]، وبأنهم ليسوا سوى جماعة من قطاعين الطرق لم يكونوا يعرفون سوى السلب والنهب والقتل وهنا أسأل هؤلاء وأقول لهم لماذا لم تعطنا اذا حضارة الفرس والروم والتي استمرت لقرون طويلة علماء عظام يذكرهم التاريخ الى يومنا هذا ان كان الوضع حقا كما يصفون، ولماذا لم تظهر عبقرية هؤلاء الأعاجم وغيرهم في مختلف العلوم والقطاعات الا في ظل دولة العرب المسلمين، والجواب يكمن في كتاب الله تعالى اذ يقول (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) [فصلت: ٤٤] وهل جاء الاسلام للعرب القتلة والجهلة ليرتقي بهم الى مستوى الفرس والروم أصحاب التقدم والحضارة، أم انه قد جاء للعالمين بما فيهم الفرس والروم لاخراجهم من ضلالاتهم وانحرافهم وفسادهم وردهم الى درب الحق والهداية والنور والتوحيد، يقول الصحابي الجليل ربعي بن عامر - رضي الله عنه لرستم قائد الفرس العسكري (نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد الى عبادة رب العباد، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة) وهل العرب قبل الاسلام كانوا مجرد جماعة من الرعاع والقتلة والبدائيين!! فكيف يكون ذلك والله سبحانه وتعالى يقول (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [هود: ١٣] فهل كان رب الخلق والخليقة

(١) حدث أن التقيت قبل مدة بصديق لي لم أره منذ أيام المدرسة الثانوية، وقد كان مسافرا الى المانيا وعاد الى الوطن بعد أن أخذ شهادة الدكتوراه في التاريخ من هناك، وفي أحد لقاءاتي معه وعندما كنت أتناقش معه عن حال أمة العرب المسلمين وعن الفرق العظيم والهائل بين ماضيهم المشرق وحاضرهم السيء، فوجئت به يشن هجوما عنيفا على العرب ويصفهم بأسوء الأوصاف وبأن لا فضل لهم أبدا وأن الفضل منذ البدء كان للأعاجم، وعندما أنتهى بدأت أعدد له بعض انجازات العرب المسلمين الرائعة والعظيمة فوجدته يقر لها ولكن بانزعاج وعلى مضض، وأخطر مافي الموضوع أن صديقي العزيز هذا، يقوم بالتدريس في جامعة دمشق، فما هي الصورة التي سينقلها الى طلابه الأعزاء عن العرب والعروبة!.

سيتحدى مجموعة متخلفة من القتلة والبلهاء والجهلة أم انه سيتحدى أكثر فئات البشر معرفة وعقلا، وأين ذهبوا بقول رسول الله:"انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "، اذاً فالعرب كانوا أمة أخلاقٍ وشرف، لديهم منظومتهم الأخلاقيه الرفيعه والتي ميزتهم عن غيرهم من امم تلك الأزمان، وما قول رسول الله إلا تأكيداً على هذه المنظومه والتي جاء رسول الله لكي يؤكد عليها ويتمها ويخرجها بأحسن صوره وليس كما يدعون زوراً وبهتاناً بأن العرب قبل الإسلام كانوا بلا أخلاق وبلا مباديء ولا قيم، يقول أبن قتيبة في (كتاب العرب):" فانها (أي العرب) لم تزل في الجاهلية تتواصى بالحلم والحياء، والتذمم، وتتعاير بالبخل والغدر والسفه، وتتنزه عن الدناءة والمذمة، وتتدرب بالنجدة والصبر والبسالة، وتوجب للجار من حفظ الجوار ورعاية الحق فوق ما توجبه للحميم والشقيق"، وورد في كتاب الأغاني ٩٠٣/١٦ (طبعة الساسي) أن حيّاً من العرب في الجاهلية آذوا المسلمين فغزاهم المسلمون وأخذوا منهم أسرى، قال: فقامت جارية فقالت: (يا محمد، هلك الوالد، وغاب الوافد، فان رأيت أن تخلي عني فلا تشمت بي أحياء العرب فإني بنت سيد قومي، كان أبي يفك العاني، ويحمي الذمار، ويقري الضيف، ويُشبع الجائع، ويُفرّج عن المكروب، ويطعم الطعام، ولم يرد طالب حاجة قط أنا بنت حاتم الطائي)...

فقال لها رسول الله ﷺ: (يا جارية، هذه صفات المؤمن، ولو كان أبوك أسلم لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق).

فربما لم يكن العرب أقوى الأمم ولم يكونوا أغناهم ولكنهم بالتأكيد كانوا أكثر الأمم شرفا وعقلا وفهما وكرامة وأخلاقاً[1]، لقد كانت أخلاق

---

(١) روى شبيب بن شبية أنه كان في المربد وإذا أقبل ابن المقفع الفارسي الأصل وأحد أبرز الكتّاب في عصره فبشّ في وجهه وبداه بالسلام فرد عليه، ثم قال له ولصحبه: لو مِلتم إلى دار نيروز وظلها الظليل وسورها المديد ونسيمها العجيب، فعودتم أبدانكم تمهيد الأرض، وأرحتم دوابكم من جهد الثقل، فإن الذي تطلبونه لم تُفاتوه ومهما قضى الله لكم من شيء تنالوه، فقبلوا ومالوا.
ولما استقر بهم المقام سألهم ابن المقفع عن أعقل الأمم، فسكتوا ونظروا بعضهم إلى البعض الآخر وقالوا لعله أراد أصله من فارس، فقالوا: فارس، فأجاب إنهم ليسوا كذلك، وإنهم ملكوا كثيراً من الأرض ووجدوا عظيماً من الملك وغلبوا على كثير من الخلق، فما استنبطوا شيءاً بعقولهم ولا ابتدعوا باقي حكم بنفوسهم، قالوا: فالروم، أجاب: إنهم أصحاب صنعة، وذكروا الصين فكان رأيه أنهم أصحاب طرفة،=

العرب في جاهليتهم كالبذرة الصالحة التي تنتظر من يتعهدها بالرعاية لتنبت وتزهر رجالاً قادرين على حمل أعظم رساله للأصلاح في تاريخ البشرية، لقد كان من مميزات العرب في جاهليتهم، الفطرة السليمة، وحرية الضمير، وسمو الروح، كانوا يعشقون الحرية بفطرتهم، يحيون بها ويموتون لأجلها، فقد خلقوا أحراراً، طلقاء لا سلطان لأحد عليهم، يرفضون حياة الذل والهوان، وكل تلك الأكاذيب التي أشيعت حول العرب قبل الاسلام كانت ضمن منهج التخريب المتعمد والتدمير المقصود من قبل اليهود والشعوبيين ومن لف لفهم لتحطيم وتشويه هذه الصوره لهذه الشخصية العربية العظيمه، والتي إستطاع أعدائها من إحداث شرخ خطير فيها، فصار العربي المسلم يقول غير ما يفعل.

يقول رسول الله ﷺ:(الجنه مائة درجه تسعه وتسعون منها لأهل العقل وواحد لسائر الناس)، وقال علي بن عبيده:"العقل ملك والخصال رعيه، فإذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها".

فهذه الحرب المفتوحة على العرب والاسلام والتي تستهدف أولا العقل العربي المسلم والنص العربي للقرآن الكريم لا يمكن مواجهتها الا باعادة تفعيل العقل العربي المسلم بكامل طاقاته وتحريض القوى الكامنة للنص الالهي والذي لن نصل اليه الا من خلال التعامل معه بالفهم العربي حتى لا يبقى هذا الدين واقعا بين جهل أتباعه وكيد أعداءه، فسقوط الإمبراطورية العربية الإسلامية لم يكن في يوم معين بعد معركة عسكرية بعينها، أوعقب كارثة معينة، وانما تداعت رويداً رويداً نتيجة عدة قرارات خاطئة اتخذت،

=قالوا: الهند، قال: أصحاب فلسفة، قالوا: السودان، قال: شر خلق الله، قالوا: الترك، قال: كلاب مختلسة، قالوا: الخزر، قال: بقر سائمة، فأعيتهم الحيلة وطلبوا أن يخبرهم بنفسه، فقال: العرب، ثم قال: أما إنني ما أردت موافقتكم ولكن إذا فاتني حظي من النسبة فلا يفوتني حظي من المعرفة، ثم قال: إن العرب حكمت على غير مثال مُثِلَ لها، ولا آثار أثرت، بل هم أصحاب إبل وغنم، وسكان شعر وأدم، يجود أحدهم بقوته ولا يبالي، ويتفضل بمجهوده ويشارك في ميسوره ومعسوره، ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة ويفعله فيصير حجة، ويحسّن ما شاء فيحسُن، ويقبّح ما شاء فيقبُح، أدّبتهم أنفسهم ورفعتهم هممهم، وأعْلتهم قلوبهم وألسنتهم، فلم يزل حباء الله فيهم وحباؤهم في أنفسهم، حتى رفع لهم الفخر، وبلغ بهم أشرف الذكر، وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر، وافتتح دينه وخلافته بهم إلى الحشر، على الخير فيهم ولهم، ثم قال: (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)، فمن وضع حقهم خسر، ومن أنكر فضلهم خصم، ودفع الحق باللسان أكبت للجنان، انتهى كلام ابن المقفع.

وعدة قرارات واجبة لم تتخذ، وأيضاً نتيجة فشلها في شق طرق جديدة حين انتهت الطرق القديمة بسبب تلاشي القوة العقلية الدافعة لها حين أصبحت أحوج ما تكون إلى قوة دفع جديدة، وأخيراً أقول ان الفقر المادي يمكن لنا أن نعالجة بطرق شتى، أما الفقر العقلي فلا علاج له، (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) [محمد: ٢٤].

٢- التاريخ العربي

عندما نتكلم عن التاريخ فأول ما يخطر بالبال هو الزمن، وكما اوضح الاسلام في كل تعاليمه وتوجيهاته فان التاريخ لا يطلب لذاته وانما لتلك العبر التي يستخلصها العقل البشري منه في حاضره ومستقبله وبهذا يعتبر الاسلام أول مجدد للفكر التاريخي، فكان المؤرخون العرب المسلمون أول من سجل بداية التطور الانساني في مختلف مجالاته منذ بداية الخلق منطلقين من فهمهم لكتاب الله سبحانه وتعالى، والذي يعتبر منبع الحق والحقيقة لما جرى في العصور الغابرة والذي أبان الله لنا فيه عن أسباب النصر ودواعيه، وعن الهزيمة والخسران وأسبابهما وعن تجارب الأنبياء والرسل وما حدث لهم مع الأقوام التي أرسلوا اليها، وعن طبيعة الاماكن التي أرسلوا اليها، فيطلع الناس على حقيقة الأشياء دونما موارية فتعم الفائدة، فكان غاية الفكر التاريخي في الاسلام، الايضاح، وأن يتفاعل الانسان العاقل مع الطبيعة التي تحيط به من جهة ومن جهة أخرى أن يسيطر على نفسه وانفعالاتها وشكوكها، حتى اذا ما وفق الى ذلك أدرك درب الهداية واستقر بالايمان وهنئ بالسكينة، وكذلك اهتم الفكر التاريخي بالاسلام اهتماما كبيرا بكيفية التصور المستقبلي لحياة الانسان لما تشكله هذه المسألة من خطورة نظرا للقدرة على استخلاص العبر والوصول الى الحقائق الصحيحة فكانت هناك امكانية للتعرف على بعض وجوه المستقبل وعلاماته والتنبئ بها من خلال الماضي، وقد كان من اتم فوائد التاريخ السعي لتثبيت اليقين وابعاد الشكوك، يقول حسان بن زيد (لم يستعن على الكذابين بمثل التاريخ) فاذا كان مفهوم الزمن بالاسلام مادة للتامل

والاعتبار، فقد سعى العرب الى تحويل هذه الأحداث الى علم قائم يسعون من خلاله الى ربط الأحداث بعضها مع بعض وتصنيفها لجني الفهم والفائدة والحكمة منها، ولقد كان العرب أبرع وأصدق من دون التاريخ ذلك أنهم لم يكتبوه بأهوائهم ووفق امزجتهم وانما كتبوه وفق قواعد صحيحة للبحث والتدوين ساعين الى الابتعاد عن الشك والشبهة والتحيز أو التعصب فكانوا موضوعيين في دراساتهم وكتاباتهم فأوجدوا أسس علمية للبحث نجدها أوضح ما تكون في كتاب (مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي) للدكتور (فرانز روز نثال) حيث يشير الى:

١- ذكر المصادر.

٢- الوضع والسرقات الأدبية.

٣- الدقة في النقل.

٤- روح النقد.

٥- حدود النقد.

وبهذا يكون التاريخ علما أبعد ما يكون عن الخرافة والأسطورة ولو الى حين اذا أن هذه الخيالات والأساطير لن تعدم الوسيلة لكي تلتصق بالتاريخ، كما أن هناك من استغل التاريخ لأغراض سياسية معينة أو قومية أو عرقية غير مهتم بمسألة العلمية والموضوعية.

فاذاً لما كان العرب ساعين لسبر أغوار الماضي والتفريق بين الصادق من الأخبار والكاذب منها واظهارا للحق على الباطل وقطعا للشكوك فكانوا مضطرين للدراسة والبحث والتدقيق والاختبار ولقد قالت العرب (الحقيقة بنت البحث) والبحث هنا لا يكون بالشيء الظاهر وانما في الشيء الخفي المغيب للوصول الى الحقائق الصحيحة ومعرفة الأهداف من وراء تلك الأفعال والأقوال كما وانه لا بد من حيادية الفكر الذي يجب أن يكون بعيدا عن المصالح الخاصة والضيقة والتخريبية وكذلك عن الأنانية، والعمل بتجرد كامل للحقيقة وعدم ترك الحذر والشك والاستحياط للوصول الى الاستكشاف الصحيح والادراك السليم، يقول (الفريد كانتول

سميث) في موقف الأمم المختلفه من تفسير التاريخ:"الرجل الهندي لا يأبه للتاريخ، ولا يحس بوجوده، فالهندي مشغول بعالم الروح، ومن ثم، فكل شيء في عالم الفناء المحدود، لا قيمه له عنده ولا وزن، أما المسيحي، فيعيش بشخصيه مزدوجه، أو في عالمين منفصلين لا يربط بينهما رابط، فالمثل الأعلى عنده غير قابل للتطبيق، والواقع البشري المطبق في الأرض منقطع عن المثل الأعلى.

أما الماركسي، فهو قوي الإيمان بحتمية التاريخ، بمعنى أن كل خطوه تؤدي الى الخطوه التاليه فهو لا يؤمن بهذا العالم المحسوس بل لا يؤمن إلا بالمذهب الماركسي، وكل ما عداه باطل، والماركسي يتتبع عجلة التاريخ، ولكنه لا يواجهها .

أما المسلم، فأنه يحس بالتاريخ إحساساً جاداً، إنه يؤمن بتحقيق ملكوت الله في الأرض، يؤمن بأن الله وضع نظاماً واقعياً عملياً يسير في الأرض على مقتضاه، ويحاول دائماً أن يصوغ واقع الأرض في إطاره، ومن ثم، فهو يعيش كل عمل فردي أو جماعي، وكل شعور فردي أو جماعي بمقدار قربه أو بعده من واقع الأرض، لأنه قابل للتحقيق" .

يقال ان التاريخ يكتبه المنتصرون لكن العرب عملوا على كتابة التاريخ بكل حيادية كما كان، لا كما أرادوه أن يكون وهذا فارق مهم، هذا عدا عن ان العرب ليس لديهم ما يخشونه أو يخجلون منه كبعض الفئات التي أرادت أن تغير التاريخ وتشوهه علها تستطيع من خلال ذلك أن تمحي أو تخفي ماضيها الأسود المشين، وكان العرب المسلمين يسعون الى الاستفادة من علم التاريخ بتحسين المستقبل من خلال دراسة أخطاء من سبقوهم والتعلم من أخطائهم وتفادي سوئ المصير وقد قالت العرب (العاقل من اعتبر بغيره، والشقي من اعتبر بنفسه) ولما لعبت الأهواء والأغراض الشخصية والمطامع الخاصة والعصبيات القبلية دورها في تلفيق الأخبار ووضع الأحاديث على لسان رسول الله ﷺ فنهض المخلصون لتدارك هذا الخطر منطلقين من قول الله عز وجل (وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)

[البقرة: ٤٢] وقوله عز من قائل (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا) [الأنعام: ١٥٢] خاصة وأنه قد بدأت تظهر مع الزمن آراء وأفكار تسيء للعرب والعروبة والاسلام، وتعززت تلك الأقوال والأفكار والآراء بسبب جهل الناس بالتاريخ بمختلف فروعه، وأيضا بسبب ذلك التشويه والتزييف الفكري الذي فرض على شعوب العالم منذ أن نهضت اوروبا والى يومنا هذا مستعينة بالصهيونية التي لم تدخر جهدا في هذا المجال، بل كانت لها اليد الطولى فيه، وعلينا أن لا ننسى بأن رئيس مجلس كتابة التاريخ العالمي يهودي، فكُتب التاريخ من منظور الغرب المتصهين والمهيمن على العالم، وبروحه الإستعمارية النتنة، والذي حاول من خلالها تصوير المنبع العربي الإنساني الحضاري الرائع على أنه مجرد مصب لتلك التي سموها حضارة غربية في أثينا وروما، وبهذا قلبت الحقائق رأساً على عقب، فتحول الإسكندر إلى رسول الحضارة من الغرب والذي جاء إلى الشرق ليعلمه المدنية والتقدم، لكن الغربيون وفي أثناء عجالتهم لتزوير التاريخ نسوا أن الإسكندرالأكبر نفسه كان عربياً من نسل (آركو بن فالج) وإن الحضارة الإغريقية ورموزها كانت حضارة عربية قديمة، فهرقل وأخيل كانوا عرباً من نسل قدموس الذي جاء وعشيرته من الساحل السوري، والمؤرخ الشهير هيرودوت الملقب بأبو التاريخ هو عربي سوري من كيليكية وغيرهم الكثير، وهذا ما يفسر قيام الأغريق باقتباس أبجدية مملكة أوغاريت العربية السورية والتي تقع في موقع اللاذقية اليوم مابين القرنين العاشر والثامن قبل الميلاد فكانت أساس التقاليد اللاتينية لا حقاً في حين أفضت الأبجدية العربية الآرامية إلى ظهور كل الأبجديات المستعملة حالياً، وهكذا انتشرت الأبجديات في كل حوض المتوسط وفي كامل الشرق الأوسط.

وهاهي الحضارة اليونانية والتي يدعي الغرب أنها نتاج تلك الشعوب الهندوأوروبية، والتي ما فتئوا يكررون أنها أساس تلك الحضارات اللاحقة في الشرق العربي والعالم، ناسين أو متناسين أن تلك الحضارة نفسها ما وجدت إلا نتيجة تلك الهجرات لسكان الشرق العربي إليها، لقربها من شواطئهم، ولهذا فقط وجدت تلك الحضارة على أرض اليونان القريبة من

شواطئ العرب ولم توجد في بقية أوروبا، وما الحضارة الهيلينية إلا نتيجة هجرة من تلك الهجرات العربية القديمة لبلاد اليونان، ولما كان أولئك المهاجرون العرب القدماء قد جاؤوا من أرض هي نبع الإنسانية والحضارة الأولى والتقدم والرقي، فإنهم لم يختلطوا مع أولئك البرابرة البدائيين، من أكلة لحوم البشر الذين كانوا يعيشون في الكهوف في حالة مريعة من الوحشية والإنحطاط في أوروبا، فكلمة (هيلينين) باللغة العربية القديمة تعني الحلال والأطهار أبناء الحسب والنسب، وذلك تمييزاً لهم عن تلك الزمر البربرية المتوحشة من سكان الكهوف في تلك المناطق، لقد كان العرب القدماء أسياد البحار والمحيطات، أبحروا فيها وخاضوا غمار تحدياتها وأكتشفوا تلك البلدان البعيدة والمنسية، وتركوا بصماتهم الخيرة والحضارية في كل مكان حلوا فيه[1]، وما روما نفسها إلا صنيعة العرب العموريين (السوريين) الذين قاموا ببنائها وفق طراز المدن العربية في الشرق القديم ونقلوا إليها أساليب الحضارة والتمدن، يقول الباحث الفرنسي (بيير روسّي): " إن أحياء روما الجميلة والفورومات (الساحات) كانت مبنية على صورة مدن مصر وادي النيل وآسيا الصغرى (سوريا).... لقد أخذت من العمارة الآرامية المنحنى والقباب والأقواس الصغيرة ولقد كانت المساكن الخاصة منقولة حسب الطراز التقليدي الآرامي، كما كان حضور مهندسين معماريين ومعلمي بناء ومزيني ديكور سوريين إلى روما أمراً مؤكداً منذ وقت مبكر"، وإنه لمن الغريب حقاً أن نرى كيف توصف كثير من مدننا العربية وآثارها الرائعة بأنها رومانية وبيزنطية أو صليبية، متجاهلين عن جهل أو عن عمد أن العرب هم من قاموا وشادوا تلك المدن العربية في بصرى وجرش وشهبا وبعليك وروما وغيرها الكثير، وما تلك الأوابد الخالدة في شرق العالم وغربه إلا دليلاً على تلك الحقبة المغيبة والتي قلب فيها التاريخ ليتماشى مع فكر ورؤية العقل الغربي الحاقد والذي سعى لوأد

(١) قال السياسي المالطي دانيس صمّوت يوماً: "إن مالطا لا تستطيع أن تدير ظهرها للعالم العربي حتى لو أرادت ذلك. إن المالطيين يتكلمون لغة هي عربية في الأساس على الرغم من أنها تكتب بالحروف اللاتينية".

الحقيقة، فتحولت تدمر عروس الصحراء السورية والتي بنيت في العام ١٨٠٠ ق.م أي قبل بناء روما بحوالي ١٠٠٠ عام من وجهة نظر الغربيين إلى مدينة صنعت على هيئة روما، فكيف يصح ذلك.

لقد استوطن العرب تلك المنطقة التي عرفت لاحقاً باسم روما وبنوها وجعلوها مركزاً تجارياً ونقطة التقاء بين سوريا وغرب المتوسط، يقول المؤرخ الأمريكي (ويل ديورانت): "وأما السوريون نحاف الأجسام الوادعون الظرفاء الماكرون الدهاة فكان الإنسان يلتقي بهم في كل مكان من العاصمة روما يشتغلون بالتجارة والصناعات اليدوية والكتابية والشؤون المالية. وكانوا هم المسيطرين على التجارة الدولية وكان لهم في روما عدد كبير من المعابد في كل واحد منها مدرسته ومجلس شيوخه"[1]، ولو اننا رأينا أوابد روما الحضارية من مكتبات وحمامات وأسواق وساحات ومسارح ودار العدل والجسر العملاق على الدانوب وقوس النصر وعامود تراجان وغيرها الكثير، لرأيتها صنيعة المهندس العربي السوري أبولو دور الدمشقي والذي يعتبر أعظم معمار في التاريخ القديم، يقول المؤرخ بيير روسّي: "إن العرب ذلكم الشعب الحقيقي والذي يمتلك وجوداً إجتماعياً مستمراً ثقافياً ولغوياً يعطي حياةً لهذا البحر المتوسط منذ عدة آلاف من السنوات... وإن الأبنية الأثرية قائمة هناك لكي تشهد"، لقد علم العرب روما[2] أصول الحكم والتشريع والقانون والعمارة وكل العلوم مروراً بالفنون كالموسيقى والتمثيل مما قاد الشاعر الروماني جوفينال ليقول جملته المشهورة: " لقد أخذ نهر العاصي السوري يصب في التيبر منذ زمن بعيد حاملاً معه لغته وثقافته وآدابه ورنات أعواده"، وهذا ما تكرر لاحقاً ولكن هذه المرة من بوابة الدولة

---

(١) ويل ديورانت — قصة الحضارة — صفحة ٣٠٦.

(٢) من الغريب حقاً أن الإمبراطورية الرومانية وعلى إتساعها وقوتها وذيع صيتها لا تملك وثيقة تاريخية واحدة أو تاريخاً صحيحاً على كيفية نشوءها، فلا نجد عن مرحلة إنشاء روما إلا الروايات والأساطير التي لا يمكن لنا أن نعتبرها بمثابة أثبات أو دليل، إلا أن معظم المصادر تؤكد على أن سكان تلك الأرض كانوا خليطاً من المجتمعات الهمجية والبدائية والرعوية، وبغض النظر عن كل تلك الأساطير التي أحيطت بنشوء روما إلا أن أحداً لم يخبرنا كيف يمكن لشعب بدائي رعوي أن ينتقل تلك النقلة الحضارية الكبرى دون أي مقومات تساعده على ذلك!!!.

العربية في الأندلس، باعتراف الأوروبيين أنفسهم، فهاهو المؤرخ الفرنسي دريبار يقول: " نحن الأوروبيون مدينون للعرب بالحصول على اسباب الرفاه في حياتنا العامة، فالمسلمون علمونا كيف نحافظ على نظافة اجسادنا . انهم كانوا عكس الأوروبيين الذين لا يغيرون ثيابهم الا بعد ان تتسخ وتفوح منها روائح كريهة. فقد بدأنا نقلدهم في خلع ثيابنا وغسلها . كان المسلمون يلبسون الملابس النظيفة الزاهية حتى ان بعضهم كان يزينها بالأحجار الكريمة كالزمرد والياقوت والمرجان. وعرف عن قرطبة انها كانت تزخر بحماماتها الثلاثمائة، في حين كانت كنائس اوروبا تنظر الى الأستحمام كأداة كفر وخطيئة. لقد ازدهرت العلوم والأداب والفنون تحت سماء الأندلس وتطور فن الشعر وغدا زاهيا، فتح لخيال الشعراء افاقا رحبة للعمل الخلاق واصبح الأسلوب الشعري اكثر غنىً ومتانة والأقدر على التعبير عن جمال المشاعر الإنسانية ورفاهة ورقة الأحاسيس" .

كما يضيف المؤرخ الفرنسي قائلاً: " عندما قدم المسلمون الى اسبانيا بدؤا بإستصلاح الأراضي بواسطة نظام سقاية متطور، زرعوا قصب السكر والقطن والتوت والرز والموز، وكان اصحاب الحرفة يجوبون الولايات لجمع المعلومات الزراعية ونقلها الى المزارعين في فن السقاية واستثمار التربة وحفظ المنتوج من على منابر المساجد . لقد اقام العرب المعالم العمرانية والمعرفية في كل مكان على عكس ملوك الأقاليم الأوروبية الذين كانوا غائصين في بحر جهالتهم غير مبالين لشؤون رعاياهم" .

كما وأنه بعد قرنين من انتقال الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا عبر الأندلس، طاف كونستانتين عام ١٠٦٠م في عهد الإمبراطور فريدريك الثاني بلاد المشرق العربي الإسلامي وتعرف على بعض مراكزها العلمية وبعد رجوعه تأسست مدرسة لدراسة الطب في مدينة ساليرنو في صقلية وأخرى للطبيعيات في مدينة نابولي الإيطالية، وكان سنحا رياس أول الأطباء المتخرجين على أيدي أساتذة مسلمين وقد حث هذا الحكيم بني جنسه على تعلم اللغة العربية ليتسنى لهم الإطلاع على علوم العرب، وعلى

هـذا النـهج أنشئ معهـد لترجمـة الـتراث العربـي عـام ١٠٨٥م، ومدرسـة للطـب في مدينـة مونـت لـير الفرنسـية عـام ١١٣٧م والـتي تطـورت فيمـا بعـد إلى جامعـة، كمـا تأسسـت جامعـة بـاريس عـام ١١٦٠م ثـم جامعـة أكسـفورد كفـرع لهـا، ثـم جامعـة كامبريـدج عـام ١٢٠٩م، وكانـت منـاهج تلـك الجامعـات هـي نفـس تلـك المنـاهج الدراسـية الـتي تـدرس في الجامعـات العربيـة الإسـلامية دون تبـديل أو تغـيير أو تعـديل أي شـيء فيهـا، فلـك أن تتخيـل حجـم التضـليل والتزويـر والتخريـب الـتي قامـت بـه هـذه الجهـات في التـاريخ الإنسـاني والعربـي الاسـلامي والـتي تحولـت بهـا الاشـياء عـن حقيقتـها والأعطـال الـتي نشـأت في عقـول أمـة العـرب المسـلمين فـتم حـذف مـا يقـوي الأمـة ويعززهـا وينهضـها، وثبـت مـا يضـعفها ويفرقهـا ويهزمهـا فـأدى هـذا الخلـل الخطـير لتقهقـر الحضـارة العربيـة الاسـلامية، وانكـب اليهـود والشـعوبية والغـرب الصـليبي علـى بـث الأوهـام والأكاذيـب والافـتراءات في كتبنـا علـى مـر القـرون، فنفـذت سمـوم المستشـرقين إلى أمـة العـرب المسـلمين مـن خـلال أنـاس يـدعون العروبـة والإسـلام وهـم مـن أربـاب السياسـة والفكـر في العـالم العربـي الإسـلامي ولكنـهم مصـطنعون مـن قبـل الغـرب المتصـهين، فكانـت هـذه الأضـاليل سـببا لتسـميم عقـول الأمـة وحرفهـا بعيـدا عـن المسـار الربـاني الصـحيح، وجعلـت بـين العـرب المسـلمين وبـين الحـق حـواجز وموانـع كـثيرة وهـم لم يتركـوا نقيصـة ولا مسـبة ولا اسـاءة الا وألحقوهـا بـالعرب قبـل الاسـلام وبعـده، ومجـدوا اليهـود وتـاريخهم وسـعوا لتكـريس افترائاتهـم واوهـامهم وتحويلـها الى حقـائق، والمشـكلة الأخطـر في هـذا الزمـان تكمـن بـالعرب المسـلمين أنفسـهم وبتخلـيهم عـن تطبيـق تعليمـات الله بشـكل صـحيح، فلـو أن رجـلا مـن أشـد أعـداء العـرب المسـلمين قـد وقـف وأعلـن اسـلامه لوجـدت المسـلمين يعظمونـه ويصـدقونه ويقدمونـه ليـأمهم حتـى في صـلواتهم ويأخـذون كلامـه بمحمـل الجـد، ولا يشـكون بـه ولا يحـذرون منـه بـالرغم مـن انـه كـان قبـل فـترة بسـيطة يعلـن حربـه علـيهم جهـارا نهـارا وبالتـالي لنـا أن نتخيـل حجـم الكارثـة الـتي لحقـت بـالعرب المسلمين منـذ أن أسـلموا رقـابهم لكـل مـن قـال أشـهد أن لا الـه الا الله وأشـهد أن محمـدا رسـول الله، فهـؤلاء يملكـون الحـق أوتوماتيكيـا مسـتغلين سماحـة

الاسـلام، لتفسـير القـرآن الكـريم علـى أهـوائهم وكتابـة التـاريخ للعـرب المسلمين ليوافـق رغبـاتهم، وتـأليف كتـب في الفقـه والسـنة والحـديث والسـيرة دونمـا رقيـب أو حسـيب وبـث سمـومهم وخرافـاتهم كيفمـا شـاؤوا، بـل ومنـهم مـن يتـولى ادارة شـؤون العـرب المسـلمين ومنـهم مـن يقـود جيـوش المسـلمين لحـرب أعـداء الله والـدين والـذين هـم أنفسـهم كـانوا منـهم قبـل فـترة وجيـزة، فهـل هـذا يستوي والمنطق السليم.

والأمثلـة في التـاريخ كـثيرة وفي كـل المجـالات ولكننـا هنـا نكتفـي بمثـال جديـد نسـبيا وهـو كتـاب (العـرب واليهـود في التـاريخ ١٩٧٠) للكاتـب اليهـودي أحمـد نسـيم سوسـة والـذي أخـذ شـهرة واسـعة بعـد اسـلامه وكـان قـد اخـترع في كتابـه هـذا مكانـا لليهـود في التـاريخ القـديم مـع العـرب وأعطـاهم أدوارا حضـارية افتعلـها زورا وبهتانـا فصـاروا علـى يديـه أسـاس الحضـارة، فهـم بنـاة المـدن القديمـة في تـدمر وجـرش وهـم بنـاة الأهـرام في مصـر وللحـدائق المعلقـة في بابل فتخيل يرعاك الله.

وهنـا قـد يسـأل سـائل كيـف لنـا أن نعـرف مـدى صـدق مـن يـدخل في الاسـلام مـن كذبـه اذا كانـت البـواطن لا يعلمهـا الا الله سـبحانه؟!، فنقـول لهـؤلاء علينـا أولا تطبيـق التعليمـات الالهيـة الـتي أرسـلها الله الينـا واعتمـاد القـرآن حكمـا فصـلا لكل مـا يعـرض علينـا، فكـل مـا خـالف القـرآن فهـو باطـل بـالمطلق وكـل مـا وافـق القـرآن هـو حـق، يقـول رسـول الله ﷺ: (يكثـر الحـديث مـن بعـدي، فـاذا روي لكـم عـني حـديث فاعرضـوه علـى كتـاب الله تعـالى فمـا وافـق كتـاب الله فـاقبلوه، ومـا خالفـه فـردوه)، كمـا وعلينـا باتبـاع نهـج نبينـا ﷺ ونهـج خلفائـه الكـرام مـن بعـده والـذي اسـتمر حتـى نهايـة الحقبـة الأمويـة والـذي كـان مـن نتـائج هـذا النـهج قيـام دولـة العـرب المسلمين مـن أرض الصـين والهنـد شـرقاً الى الأنـدلس غربـاً، ومـن آسـيا الوسـطى وجبـال القوقـاز شمـالاً الى الصـحراء الأفريقيـة الكـبرى جنوبـاً، والـذي بسـببه أيضـا انهالـت الاتهامـات والأحقـاد والافـتراءات علـى صـحابة رسـول الله وعلـى دولـة بـني أميـة، والـتي اتهمـت ظلمـا وعـدوانا مـن قبـل الشـعوبية واليهـود بأنهـا كانـت دولـة عنصـرية

فضلت العرب على من سواهم، ولكن الانصاف والمنطق يقول ان عملهم هذا كان قمة في الحكمة والعدل والسياسة فاذا كان الاسلام قد ضمن لكل من يدخل فيه حقوقه وفرض عليه واجباته، فان الأمر الالهي ونهج رسول الله يقتضي أن لا نملكهم رقاب المسلمين ولا عقولهم ولا مصالحهم قبل مضي فترة لازمة وضرورية لانصهار الحق فيهم وانصهارهم في الحق، والتأكد من أن ولائهم قد صار قولاً وفعلاً لله والأمة، ولذلك اتهم بني أمية بأنهم كانوا متعصبين للعرب، ولكنهم في الحقيقة لم يولوا أمور المسلمين الا لمن صدق ايمانه وحسن عمله وجرب واختبر، وبالتالي كان كفؤاً ليتولى رعاية شؤون العرب المسلمين الفكرية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والدينية، وقد سبقهم الى هذا الأمر كبار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فها هو سيدنا أبو بكر وقد رفض أن يستعين قادة الفتح العربي الإسلامي بالمرتدين، وسيدنا عمر بن الخطاب لما تولى الخلافه كان قد أمر باستنفار من حسن إسلامه من أهل الرده، الا أن سيدنا عمر لم يولهم قيادة جيوش الإسلام وأنما ابقاهم جنوداً في تلك الجيوش، كما كان من نهج الصحابه أن لا يولوا أمور العرب المسلمين لأحد من أصحاب الديانات الأخرى فها هوعمر بن الخطاب يقول:"لا تستعملوا اليهود والنصارى، فإنهم أهل رشا في دينهم ولا يحل في دين الله الرشا"، كذلك لما أستقدم عمر بن الخطاب، أبا موسى الأشعري من البصره وكان عاملاً بها للحساب، دخل على عمر وهو في المسجد فاستأذن لكاتبه وكان نصرانياً، فقال له عمر: قاتلك الله وضرب بيده على فخذه، وليت ذمياً على المسلمين، أما سمعت الله تعالى يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [المائدة: ٥١]، هلا أتخذت حنيفاً؟ فقال: يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه، فقال لا أكرمهم إذا أهانهم الله، ولا أعزهم إذا أذلهم الله ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله.

ويكفي بني أمية فخرا أنهم تركوا سدة الخلافة وأمة العرب المسلمين على قلب رجل واحد، ولو لم يكن لهم الا هذا الأمر لكفاهم فخرا وعزة،

وقد سار بنوأمية على النهج النبوي ونهج الخلفاء الراشدين بأتباعهم سياسة الهجوم خير وسيلة للدفاع فهم لم ينتظروا قدوم أعدائهم إليهم وأنما بادروا هم الى عقر دار أعداء الحق وأعدائهم لإجهاض أي محاولة للاضرار بالعرب المسلمين، يقول ابن كثير: "فكانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية ليس لهم شغل الا ذلك، قد علت كلمة الاسلام في مشارق الأرض ومغاربها وبرها وبحرها وقد أذلوا الكفر وأهله وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعبا، لا يتوجه المسلمون الى قطر من الأقطار الا أخذوه وكان في عساكرهم وجيوشهم في الغزو الصالحون والأولياء والعلماء من كبار التابعين".

وهذا ما تغير لاحقاً زمن دولة بني العباس التي إتخذت الدفاع بدل الهجوم سياسه مما أطمع أعداء الأمة بها وبدء التجروء عليها لاحقاً والى يومنا هذا لم يتغير الحال فما زال الطرف المقابل يهاجمنا في عقر دارنا وما زلنا ندافع!.

وأيضاً لم يترك الأمويون فئة مهما كانت لتخرب وتشوه مسار الأمة وتشق صف الجماعة دون ردة فعل سريعة منهم للقضاء على هذا الخرق، وحتى الخوارج والذين فعلوا ما فعلوا في الأمة فلم يهنئ لبني أمية بال حتى طهروا الأمة منهم ومن رجسهم، فكانوا يعملون بما تقتضيه حماية الاسلام والمسلمين من المندسين والمخربين الذين دخلوا في الاسلام، لا حبا ولا ايمانا وانما حقدا وحسدا ورغبة بالانتقام من العرب المسلمين وسعيا ورغبة منهم بتدمير الدين وحرف المسلمين عن الحق، ولكن هذه المرة من داخل المسلمين وليس من خارجهم، وقد وجدت هذه الفئات الضالة المضلة، فرصتها الذهبية بزوال دولة بني أمية ومجيء الدولة العباسية والتي نمت وانتشرت وتكاثرت فيها بشكل سريع ومخيف لدرجة ضجت بها عامة الناس في دولة الخلافة مما دفع الخليفة العباسي المهدي لإنشاء ديوان خاص لمحارية هذه الحركات الهدامة سمي بديوان (الزندقة) وظل قائما حتى أواخر أيام الخليفة هارون الرشيد.

يقول أبو العلاء المعري واصفا ضرورة التنبه والحذر وعدم الغفلة:

أكرم نزيلك واحـذر مـن غوائلـه فليس خلُـكَ عنـد الشـرِّ مأمونـاً

تنـام أعـين قـومٍ عـن ذخـائرهم والطـالبون أذاهـم مـا ينامونـا

ويظهـر حقـد هـذه الفئـات الظالمـة الباغيـة علـى هـذا النـهج الى يومنـا هـذا، مـن خـلال التـهجم الصـريح والواضـح علـى صـحابة رسـول الله والتجـرؤ علـيهم ورمـيهم ورمـي بـني أميـة مـن علـى المنـابر وفي الكتـب وعلـى الشاشـات بأسـوأ الاوصـاف وسـبهم وشـتمهم ولعنـهم وتـأليف القصـص الكاذبـة عنـهم ولصـق كـل نقيصـة بهـم ناسـين أن علـى أكتـاف هـؤلاء نشـر الاسـلام في الأرض وامتـدت دعـوة الحـق في المشـرق والمغـرب، فثبـت الاسـلام في الأرض وارتفـع الأذان بصـوت الهدايـة في أرجـاء الـدنيا وكـانوا مثـالا للحـق والهدايـة أينمـا حلـوا مطـبقين أوامـر الله سـبحانه وتعـالى وأوامـر نبيـه ﷺ، فـذكرهم حتـى أعـدئهم وبـالرغم مـن الـتجني علـيهم بـأنهم أرحـم وأعـدل الفـاتحين ولم يفعلـوا كـالآخرين الـذين ارتكبـوا المجـازر وقـاموا بأعمـال النـهب والسـلب وارتكـاب الفظـائع وانتـهاك الحرمـات والمقدسـات وخيانـة العهـود والمواثيـق وكلنـا نعلـم مـا الـذي فعلـه الصـليبيون مـن الفظـائع بـالعرب المسـلمين في الأنـدلس بعـد تسـليم غرناطـة وكـذلك مـا الـذي فعلـوه عنـدما احتلـوا بيـت المقـدس، ومـع نهايـة الدولـة الأمويـة انتـهى هـذا النـهج وبـدأ الاخـتلال ودبـت الفوضـى واخـتلط الحابـل بالنابـل، ويـدأ هجـوم الشـعوبية واليهـود علـى الفكـر والعقـل والتـاريخ العربـي المسـلم بـل وحتـى علـى مركـز القـرار لـديهم، فكانـت دولـة بـني العبـاس بدايـة عصـر الاخـتراق للعـرب المسـلمين فصـارت الـوزارة والصـنائع للاعـاجم، فكـان البرامكـة وبـني سـهل وبـني طـاهر وآل وهـب وبـني بويـه والـديلم وسـواهم، يتصـرفون بـأمور دولـة الاسـلام والمسـلمين كيفمـا شـاؤوا يولـون ويخلعـون الخليفـة العباسي متى رغبوا وان كانوا يظهرون التبجيل لهم.

ولـو أخـذت تقـرأ في الكتـب الـتي تمـلأ رفـوف مكتباتنـا لوجـدت فيهـا كتابـات تخـرج منـها رائحـة الكـذب والزيـف لدرجـة تزكـي معهـا الأنـوف فتحولـت تلـك الأكاذيـب الى ديـن متبـع وتحولـت شخصـية العربـي والـتي عرفـت

على مر تاريخها بالفروسية والشعر والذكاء والمهارة والشجاعة والكرم والنبل والمروءة، بكتبهم وتاريخهم الى شخصية همجية عدوانية متخلفة بربرية مجردة من كل صفات الأخلاق والشجاعة والسمو الانساني، فمن يقرأ التاريخ المزيف الذي وضع من قبل جهات حاقدة على العرب المسلمين سيتفاجأ بأن رجالا عظماء من صحابة رسول الله قد تم اظهارهم بأسوأ الصفات ولفقت لهم أحداث وهمية لا تصح في امثالهم، فهم يصورون صحابة رسول الله وقد اختلفوا بعد موته ﷺ مباشرة طمعا بالخلافة والحكم، وإني اسأل العقلاء من الناس هل يصح في فئة رباها خير الخلق جميعا محمد رسول الله وفق المنهج الالهي ان تنحو هذا المنحى!، ومن يصدق أن فاروق الحق عمر بن الخطاب لما استلم زمام المسلمين قد بادر الى عزل سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنهم أجمعين عن قيادة جيش المسلمين وتحييده، سعيا منه لاخماد ذكره حسداً وغيره، وكتبت في ذلك الكتب وقصت القصص، بينما الحقيقه هي ان سيدنا عمر لما ولي خلافة المسلمين شكل مجلساً لأهل الحل والعقد ممن بقوا من أهل بدر، الذين غفر الله لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر، وجعل عمر منهم مستشاريه، وكان يخرج منهم قادة الجيوش والأمراء خاصة في مواجهات الحسم الكبرى كاليرموك، ولهذا فأنه رضي الله عنه كان قد ولى سيدنا أبو عبيده بن الجراح قيادة جيوش المسلمين في معركة اليرموك لأنه كان بدرياً، بدلاً من سيدنا خالد بن الوليد والذي لم يكن كذلك، وكل ما سيق عن قصص الحقد بين الرجلين من زمن الجاهلية، وعن غيرة سيدنا عمر من سيدنا خالد، وعن شك سيدنا عمر بأن سيدنا خالد كان قد أتخذ من أموال المسلمين وغيرها من تلك الترهات، هي مجرد قصص كاذبه مفتعله من قبل أعداء الحق زمن التسلط الشعبوي، الذين أرادوا أن يطعنوا برجلين من خيرة رجال العرب المسلمين فألفوا تلك الروايات الهزيله ووضعوا فيها تخيلاتهم وأمانيهم، وسوقوا تلك الأكاذيب على إنها حقائق، ومن يمكن له أن يتصور ان سيدنا عثمان رضي الله عنه وهو أحد أوائل المجاهدين

الكبار وأحد مستشاري النبي المقربين وزوج ابنتي رسول الله ﷺ، صاحب الأعمال الجليلة والعظيمة في الحرب والسلم ومبعوث رسول الله في المهمات الكبيرة، هو رجل خجول يتلاعب به الآخرون كيفما شاؤوا ويسيرونه وفق أهوائهم من خلال التلاعب بعواطفه، وبأنه لا حول له ولا قوة، أوأن علي ابن أبي طالب كان يرى نفسه خيرا من أبو بكر وعمر وعثمان وأنه الأولى بخلافة المسلمين لولا تآمر أبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعا الذين سبقوه وأخذوا الأمر منه، وأن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه رجل ماكر لا هم له سوى الطعام والنساء استغل دماء امير المؤمنين عثمان حتى يصل لأهدافه في الملك والسلطان ويسيقوا عليه القصص والحكايات الملفقة حتى في اسمه إذا يقولون بأن معاوية معناها جرد الثعلب أو الكلبة ويضعون في ذلك الروايات سعيا لترسيخ هذه الصورة السلبية المشوهة في أذهان الناس بينما معنى كلمة معاوية تعني المعاوي أي المدافع عن الأهل والأوطان باستماتة دون تردد أو تراجع، وكذلك سيدنا أبو هريرة والذي أظهر بصورة ركيكة ضعيفة وهزيلة، فهو يحمل هرة يتنقل بها من مكان الى آخر لا يفارقها ولا تفارقه فسماه رسول الله أبو هريرة لشدة تعلقه بهذه الهرة وأوجدوا حكاية تحكى في هذا الأمر، بينما الهَرْهَرَة في الرجل تعني حَمِيَّتَهُ وكان رضي الله عنه ذو جاهزية دائمة للدفاع عن الأرض والعرض وكان مجاهدا ذا حمية وشجاعة وهذا هو معنى اسم أبو هريرة وهو رضي الله عنه لما أتى الى المدينة المنورة وكان رسول الله مع أصحابه في غزوة خيبر فانطلق ورائهم ليكسب شرف الجهاد معهم ولم ينتظرهم حتى يرجعوا فهل هذا فعل رجل مستكين متعلق بهرة، ولو قرأنا ما كتب عن صحابة رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم أجمعين من الحاقدين والكارهين لرأينا العجب العجاب فذلك التسخيف والتتفيه والتحريف لسيرة أولئك العظماء انما يهدف لتشويه شخوصهم في عقول أجيال العرب المسلمين وحتى لا يكونوا قدوة ومثلا يحتذى لهذه الأجيال، لكني أود الإشارة الى أن هذه الروايات والكتابات ظهرت في فترة اندحار

العقـل العربـي المسـلم والـذي دفـع إلى دوامـات الصـوفية وجمـود السـلفية والانحرافـات الشـيعية، ممـا سـاعد علـى انتشـارها بـين النـاس الـذين أخـذوها كمسـلمات وكـذلك قيـام كـثير ممـن نقلـوا تلـك الاكاذيـب في فـترة متـأخرة دون تمحـيص أو تـدقيق، وبـالتوازي مـع هـذا الأمـر عمـل علـى تغييـب كـثير مـن الأشـياء الـتي تشـير الى عظـائم أفعـالهم وسمـو ذواتهـم رضـوان الله علـيهم أجمعـين والمتـابع والمتعمـق سـيلاحظ الأصـابع اليهوديـة ومـن لـف لفهـم والـتي عملـت مبكـرا علـى تشـويه واسـتهداف الاسـلام العربـي والتـاريخ المشـرف للعـرب المسـلمين مـن خـلال تغييـب الصـورة الرائعـة لهـذا التـاريخ العربـي الاسـلامي واظهـاره بأنـه تـاريخ فـتن وثـورات وعـدم اسـتقرار وقتـل ودمـاء وغـدر وخيانـة ليـتم زرع هـذه الصـورة المشـوهة في عقـول أجيـال العـرب والمسـلمين ممـا يـدفعهم للنفـور مـن ماضـيهم والتبرؤ منـه ولم يقـف الأمـر عنـد هـذا الحـد بـل تعـداه الى أسـاس العقيـدة الاسـلامية فـتم التجـاوز والقفـز علـى كـل الآيـات القرآنيـة والـتي تـدعوا للجهـاد والربـاط والاحتشـاد والاسـتعداد الـدائم والمسـتمر لمواجهـة أعـداء الأمـة والاعتصـام بـالحق والتكتـل في مواجهـة الباطـل وأهله وحذف كل المواضيع المتعلقة بعوامل النصر.

وظهـرت الحركـات الهدامـة في العـالم الاسـلامي مـن الـزنج والقرامطـة والحشاشـون وغيرهـم، وقـد أشـار العقـد الفريـد الى قـول الشـعبي لمالـك بـن معاويـة حـين قـال:"احـذروا الاهـواء المضـله، وشـرها الرافضـه، فـأنهم يهـود هـذه الأمـه يبغضـون الاسـلام كمـا يـبغض اليهـود النصـرانيه، لم يـدخلوا الاسـلام رغبة ولا رهبه من الله، ولكن مقتاً لإهل الإسلام، وبغياً عليهم".

وتماشـياً مـع هـذا المخطـط القـديم الجديـد فقـد كـان مـن أول الأفعـال الـتي قامـت بهـا القيـاده الصـهيونيه في فلسـطين المحتلـة هـو دمـج نظـام التعلـيم العربـي بنظـام التعلـيم الصـهيوني تحـت قـانون التعلـيم الالزامـي الـذي أصـدرته السـلطات المحتلـة في العـالم ١٩٤٩، متجـاوزة بـذلك كـل مـا تـنص عليـه لـوائح حقـوق الانسـان والتحريمـات الدوليـة المتفـق عليهـا في شـأن عـدم التـدخل بقـوانين التعلـيم ومناهجـه في البلـدان المحتلـة، ولقـد كرسـت الحركـة

الصهيونية جهودها لاخراج التاريخ وفقاً للرؤية والثقافة والروح اليهودية واهتمت السلطات اليهودية بتحديد الاطار التاريخي لمناهج التعليم قبل كل شيء فجعلت ما يسمى تاريخ (العبرانيين القديم) يشكل ثلث المنهاج المقرر في الصف الخامس، وحين يتعلق الموضوع بالجزيرة العربية فإن المنهاج يركز على ما يسمى (المستوطنات) اليهودية المزدهرة!!! في اليمن وحضرموت ووادي القرى ويهود الحميريين، وفي ما يتعلق بالتاريخ الاسلامي الذي يكون ٥٦٪ من منهاج التاريخ العام يصور على أنه مجموعة من الغزوات والحروب الدائمة، ويبالغ كثيراً في تصوير الخلافات والنزاعات بين الصحابة وخاصة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، كما أنه يظهر فلسطين المحتلة على أنها أرض يهودية تقاوم باستمرار ضد الغزو الأجنبي لاظهار الهوية التاريخية لفلسطين على أنها هوية يهودية خالصة، وعن تسمية الفترة السابقة على ظهور الإسلام بالجاهلية تجد هذه المناهج تفسيراً من عند أصحابها والذي يعتبر اشتقاق هذا الاسم من الجهل والذي هو ضد الحلم مفسرين هذا الأمر لما كانت عليه أخلاق العرب من السوء والمبادرة إلى سفك الدماء والعصبية الحادة، وأيضاً توجد في تلك المناهج محاولات لارجاع الاصول الحضارية للعرب إلى الأمم الأخرى وتظهر صورة العربي بشكل سيء وتابع فهو مجرد مقلد للحضارات الأخرى، فالأمويون من وجهة نظرهم استعانوا بالفرس والروم من أجل عمرانهم ونهضتهم والجيش الأموي مثلاً حاول التشبه بجيش الروم من حيث نظمه، وعندما يتعلق الأمر بالفتوحات العربية الإسلامية والتي صاحبتها صفحات مجيدة من البطولة والشجاعة نجد تلك المناهج تحاول الحط من شأن هؤلاء الفاتحين العظام وتصورهم على انهم مجرد غزاة محتلين، وفيما يتعلق بموضوع أصول الدين الإسلامي فإن أول ما قامت به السلطات الصهيونيه هو إستبعاد الآيات الكريمه التي تحرض على الجهاد وإسترداد الحق والواجبات الوطنيه، وركزت على الجانب التهذيبي في الإسلام، ولا تنسى تلك المناهج من تأكيد الكذب والافتراء في التاريخ باعتباره حقيقة، ولا يقتصر كل هذا التحريف والتشويه على المناهج في الأراضي الفلسطينية

المحتلة بل إن هذا التحريف والتخطيط الخبيث يمتد إلى خارجها، ومثال ذلك، ما كتبته نشرة المجاهد، لحركة الجهاد الاسلامي في فلسطين العدد (١٨٦) الصادرة في لبنان ٩ \ ٤ \ ١٩٩٣ تصريح وزيرة المعارف والثقافة الصهيونية (شولاميت ألوني)، " بأن مسؤولين في وزارتها يجرون منذ شهر تشرين الثاني الماضي مباحثات مكثفة مع حسين كامل وزير التعليم المصري لوضع منهج مشترك في المدارس الصهيونية والمصرية لتشجيع ما أسمته بالسلام بين البلدين. وتأتي هذه الخطوة بعد أن استجابت الحكومة المصرية لطلب الكيان الصهيوني برفع خريطة فلسطين من المناهج التعليمية في مصر، واستبدالها بخريطة للكيان الصهيوني. وكذلك حذفت وزارة التعليم في مصر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والوقائع التاريخية التي تكشف حقيقة اليهود من مناهج التعليم ".

فكان نتيجة كل ذلك التشويه والتحريف والتخريب انتاج أجيال تافهة ساذجة من العرب المسلمين تدور في حلقات مفرغة فتسربت افتراءات الشعوبية واليهود والغرب الصليبي الى عقول اجيال العرب المسلمين، فأصابتهم بالعنت العقلي، فضيعوا البوصلة الالهية وانهار المجتمع العربي الاسلامي عقليا وأخلاقيا واجتماعيا وطبقيا واحتدم الجدل في المجتمع العربي الاسلامي من توافه الأشياء الى أخطرها، وأصبح الدين والقرآن والناس في خدمة الدولة بعد أن كانت الدولة العربية في خدمة الدين والقرآن[1]، وتحول الاسلام الى دين الدراويش والبلهاء، وصار الدين

(١) لما زحفت الكتائب الصليبية القادمة من فرنسا وانجلترا والمانيا وايطاليا يباركها القسُسُ الذين يتقدمونها بأمر الكنيسة اذ يذكر مؤرخوا-الفرنج ان الجيش الزاحف بلغ ألف ألف عنان من الرجالة والفرسان متجهين نحو دمشق لاحتلالها، أعلن الملك العادل نور الدين زنكي الجهاد وكان ذا حمية نصرة لأهل دمشق لما علِم أن أهلها قد استعدوا للقاء عدو الله والأمة وبأن شيوخها واطفالها ونساءها قد ازدحموا بالمسجد الأموي، يضجون بالدعاء حول مصحف عثمان، فقال نور الدين في هدوء المؤمن: شفاعة المصحف لن ترد، وهذه علامة النصر وانطلق مع من معه وقد التهبت الغيرة الاسلامية في صدورهم واستطاعوا مع اخوالهم من أهل دمشق الوقوف وحدهم في وجه هذه الحملة الصليبية حتى اندحر الصليبيون بقيادة ملك الالمان اندحارا لم يتوقعه أحدا منهم.
فالقرآن الكريم ليس بمجرد كتاب عادي، وانما هو نبع للقوة والخير والعطاء والثبات، وهو الحبل المتين لاتصال العبد بربه بشرط أن يفهم الفهم الصحيح بعيدا عن التشويه والتحريف والتسطيح، فمن تمسك به كيف له أن يهزم أو أن ينكسر، ومن تركه وتجاوزه كيف له أن يعلو وينتصر!!.

برشامات لتغييب العقول واماتة الضمائر، فتسلط الأعاجم من فرس وروم ويونان وترك على الدين والدنيا وبدأت عملية عكسية بالترجمة، فبدلا من قيام المترجمين بترجمة القرآن الكريم والشعر العربي والروايات والقصص والحكمة العربية الى اللغات الأخرى واذ بهم يأتون بالفلسفات والعقائد الوثنية الفارسية واليونانية والهندية والرومانية ويترجمونها الى العربية ولا بد من الاشارة هنا، الى أن اوروبا عندما أرادت النهوض قامت برمي كل هذه الفلسفات والعقائد والأفكار المغلوطة والغبية والسخيفة، واعتمدت على الكتب العربية الاسلامية العلمية والتاريخية لتحقيق نهضتها، والتي كانت أحد أهم الأسس لبناء الإنسان العربي السليم المعافى، الذي أحدث مظهراً ثقافيا عربيا معافى، بل أكثر من ذلك، إنه صنع روحا حضارية عربية معافاة، فبعد أن كان الأدب والشعر العربي مرآة لعصر العرب المسلمين الذهبي، والذي كان فيه أدبهم وشعرهم يخرج من عبقريتهم، من خلال أبداعهم الذاتي، فأعطوا نماذج فريده، أعطوا أدباً حياً مليئاً بالعبر والخصب والغنى، دليلاً على عظمة وأشراقة ذلك الماضي العربي وعبقريته الذي أعطى تلك الروح الأبداعيه المتفجره للعالم، صار الأدب سطحياً مقلداً للآخر، وخلقوا شعراً سموه الشعر العربي الحديث، فقير في اللغه والأسلوب، حتى صار فكر الأمه ولسانها مشوش غير واضح المفهوم، وصارت لغة القرآن تتقهقر أمام اللغات الأجنبيه، وتحولت الى لغة نقل لا لغة فكر، وكانت نتيجة كل هذه الفوضى التي طرحت من قبل أعداء الأمة أن أوجدت قضايا خلقت صراعات مريرة في المجتمع العربي الاسلامي، كقضية خلق القرآن مثلا ولكنها حسمت في حينه، وقضايا ما زالت كالمرض العضال بالفكر العربي الاسلامي الى اليوم ومنها قضية الناسخ والمنسوخ والتجويد والاعراب وقواعد اللغة وغيرها الكثير.

والتي كانت نتيجة تخطيط خبيث قامت به تلك المجموعات من اليهود والمجوس والأعاجم والتي ما زالت آثارها الخطيرة الى يومنا هذا ظاهرة واضحة تعيق الفهم الصحيح والسليم لدين الله، واليوم يقوم المستشرقون واليهود بمهاجمة العرب المسلمين اعتمادا على تلك الثغرات التي أحدثتها

الشعوبية في وقت سابق عندما اخترق العرب المسلمون فوهنوا وضعفوا وخارت قواهم وأفلت زمام الأمور من بين أيديهم، فقام أعداء العرب بالتسلل شيئاً فشيئاً الى العقل والتاريخ والجسد العربي المسلم منذ قرون، وبدؤوا بتفكيك العرب المسلمين من الداخل ولوثوا أدمغتهم بالأفكار المشوهة والمغلوطة، فأثرت على الفكر والوجدان العربي المسلم، فتخلخلت صفوفهم لعقود طويلة ووضعت عربتهم أمام الحصان، وأجبروا على الاقتناع بآراء أعدائهم ووجهات نظرهم، فانطبق عليهم قول الشاعر:

ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان يبرئ مثله فيما مضى
ذهب المداوي والمداوى والذي جلبَ الدواءَ وباعه ومن اشترى

ولما كان التاريخ هو اساس الأيدولوجيات، فقد عمل الغرب المتصهين على تشكيكنا بتاريخنا ليذبذبنا في حاضرنا ومستقبلنا، واستمر النخر عميقا حتى تم تشويه التاريخ وكتابته كيفما شاؤوا وصار الى تبني الرؤى الأوروبية واليهودية الصهيونية للعرب المسلمين، وغرست هذه الصورة المشوهة في ذاكرة الأجيال العربية المسلمة، وبعد أن كانت أرضهم مرتعاً للعلم والعلماء، صار العرب يرجون منحة للدراسة في الدول الغربية وبعد أن كانت أرضهم سلة الغذاء في العالم صاروا ينتظرون مساعدات وعطاءات الآخرين لهم، وأرضهم التي جعل الله لهم فيها ثروات لا عد لها ولا حصر تركوها لأعدائهم يستثمرونها لهم فيعطونهم الفتات بينما يستولي الآخرون على خيراتها في الوقت الذي يسعى فيه العربي الى فرصة عمل خارج أرضه!! فما الذي حدث لتدور عقارب ساعتهم بالمقلوب وينعكس حالهم رأسا على عقب فتستلب ارادتهم وينغمسون بالاعتقاد بالأضرحة والأشخاص، ويدورون في فلك الهرطقات والخزعبلات ويتمرغون في أوحال الهزيمة والجهالة والانغلاب فباتوا ينظرون الى تاريخهم العربي الاسلامي برؤية معكوسة على مرآة الأحقاد الشعوبية والاسقاطات الصهيونية لهذا التاريخ، فتعاونت مؤامرات الغرب الصليبي المتهود والشعوبية مع أخطاء العرب وغفلاتهم ليكتب التاريخ بهذه الطريقة العرجاء الذي كتب عليها،

وانه لمن غير المنطقي والمقبول أن نرضى بتسرب مثل هذا الفكر الدخيل الى شباب العرب المسلمين ومن غير المعقول تحقير التاريخ العربي في تربية النشئ وقلب صورة الاسلام الصحيحة بتصوير المعترضين عليه والمستهزئين به والمتزندقين فيه وكانهم أبطال يستحقون من شباب العرب المسلمين تمجيدهم واتباعهم، وتحت هذه الغزوات الفكرية العدائية المتواصلة من الشرق والغرب من الداخل والخارج تضخم التاريخ العربي الاسلامي في العصور المتأخرة بما جمع في ذاكرته من تلك الكتابات الفكرية العالمية المتنوعة والمشوهة، وبدت الصورة مشوشة في أذهان الأمة امام ضياع الهوية وعتمة التخلف، وهكذا بدات اجيال العرب المسلمين تعيد فهم التاريخ ولكن هذه المرة بعيون الغرب الصليبي والفكر اليهودي فجنحت أمة العرب المسلمين الى دوامات الضعف والذل والمهانة لتتحطم على صخور الجهل والعبودية، فتم انتاج مجموعة ممن سموا المثقفين العرب وفق الطريقة الأجنبية المعادية والتي جعلتهم مستسلمين مسبقا وينظرون بعين النقص لذاتهم ولتاريخهم ولأمتهم ولدينهم وأكتفي هنا بنموذجين لما ذكرت أبدؤها مع الطالب الأزهري طه حسين والذي كان قد تشرب الفكر الغربي بكليته أثناء وجوده في فرنسا فلم يعد يرى ولا يسمع ولا يتكلم الا بعيون الغرب وأذنيه ولسانه فشكك في القرآن واللغة والشعر والتاريخ العربي دون دليل أو برهان في كتابه (الأدب الجاهلي) منتقصا من العروبة والاسلام داعيا الى الاندماج مع اوروبا انتماء وفكرا وثقافة داعيا الى قومية البحر المتوسط.

فانزلق بعيدا عن جادة الحق فشكك بوجود ابراهيم واسماعيل في مكة ويأنهم من العرب وشكك بأن الشعر الجاهلي والذي يحمل سمات أمة راشدة لها عقل وحضارة وبيان أمة تعرف الله، ما هو الا شعر موضوع وهو في ذلك يقول في كتابة:" ان من الحق علينا لأنفسنا وللعلم أن نسأل: أليس هذا الشعر الجاهلي الذي ثبت أنه لا يمثل العرب الجاهليين ولا عقليتهم ولا دياناتهم، ولا حضاراتهم، بل لا يمثل لغتهم.أليس هذا الشعر قد وضع وضعا وحمل على أصحابه حملا بعد الاسلام".

فهو يريد ان يكون الشعر العربي قبل الاسلام تماما كما افترض أساتذته المستعربون، معبرا عن أمة وثنية جاهلة بدائية مشتتة العقل واللغة واللسان.

وهو الذي يرى أنه لا بد للعرب من إلغاء شخصيتهم ليتقمصوا الشخصية الأوروبية بخيرها وشرها، ومعتبراً أن لا طريق أمام العرب إلا الإنصهار في بوتقة الغرب إذا أرادوا أن يكونوا حضاريين، فهو الذي يقول:"علينا أن نصبح أوروبيين في كل شيء، قابلين ما في ذلك من حسنات وسيئات... علينا ان نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يُحمد فيها وما يعاب[1]"!!.

والنموذج الثاني هو الدكتور عبد المنعم ماجد الذي كان أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية آداب عين شمس وتأتي خطورة هذا النموذج كونه كان يقوم بتدريس التاريخ الاسلامي العربي والذي هو أحد مصادر التربية والتعليم للشباب العربي في مصر وكان قد ألف كتابا من جزءين تحت عنوان (التاريخ السياسي للدولة العربية)والذي كتب في جزءه الأول صفحة ٦١ الآتي: " وكان أكل العربي زهيدا يتناسب مع بيئته مثل التمر واللبن، ومن كان غنيا منهم يستخرج الخمر المصنوع من التمر.ولكن المجاعة

---

(١) وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه في تشرين عام ١٩٤٥م أصدرت دار (الكاتب المصري) للطباعة والنشر العدد الأول من مجلة أدبية شهيرة تدعى (الكاتب المصري) وقد أسندت هذه الدار التي كان يمتلكها أربعة أخوة من أسرة هواري اليهودية، رئاسة تحرير المجلة إلى الدكتور طه حسين الذي كان يتولى الإشراف على القسم الثقافي بالدار والذي كان يقوم بنشر المؤلفات والكتب المترجمة.

وقد أثير الكثير من اللغط حول هذه المجلة، وأتهمت من جانب صحف مصرية عديدة بأنها مجلة صهيونية ماسونية، فعلى سبيل المثال أعلنت مجلة (المقتطف) مقاطعتها للكتاب الذين ينشرون في (الكاتب المصري) واعتذرت في خطاب أرسله إسماعيل مظهر رئيس تحريرها إلى سلامة موسى عن نشر أحد موضوعاته لإتصاله بهذه المجلة.

وفي مقالة لطه حسين في هذه المجلة يصف فيها رحلة قام بها بالباخرة من الإسكندرية إلى بيروت، أبدى عطفه على المهاجرين اليهود الذين كانوا على ظهر السفينة إذ يقول: "حتى إذا بلغت السفينة حيفا.. كان المنظر الذي يبعث في النفس ألماً أي ألم، وغضباً أي غضب ورثاءً أي رثاء وبغضاً أي بغض، وحباً أي حب أيضاً.. فقد كانت السفينة تحمل ألفاً أو نحو ألف من ضعاف اليهود المهاجرين من الأطفال والصبية الذين لم يبلغوا الحلم ومن النساء الأيامى، منهن من فقدت كل شيء و لم تحتفظ حتى بهذا الأمل الضئيل الذي يرسم على الثغور هذه الإبتسامة الحزينة، ومنهن من فقدت كل شيء ولكن بين أحشائها حياة تثير في قلبها المكلوم أملاً ويأساً، ورضاء وسخطاً، ولذة وألماً".

وربما من يقرأ هذه الكلمات فسيتذكر فوراً ما كانت تردده أبواق الدعاية الصهيونية في أرجاء العالم لكسب العطف والتأييد للمشروع الصهيوني في فلسطين، وتنظيف الماضي الأسود لليهود خصوصاً وإن معظم الشعوب كانت تحتقر اليهود وتعدهم مخلوقات عديمة القيمة.

وانقطاع المطر كانت تهدد العربي وأسرته في كل وقت، بحيث أنها كانت تدفعه احيانا الى أكل نحاتة قرون الخراف وأظافرها، أو ان يفتح عرقا في جمل ليشرب دمه، وأحيانا أخرى اذا زاد به الجوع ربط حجرا على بطنه. وكان بعض الأعراب يذبحون الكلاب كقبيلة (أسد) أو يأكلون لحوم الناس كقبيلة (هذيل)".

هذه هي نظرة الدكتور المحترم للرجال الذين أعزهم الله واكرمهم وجعل فيهم منتهى الأخلاق والمكارم والصفات الحسنة وجعلهم أمنائه على الوحي ودفعهم ليكونوا صلة الوصل بين الله وأمم الأرض.

حولهم هذا الدكتور المحترم كذبا وبهتانا الى مجموعات متوحشة بدائية، متخلفة تأكل لحوم البشر، وتشرب دماء الحيوانات لتعتاش.

وقد قام هذا الدكتور باعتماد هذه المعلومات بناء على كتاب البخلاء للجاحظ، هذا الكتاب الذي وضع للهو والاضحاك والذي يقول فيه الجاحظ في الصفحة٢١٢:

"وهجا أحدهم ثوب بن شحمة بأكل لحم امرأة، وكان (ثوب) هذا أكرم نفسا عندهم من أن يطعم طعاما خبيثا، ولو مات عندهم جوعا ".

وهذا تعليق الجاحظ على هذه الفكاهة والذي عرضها في كتابه، ولكن الأدهى هو قول الجاحظ في نهاية كلامه في باب الممدوح والمذموم من الطعام:

"وهذا الباب يكثر ويطول فان أردته مجموعا فاطلبه في كتابي (الشعوبية)".

اذا لو رجعنا لكتاب الجاحظ (البخلاء) لوجدناه يحكي في الكلام عن الأطعمة الممدوحة والمذمومة وما كانت تهاجي به بعض القبائل كالتهاجي بأكل الكلاب وأكل الجراد وأكل الضيف وأكل المرأة، فهل وصل هذا التهاجي بالعبث والمبالغة عند الدكتور عبد المنعم ماجد الى مستوى اليقين والحقائق العلمية، وبالمقابل لا نجد الدكتور المحترم يتكلم عن الأحداث والوقائع الحقيقية المثبتة لدى الغربيين أنفسهم بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة

والتي تتحدث عن وحشيتهم وهمجيتهم واكلهم للحوم البشر، ففي أثناء الحملة الصليبية الاولى على بلاد المشرق العربي وبعد وصول الجيوش الصليبية إلى معرة النعمان، قاموا بإجتياح أسوارها وقتلوا عشرين ألفاً من سكانها والتهموا كثيراً من سكانها، فهاهو المؤرخ رودلف من كاين كتب يقول: "في المعرة قواتنا سلقت الكفار أحياءً في قدور الطهي، وخوزقوا الأطفال في أسياخ وشووهم على النار وأكلوهم"، كما كتب المطران برتولومي الذي رافق كولومبس في رحلته الثانية، فوثق بقلمه وحشية الإنسان الغربي وإنحطاطه، وكان مما كتبه: "كانت سياسة الإجتياح المسيحي عندما يدخلون قرية أن يرتكبوا مجزرة مخيفة ترتجف منها أوصال هذه النعاج المرهفة... وكانوا يجرّون الطفل الرضيع من بين يدي أمه، ويلوحون به في الهواء، ثم يخبطون رأسه في الحجر أو جذوع الشجر، أو يقذفون به بأقصى قوتهم في الهواء! وإذا جاعت كلابهم قطعوا لها أطراف أول طفل هندي يقابلونه! وكانوا يقتلون الطفل ويشوونه من اجل أن يأكلوا لحم كفيه وقدميه".

لقد أباح عبد المنعم ماجد لنفسه أن يردد آراء المتعصبين والحاقدين، وينشر أفكار الهدم والتدمير دون دليل أو برهان فشكك بتاريخ مولد النبي ﷺ ويزعم بأن المسيحية هي رسالة عامة وليست خاصة كاليهودية، فالمسيحية عامة لكل الناس أما الاسلام فهو رسالة خاصة للعرب من وجهة نظره اذ يقول واصفا النبي ﷺ:

"وهو وان كان قد أرسل الى العرب وحدهم الا أنه اعتبر نفسه مرسلا الى كافة الناس".

وهكذا فان الاسلام لديه خاصا بالعرب دون غيرهم، وهو يهاجم أي رأي منصف ولو كان لأحد المستشرقين فيقول:

"لا نوافق بعض المستشرقين في قولهم إن العرب كانوا مدفوعين نحو الفتوح بالحماسة الدينية فمن غير المعقول أن يخرج البدوي وهو لا يهتم بالدين - لنشر الاسلام".

فهو يرى بأن الفتوحات العربية الاسلامية كانت للسلب والنهب، ناسياً قول عباده بن الصامت للمقوقس:"إنما رغبتنا وهمتنا في الله واتباع رضوانه، وليس غزونا لعدونا ممن حارب الله لرغبة في دنيا، ولا طلب لأستكثار منها... لأن غاية أحدنا في الدنيا أكله يسد بها جوعته لليله ونهاره، وشملة يلتحفها... لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاؤها ليس برخاء، أنما النعيم والرخاء في الآخره"، وقول النعمان بن مقرن لكسرى مخاطباً إياه:"نحن ندعوكم الى ديننا، فإن أجبتم الى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم"، وفي ٥١هـ - ٦٧١ م، لما بدأ عقبة بن نافع رضي الله عنه في تخطيط مدينة القيروان، واجابه العرب الى ذلك، ولكنهم تخوفوا السباع والحيات، فقالوا لعقبة: انك أمرتنا بالبناء في شعارى وغياض لا ترام، ونحن نخاف من السباع والحيات وغير ذلك.

واستمع عقبة لكلام أصحابه، وكان معه ثمانية عشرة رجلا من الصحابة، وبقية جيشه من التابعين، وذهبوا جميعا الى موضع القيروان، ودعى عقبة وأصحابه يؤمنون ومضى عقبة الى السبخة ونادى: أيتها الحيات والسباع، نحن أصحاب رسول الله ﷺ فارحلوا عنا، فإنا نازلون، ومن وجدناه بعد هذا قتلناه.

ونظر الناس عندئذ الى أمر عجب، حتى رأوا السباع والحيات تخرج من بين الأشجار وهي تحمل أشبالها ونادى عقبة في أصحابه، كفوا عنهم حتى يرحلوا عنا.

ولما رحلت تلك الحيات والسباع، أمر أصحابه بالدخول وقطع الأشجار، ولما أتم المسلمون قطع الأشجار، شرع عقبة في تخطيط المدينة[1]. ولما وصل المجاهد البطل عقبة بن نافع الى البحر المحيط دخل في الماء حتى بلغ الماء بطن فرسه، ثم توجه الى السماء ورفع يديه، وقال: يا رب

(١) (البيان المغرب (١\٢٠)).

لـولا أن البحــر مـنعني لمضـيت في الـبلاد الى مســلك ذي القــرنين، مـدافعا عـن دينك، مقاتلا من كفر بك[1].

هــذه عينــة مــن النــاس الــذين وصــفهم الــدكتور عبـد المـنعم بـأنهم لم يخرجـوا للحـق وانمـا كـان خـروجهم للسـلب والنـهب!!!، ولـو أنـي قارنـت بـين هـذه المواقـف وبـين موقـف آخـر ولكـن مـن الطـرف الآخـر مـن العـالم لوجـدنا فرقـا مهـولا وخطـيرا، فهـذا هـو الفيلسـوف الفرنسـي (فـولتير) والـذي كـان قـد درس طـويلا العهـدين القـديم والجديـد والـذي قـاد لـواء الـدعوة في عصـره الى عقيـدة التوحيـد والـذي يقـول في كتابـه (يقـين أسـانيد الاسـلام) مخاطبـا قـراءه المسيحيين:

"كيـف تحقــرون كتابـا يـدعو الى الفضـيلة والزكـاة والرحمـة؟ كتابـا يجعـل الرضــوان الأعلــى جــزاء لمــن يعملــون الصــالحات وتتـوفر فـيهم الكمــالات الذاتية.

ان الذين يهاجمون القرآن لم يقرؤوه بعد..!"

وهـو يصـف أتبـاع محمـد ويـرد التـهم الموجهـة الى الاسـلام بأنـه ديـن مـادي في القاموس الفلسفي لفولتير طبعة سنة١٨٢٢م الجزء السادس صفحة٤ :

"أيهـا الأسـاقفة والرهبـان والقسـس، إذا فـرض علـيكم قـانون يحـرم تنـاول الطعـام مـن الرابعـة صـباحا حتـى العاشـرة مسـاءا في شـهر يوليـو - أي في وقـت الصـيف - عنـدما يحـل الصـيام في هـذا الشـهر... إذا حـرم علـيكم لعـب الميسـر وإلا اسـتهدفتم للعنـة الله... إذا حـرم علـيكم شـرب الخمـور والأنبـذة تحـت التهديـد بـالجزاء نفسـه... إذا فـرض علـيكم الحـج في صـحراء محرقـة... إذا فـرض علـيكم إعطـاء ٢,٥ ٪ مـن مـالكم للفقـراء... إذا كنـتم تتمتعـون بزوجـات تبلـغ ثمـاني عشـرة زوجـة أحيانـا فجـاء مـن يحـذف أربعـة عشـرة مـن هـذا العـدد... هـل يمكـنكم الإدعـاء مخلصـين بـأن هـذه الشـريعة شريعة لذات وجنس...؟"

---

(١) (البيان المغرب (٢٧\١)).

ولما كان الأوروبيون يتندرون برحلة قام بها محمد في السماء ويتخذون من ذلك الخبر مجالا للهزء والتكذيب فان فولتير يقول:

"إن هذه الرحلة لم يتحدث عنها القرآن، ومن ثم فلا مجال للاستناد اليها في انكار رسالته[1]. وقد هدم محمد الضلال السائد في العالم على عهده، وقام بالكفاح المفروض على الانسان لبلوغ الحقيقة ولكن يبدو أنه يوجد دائما من يعملون على استبقاء الباطل وحماية الخطأ!".

وكانت نتيجة هذه المواقف أن أصدر قرارا باباويا بحرمان فولتير، والذي كان يراد أن يكون عبرة لغيره، مما اضطر ابن أخيه أن يحتال ليواري جثته التراب بعد موته.

حتى جاءت الثورة الفرنسية فنقلت رفاته الى مقبرة العظماء، من هنا نرى أن اليهود والغرب المتصهين قد استطاعوا من تزوير التاريخ العربي والاسلامي وأخفوا كثيرا من معالمه، وشوهوا كثيرا من المفاهيم وحرفوا الكلام عن مواضعه، وكان هدفهم هو خداع وتضليل الأجيال الناشئة عن أصلها، وحرف مجرى التاريخ وأحداثه وأحكامه.

لقد صدق من قال: "ان الماضي ضروري جداً بالنسبة لنا كي نفهم حاضرنا، ونبني مستقبلنا"، لذلك فقد تظافرت جهود الشعوبية واليهود والغرب الصليبي على تمزيق التاريخ الاسلامي وتحريفه طوال قرون، ليكون في شكله الجديد عونا لهم في غزو العرب المسلمين ثقافيا وسياسيا وعسكريا واقتصاديا، ووضع هذه الأمة في قوالب وضعت بعناية وذكاء، حتى تتبدد خلالها رسالة القرآن وتتلاشى في هذا العالم، وغيب دور العرب المسلمين واطبق الصمت على فعالهم العظيمة وانجازاتهم الخالدة لاحقاق الحق وابطال الباطل، كما أوجدوا اناسا من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا وينتمون الى تراثنا نقلوا أكاذيب المستشرقين ومفتريات الناقمين على العرب والمسلمين، ودرسوها لأجيال العرب المسلمين، كتب الدكتور شوقي أبو خليل

(١) يظهر أن فولتير يشير الى (قصة المعراج) التي وردت في بعض الأحاديث.

رحمه الله في أحد كتيباته بعنوان (أيها المدعي أين الدليل؟) في الصفحة ٥٠ الآتي:

شبه الدكتور الجراح خالص جلبي في مقال له في صحيفة الحياة، عدد الثلاثاء ٢٧ \ ٨ \ ٢٠٠١ م، محمد الثاني (الفاتح) بشارون، وتكلم عن النتائج المدمرة على العالم الاسلامي من وراء هذا الفتح المبين للقسطنطينية.

ولو عاد الدكتور جلبي الى كتاب (الدعوة الى الاسلام) للسير توماس آرنولد – مثلا – صفحة ١٧٠ وما بعدها، لوجد: " ومن أولى الخطوات التي اتخذها محمد الثاني بعد سقوط القسطنطينية واعادة اقرار النظام فيها، أن يضمن ولاء المسيحيين، بأن أعلن نفسه حامي الكنيسة الاغريقية، فحرم اضطهاد المسيحيين تحريما قاطعا، ومنح البطريق الجديد مرسوما يضمن له ولاتباعه ولمرؤوسيه من الأساقفة حق التمتع بالامتيازات القديمة، والموارد والهبات التي كانوا يتمتعون بها في العهد السابق، وقد تسلم (جناديوس) أول بطريق بعد الفتح العثماني من يد السلطان نفسه عصا الأسقفية التي كانت رمز هذا المنصب... "

وفي صفحة ١٧١ : "ومن ثم أذيع منشور يكفل للأرثوذكس حق استخدام الكنائس"، ومنحهم حق الاحتفال بطقوسهم الدينية تبعا لعاداتهم القومية. حتى المؤرخ البيزنطي **Phrantzes** الذي كتب قصة سقوط القسطنطينية تحدث باعجاب عن تسامح المسلمين العثمانيين، وكتب مارتن كروسيوس بهذه الروح نفسها، ومما قاله:"ومن الغريب اننا لم نسمع مطلقاً أن شيئاً من الجرائم أو المظالم قد وقع من قبل المسلمين، على البقية الباقية في هذه المدينة الكبرى (القسطنطينية)، فالعدالة ممنوحة لكل فرد." فأي نتائج مدمرة على العالم الاسلامي من وراء هذا الفتح المبين؟ وهل يشبّه محمد الفاتح بشارون؟ مراجع الدكتور جلبي إعلامية، غايتها الاثارة – ان وثق – وليس المعرفة الرصينة والمعمقة، فلا معالجة علمية بل معالجة سطحية، المراجع فضائية امريكية من هنا، ومجلة

(ديرشبيكل) الالمانية من هناك، وكأنها كتابه المقدس، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها تنطق بالحقائق وتقدم البراهين، فالقول ما قالته حرام، مع العلم أن بينها وبين الحقائق التاريخية الموثوقة خرط القتاد.

كما كتب الدكتور شوقي أبو خليل في كتيبه (اخطاء تاريخية آن تصويبها) في الصفحة ٤٢ الآتي:

قدم كاتب لبناني اسمه حسن الأمين عام ١٩٩٥م كتابا عنوانه (صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين) خلاصته:

١- صلاح الدين عميل للصليبيين.

٢- صلاح الدين شارب خمر.

٣- وحطين معركة ثانوية بسيطة، (مناوشة محدودة) بينه وبين الصليبيين.

وفي الصفحة ٤٤ الى الصفحة ٤٨ من نفس الكتيب كتب الدكتور شوقي أبو خليل الآتي:

وهنا تذكرت شاعرنا المرحوم عمر أبو ريشة، القائل بوصف الجنرال غورو، حينما وقف قبر صلاح الدين، وقال له حرفيا بعد أن ضرب برجله ضريحه: " يا صلاح الدين أنت قلت لنا في إبان حروبك الصليبية: إنكم خرجتم من الشرق ولن تعودوا اليه، وها إننا قد عدنا، فانهض لترانا هاهنا، لقد ظفرنا باحتلال سورية "

قال عمر أبو ريشة مصورا هذا الموقف الأليم اللئيم:

رُب غازٍ أَذَلّ جَاءَ صَلاحَ الدّ ... ينِ في هَدْأَةِ الخُلُودِ المُهَابِ
هاتفاً في رِميمهِ الطُّهْرِ: إنّا ... هاهنا يا صلاحُ، يا لَلعابِ
إنّ للمَجْدِ دَمْعَةً حينَ يلقى ... جُثَّةَ الليثِ غُرْضَةً للكِلابِ

فسيرة صلاح الدين لا يكتبها حاقد عليه، لأنه أنهى الدولة العبيدية الفاطمية سنة ٥٦٧هـ \ ١١٧١م!!

وقراقوش بن عبد الله الأسدي، نائب صلاح الدين في الديار المصرية، كان هماما مولعا بالعمران، مجاهدا، تنسب اليه خطأ أحكام عجيبة، وابن خلكان يذكر أنها موضوعة، حاقد لم يماره قراقوش، ولم يستثنه في أمور أرادها، اسمه: أبو المكارم أسعد بن مهذب، الملقب بالخطير ابن مماتي، قبطي من الصعيد، ألف كتابا هجاه فيه، ونسب اليه زورا وبهتانا أحكاما عجيبة من خياله، سماه: (الفافوش في أحكام قراقوش)، منها: حكم قراقوش على رجل بالاعدام، فلم ينفذ به الموكل الحكم، فسأله قراقوش: لمَ لَمْ تنفذ الحكم وتشنق الرجل؟ فقال مجيبا: يا سيدي، المشنقة قصيرة، انه أطول منها، فقال قراقوش اشنق اثنين قصيري القامة بدلا منه.

واشتكى لقراقوش رجل له دين على مدينٍ لم يوفه له، فأرسل في اثر المدين، فلم يجدوه، وقال لهم واحد من جيرانه: إن المدين يبحث عن الدائن المشتكي فلا يجده، فأمر قراقوش بحبس الدائن حتى اشعار آخر، حتى اذا طلبه المدين وجده.

لقد أساء ابن مماتي لقراقوش وللحقيقة فصار الناس حتى يومنا هذا يقولون: هذا حكم قراقوش، لكل حكم غريب غير عادل، مع كل أسف وقراقوش منها براء، الى هنا ينتهي كلام الدكتور شوقي رحمة الله.

لقد حاول أعداء الأمه الى دس تلك السموم بمختلف الوسائل والطرق، وعلى كل المستويات، مستغلين أساليبهم الشيطانيه حتى وصلوا الى عقر منازلنا في غفلة منا، ففي أحد المرات وأثناء تقليبي للتلفاز هالني ما رأيته على شاشة أحد القنوات العربية في لبنان المملوكة لأحد الأشخاص الذي يعتبر نفسه عربيا مسلما مدافعا عن العرب المسلمين أثناء فترة بث القناة لبرامج الاطفال، ففوجئت بحلقة للأطفال تظهر ملكاً صليبيا بأجمل صورة وهو يقف على أسوار قلعته ينظر بحزن إلى الأفق، وقد امتلأت بجيش عرمرم من المسلمين الذين جاءوا لاحتلال هذه القلعة، وعلى رأس هذا الجيش رجل قبيح المنظر يبدو عليه البلاهة والغباء يكاد ينفجر من السمنة ويصرخ بجنده يطالبهم باحتلال هذه القلعة الصليبية وامامه مائدة الطعام وفمه ممتلئ به،

فتابعت الحلقة مدهوشاً من جرأة ووقاحة هذه المحطة العربية التي تبث لأبناء الامة هذه التفاهات رغبة مني بمعرفة النهاية والتي كانت باضطرار الملك الصليبي لمحاربة هذا الجيش الإسلامي الكبير بقلة من فرسانه بعد أن رفض قائد هذا الجيش الإسلامي المفاوضة أو المحاورة أو الرجوع، فقاتلهم قتالا شديدا كسر به شوكة الجيش الإسلامي الذي تمزق وفر أصحابه كالفئران لا يلوون على شيء وعلى رأسهم قائده الذي كان يركض بشكل هستيري مثير للضحك من شدة سمنته وهو يصرخ مولولاً طالبا النجدة!!! وتنتهي الحلقة برجوع الملك الصليبي مع رجاله إلى قلعته التي خرج كل من فيها يحيونهم ويباركونهم بعد أن انتصروا على الشر واهله.

هذا مثال بسيط من أمثلة كثيرة تعرض على شاشة هذه القناة وغيرها من القنوات التي تتكلم بلسان العرب وتدعي بأنها قنوات عربية إسلامية، يراها أبناؤنا دون رقيب أو حسيب فتترسخ تلك الصورة العفنه المشوهة في عقولهم الصغيرة الغضة، لتكبر مع الزمن ويكبر في داخلهم احتقارهم لأمتهم ولدينهم ولذواتهم.

ولما كان أطفالنا هم صانعوا الغد ومن سيحملون الرساله الكبرى في المستقبل، رسالة البناء والتنميه والتطوير والعلم والتنوير والنهوض بقيم العدل والحق والخير فلا بد لنا من أن نهتم بهم في كل الجوانب الاجتماعية والاخلاقية والتعليمية والصحية والنفسية دونما أي تهاون، ولا يجب الركون الى أي قطاع عام كان أو خاص لايتوفر فيه القدره على تقويم الآثار النفسية والفكرية والاخلاقية بالمستوى المطلوب، ولايجوز أن نقبل بأن تتحول مسألة ثقافة عقول النشيء العربي وبناء شخصياتهم الى سلعه حره للعرض والطلب في سوق التجاره، حتى لانمكن الامراض الفكريه والاخلاقيه والسلوكيه المستعصيه من التمكن من شخصية ابنائنا خصوصاً إذا ما علمنا أن الجزء الأكبر من شخصية الطفل تتكون في سنواته المبكره من عمره، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وجوب عدم الربط بين
عمل المؤمن وعمل الله

من الأخطاء الشائعة بين الناس، الإعتقاد بضرورة الربط بين عمل الإنسان وعمل الله عز وجل، لكننا لو دققنا في الامر لوجدنا أن في هذا الإعتقاد نوع من عدم الفهم لمعنى آيات الله في القرآن الكريم من قبل البعض، ذلك أن الله عز وجل كان قد رسم في آياته طرق واضحة المعالم، وأبان لنا الوسائل التي علينا إتباعها لبلوغ الغاية، والواجب على المؤمن الحقيقي إتباع تلك الطرق وإستخدام تلك الوسائل بغض النظر عن أي شيء آخر، فهذا هو عمله وهو المأمور بفعله وإن كان على المؤمن أن يسعى بعمله لنيل رضى الله عز وجل في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [التوبة:١٠٥].

وأما عمل الله فهو شيء آخر لا نعلمه ولا ندركه ولا يمكن لنا أن نتنبأ بمواقيته، فللعبد المؤمن عمله، ولله عز وجل عمله الذي لا يحيط بأبعاده أحد سواه، فلا حجة لأناس يتراخون عن أداء واجباتهم القرآنية ويتهاونون فيها بحجة أن العمل هو عمل الله، وأننا لسنا أكثر من مجرد عباد لا حول لهم ولا قوة يتلقون الأمر الإلهي بإستسلام كامل، فهذه النظرة العاجزة هي أبعد ما تكون عن امر الرحمن لنا في نهج القرآن وعمل خير الأنام محمد ﷺ.

ولا بد لنا هنا من الإشارة بأن رسول الله ﷺ وهو إمام كل مؤمن حقيقي كان قد أعطانا دروساً مهمة في وجوب العمل والأخذ بأسبابه بعد التوكل على الله دونما إنتظار أو ربط بعمل الذات الإلهية، ومن ذلك فعله ﷺ بمعركة بدر يوم أخذ رسول الله ﷺ جيشه، واتجه إلى أرض بدر قبل

عـدوه، ليختـار الأرض الـتي سـتتم عليهـا الموقعـة، وليضـع جيشـه في مواقـع إستراتيجية داخل أرض المعركة.

فاختـار الرسـول مكانًـا للنـزول فيـه في أرض بـدر، واسـتقر رسـول اللهﷺ في هذا المكان، وكان ذلك ليلة بدر.

ثـم جـاءه الصـحابي الحبـاب بـن المنـذر رضـي الله عنـه فقـال: يـا رسـول الله، أرأيـت هـذا المنـزل، أمنـزلاً أنزلكـه الله، لـيس لنـا أن نتقدمـه ولا نتـأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟

فقال ﷺ: "بل هو الرأي والحرب والمكيدة".

قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل.

وأضـاف الحبـاب: فـانهض حتـى نـأتي أدنـى مـاء مـن القـوم (قـريش)، فننزلـه ونغـوِّر (أي نخـرب) مـا وراءه مـن القُلُـب (جمـع قليـب، أي آبـار بـدر)، ثـم نبني عليه حوضًا فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون.

فقال الرسول ﷺ دون تردد: "لقد أشرت بالرأي".

وبالفعل غيّر مكانه الأول، ونزل في المكان الذي أشار به الحباب.

وفي هـذه الليلـة نـام الجميـع اطمئنانًـا بعـد أن أخـذوا كامـل اسـتعداداتهم للمعركـة، والوحيـد الـذي لم يـنم كـان رسـول الله ﷺ فقـد ظـل طـوال الليـل يدعو ويناجي ربه.

وقبـل بـدء المعركـة وبعـد أن اطمـئن ﷺ إلى تنظـيم الجـيش واتخـاذه كامـل التـدابير اللازمـة لتحقيـق النصـر وقـف ﷺ ليـدعو الله فيقـول: "اللّهُـمّ هَـذِه قُـرَيْشٌ قَـدْ أَقْبَلَـتْ بِخُيَلَائِهَـا وَفَخْرِهَـا، تُحَـادُّكَ وَتُكَـذِّبُ رَسُـولَكَ، اللّهُـمّ فَنَصْرُكَ الّذِي وَعَدْتَنِي، اللّهُمّ أَحِنْهِمُ الْغَدَاةَ".

وأثناء القتال كان شديد الابتهال إلى ربه، كان يرفع يده إلى السماء ويستقبل القبلة ويقول: "اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدُ فِي الأَرْضِ".

واستمر في دعائه وهو رافع يده حتى سقط رداؤه من على كتفيه، حتى أتاه الصديق رضي الله عنه فرفع الرداء من على الأرض، وألقاه على كتف الرسول ﷺ وقال له. وهو يمسك بكتفيه ﷺ: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربّك، فإنه سينجز لك ما وعدك.

وكان نصر الله لرسوله وللمؤمنين الذين أعدوا واستعدوا وأخذوا بأسباب النصر ومن ثم وقفوا يدعون الله.

وفي هذا الإطار دخل عمر بن الخطاب المسجد يوماً فوجد رجلاً لا عمل له فانتهره وضربه بالدرّة وحضه على العمل وقال له: من يعولك؟، قال: أخي، قال: أخوك أعبد منك، وقال حاضّاً على العمل والأخذ بالأسباب: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة.

فعمل المؤمن وجهده لازم لبناء الذات والوطن والأمة وهو ضرورة لا غنى عنها في كل وقت، لتغيير الظروف المحيطة به من حال إلى حال، فإذا ما جاء عمل الله في المدى القصير المنظور تمت الغاية، وإذا أراد الله لعمله أن لا تظهر نتائجه إلا في المدى البعيد، لم يدخل اليأس ولا الخذلان من روح الله في عقل وقلب المؤمن، وإنما يقوم بالإستمرار بعمله كما أمر الله ويعتبره نضالاً واجباً، فلا يكفي أن ندعوا فقط إلى الحق والعدل والخير إلخ، بل يجب أن يكون هناك عمل إيماني جماعي يبذل التضحيات ويعد العدة ويصمد في وجه الصعوبات ويستمر في الكفاح، هذا عمل العبد المؤمن الذي لا يتعب من المحاولة والذي يصبح في أثناء مسيرته أكثر كفاءة وأكثر قدرة على تحمل المسؤوليات، والذي يحافظ على القواعد السليمة التي تقيم المجتمع الرباني العادل وتصونه.

وكان أمر الله عز وجل لعباده المؤمنين واضحاً جلياً في القرآن بضرورة العمل الذي يعطيهم القدرة على تجاوز الذات والعقبات، وأيضاً إيجاد الوسائل والسبل للمضي قدماً في طريق الحق لبناء المجتمع الإنساني الحضاري العادل المتحرر من قيود العبودية والظلم والمتجاوز لعوائق المجتمعات الفاسدة والمنغمسة في ضلالها وانحرافها.

ومثال ذلك ما حدث في القسطنطينية إذ جاشت في نفوس كثير من قادة المسلمين على مر الأيام والحقب الرغبة إلى نيل بشارة رسول الله ﷺ والتي قال فيها: "لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش"[1].

وهكذا فقد كان حماس أولئك المؤمنين عظيماً، ورغبتهم في الجهاد لنيل النصر كبيراً، فأخلصوا النية ووثقوا بالنصر المؤزر وأخذوا بأسبابه، وتطلعوا إلى المثوبة العظمى من الله سبحانه، ولكن بالرغم مما أعده العرب المسلمون من كثرة الجند وعظم العدة في البر والبحر، وما أظهروه من قوة العزم والبسالة في الحصار، فقد كانت لأسوار القسطنطينية المنيعة ونيرانها الفتاكة ميزة السبق وإنهاء الحصار، ومع هذا لم تفتر الحماسة في نفوس المؤمنين ولم يتبخر الحلم من عقولهم، فكانت النتيجة الحتمية لكل هذا أن منّ الله على عبادة المؤمنين بفتح هذه الأرض، بعد أن استمر هذا الأمل الغالي يراود الأمة ثمانية قرون، وأنا هنا أتساءل، هل كان فتح القسطنطينية سيتم، لو أنه في تلك الأزمان وجد أناس متواكلون، وهل كانت جيوش العرب المسلمين ستحرر بيت المقدس من دنس الاحتلال الصليبي لو كانوا يومها متباكين متخاذلين، بل هل كانت راية الاسلام العربي الرياني ستعم العالم من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه لو أن من قاموا بهذا الأمر اكتفوا بالقعود في بيوتهم وحناجرهم قد بحت من الدعاء منتظرين نصر الله الموعود؟!!.

---

(١) رواه الإمام أحمد والحاكم عن بشر الغنوي، كما في كنز العمال.

إن أولئك الذين يفاوضون الله بأعمالهم، فإن أعطاهم مبتغاهم عبدوه وإن منعهم عصوه فهم أبعد ما يكونوا عن الفهم القرآني السليم، يقول تعالى: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [الحجرات:١٧].

وما تمنيات أولئك الذين يرفعون الأكف طالبين من الله النصر والنصرة والخير والبركة والتقدم والنجاح والعلو في الأرض، وهم المتخاذلون عن الأخذ بأسباب كل هذا، إلا تمنيات تافهة غير مفيدة وبلا طائل، وبماذا يختلف هذا الفكر والذي أصبح منتشراً في أمة العرب المسلمين وهذا السلوك الذي أصبح متبعاً بينهم عن حال قوم موسى عليه السلام يوم قالوا له: (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) [المائدة:٢٤].

أحسب أنه لا يختلف كثيراً، لذلك أظن أن هناك حاجة ملحة لعلاقة أوثق بين الرجاء والعمل وبين التمني والسعي، وعلى المؤمن الحقيقي أن يفهم هذا جيداً فيقوم بواجبه كاملاً دون انتظار أو تأخير، مطلقاً في نفسه روح العزيمة والمثابرة، بدلاً من مشاعر الكسل والخذلان.

فالمؤمن الحقيقي هو أحد ثلاثة، أما الأول فهو المفكر والباحث الذي ينهض بالأمة عقلاً وروحاً ويقودها في طريق الحق والعدل والخير، وأما الثاني فهو الذي ينصر قضية الأمة ويدعمها ويشد أزرها بالمال، والثالث هو ذلك الذي يعز الأمة بجهاد الجسد فيثبت أركانها ويرد عنها كل معتد وطامع، وقد يجتمعون جميعاً في شخص واحد ككثير من صحابة رسول الله، فإذا بقي بعد ذلك شخص مؤمن لا تنطبق عليه هذه الصفات فعلينا أن نعلم أنه شخص عاجز فاقد للقدرات والإمكانيات العقلية والمادية والجسدية وهذا تسقط عنه كل التكاليف ويحق له أن يجعل من الدعاء سلاحه وملجأه، ويقبل منه، أما أن يقف الجميع باختلاف قدراتهم وإمكانياتهم ليجعلوا من الدعاء وحده دون سواه طريقهم وملجأهم للتغيير وتحقيق الأماني فهذا ما لن يقبل منهم أبداً، لأن ذلك مخالف لأمر الله عز وجل والذي أمرنا بالعمل والإعداد والتهيئة، وعدم الركون إلى التكاسل

والتواكل والذي يؤدي إلى الإستكانة والهزيمة والخذلان، يقول رسول الله ﷺ: " لا تزولُ قدَمَا عبد يومَ القيامة ، حتى يُسألَ عن أربع: عن عُمُره فيمَ أفناه؟ وعن علْمه ما عمل به؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاَهَ؟ "[١].

إذاً فالمؤمن الحقيقي كما أراده الله هو صاحب فكر بناء وليس كتلة مهملة مسلوبة العقل والإرادة فهو لا يحيد عن الحق، قوي الإيمان بمبادئه، عطاءه متدفق كالنهر الجاري دون صخب، يقاتل في سبيل قضية دون تحجر، وهو الذي يتفاعل مع كل التطورات من حوله ويسخرها لتساعده للوصول إلى هدفه، وبالمحصلة فالمؤمن هو ذلك الذي يقوم بعمله ولا يؤمن بالمستحيل وليس الذي يكفتي بالندب والعويل.

(١) [رواه الترمذي وصححه عن أبي برزة الأسلمي]

ما معنى لفظة الأعراب في القرآن الكريم

(وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [التوبة: ٩٠]

(الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [التوبة: ٩٧]

(وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [التوبة: ٩٨]

(وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [التوبة: ٩٩]

(وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١) وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [التوبة: ١٠١-١٠٢]

(مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) [التوبة: ١٢٠]

(يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا) [الأحزاب: ٢٠]

(سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) [الفتح:١١].

(قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) [الفتح: ١٦]

(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [الحجرات: ١٤].

لو أننا تأملنا جيدا في هذه الآيات الكريمة لوجدنا أن لفظ (الأعراب) جاء معاكسا بمعناها لكلمة (العربي)، فالاعرابي في القرآن الكريم هو ذلك الشخص الذي يدعي بأنه عربي أي (رباني) يمشي على النهج الالهي القويم بالقول فقط ولكن فعله يؤكد بأنه عكس ذلك تماما، كما وان الخطاب في الآيات السابقة موجه الى كل الناس على العموم من أهل الحضر والبادية وليس كما فهم المفسرين من هذا اللفظ بأنه موجه الى أهل البادية خصيصا فحصروه فيهم، ففي القرآن الكريم ذكر واضح للبدو بشكل منفصل عن الأعراب قال تعالى: (وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ) [يوسف: ١٠٠] ومن المعلوم أن العرب كانوا يرسلون أبناءهم الى الباديه ليتعلموا فيها الشجاعة والإقدام والفصاحة والأخلاق الكريمة والأمانة وكل ما من شأنه أن يرتقي بهم أخلاقيا وجسديا، وقد أوصى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأهل الباديه خيرا فقال:"أوصيكم بأهل البادية خيرا فإنهم أصل العرب ومادة الأسلام"، فهل كان العرب سيخاطرون بأرسال أبناءهم الى البادية ليتعلموا فيها الكذب والنفاق والكفر وفساد الطويه(١)، ومما يروى في ذلك انه لما قدم عماره بن عقيل من الباديه الى الحضر، وهو أفصح الناس، وأحسنهم هديا وقصدا، صحيح الدين، ليس عنده من المجون والسخف شيء، فما رجع الى الباديه وهو مؤمن بحرف من كتاب

الله، وذلك انه وقع الى قوم يقولون بالدهر، فعاشرهم فأفسدوا عليه دينه، فكان بعد ذلك لا يرجع الى شيء من أمور الدين.

ومن الواجب التنويه إلى أن لفظة الأعراب هي لفظة قرآنية بحتة لم تكن موجودة أو متداولة عند العرب في ما يسمى بالعصر الجاهلي، لكن يبدو أن هذا اللبس في الفهم بدأ في زمن الدولة العباسية ذلك أنه لما تم للأعاجم التغلغل والسيطرة على الدولة العربية الاسلامية من الداخل وبدأت محاولات حرف المسار كما ذكرنا سابقا، سعى هؤلاء لتشويه صورة العرب المسلمين والانتقام منهم بان رسخوا مفهوما جديدا وجعلوا الأعراب هم البداة واغلقوا الدائرة عليهم ولما كانوا يكيدون للاسلام والسعي للنيل من تعاليمه فروجوا لهذه التفاسير وعملوا بدهاء والحاح على هبوط المستوى العقلي للعرب المسلمين حتى حولوا الدين الى قشور وأوهام بين الدهماء.

ولما قل الفقهاء الواعون وكثر أشباه العلماء الذين يدعون العلم والمعرفه والذين هم أشد خطراً على العرب المسلمين من الجهلة أنفسهم، فالجاهل اذا قدر له أناس يدلونه على الحق والهدايه لربما قبل النصيحة وأصطلح حاله، أما نصف الجاهل فأنه يرى في نفسه كمال العلم وتمام المعرفه، ولا يمكن له أن يقتنع بأنه بحاجة الى أصلاح وتعليم وإرشاد، ولما كثر الحكام الجائرون، فكانت محاولات العرب المسلمين أن يفيقوا من غفلتهم ويثوبوا الى رشدهم تواجه بسعي أعداءهم الدائم الى امدادهم بأناس يفرضون أنفسهم على الاسلام بغية الاجهاز عليه من داخله، لا شيء يملكونه الا ما ورثوه عن مسيلمة الكذاب[1] ومن دار في فلكه، وكانت الغاية هي الاطاحة برسالة الحق التي تنزلت على محمد ﷺ تحت عناوين مفتعلة وافراغ الاسلام من محتواه وصرف الناس عنه يقول تعالى:

---

(١) قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " قصم ظهري رجلان، عالم متهتك و جاهل متنسك، هذا يفتي ويغير دين الناس بتهتكه، وهذا يضل الناس بتنسكه ".

(وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة:٤٢]، وبهذا المعنى علينا أن نتخيل كثرة الأعراب في هذا الزمان، الذين يدعون الحق ويعملون بالباطل، يطلبون الخير وهم يقطعون أرحامهم وينتهكون حرماتهم ويأكلون حقوق الناس ويسعون لنشر الرذيلة والفساد والغدر والخيانة فيمشون بعكس الاتجاه الرياني تماما، قال النبي ﷺ: (سيأتي زمان على أمتي يحبون خمسا وينسون خمسا: يحبون الدنيا وينسون العقبى، يحبون الدور وينسون القبور، ويحبون المال وينسون الحساب، يحبون العيال وينسون الحق، ويحبون النفس وينسون الله، هم مني براء وانا منهم بريء)، فليس أخطر من رجل يكفر بنهج السماء الا رجل يسعى ليقيم على الأرض نهجه، يقول تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) [الحج:٦٢].

الفرق بين اليهود وبني إسرائيل في القرآن الكريم

لقد كان العقل العربي الاسلامي يألف الحرية والبحث ويأنف من التبعية، وكان يحسن الحكم والموازنة والاستنباط، ولكن هذا العقل انطفأ وهجه وذهبت حدته ويحق لي ولغيري أن أندب هذا العقل العربي الاسلامي الذي كان يستمع القول فيتبع أحسنه، والذي كان يتوعد بالنكال الجامدين على مواريث الخطأ، لأنه كان قد وعي قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥) [الزخرف: ٢٣-٢٥].

فعندما يصل العقل الانساني لهذه الدرجة من السذاجة والبلاهة، فهو يفقد بالتأكيد احترامه ويصبح عاجزا عن اقامة العدل أو تقرير الحقيقة أو ضمان أي مصلحة، فكان يؤسفني ويحزنني أن أسمع كثيرا ممن سألتهم وهم من أهل العلم والثقافة وحتى أهل التدين يؤكدون لي بأن اليهود هم نفسهم بني اسرائيل، مع العلم أننا لو قرأنا في كتاب الله وهو أصل البلاغة والحق والحقيقة لوجدنا بأن لكل لفظ فيه معنى وهدف وغاية، وفيه تفريق واضح بين اليهود وبني اسرائيل، قال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) [المائدة: ٦٤].

وهنا نجد أن الله تعالى قد شمل كل اليهود بدون استثناء باللعن، إذ أن دخول الألف واللام على لفظة (يهود) يعني أن هذا القول هو قول كل اليهود، فكيف يلعن الله في القرآن الكريم اليهود ثم يقول لهم عز وجل (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا

فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) [الأعراف: ١٣٧].

وهنا تأكيد واضح على أن المقصود هم كل بني إسرائيل وان الكلمة الحسنى قد شملتهم جميعاً، وليس اليهود وكيف يقول الله تعالى: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) [المائدة: ٨٢]

فيعلن الله في هذه الآية الكريمة أن كل اليهود كانوا وما زالوا، وسيبقون أعداء للحق وللذين آمنوا ثم يعطيهم الكتاب والحكم والنبوة ويفضلهم على العالمين، يقول تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) [الجاثية: ١٦].

فكيف قبل العرب المسلمون أن يغلقوا عقولهم وأن يفسروا قرآنهم وفق روايات اليهود ووثائقهم المزورة وكتابهم المشوه، ألم يقل الله تعالى: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) [البقرة: ٧٩].

لقد عمل اليهود على دمج أنفسهم ببني إسرائيل وسرقة تراثهم ودورهم، وذهب كثير من المفسرين لينقلوا عن اليهود كثيرا من الأخبار والقصص، فكيف يصح أن نأخذ ممن وضعوا الكتب ونسبوها الى الله كذباً وزوراً ونجعل منها سببا للبيان والدلالة، وهل يصح أن نصدق أن رسول الله ﷺ كان جاهلاً ليوم عاشوراء وأنه كما جاء في بعض الأحاديث الموضوعة أنه عندما قدم عليه الصلاة والسلام الى المدينة المنورة وجد اليهود يحتفلون بها، فسأل اليهود، فقالوا: هذا يوم نجى به الله سبحانه وتعالى، موسى من فرعون، فقال عليه الصلاة والسلام: نحن أحق به من يهود، فطلب من المسلمين صيامه.!! فكيف يمكن لأصحاب العقول السوية أن يصدقوا مثل هذا الكلام والذي يشير بشكل غير مباشر الى أن رسول الله

ﷺ كان يستقي أخباره من اليهود وليس من الله سبحانه وتعالى، علماً بأن الثابت تاريخياً أن العرب كانت تصوم يوم عاشوراء قبل الإسلام، وكذلك فعل رسول الله قبل البعثة النبوية الشريفة، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: " كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله يصومه في الجاهلية، فلما قدم المدينة صامه وامر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه"[1].

ولو دققنا في الآيات لوجدنا أن الخطاب الموجه لمن انحرف من بني إسرائيل جاء مغايراً عن الخطاب الموجه لليهود، ففي حين أن القرآن الكريم قد شمل كل اليهود ووضعهم في خانة واحدة من اللعن والعداء، نراه قد ميز في خطابه لبني إسرائيل عندما قال تعالى: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) [المائدة: ٧٨].

ليبين أن المقصود ليس الكل من بني إسرائيل بل البعض ممن ضل الطريق وتاه عن مسار الحق من بني إسرائيل، فلماذا انساق العرب المسلمون وراء روايات اليهود ومقولاتهم وكيف قبلوا على أنفسهم أن يستشهدوا بتوراتهم المكتوبة بأيديهم، ويتركوا كلام الله الحق الواضح المبين في القرآن الكريم والذي يبطل كل ادعاءات اليهود ومقولاتهم.

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ، أحدثُ تقرؤنه محضاً لم يُشَبْ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيّروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم".

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم.

والأخطر من كل ذلك أن يذهب بعض المفسرين والذين كان بعضهم من أصل يهودي، ليفسروا القرآن الكريم من خلال الرواية اليهودية ومن ذلك مثلا أن أخذ المفسرين للقرآن بالرواية اليهودية بتفسيريهم لكتاب الله والتي تقول بأن سيدنا يعقوب هو نفسه إسرائيل وهو حفيد سيدنا ابراهيم، فاليهود الذين يدعون كذبا وزورا بأن لهم حقا في فلسطين وغيرها من الأراضي بناء على وعد إلهي لإبراهيم عليه السلام يقولون في توراتهم [سفر التكوين ١٢\٧] (وظهر الرب لابرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض) كما جاء في السفر نفسه [سفر التكوين ١٣\١٤-١٥] (وقال الرب لابرام بعد اعتزال لوط عنه. ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك الى الأبد) بينما يقول الله عز وجل في قرآنه: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) [آل عمران: ٦٧-٦٨].

مما يعني أحقية العرب المسلمين بهذا الوعد المزعوم ثم تبين التوراة انتقال الوعد الى اسحق عليه السلام ولنسله من بعده ففي [سفر التكوين ١٧\١٩-٢١] (فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق. وأقيم عهدي معه عهدا أبديا لنسله من بعده. وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا. اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة. ولكن عهدي مع اسحق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية) ثم ينتقل هذا الوعد مجددا في توراتهم الى يعقوب عليه السلام فجاء في [سفر التكوين ٣٥\٩-١٢] (وظهر الله ليعقوب أيضا حين جاء من فدان آرام وباركه. وقال له الله اسمك يعقوب. لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل... والأرض التي أعطيت ابراهيم واسحاق لك أعطيها. ولنسلك من بعدك أعطي هذه الأرض)، بينما في القرآن الكريم نجد أن ذرية ابراهيم هي غير ذرية اسرائيل، قال تعالى: (وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ

أَيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) [مريم: ٥٨]، فالواو هنا واو العطف والمغايرة ولو كان إسرائيل هو من ذرية ابراهيم فلماذا تم ذكره هنا ولم يذكر سيدنا اسماعيل واسحاق عليهم السلام وهما من ذرية سيدنا ابراهيم، كما وأن خطاب الله سبحانه وتعالى لنا واضح لا لبس فيه، فهو يروي لنا قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام إذ يقول الحق عز وجل: (قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا) [مريم: ٤٦-٤٩]، وهنا نجد أن هبة الله عز وجل لسيدنا ابراهيم كان سيدنا اسحاق ويعقوب عليهم السلام، فيعقوب هو أخ اسحاق وليس ولده كما جاء في الرواية اليهودية والتي أخذها بعض المفسرين لكتاب الله إما جهلا وإما عمدا وأيضا قوله تعالى:(وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ) [الأنبياء: ٧٢] تأكيدا على ذكر يعقوب وليس إسرائيل مما يعني أن لا علاقة لإسرائيل بذرية ابراهيم، وللتبيان فإن بني إسرائيل هم العرب القدماء وهم منبع لكل تلك الشعوب التي انتشرت على بطاح الأرض العربية من سومريين، وان حاولت الصهيونية العالمية أن تعطي انطباعا من خلال تزييفها وتشويهها للتاريخ بأن السومريين قد جاءوا من خارج هذه البلاد ووضعوا نظريات لذلك، حتى يتمكنوا من ايجاد موطئ قدم لليهود في تاريخ هذه الأرض[1]، وبأنهم موجودون منذ القدم فيها، فأرادوا أن

---

(١) لقد اهتمت الصهيونية بإعادة كتابة التاريخ العالمي ليتوافق مع المنظور التوراتي التلمودي، وفي سبيل ذلك قامت الصحافة اليهودية بتكثيف نشر الموضوعات المتخصصة في التاريخ، سواء على شكل سلسلة مقالات أو على شكل عرض لبعض الكتب الخاصة بتاريخ اليهود مثل كتاب (تاريخ بني إسرائيل) للمؤرخ اليهودي (سيمون دوبنوف) وكتاب (تاريخ اليهود الماران في البرتغال ماضيهم وحاضرهم) لناحوم سلوشتس، كما وأنشأت مؤسسات يهودية بهدف إحياء ما يسمى بالتاريخ اليهودي مثل (جمعية مصر للدراسات التاريخية اليهودية) التي تأسست عام ١٩٢٥م، وأخرجت إلى حيز الوجود الكثير من النشرات والمجلات، ونظمت الكثير من المحاضرات التاريخية والتي كانت تهدف في مجملها إلى:

١- تنظيف اليهود مما عرف عنهم على مر التاريخ من مساوء وصفات وضيعة وتهم مشينة.

٢-العمل على الإيحاء بتفوق اليهود ونبوغهم وتصوير أنهم قدموا خدمات جليلة للحضارات الإنسانية، وإعطائهم أدوار أساسية في تلك الحضارات مما يمكنهم بالقول بحقوق تاريخية مزعومة لهم في أرض فلسطين المحتلة.

يصفوا الشعب السومري بأنه شعب غريب مهاجر حط في أرض الرافدين بعد أن غادر وطنه الأصلي الذي يقع في مكان ما من آسيا حسب زعمهم، الا أن الدراسات الجادة والعلمية تؤكد بأن السومريين هم من العرب الذي جاءوا من شبه الجزيرة العربية، وكذلك الكلدان والحيثيين والآشوريين والعموريين والكنعانيين والآراميين والبابليين والذين هم في الحقيقة من القبائل العربية القديمة والتي انتشرت من الجزيرة العربية في بلاد الرافدين وبلاد الشام، يقول الباحث الفرنسي بيير روسّي: " إنه هوسنا (الأوروبيين) هو الذي فرق بين شعب إلى شعوب كالمؤابيين والعموريين والكنعانيين والآراميين والسوريين... إلخ، لماذا؟ لأننا نريد أن نميز فيهم خصوصيات عرقية أو طائفية تجبرنا على أن نضع بينها العبرانيين"[1]، فإذاً لا علاقة لليهود بهذه الأرض العربية ولا أساس لهم فيها، بل كانوا دوماً عوناً للغزاة المستعمرين لهذه الأرض، كانوا كذلك في زمن الروم والفرس ومن قبلهم اليونان، وتلك الأقوال التي تشير الى وجود ما أطلقوا عليهم قبائل بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع لم تثبتها دراسات علمية جادة، وانما جاءت بها كتب السيرة والتي كتب كثير منها بأيدي غير العرب، فلم يثبت بأن هناك قبائل يهودية ولكن كان هناك تجمعات بشرية بسيطة من اليهود في قرى حول المدينة المنورة، وكانوا مهنيين يعتاشون على خدمة أهل المدينة بالمهن التي كان العرب يأنفون العمل بها، ولم يكن مسموحا لهم مساكنة أهل المدينة.

وكان أول دخول اليهود لهذه الأرض العربية عن طريق جلبهم عبيدا ليخدموا العرب من بني إسرائيل في بلاد العراق والرافدين، بعد ان تم أسرهم وجلبهم من شمال الهند وغربي الصين من منطقة سفوح الهمالايا فعندما كانت الأوبئة والطواعين وغيرها من الأمراض الفتاكة تحصد الناس في ذلك الزمان، كان الملوك العرب يهيئون حملات لجلب العبيد والأسرى

٣- العمل من خلال تزوير التاريخ إلى الإدعاء بأن اليهود هم أمة واحدة والسعي لخلق شبه رابطة معنوية توحد بين يهود العالم.

(١) بيير روسّي - مدينة ايزيس التاريخ الحقيقي للعرب - ترجمة فريد جحا صفحة ٦٩.

لاستخدامهم في فلاحة الأراضي التي يخشى عليها أن تبور وكانت مسألة الأسر شائعة في تلك الأزمان البعيدة، وابن بطوطة في رحلته المشهورة كان قد حدثنا عن زيارته لمعابد السامرة في شمالي وغرب الصين عندما تجاوز الحدود الهندية الصينية، تلك المعابد التي تؤكد على المنشأ المجوسي لليهود وعلى صلتهم بالوثنية وتحدث عن عادات وتقاليد أهل تلك المناطق والتي تنطبق على عادات وتقاليد اليهود تماما، وكذلك التطابق والتشابه الكبير بين اليهود والغجر والذين أكدت الدراسات وعلم تاريخ الشعوب وسلالاتها بشكل قاطع واجمعت على ان منشأهم من سفوح جبال الهمالايا في الهند، ولو أجرينا مقارنة بين الطرفين لوجدنا التشابه الشديد بين أشكال وأمراض وعادات واعياد الغجر واليهود بل حتى في تيههم ونظرتهم للإله الذي صمموه على هواهم ونظرتهم للعالم ولغتهم، لذلك فمن المؤكد أن اليهود ليسوا بعرب وهذا ما يفسر لنا سبب اعتماد كل المحتلين للأرض العربية منذ القدم وعلى طول الحقب وصولا الى زمننا هذا على اليهود الحاقدين والكارهين للعرب الموحدين باعتبارهم أناس غرباء عن هذه الأرض وأهلها لذلك لا ولاء ولا انتماء لهم الا لمصالحهم الخاصة، فاذا لم يكن هناك يوما يهود عرب ولكن كانت في فترة من فترات التاريخ الأسود قبائل عربية أجبرت على التهود تحت القهر من قبل دول كأثينا أو روما أو فارس، ولهذا فقد عمد اليهود دوما لايجاد موضع قدم لهم في تاريخ المنطقة من خلال اختراع اكاذيب وخلق أدلة لا يمكن أن تقنع الا البلهاء من الناس من خلال ايجاد ما سمي بمخطوطات البحر الميت وغيرها، بالاضافة لسرقتهم وسطوهم على التراث العربي القديم واللغة السريانية العربية بعد أن أضافو اليها وحوروا فيها بعض الألفاظ واخترعوا اسما جديدا لها بعد التحريف فصارت (العربية) (العبرية) بل وجعلوها كما ادعوا عروس اللغات السامية ونسبوها اليهم، وحتى أعياد العرب المسلمين لم تسلم من جشع اليهود وأطماعهم فصار عيد (الفطر) عند المسلمين الى عيد (الفطير) عندهم.

وإسرائيل تعني (أسير - إيل) أي عبد الله، ولفظة عرب تعني بالتحليل (ع - رب) والتي تعني الاعتماد والتوكل على الرب أو تفيد الصدور عن رب العالمين أي فطرة الله.

فبنو إسرائيل والعرب يحملون نفس المدلول ونفس المعنى وإن كانت التسميات جاءت في أزمان مختلفة، فكان العرب هم بنو إسرائيل، الذين وصفهم القرآن الكريم في محكم تنزيله في كل مرة ذكر فيها بني إسرائيل.

ومن هنا نتفهم قول رسول الله ﷺ (أخرجوا اليهود من جزيرة العرب) وهذا الأمر قائم الى يوم الدين، فلا يجوز أن نقبل بوجود اليهود على أرض العرب تحت أي ظرف من الظروف[1]، وفي أي بقعة من بقاعها خصوصا وأن ليس لليهود أي علاقة بالعرب لا من قريب ولا من بعيد، فهم كما ذكرنا مجرد دخلاء متطفلين ولا علاقة لهم بالتوحيد أساسا فهم يؤمنون بالههم الذي يسمونة (يهوا) والذي يختلف اختلافا جذريا في مواصفاته عن رب العالمين الذي يؤمن به المسلمون، فالدراس للعقيدة اليهودية يتفاجأ بصفات اله اليهود (يهوا) في المعتقد اليهودي، فهي تصفه بصفات بشرية يتقمص فيها الصورة البشرية فهو في توراتهم كان قد جاء على شكل انسان وتصارع مع يعقوب عليه السلام الذي انتصر على الإله وغلبه ورفض أن يطلق صراحه قبل أن يباركه ففي [سفر التكوين ٣٢\٢٤-٢٩] (فبقي يعقوب وحده. وصارعه انسان حتى طلوع الفجر. فقال لا أطلقك إن لم تباركني. فقال له ما اسمك. فقال يعقوب. ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه. فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر. فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل. لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي. وباركه هناك).

---

(١) يقول ابن حوقل في كتابه (الأرض): كل أرض وطئها العرب تسمى بجزيرة العرب.

كما أنه يخطئ ويندم ويتوب ففي [سفر الخروج ٣٢ \ ١٤] (فندم الرب على الشر الذي قال أنه يفعله بشعبه) وغيرها من الصفات التي ألصقها اليهود بالإله، فهو قاس ومدمر مملوء بالعنف والوحشية لا يعرف الرحمة أو الشفقة أما في التلمود فوصف الإله لا يقل انحرافا ولا تشويها عنه في التوراة فيصف التلمود عمل الإله في النهار بقوله (إن النهار إثنتا عشرة ساعة: في الثلاث الأولى يجلس الله ويطالع الشريعة، في الثلاث الثانية يحكم، وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم، وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك) – (أما في الليل فعمله هو تعلم التلمود مع الملائكة ومع أسموديه ملك الشياطين، حيث يجتمعون في مدرسة السماء فينزل ملك الشياطين بعد نهاية هذه الندوة الإلهية الملائكية الشيطانية ليصعد في اليوم التالي)[1].

(وقد تغير هذا النظام بعد أن قدر الله هدم الهيكل وتشريد بني إسرائيل. فقد اعترف الإله بخطأه في هذا الصدد وندم على ما فعله. وخصص ثلاثة أرباع الليل للبكاء والندم. وكان إذا بكى سقطت من عينيه دمعتان في البحر فيسمع دويهما من في الآفاق. وتضرب المياه وترتجف الأرض فتنجم عن ذلك الزلازل) ويزعم التلمود أن الله يردد في أثناء بكاءه ونحيبه عبارات تدل على ندمه مما فعل فيقول (تبأ لي أمرت بخراب بيتي وإحراق الهيكل وتشريد أولادي) ويقول حينما يسمع الناس يمجدونه (طوبى لمن مجده الناس وهو مستحق لذلك، وويل للأب الذي يمجده أبناؤه مع عدم استحقاقه لذلك لأنه قد قضى عليهم بالتشريد والشقاء)[2].

هذا هو إله اليهود في فكرهم ومعتقدهم وإذا كان الإله نفسه – تعالى الله عما يقولون ويصفون – لم يسلم من كل هذه الإساءات والتشويه فلك أن تتخيل طبيعة مزاعمهم في الأنبياء والرسل ففي [سفر التكوين ٩ \ ٢٠ – ٢١] (وابتداء نوح يكون فلاحا وغرس كرما. وشرب من الخمر وتعرى

(١) روهلنج (اليهودي على حسب التلمود) القسم الأول من الكنز المرصود في قواعد التلمود.

(٢) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام – للدكتور علي عبد الواحد وافي – الصفحة ٢٨

داخل خباءه) هذا عن سيدنا نوح عليه السلام أما عن سيدنا لوط عليه السلام فقد كتب في [سفر التكوين ١٩ \ ٣٠-٣٨] (وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه. لأنه خاف أن يسكن في صوغر. فسكن في المغارة هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه. فنحيي من أبينا نسلا فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة. ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي. نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلي اضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلا. فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة أيضا. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما. فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب وهو أبو الموآبيين الى اليوم.

والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمّي. وهو أبو بني عمون الى اليوم) كما أنهم نسبوا الى ابراهيم عليه السلام بأنه قد تاجر بزوجته الجميلة سارة مقابل المكاسب المادية ففي [سفر التكوين ١٢ \ ١١-١٦] (وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر. فيكون اذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك. قولي انك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك. فحدث لما دخل ابرام الى مصر أن المصريين رأوا المرأة إنها حسنة جدا. ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون. فأخذت المرأة الى بيت فرعون. فصنع الى ابرام خيرا بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال).

ولو أردنا أن نكتب عن تطاولهم وكيدهم وحقدهم على الأنبياء والرسل لطالت قائمة هذه المنكرات ولكني أحببت أن أظهر بعض العينات منها للعبرة والدلالة على هذه الأخلاق الذميمة والانحطاط اللامسبوق

لهؤلاء اليهود أصحاب الغايات الدنيئة حيث أنهم كانوا وما زالوا وسيبقون في حالة ضلالهم وعملهم المستمر لنشر الرذائل والفساد[1].

فكيف قبلت العقول العربية ان تأخذ بخرافات اليهود وخزعبلاتهم واكاذيبهم، أخرج البخاري عن أبي حازم قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين، فسمعته يحدث عن النبي ﷺ قال: " كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفهُ نبيٌّ، وانه لا نبيّ بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون ". قالوا: فما تأمرنا، قال: "فُوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فان الله سائلهم عما استرعاهم".

ومن الواضح أن بني إسرائيل المقصودون هنا هم العرب وليس اليهود بدليل أن رسول الله هو آخر الأنبياء المرسلين وانه لا نبي بعده فإذا هو ﷺ كان نهاية لسلسلة مستمرة من الأنبياء الذين أرسلوا لبني اسرائيل العرب وليس اليهود.

وقوله ﷺ: "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" رواه البخاري، وقوله ﷺ، وحدثوا عن بني اسرائيل وليس اليهود هو فصل الخطاب، فما كان لرسول الله أن يخالف قول الله عز وجل في القرآن بما يتعلق باليهود، وكل ما قيل عن أن اليهود هم بني اسرائيل انما هو كلام دخيل يسعى لاحداث التباس الصحيح بالعليل.

واما هذا اللغط وسوء الفهم وتداخل المفاهيم في عقول العرب المسلمين فبدأ أول ما بدأ في عصر العُجمة زمن الدولة العباسية [2]، عندما

(١) أحد شعائر وطقوس التلمود والتي وضعها حاخامات اليهود هو ذلك الحمام الذي يتوجب إحضار العروس اليه بحضور ثلاثة من الحاخامات وتحت أنظارهم، وكان بن غوريون قد أثار فضيحة عام ١٩٦٤، حيث اختلف المتحررون وغيرهم حول ما إذا كان يتوجب على العروس أن تكون عارية تماما أو يستر شيءا من عورتها حياءا من أنظار الحاخامات

(٢) والي بني أمية على خراسان نصر بن سيار يحذر الخليفة الأموي مروان بن محمد لما ظهر أبا مسلم الخراساني في مرّو من مدن خراسان فاستولى على البلاد داعيا للدولة العباسية فكتب له يقول: =

غيبت الطروحات المهمة والمواضيع الأساسية والتي كان الهدف منها التأكيد على موضوع الفهم العربي الصحيح لكتاب الله عز وجل وتأكيد مفاهيم الحرية والجهاد ضد الجهل والاستبداد والظلم والطغيان وترسيخ مفاهيم الكرامة والبطولة والشرف والاعتزاز بالانتماء للتاريخ العربي المجيد، وأحلت محلها مفاهيم لا تمت لكتاب الله بصلة، مفاهيم مغلوطة تؤدي الى اطفاء جذوة الحق في نفوس العرب المسلمين وتكبيل عقولهم وتشويه أفهامهم وتتفيه اهتماماتهم وادخالهم في دوائر لا منتهية من الجدل العقيم في مواضيع سفسطائية غير منتجة، وجاء بعض المفسرين ليزيدوا الطين بلة عندما تعاملوا مع الرسالة الالهية بكثير من الجهل وأحيانا المكر فأدوا الى تشويه الفهم وتشويش الفكر وتنويم العقل العربي وابعاده عن الفهم الحقيقي والمنطقي للرسالة الالهية، وحرف الأمة عن الفطرة السليمة والحنيفة السمحة والسعي لافناءها حضاريا ومسخ هويتها واستبدالها وتحويل الولاء والانتماء في الفكر والعقيدة والسلوك، ومن الجدير بالذكر أنه لما زحفت الكتائب الصليبية القادمة من فرنسا وانجلترا والمانيا وايطاليا يباركها القسُسُ الذين يتقدمونها بأمر الكنيسة، اذ يذكر مؤرخوا الفرنج ان الجيش الزاحف بلغ ألف ألف عنانٍ من الرجالة والفرسان متجهين نحو دمشق لاحتلالها، أعلن الملك العادل نُور الدين زنكي الجهاد وكان ذا حمية

** أرى خلل الرماد وميض نار   ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن النار بالعودين تذكى   وإن الحرب أولها الكلام
فإن لم تطفئوها تجرجوها   مسجرة يشيب لها الغلام
أقول من التعجب ليت شعري   أأيقاظ أمية أم نيام
فإن يك قومنا أضحوا نياما   فقل قوموا فقد حان القيام
تعزي عن رجالك ثم قولي   على الإسلام والعرب السلام

ذلك أنه لما ظهرت الدعوة العباسية بقيادة أبو مسلم الخراساني في خراسان قام والي بني أمية على خراسان نصر بن سيار بتجهيز مولى له اسمه يزيد في خيل عظيمة ليحارب أبا مسلم بعد ثمانية عشرة شهرا من ظهوره، فوجه أبو مسلم مالك بن الهيثم ومعه مصعب من قيس فالتقوا بقرية تسمى (آلين) فتقاتلوا قتالا شديدا، وصبر الفريقان حتى الهزم يزيد مولى نصر بن سيار فأسر والهزم أصحابه، فأمر أبو مسلم بالرؤوس، فنصبت على باب الحائط الذي في معسكره ودفع يزيد مولى نصر الى رجل من رجاله وأمره أن يتعهده ويحسن مرافقته حتى يبرئ من جراحات كانت به، فلما اندملت جراحات يزيد أرسل اليه أبا مسلم يخيره بين أن يقيم معهم ويدخل في دعوتهم أو أن يرجع الى مولاه سالما فاختار الرجوع الى مولاه فخلى له الطريق، وقال أبا مسلم ان هذا سيرد عنكم أهل الورع والصلاح فإنا عندهم على غير الاسلام. [تاريخ الطبري (١٠ – ٣٥٨)]

نصرة لأهل دمشق لما علم أن أهلها قد استعدوا للقاء عدو الله والأمة وبأن شيوخها واطفالها ونساءها قد ازدحموا بالمسجد الأموي، يضجون بالدعاء حول مصحف عثمان، فقال نور الدين في هدوء المؤمن: "شفاعة المصحف لن ترد، وهذه علامة النصر"، وانطلق مع من معه وقد التهبت الغيرة الاسلامية في صدورهم واستطاعوا مع اخوانهم من أهل دمشق الوقوف وحدهم في وجه هذه الحملة الصليبية حتى اندحر الصليبيون بقيادة ملك الالمان اندحارا لم يتوقعه أحدا منهم.

فالقرآن الكريم ليس مجرد كتاب عادي، وانما هو نبع للقوة والخير والعطاء والثبات، وهو الحبل المتين لاتصال العبد بربه شرط أن يفهم الفهم الصحيح بعيدا عن التشويه والتحريف والتسطيح، فمن تمسك به كيف له أن يهزم أو أن ينكسر، ومن تركه وتجاوزه كيف له أن يعلو وينتصر!!.

إذا كان الجميع يسعى لعدم السقوط وهذا ما يجب أن يكون، إلا أنه وفي لحظة خطأ معين قد يحدث السقوط بغير استعداد، فإذا وقع الخطأ وصار لا بد من السقوط، فعلينا أن نعرف كيف نوجه سقوطنا باتزان ليستقر جسدنا على أفضل وضع مقللين ما استطعنا من الخطر والألم، حتى نستطيع لاحقاً من النهوض ومتابعة مسيرنا إلى الأمام.

فهل يعود العرب الى جادة الصواب ويفعلوا عقولهم من جديد ويؤمنوا بانهم أمة عظيمة ولها رسالة انسانية عالمية وأنهم اذا لم يأخذوا مكانهم في هذا العالم فان العالم كله سيبقى مختلا وسيبقى مفتقرا الى أهم عنصر في تكوينه، لقد سعى أعداء الأمة من يهود وشعوبيين وغرب متصهين ومازالوا يحاولون أن يخلقوا تناقضات لدى العرب المسلمين، تؤدي الى اضعاف العرب واعاقة وحدتهم فمرة توضع العروبة في وجه الاسلام، وتارة أخرى توضع الوطنية المحلية في وجه العروبة في محاولة لابقاء هذا التشويش والتضليل في عقول العرب المسلمين ودفعهم بعيدا عن جادة الحق والصواب ومنعهم من أن يأخذوا دورهم الذي يستحقون والذي اذا ما استطاعوا من أخذه فهذا يعني سقوط أعدائهم وانهزامهم وفشل مشروعاتهم ومؤامراتهم أمام العرب المسلمين.

إضاءات على التقييم الرباني للهرم الأجتماعي في سورة الرعد

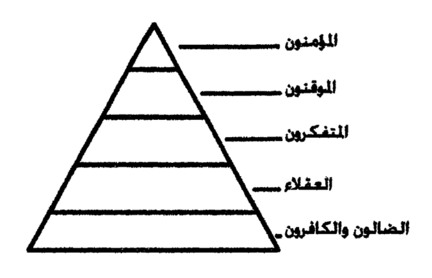
(المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١) اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤) وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٥) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) [الرعد: ١-٦].

إن في هذه الآيات تقييم رباني للهرم الأجتماعي والإنساني، فالله سبحانه وتعالى يقول إن أكثر الناس لا يؤمنون، وبالتالي فإن المؤمنين هم فئة قليلة من الناس، وهؤلاء يقبعون على رأس الهرم الإنساني في مجتمعاتهم في القرآن الكريم، لأنهم إنصهروا إنصهارا كلياً في الحق، وسلّموا أنفسهم تسليماً نهائياً لله رب العالمين، فهم قد اتصلوا بخالقهم وارتبطوا به ارتباطاً جذرياً لا رجعة عنه، فلا مساومة ولا نقاش ولا جدال في الحق، فالحق عندهم يعلو ولا يعلى عليه، وربما كان من أحوال وأفعال صحابة رسول الله ﷺ أمثلة كثيرة على تلك الفئة الثابتة على الحق المتفجرة بالإيمان، النابضة أرواحها بالقرآن، فهاهو سيدنا أبي بكر الصديق لّما قالت له قريش: إن صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس ثم أصبح بين أظهرنا فقال أبو بكر -رضي الله عنه- إن كان قال

ذلك فقد صدق، ولما كان من عادة أهل مصر في كل عام قذف فتاة بكر جميلة في النيل وقت بدء الفيضان عروساً للنيل ليستمر عطاءة بوفرة طوال العام، واستمرت هذة العادة الفرعونيه القديمة حتى فتح العرب المسلمين لمصر فخشى حاكم مصر عمرو بن العاص أن يمنعها ويقل عطاء النيل فأرسل لخليفة المؤمنين وقتها عمر بن الخطاب يعرض عليه الأمر فأرسل له سيدنا عمر بن الخطاب برسالة الى النيل جاء فيها : من عمر بن الخطاب الى نيل مصر: اذا كنت تجري من عندك فلا تجري وإن كنت تجري من عند الله سبحانه وتعالى فاجري على بركة الله، وأمر حاكم مصر بان يقذف الخطاب في النيل بدلا من عروس النيل، وهذا أن دل على شيء فإنما يدلَ على إيمان أولئك الرجال وأتصالهم وثقتهم المطلقة بالله عزوجل.

ثم يرينا الله الدرجة الثانية في ذلك الهرم الإنساني ليطلعنا على درجة أقل من الإيمان وإعلى من سابقاتها وهي درجة اليقين، ذلك اليقين الذي يتأتى من خلال متابعة آيات الله في الكون والخلق، فما السماوات والشمس والقمر إلا جزء من تلك الآيات الإلهية، والتي هم يحتاجونها ليصلوا إلى الحقيقة، وليصلوا إلى ذلك اليقين، فهم يرون تلك الآيات ولكنهم لا يلمسونها بأيديهم، ولكنها تكفيهم لتوصلهم إلى الله عز وجل، أما الدرجة الثالثة في ذلك الهرم نزولاً فهم الذين يتفكرون وهؤلاء هم أقل بكثير ممن سبقهم إذ أن الآيات الربانية المشاهدة لا تكفيهم ولكنهم يحتاجون إلى تلك الآيات المحسوسة والملموسة لمس اليد، كالأرض والجبال والأنهار والثمار وغيرها من تلك الآيات، ليفهموا ويقتعنوا، وأما الدرجة الرابعة في ذلك الهرم فهم العقلاء، وهؤلاء هم أدنى المراتب في السلّم الإيماني، وبعكس ما يعتقد الكثير من الناس إن العقلاء هم أعلى الدرجات ولكننا نجدهم في كتاب الله في أدناها، وأما ما يلي العقلاء فهم الكثرة الكثيرة والتي تضم بين صفوفها، الكافرين والمنافقين والظالمين وغيرهم من تلك الفئات الضالة المنحرفة والمخربة والمحاربة للحق وأهله، فكلما نزلنا أسفل الهرم كلما أتسعت القاعدة، وتلك الفئات وإن كانت أكثرية إلا أنها

عنـد الله لا تسـاوي شـيئاً، فـالله في هـذه الآيـات يتوعـدها بالنـار وشـديد العقاب.



التقسيم الرباني للهرم الإجتماعي في القرآن

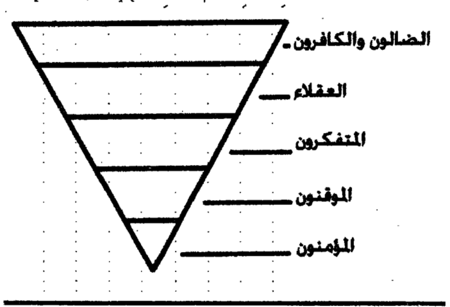
ومـن الملاحـظ في هـذا الهـرم أن مـن يرغـب بالوصـول إلى تلـك الرتبـة العليّـة وتلـك المكانـة السـامية، ليتـوج مـع الفئـة التقيـة النقيـة مـن المـؤمنين ويكـون منـها، عليـه اولاً أن يـنفض مـن نفسـه ويلفـظ مـن روحـه أي إشـارة للشـك والشـرك أو الكفـر والإلحـاد، وأن يكـون قـد ارتقـى بنفسـه مـن خـلال مـروره بتلـك المراحـل السـابقة مـن التعقـل والتفكـر واليقين، والـتي هـي عبـارة عـن عمليـة تنقيـة لـنفس الإنسـان وروحـه وصـولاً إلى الإيمـان الخـالص، والـذي لا تشـويه شـائبة، ذلـك الإيمـان الـذي صـنع في ظـل الحكـم العربـي الإسـلامي أعظـم ديمقراطيـات العـالم، في أعظـم إمبراطوريـة إنسـانية عرفهـا التـاريخ، إذاً فـالمؤمن لـن يكـون كـذلك مـا لم يكـن قبلـها موقنـاً، والمـوقن لـن يكـون في تلـك المرتبـة إن لم يكـن قبلـها متفكـراً، ولا مجـال لأن يكـون الإنسـان متفكـراً إن لم يكـن قبلـها عـاقلاً، والخلـق موزعـون بـين هـذه المراتـب، كـل واجتـهاده في الحـق، وفي آخـر سـورة يوسـف السـابقة لسـورة الرعـد تأكيـد علـى هـذا الأمـر إذ يقـول الله عـز وجـل: (وَمَـا أَكْثَـرُ النَّـاسِ وَلَـوْ حَرَصْـتَ بِمُـؤْمِنِينَ (١٠٣) وَمَـا تَسْـأَلُهُمْ

عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (١٠٤) وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠٧) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠٩) حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠) لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [يوسف: ١٠٣-١١١].

ومن هنا نرى أن هذا الهرم عندما يكون في حالته الطبيعية والنظامية كما جاء في القرآن الكريم، فلزاماً على المؤمنين أن يكونوا هم المسؤولين عن قيادة المجتمع وإدارته وسياسته، ففي ظل قيادتهم سينعم الجميع بالخير والعدل والبركة، إذ أن الفئة المؤمنة ستوجه كل الفئات الأخرى بالإتجاه الصحيح نحو الحق والعدل والأخلاق والقوة والسعادة، وهي أيضاً ستقوّم أهل الضلال والإنحراف، وستقمع أهل الفساد والكفر والباطل وستمنعهم من تنفيذ مخططاتهم الشيطانية التخريبية والتدميرية، هكذا كان الحال في عهد رسول الله ﷺ وفي عهد صحابته الكرام، وحتى أواخر أيام دولة بني أمية، قبل ان تبدأ عملية الإنقلاب في هذا الهرم الإجتماعي، والتي بدأها أهل الكفر والضلال، والذين كانوا يعملون على محاولة تنصيب ذواتهم المريضة والمنحرفة على رأس ذلك الهرم ليعيثوا فيه فساداً وتخريباً، متلطين بشتى الوسائل والطرق لتحقيق مآربهم الشريرة، يقول تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا

أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) [البقرة: ١١ -١٦].

ومع مرور الوقت استطاعت تلك الفئات الضالة والمضلة من النجاح في تحقيق هدفها والمتمثل بعكس الطبيعة وقلب ذلك الهرم الإنساني في المجتمع فسيطرت وسادت فيه، وعملت طوال قرون على هدم وضرب كل تلك الفئات الأخرى، لتحولها تدريجياً إلى فئات مخترقة معطوبة بعد أن بثت فيها سمومها، حتى وصلت مجتمعات العرب المسلمين إلى ما هي عليه اليوم من العجز والضعف والإنحراف والفساد والضلال، وتجاوزوا حدود الله وشجعوا الناس على تجاوزها، فدخلت تلك المجتمعات في متاهات لها أول وليس لها آخر، فعم الظلم والفقر والجهل والإستبداد، وسقطت أمة الحق والصلاح في مستنقع الظلم والضياع، يقول تعالى: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة: ٢٢٩].



وضع الهرم الإجتماعي بعد حدوث الإنقلاب

واليوم لن يعود حال أمة العرب المسلمين إلى وضعها الطبيعي الأصيل إن لم يتم إرجاع الهرم إلى وضعه الأساس والذي بينه الله في القرآن، وهذا الأمر سيكون على عاتق تلك الفئة المؤمنة، والتي هي اليوم في أضعف أحوالها وأكثرها صعوبة، لتقوم مجدداً من تصحيح المسار المنحرف وإعادة الأمور إلى نصابها، وقيادة الجموع من جديد بالإتجاه الصحيح، نحو الحق والخير والقوة والسعادة، ولكن طريق تلك الفئة المؤمنة لن يكون معبداً ولا سهلاً بل على العكس تماماً، إذ أن الصعوبات التي ستواجههم ستكون كثيرة جداً، فأعدائهم في كل مكان يتربصون بهم، ويعملون على إجهاض تحركهم فور الإحساس بحصوله، ومن هنا كان لزاماً على تلك الفئة العمل ضمن السرية والكتمان، ودون إحداث أي ضوضاء أو صخب يلفت إليها الأنظار، حتى لا تعرض عملها وحياة من فيها للخطر، ولأن تلك الفئة إستطاعت إدراك الحق قبل الآخرين فصار لزاماً عليها الإعداد والإستعداد لمواجهة المصير من خلال حشد إمكانيات مجتمعاتها وتوظيفها في المكان المحدد والمناسب دون استعجال فالعجلة في هذا الأمر قد يؤدي إلى ضياع كل شيء، فنضوج الحق في عقول وقلوب الناس يتطلب وقتاً، وفي هذا الوقت سيخطئ كثير من الناس وسيعانون بسبب جهلهم، ولكن ومع ذلك، على تلك الفئة المؤمنة أن لا تظهر نفسها وأن لا تعلن عن ذاتها قبل الأوان قبل أن يصبح الحق عامّاً، فالحق كالعشب كلما انقض عليه المنجل فإن العشب يعاود النمو على الفور ثم يقطع ثانية، لكنه يعود إلى النمو بأسرع مما كان ينمو، فتأمن بذلك من انقضاض أعدائها عليها لأن أعدائها إذا ما شعروا بأن مصالحهم مهددة فسيسارعون إلى الوقوف في وجههم، فمن لم ينظر في العواقب لم يأمن من المصائب، وعلينا أن نتذكر دوماً أن الوضع العربي الإسلامي قد وصل إلى ما وصل إليه الحال، نتيجة إتخاذ قرارات عديدة كان يجب أن لا تتخذ، وعدم إتخاذ قرارات كان من الواجب اتخاذها لكنها لم تتخذ، وعندما تصبح الساحة مهيأة للنهوض والمواجهة، على تلك الفئة المؤمنة مستعينة بكل الفئات الأخرى التي أعدتها وجهزتها، من المسارعة إلى أخذ زمام المبادرة وإعلان لحظة الحسم النهائي، وصولاً إلى إحداث

فعل اجتماعي وسياسي وعسكري وثقافي بالمعنى العميق في مجتمعاتنا العربية الإسلامية.

بقي أن أشير إلى ان قوة العرب المسلمين تكمن بالنوع وليس بالكم كما يعتقد البعض، فلقد كان العرب المسلمون قلة في الأرض عندما حكموا الدنيا بالحق والعدل ناشرين فيها الرحمة والخير والسلام والتقدم[1]، لأنهم يومها كانوا من تلك النوعية التي ربّيت وفق منهج القرآن، وأنشئت على أوامر الرحمن، يوم كانوا فئة منظمة تعرف أهدافها وتنطلق لتحقيقها، ويوم كان لديهم قضيتهم الجامعة الذي يتوحدون جميعاً في ظلها، فهاهو رسول الله ﷺ يدعو ربه قائلا: اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين: عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام"، وقد حقق الله لرسول الله دعوته وأسلم عمر وقل أذى المشركين في مكة للمسلمين خوفاً من عمر بن الخطاب، والذي كان أمة بذاته، كما اشتهر القعقاع بن عمرو[2] في كتب التاريخ بفروسيته التي لا تبارى، وشجاعته في ميادين الجهاد، وشخصيته القيادية القوية، حتى روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: " لصوت القعقاع بن عمرو في الجيش خير من ألف رجل "، هذه هي نوعية العرب المسلمين،

---

(١) وهذا ما فهمه العرب المسلمون مبكراً فهاهو عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو الحكيم بعيد النظر، بليغ التعبير يحذر أهل مصر قبل حوالي ١٥٠٠ سنة فيقول لهم في احد خطبه: "إياكم وكثرة العيال، وإنخفاض الحال، وتضييع المال، والقيل بعد القال، في غير درك ولا نوال..."، هذا يوم كان تعداد مصر ثمان مائة ألف، فكيف هو حال مصر اليوم وقد إقتربت من التسعين مليون نسمة.

(٢) القعقاع بن عمرو التميمي: صحابي جليل و فارس مسلم شهد معركة القادسية و اليرموك وغيرهما من معارك المسلمين في عصر الفتوحات الإسلامية،ظهرت ملامح شخصيته بوضوح شديد في الفتوحات فقد كان شجاعاً مقداماً ثابتاً في أرض المعارك وبجوار شجاعته وشدة بأسه على أعداء الله كان شديد الذكاء وذو حنكة عسكرية في إدارة المعارك ويظهر ذلك في موقعة القادسية.
شهد القعقاع معركة اليرموك، فقد كان على كُرْدوسٍ من كراديس أهل العراق يوم اليرموك، وكان للقعقاع في كل موقعة شعر فقد قال يوم اليرموك:

ألَمْ تَرَنا على اليرموك فُزنا ... كما فُزنا بأيام العراق
فتحنا قبلها بُصرى وكانتْ ... محرّمة الجناب لدى البُعاق
وعذراءُ المدائن قد فتحنا ... ومَرْجَ الصُّفَّرين على العِتاقِ
فضضنا جمعَهم لَمّا استحالوا ... على الواقوص بالبتر الرِّقاقِ
قتلنا الروم حتى ما تُساوي ... على اليرموك ثفْروق الوِراقِ

والذين جعلوا من لفظة كلمة عربي، تعني القمة في كل شيء، ففي إسبانيا مثلاً كان يقال عمل عربي (ترابا خو مورو)، أي العمل المتقن الرائع هذا المعنى الذي جاءت دلالته الأصلية من الأندلس، هذا التعبير الذي انتقل لاحقاً في كل أوروبا بالمعنى نفسه، قبل أن يتحول في عصور التقهقر إلى عكس معناه الأصلي والذي استخدم في البدء من أجله ففي فرنسا اليوم يقولون (ترافاي آراب)، أي عمل عربي حين يرون عملاً غير متقن ومهلهل وضعيف وسيء، واليوم ورغم أن تعداد العرب المسلمين في العالم يبلغ حوالي المليار ونصف مسلم، إلا أننا نجدهم في حالة من العطب والعجز والتراجع والتخلف والضعف، فهم في حالة من الفوضى العارمة، والخلاف المستمر، فلا قضية توحدهم، ولا أهداف تجمعهم، مكتفين بالدعاء دون العمل والإعداد والتهيئة، حتى صاروا كالقصّر أو كالأيتام أمام الأمم الأخرى التي تتسلط عليهم وتنهبهم وتدير امورهم، بما يتوافق مع مصالح تلك الأمم القوية المتجبرة، فالمشكلة إذاً ليست بكم المسلمين وإنما بنوعيتهم ويحضرني هنا ما كتبه يوماً تولستوي يصف حال الهند وهي ترزح تحت الإحتلال البريطاني، لأن وضع أمة العرب المسلمين اليوم يتشابه كثيراً مع حال الهنود في تلك الحقبة، والذي وضحة تولستوي بالآتي: "ماذا يعني ان يتمكن ٣٠ الف رجل من إخضاع ٢٠٠ مليون إنسان قوي وذكي ومتطلع للحرية؟ ألا تبين لك هذه الأرقام أن الإنجليز ليسوا هم الذين استعبدوا الهند، ولكنهم الهنود هم الذين استعبدوا أنفسهم!... أيها الهنود ... لا تردوا على الشر بالقوة ولكن عليكم أن لا تشتركوا في الشر... لا تشتركوا في الحكومة والإدارة، ولا في المحاكم، ولا في دفع الضرائب، وأهم من ذلك أرفضوا الإنخراط في سلك الجندية البريطانية ".

إن المجتمعات العربية الإسلامية اليوم هي في حالة من الخض العنيف، والمؤمن فيها ليس هو سيد الموقف، ولكنه مع ذلك موجود ومتحرك ومؤثر، مهما حاول الآخرون النيل منه ومن حركته، بل ووجوده، وأخيراً لابد من التأكيد على أن المؤمن الحقيقي علية أن يفهم أنة مأمور من رب العالمين بممارسة حياتة والقيام بعملة ضمن الأسس والخطوات

القرآنيـة، بغـض النظـر عـن أي ظـروف تحـيط بـة، وعلـى المـؤمن أن لا يـربط أبـدأ عملـة بعمـل الله عزوجـل، ذلـك أنـه لا يمكـن لنـا أن نحـيط بعمـل الله عـز وجـل، أمـا المؤمنـون فعلـيهم التهيئـة والتنظـيم والإعـداد والإسـتعداد والبـذل والتكاتف، إحقاق للحق وطاعة لأوامر الله في القرآن الكريم.

الإسلام العربي ينتصر
والمسلمون الأعراب ينهزمون

كان من إرادة الله عز وجل أن جعل الحق يقوم بذاته، فالحق مهما تلقى من ضربات الجهال وتطاول حوله الظالمين والمعتدين، واعترض طريقه الخاطئين والأشرار، وتثاقل عن نصرته الأخيار، تراه يمضي في سبيله بثبات وصمت ويشق طريقه الوعر دون كلل أو ملل، بطاقة لا متناهية من القدرة الالهية التي تمده بلا توقف، يقول تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) [الحج: ٦٢]، فمن يقاتل في الحق وللحق فهو يقاتل في الله ولله عز وجل، وكيف لمن كان في مثل هذا الحال ان يهزم وينكسر، وأما من يقاتل في الباطل فإنما يقاتل الله الذي هو الحق فكيف لمثل هذا أن يسعد وينتصر.

فيكون الحق بذلك عكس الباطل، الذي يملئ الدنيا ضجيجا وصراخا وصخبا، متخذا من الشراسة والعدوان والاعتداء والاجرام، ومستعينا بالفاسدين والحاقدين والظالمين والمنافقين أسبابا وادوات لفرض نفسه وإملاء ارادته وضمان استمراريته، ولما كان الله سبحانه هو الحق المطلق فكان وهو خالق الخلق ومكونهم والعارف بخفايا نفوسهم وبأسرار ذواتهم، فأرسل الينا أنبياءه ورسله لينير قلوبنا وعقولنا بنور الحق وحملهم رسالة الله الينا وهي الاسلام، قال تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) [آل عمران: ١٩]، وقوله (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [آل عمران: ٦٧]، فكان الاسلام هو رسالة الحق المبين الذي يهدي جماعة الحيارى في هذا العالم.

هذا الاسلام الذي يقدم لأتباعه الخير ويهب لهم النصر والخلاص، هذا الدين الطبيعي الذي لا تكلف فيه ولا تعسف، دين يوائم العقل ويتجاوب مع الفطرة، ولكن لما شوهت المفاهيم وضللت الأفكار وتسلط الأعداء فعمت الفوضى، وقام بعض شرور الناس بجعل أنفسهم أوصياء

على الاسلام نفسه، يصدرون الفتاوى ويلقون الأحاديث ويخوضون باسم الاسلام معارك، والاسلام أبعد ما يكون عما يقولون ويفعلون، كل هذا يحدث تحت أنظار أعداء الحق الفرحين، فانتشرت البدع الذميمة وصارت الأفهام سقيمة، وعمت العادات الفاسدة وتجمدت اوضاع الأمة، فوهنت وتشوه وجه الحق الناصع.

فساد القصور والخلل في مختلف ميادين الحياة لدى العرب المسلمين ووقعوا فيما وقع فيه من قبلهم، لما نشب الصراع بين النصرانية والعلم فزهقت فيه أرواح بريئة، لأن آباء الكنيسة عادوا العقل وعطلوا وظائفه، فصح فينا قول رسول الله ﷺ: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخل جحر ضب لدخلتموه. قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذاً) فضاق أفق الأمة، وفرغ معنى الدين فالايمان ليس لغزاً، والاعتقاد بأن الحق قد هزم وتلاشى ليس الا سخفاً، وبدأت هذه الأمة تتحرك منذ قرون عديدة في حالة فوضوية شديدة الاضطراب ليس لها محور عقلي أو شرعي تدور عليه والتبست الأشياء عليهم واختلط لديهم الحق بالباطل، فصار العرب المسلمون يباغتوا بأسماء حاكميهم وولاة أمورهم، وعمل بعض الناس بتقديم تقاليد الشعوب وعاداتها وأخطاءها على أنها تعاليم الوحي الالهي، فساد الاستبداد وعمت المظالم وانتشر الجهل، وانقلب ميزان الأمة حتى وصل المسلمون الى ما هم عليه اليوم من الضعف والمهانة والعجز، وتجرأت عليهم أمم الأرض جميعا، وهذا هو المسؤول الأول في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢ م يقول: "العالم الاسلامي عملاق مقيد، لم يكتشف نفسه حتى الآن اكتشافاً تاماً، وهو حائر قلق، ضائق بتخلفه وانحطاطه، وإن كان يعاني من الكسل والفوضى غير أنه راغب في مستقبل أحسن وحرية أوفر، وعلينا أن نبذل كل جهودنا حتى لا ينهض ويحقق أمانيه، ذلك أن فشلنا في تعويق نهضته يعرضنا لأخطار جسيمة، ويجعل مستقبلنا في مهب الريح... إن صحوة العالم

العربي وما يتبعه من قوى إسلامية كبيرة نذير بكارثة للغرب ونهاية لوظيفته الحقيقية في قيادة العالم".

أما رئيس قسم التخطيط بوزارة الخارجية الأمريكية (يوجين روستو) ومستشار الرئيس جونسون في الستينات يقول: "إن هدف العالم الغربي في الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية، وإن قيام إسرائيل جزء من هذا المخطط، وليس إلا استمراراً للحرب الصليبية".

ومن هنا نرى أن الغرب المتصهين الذي اجتاح بلاد العرب المسلمين ثقافيا وفكريا وعسكريا واقتصاديا سعى جاهدا لمحو شخصية الأمة ودفعها بعيدا عن مجرى الحق والحقيقة حتى يتسنى له استنزاف خيراتها وكسر شوكتها دون أن ينسى تلك الضغائن القديمة والكره الشديد للعرب المسلمين، فانطلق يضربهم بقوة ومكر دون هوادة، وانطلقت طلائع غزوه الثقافي تطارد العرب المسلمين المنهزمين في ميادين التربية والتشريع والتعليم وتبيد ارثه الاجتماعي والأدبي والاقتصادي والسياسي، ونجحت في خلق اجيال عربية مسلمة ترى في ماضيها كله عارا وجهل وتخلف ينبغي ازالته وافناءه لكي يحل محله ذلك البناء الجديد الذي صنعه لنا الغرب ليفني الأمة ويهلكها ويردها عن جادة الحق والهداية، هذا بعد أن كان أحبار اليهود وآباء الكنيسة وأمراء أوروبا جميعا يحرصون على الالتحاق بجامعات الأندلس الزاهرة والارتواء من منابع علومها وثقافتها الخصبة فصح قول الله تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [البقرة:١٠٩]، وقوله: (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) [البقرة:١٢٠] ومما يؤكد هذا الحقد القديم على العرب المسلمين والضغائن المكبوتة تجاههم، حروب الغرب الصليبية في العصور الوسطى وكذلك حروبهم الاستعمارية على العرب

المسلمين في العصر الحديث[1]، فعندما نتحدث عن الحروب الصليبية نتكلم وكأنها شيء قد فات وانقضى ولكن الحقيقة بأن هذه الحرب الصليبية لا تزال ضارية متقدة، فالغرب اليوم هو نفسه بالأمس ولكن اختلفت طرقه وأدواته، فإذا كانت حربهم القديمة صريحة سافرة بالحديد والنار فحربهم الجديدة تقوم على الدهاء والاحتيال، فينصبون الشباك لهذه الأمة بالمكر والخداع وهذه أدهى وأمر.

فنار الحسد المشتعلة في صدورهم ما زالت متاججة ملتهبة منذ أن أنزل الله رسالته على نبيه محمد ﷺ، لذلك فهم يحاولون القضاء فورا وبأي وسيلة كانت على أي حركة يحاول بها العرب المسلمون اصلاح أمورهم وتوجيه مسارهم بالشكل الصحيح، فاستطاع أعداء الأمة من خلق أجيال عربية مسلمة زاهدة في انتمائها لدينها مفضلة ألسنة الأمم الأخرى ومتفاخرة بها ومستهينة بلغتها وخجلة منها، ولم لا فالعلم اليوم مدون بلغاتهم والبحوث مزدهرة في أراضيهم، ومراحل التطبيق العملي والانتاج الصناعي تتم في معاملهم وتحت اشرافهم، فسيطروا على البر والبحر والجو، بينما دخل العرب المسلمون في محنة هائلة، لما استطاع اعدائهم من بلبلة الأمة العربية الاسلامية وتبديد طاقاتها في غير طائل، ولما كان الأساس الأول لفكرالعرب المسلمين كتاب الله فكان المطلوب التلاعب بألفاظ القرآن ومعانيه لتضليل أجيال الأمة، وقد عملت الشعوبية واليهود على تشويه المعاني وتسطيحها وحرف الفكر بعيداً عن القرآن، فعملوا على تأويل الآيات وتفسيرها بشكل يخرجها عن مدلولاتها الأصليه الى مدلولات منحرفة ومفاهيم مبتوره ولصقوا كثيراً من الأنحرافات بالدين وأعطوها

---

(١) حين دخل قائد القوات البريطانية الجنرال (اللنبي) القدس عام ١٩١٧ م قال عبارته الشهيرة: " الآن انتهت الحروب الصليبية ".
وما أن جاءت الجيوش الفرنسية الغازية لسورية في عام ١٩٢٠ م حتى توجه قائد الجيش الفرنسي المحتل الجنرال (غورو) الى قبر الملك الناصر (صلاح الدين الأيوبي) في دمشق ليركل قبره قائلا: " هاقد عدنا يا صلاح الدين ".
وما قاله اللنبي وغورو ما هو تعبير عن الموقف السياسي والعقل الثقافي الأوروبي، ونشرت الصحف البريطانية صور اللنبي وكتبت تحتها العبارة التي قالها، وقام وزير خارجية بريطانيا بتهنئة الجنرال اللنبي في البرلمان البريطاني لاحرازه النصر بما سماها لويد جورج الحملة الصليبية الثامنة.

صيغة العقائد فاختلطت مع الحقائق وعملوا على احياء العادات الباطله حتى أستشرت في المجتمع العربي الأسلامي وصار التفريق بين الصحيح والفاسد منها عسيراً على كثير من الناس، فصار العرب المسلمون يقرأون القرآن كالببغاوات دون فهم لما يقرأون، مع تبلد للعقل والفكر هذا إذا قرأوه أصلاً، وبدلا من أن يرتقوا بأنفسهم وعقولهم الى مستوى الخطاب الالهي في القرآن الكريم، أرادوا أن ينزلوا القرآن الى مستواهم!، وبالمقابل نرى الأحبار والحاخامات الذين قاموا بترجمة القرآن الى العبرية واللاتينية فتمكن رجال الاصلاح الديني في أوروبا من الاطلاع على هذه النسخ المترجمة وكان لها كبير الأثر في مناهجهم الفكرية، بعد أن كان قراءة القرآن المترجم في الأقطار الكاثوليكية محرمة ويتعرض صاحبها لقرار الحرمان، وسمح بنشر القرآن في انجلترا لأول مرة بعد ثورة (كرومويل) ثم نشر بالألمانية في أوائل القرن الثامن عشر كتاب لمفكر مسيحي أسمه (أبادي- Abbadie) طبع بأمستردام سنة ١٧١٩ م يقول فيه: " إن المسيح يعلن في إنجيله: الفقهاء يعرفون من إنتاجهم... وهذا القول لا يبعد عن الحقيقة إذ الحقيقة نفسها هي التي نتعلم منها!

واستنادا الى هذا المبدأ لا يسعنا الا أن يكون لنا رأي رفيع في مكانة محمد وعده نبيا عظيما، فقد علم البشر أن يفردوا ربهم بالسلطان المطلق، ولم يمنح هذا السلطان أحدا من الخلق، ودفع الأجيال المتعاقبة الى عبادة الله ذي الجلال والإكرام، فالله فوق عرشه رفيع الدرجات، والناس في إطار الخليقة الفقيرة اليه وحده.

هل هناك شرع أكثر صحة من هذا الشرع؟ إن القرآن كتاب نبيل ومن المؤكد أن محمدا شتت به ضلالات كثيرة، ونحن نخطئ إذا أنكرنا الألقاب التي يضفيها المسلمون على محمد ...".

كما اجتهد الغرب ليحرف الإسلام وليجعل منه صورة معدلة عن المسيحية، فبدأ مستشرقيه ومبشرية ببخ سمومهم في عقول أبناء أمة العرب المسلمين من خلال أفكار ملوثة كبشرية القرآن، أو بأن الدين خرافة،

أو إن الإسلام دين لا دولة، وعملوا على خلق حركات إسلامية تدعي التجديد في الإسلام كحركة (ميرزا غلام أحمد) وحركة (أحمد خان) ومن على شاكلتهم التي ترى في سيطرة الغرب على العرب ضرورة لا بد من العمل على إبقاءها وتمنع تحدي الغرب ومواجهته، وبالمقابل يقوم الغرب برعايتها ومدها بأسباب الحياة لتتماشى مع رؤيته بإيجاد إسلام كسيح مشوه عاجز عن تحقيق النهضة الحقيقية لأمة العرب المسلمين لتتحرر من جهلها وضعفها وإستقواء الغرب الغاشم عليها.

بينما وقف كثير ممن ادعوا أنهم علماء المسلمين وفقهائهم يدعون التدين ويتحسرون على تقصير اللحى وتطويل الثياب، فتراهم يألفون الكتب ويلقون المحاضرات في أمور هامشية، بينما الصمت المطبق على أمور لا يقوم الدين الحق إلا بها وكأن الأمر لا يعنيهم، يقول سيدنا علي رضي الله عنه: " ليس بالرجال يعرف الحق، بل بالحق يعرف الرجال "، فهناك فرق كبير بين أن تعرف الحق وبين ان تعرف الحق وتطبقه، وبعد كل ما تقدم ذكره وقف الكثيرون من الجهلة، وهم يشاهدون اجتياح الأمة العربية الاسلامية من قبل المعتدين والمستعمرين الصهاينة والغربيين الذين جاؤوا ديار العرب طامعين بخيراتهم الكثيرة محملين بأحقادهم القديمة وقالوا: إنهزم الإسلام!!! لكن الإسلام في الحقيقة لم ينهزم، إنما انهزم المسلمون الأعراب الذين ضلوا الطريق وانجرفوا بعيدا في حالة الجهل والغياب، وغرقوا في بركة الهزيمة والعجز واستكانوا للضعف والمذلة وتخلوا عن مسؤولياتهم التي أناطها الله بهم، قال تعالى: (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) [الفتح:١٦].

ففي أخطر لحظات الهزيمة عندما ظن الجهال أن الاسلام يقف عند آخر خط من خطوط الدفاع وان المستقبل صار في كف القضاء، كان الاسلام المظفر يكتسح الدفاعات ويخترق القلوب والعقول ويجتاح ديار أعداءه بصمت، ويغرس أوتاد الحق في أنفسهم وأراضيهم، فمنذ اللحظة

التي أنزل الله بها رسالته على خير خلقه محمد ﷺ والاسلام العربي من نصر الى نصر ولم يتراجع قيد أنملة، وكان خطأ المسلمين الأكبر عندما ظنوا أنهم هم الاسلام وأن بهزيمتهم سيهزم الاسلام، بينما الحقيقة إن الاسلام قد تجاوز المسلمين منذ زمن بعيد، قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: ٩]، فبينما كان العرب المسلمون يغرقون في آتون صراعاتهم ومشكلاتهم الدنيوية، كان الاسلام العربي يعمل بصمت وثبات عاملا على اختراق الحواجز الموضوعة في طريقه، لأن الاسلام هو الحق والحق من عند الله، وقد يسأل سائل كيف يمكن للاسلام أن ينتصر والمسلمون منهزمون؟ فأقول علينا أن نقرأ التاريخ الحقيقي بتمعن، ونرى الواقع بعين محايدة حتى نفهم مسار الاسلام الحق، فلو نظرنا اليوم في العالم، لرأينا أن الوافدين الجدد على عقيدة التوحيد لا ينقطع مددهم في قارات العالم، بالرغم من كل محاولات التشويه والإساءة للاسلام، وبالرغم من حالة الانكسار والهزيمة التي يعاني منها المسلمون اليوم.

والآن سأعطي بعض الأمثلة عن انتصار الاسلام في العالم بالرغم من انهزام المسلمين واندحارهم، وسأبدأ بالمغول هؤلاء الذين انطلقوا ليحتلوا البلدان والأقاليم والذين نشروا الخراب والدمار وسفكوا الدماء في كل مكان حلوا فيه.

ولما استباحوا بلاد الاسلام وارتكبوا الفظائع فيها وكانوا جفاة قساة ليس في قلوبهم رحمة ولا شفقة، فهل كان لأحد أن يتخيل أن هؤلاء يمكن أن يكونوا بعد نصف قرن من الأيام كتائب ايمانية متقدمة تخرج جهادا في سبيل الله، لقد استطاع الاسلام الحق الذي يعمل بالصمت والخفاء من أن يخترق قلوب المغول وعقولهم ويحول مسارهم في هذه الأرض ويوجههم باتجاه الحق فبعد أن كانوا جنودا للشيطان وأهلا للباطل، وإذ بهم يأسسوا في بلاد الهند مملكة عظيمة فتحت البلدان وثبتت أركان الاسلام في بلاد الهند وما حولها والى يومنا هذا، وتركوا شواهد على حضارة عظيمة يكفي أن تنظر اليها لتعرف حجم التحول الذي طرأ على هؤلاء القوم الذين علوا

وارتقوا ووصلوا الى أعلى الدرجات الدينية والدنيوية عندما وصل اليهم الاسلام فدخل قلوبهم وعقولهم وادخلهم في طاعة الله عز وجل، هذا في شبه القارة الهندية أما في أوروبا فقد أسسوا ممالك عظيمة في الأرض الروسية في القرم وقازان وسيبيريا، وما زال المسلمون في روسيا والقوقاز الى اليوم يتفاخرون بأمجاد أجدادهم الفاتحين الأوائل من العرب المسلمين التي وصلت طلائعهم الى هناك في القرن الأول الهجري بقيادة سراقه بن عمر، ثم عبد الرحمن ابن ربيعه، واللاحقين من المغول، والذين جعلوا للاسلام رايات ترفرف في تلك الأراضي الباردة، ويفخرون بانتمائهم وبولائهم لراية الحق والدين والتي لم تنفع معها كل محاولات الضغط والتذويب والتخويف والملاحقة الذي حاولته الحكومات في تلك البلدان إبان فترة الحكم الشيوعي لجعلهم ينسون من هم وفصلهم عن دينهم، هذا في شرق أوروبا اما في غربها فهناك مثال آخر وربما كان أكثر وضوحا، الأندلس فردوس العرب المسلمين المفقود.

هذه الأرض التي ضيعها المسلمون الأعراب بخلافهم وتناحرهم وأطماعهم في ما بينهم، وبعدهم عن دينهم وتركهم عقيدة الجهاد، حتى استقوا عليهم الرومي لما أخذهم فرادى كلا على حدة، حتى لم يبقى سوى غرناطة آخر حصون العرب المسلمين في أرض الأندلس والذي كان على رأسها (محمد ابن أبو عبد الله الصغير) آخر ملوك غرناطة والاسلام في الجزيرة والذي لم يأخذ برأي الفارس العربي الشهيد المجاهد (موسى بن أبي غسان) المقاوم حتى آخر رمق والذي رفض أن يكون من الساكتين على قول الحق حتى لا يصير شيطان أخرس فقال للصغير عندما طرح الأخير خيار تسليم غرناطة للأعداء " ليعلم ملك النصارى أن العربي قد ولد للجواد والرمح فإذا طمع الى سيوفنا فليكسبها، وليكسبها غالية، أما أنا فخير لي قبر تحت انقاض غرناطة في المكان الذي أموت فيه مدافعا عنه، من أفخر قصور نغنمها بالخضوع لأعداء الدين".

لكـن الصـغير كـان قـد أخـذ القـرار بالتسـليم فأرسـل اثنـان مـن وزراءه ليتفاوضـوا مـع ملـك قشـتالة فرديناند والملكـة ايـزابيلا علـى تسـليم المدينـة، وكانـت بينـهما معاهـدة تضـمن أن لا يضـار المسـلمون في دينـهم وأهلـم وممتلكـاتهم والـتي لم ينفـذ منـها شـيء، ومـع دخـول الاسـبان لغرناطـة وخـروج آخـر ملوكهـا حزينـا باكيـا فكانـت عبـارة والدتـه الخالـدة لـه (فلتبكـي كالنسـاء ملكـا لم تسـتطع أن تـدافع عنـه كالرجـال)، انتـهى فصـل خطـير وبـدأ الفصـل الأخطـر وذلـك مـن خـلال القضـاء نهائيـا علـى كـل مـا هـو عربـي اسـلامي في الأنـدلس ومحـو أي أثـر للعروبـة والاسـلام فيهـا، فنصّـر المسـلمون قسـراً، ومنـهم مـن طـرد مـن الجزيـرة وحرقـت كـل نسـخ القـرآن الكـريم والكتـب العربيـة باسـتثناء الكتـب العلميـة والتاريخيـة منـها، حتـى أن مـن كـان يوجـد لديـه نسـخة مـن القـرآن الكـريم مـن المسـلمين الـذين أجـبروا علـى التنصـر فانـه كـان يعـذب حتـى المـوت وتسـلب أموالـه وأملاكـه وفي مرحلـة لاحقـة لوحـق كـل مـن يشـك بأنـه يضـمر اسـلامه بعـد أن أدخـل قسـرا في النصـرانية، يقـول المـؤرخ سـخيطة: "لقـد شـهدت السـاحات العامـة في المـدن الكـبيرة مثـل قرطبـة وغرناطـة واشـبيليا إحتفـالات أسـبوعية يحـرق فيهـا المسـلمون أحيـاء وإلى جانبـهم كتبـهم التعليميـة والتهذيبيـة"، كمـا أخـذ أبنـاء المسـلمين القصّـر مـن أهلـهم ليربـوا في بيـوت مسـيحية وينشـأوا علـى النصـرانية وكـثيرا منـهم أسـتغلوا ليكونـوا خـدما وعبيـدا لـدى العـائلات المسـيحية، واسـتمر هـذا الاضـطهاد والجنـون الكاسـح للقضـاء علـى كـل مـا هـو عربـي اسـلامي حتـى اقتنـع رجـالات الكنيسـة الكاثوليكيـة بـأنهم قـد نجحـوا في مهمتـهم وانهـم طهـروا الجزيـرة كلـها مـن الاسـلام والعـرب ورمـوا بأبصـارهم علـى الطـرف الآخـر مـن البحـر في محاولـة منـهم في ابعـاد شـبح الاسـلام العربـي نهائيـا والى الأبـد عـن هـذه الأرض فماذا كانت النتيجة؟!

لـو نظرنـا الآن الى مـا كـان يعـرف بالأنـدلس لوجـدنا الاسـلام العربـي قـد عـاد وانتشـر بـين أهلـها لـيس في اسـبانيا وحـدها بـل في كـل اوروبـا، والمسـلمون اليـوم في أوروبـا بـالملايين وهـم ليسـوا فقـط أولئـك المهـاجرين الـذين جـاؤا اليهـا مـن بلادهـم بـل مـن أهـل الـبلاد الأصـليين ونسـبة دخـول الأروبـيين في الاسـلام

مرتفعة جدا لدرجة ما عاد فيها أحد يستطيع أن يتجاهل وجود الاسلام والمسلمين في تلك البلاد أو أن يعتبرهم حدثا عابرا أو طارئا، فالاسلام قد عاد هذه المرة ليبقى والى الأبد وهذا ما أزعج الفاتيكان نفسه، وقد لفت نظري منذ سنوات عندما وقف أحد قساوسة الفاتيكان ليصرخ معلنا عن غضبه الشديد نتيجة تزايد أعداد المسلمين في عقر دار المسيحية الكاثوليكية في العالم قائلا: (اذا استمر الأمر على هذا المنوال فسيتحول الفاتيكان عما قريب الى امارة اسلامية)، وعاد نداء الحق ليصدح مجلجلا في كل أوروبا من على مآذن المساجد التي تنتصب اليوم من جديد في تلك الأرض معلنة انتصار دعوة الحق هناك (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) [الأنبياء: ١٨] وهاهي أفواج المسلمين الجدد من أبناء تلك البلدان يلتحقون بركب القافلة الربانية ليكونوا مشاعل تنير في ظلمة الضلال والالحاد الذي يلف تلك الأصقاع، فما ضيعه المسلمون الذين أسقطوا بغداد في أيدي التتار ليسحقوا الخلافة العباسية، والذين ضيعوا الأندلس وأسقطوها في براثن الجيوش الرومية، والذين أداروا ظهرهم للخلافة العثمانية[1]، أرجعه الاسلام العربي الذي لم يقف على أطلال الماضي ليأسى ويتحسر، بل تابع مسيرته الخالدة ليعيد الحياة الى القلوب الميتة ويبدد كل غيوم الجهل والكبر والعداوة والتي تحجب

(١) هناك حكمة افريقية تقول: (اذا اتحد القطيع نام الأسد جائعا).
ان من يتابع عالم الحيوان سيجد فيه أشياء مذهلة، وكنت متابعا منذ فترة لأحد هذه البرامج وقد فوجئت بمشهد قل ما يرى، إذ كان قطيع كبير من الجواميس البرية يرعى بالقرب من أحد الأنهار عندما هاجمتهم مجموعة من الأسود الفتيه فاستطاعت أن تنقض على أحد العجول من هذا القطيع، الى هنا يبدو الوضع مألوفاً، لكني فوجئت من عجل الجاموس هذا! والذي بدا مقاوما شرسا لمفترسيه، ومصرا على الحياة، وكان يصرخ مستنجدا بقطيعه الذي وقف بحالة ذهول وقلق لهذا المشهد، وقد أثار هذا العجل صخبا كثيرا لدرجة دفعت أحد التماسيح الذي انتبه لما يجري على ضفة النهر، فخرج التمساح ليمسك بهذا العجل من طرف محاولا سحبه الى الماء بينما قطيع الأسود أمسك بالعجل من الطرف الآخر وبينهما بقي هذا الجاموس الصغير مقاوما لمصيره الأسود بين الطرفين، وبعد فترة من الصراع انسحب التمساح تاركا هذه الغنيمة الصعبة لأصحابها، ويبدو أن شجاعة هذا العجل وبسالته قد حركت شعور النخوة لدى قطيع الجواميس مما دفعهم للهجوم بشكل جماعي وعنيف على جماعة الأسود والتي تركت العجل الشجاع وهربت من قرون قطيعه الغاضب، وعاد هذا العجل المنتصر الى قطيعه بعد محنته تلك سعيدا مبتهجا بالحياة، الى هنا تنتهي قصة هذا الجاموس الصغير والذي ترك في ذهني سؤالا كبيرا، اذا كانت الجواميس في افريقيا قد ادركت أن التفرق ضعف وان بالاتحاد قوة وأن الأنانية لن تفيد صاحبها شيءا الا تاخير مصيره المحتوم، أفما آن لأمة الاعراب المسلمين من فهم هذه الحقيقة والعمل على التوحد في وجه الأخطار والتحديات لإقامة أمة الحق والعدل والحرية التي لا يضطر فيها الناس الى بيع نفوسهم وأعراضهم ومبادئهم وأخلاقهم للشيطان؟ ألم يأن لهم الاستفادة من الدروس التي تنوشهم كل يوم، فإلى متى تلك الغفلة التي لا تزيدهم الا خسراناً.

البصيرة، ففي الوقت الذي كان العرب المسلمون ينشئون أجيالا منسحبة من الحياة معصوبة العينين أمام واجباتهم في هذه الدنيا، معطوبة الخواص الدافعة الى العلو والرقي والسيادة والاكتشاف كان الاسلام العربي يفعل فعله ويؤسس بنيان الحق في أرجاء المعمورة.

وحتى في أحلك وأسوء ظروف المسلمين، فلما كانت جيوش الغرب الصليبي القادمة الينا في المنطقة العربية لتحرر الكويت كما تدعي في حرب الخليج الثانية، وسط اختلاف وانشقاق وعداء وتناحر عربي اسلامي، وفي قلب هذا الفراغ والضياع والفوضى أبى الاسلام العربي الا أن يخوض معركته مع الباطل ولكن بعيدا عن ضوضاء الاعلام وصخبه، ومن قلب تلك المأساة العربية الاسلامية خرج فجر نصر رباني رائع، لما عاد آلاف من جنود تلك الجيوش الغربية الى بلادهم محملين وسام الانتساب والدخول في كتائب الحق الالهي بعد أن نطقوا الشهادتين وحملوا شرف الانتماء للاسلام العربي، ويحضرني هنا قول المبشر (إشعيا بومان) والذي يقول، بأن الخوف من الإسلام ينبغي أن لا ينساه الغربيون، ذلك أن الإسلام كما يقول إشعيا بومان يتسع دائماً متسلحاً بالجهاد، وما من أمة حاولت قهره إلا وخسرت أضعاف ما خسر.

كما كتبت مجلة العالم الإسلامي الإنجليزية (The Muslim World) في عام ١٩٣٠م تحت عنوان (الجغرافية السياسية للعالم الإسلامي): " إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي. ولهذا الخوف أسباب منها: أن الإسلام منذ أن ظهر في مكة لم يضعف عددياً بل دائماً في ازدياد واتساع. ثم ان الإسلام ليس ديناً فحسب، بل إن من أركانه الجهاد ولم يتفق قط أن شعباً دخل في الإسلام ثم عاد نصرانياً ".

وهاهو أستاذ التنصير واللاهوت المسكوني بجامعة هامبورغ، والذي عمل أستاذاً للفلسفة والدراسات الدينية في جامعة نيروبي بكينيا، القسيس ستيفن نيل يعترف بالحقيقة كما هي، فهو عندما يتكلم عن الحروب الصليبية وبعد أن يوجد لها كل المبررات مدافعاً عن فكرتها تجده يقر

بنفسه بالحقيقة عندما يقول: " ولكن بعد ان قيل كل ما يمكن ان يقال عن الوجه المواتي للحروب الصليبية، يجد النصراني نفسه مضطراً على الحكم بان الحروب الصليبية كانت كارثة نصرانية لا يمكن إصلاحها "، وهو عندما يقارن بين الفتوحات الإسلامية والحروب الصليبية، وبين اخلاق العرب المسلمين ودونية الغربيين ووحشيتهم يقول: "كانت هناك خسارة مستمرة في المعسكر النصراني بسبب اعتناق النصارى للإسلام، إلا ان أعجب ما في الفتوحات الإسلامية هي الخسارة القليلة جداً في الأرواح، والإنهيار السريع جداً للحضارة النصرانية، ولقد بقي عدد كبير من النصارى على دينهم إذ لم يشأ المسلمون لا إبادة النصارى، ولا تحويلهم كلهم بالقوة إلى الإسلام، ولقد ارتقى عدد من النصارى إلى مناصب عالية في الدولة الإسلامية.

ومن هنا نرى أن التخلف الذي يعاني منه الشرق الإسلامي هو عقوبة أنزلت بالمسلمين الأعراب لما تخلوا عن الاسلام العربي فكان انهيارهم الحضاري نتيجة لذلك، هذا الانهيار الذي أصابهم في مختلف الميادين من القمة الى القاع فصح فيهم قوله تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) [طه: ١٢٤].

حتى صار المسلمون الجدد يحمدون الله الذي عرفهم بالاسلام قبل أن يعرفهم بالمسلمين، فاذا ما أراد الأعراب المسلمون اليوم من أن يرجعوا الى مكانهم السابق في قمة العالم وأن يكون لهم سبقهم الحضاري والسياسي والثقافي في مختلف النواحي المدنية والعسكرية فعليهم أن يلحقوا بالاسلام العربي لا أن ينتظروه حتى يتقهقر فيلحق بهم، وأن يرموا ركام تقاليد القرون المنحرفة وأن يتخلصوا بصرامة من هذه التقاليد التي أصبحت قيودا تقيد سلوكهم العلمي والعملي وتعيق فهمهم لصميم الدين، وأن يفهموا أن الإسلام العربي هو كل متكامل لايجوز نقصانه أو أخذ جزء منه وترك البقيه بحجة أنه لايناسبنا أو أنه يتعارض مع مصالحنا، فإما كله وإما تركه، ومن هنا نفهم قرار سيدنا أبوبكر محاربة من أراد منع

الزكاة، فلما قال له سيدنا عمر بن الخطاب:"كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه "، فقال أبو بكر:"والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونها الى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها".

ولكل من حسب أن الطرق كلها قد سدت في وجوه المؤمنين الأحرار، وإن الخصوم يكثرون ولا يقلون وإن الساحة تضيق ولا تتسع أقول لهم إن الزمن يمر والباطل يهزم والحق ينتصر، وأذكرهم بقول الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه:"انكم لا تغلبون عدوكم بعدد ولا عدة ولكن تغلبونهم بهذا الدين فإذا أستويتم أنتم وعدوكم في الذنوب كانت الغلبة للأقوى".

جيوش المستشرقين
تغزوا أمة العرب المسلمين

لقد كان الشرق دوما ذا منزلة خاصة لدى الغرب الذي لم يكن يملك شيئاً يجذب ألية الأنظار، فلقد كان هذا الشرق قلب العالم النابض ومنبع للثروات، غنيا بالموارد الطبيعية والبشرية والفكرية، ومصدر الحضارات الانسانية، ومنبع الأديان، هذا عن الشرق عموما ولكن ما يهمني هنا هو الشرق العربي المسلم والذي بالاضافة الى كل ما ذكرت سابقا يمتاز أيضا بأنه لصيقاً بأوروبا وهو منافس الغرب الحقيقي على قيادة العالم، لأنه يحمل في طياته برنامجا ربانيا حضاريا انسانيا ثقافيا متكاملا، وهو بذلك يكون بموضع التضاد مع الغرب باعتباره بديلا عن الغرب ونهجه، ولقد كان هذا الشرق العربي محجاً لأدباء الغرب ومفكرية وسياسية وكان السفر ألية في القرن التاسع عشر موضة ذلك العصر، وكان من بين من قام بتلك الرحلة من الأدباء شاتوبريان ودي نيرفال وفلوبير وغوتية وبوجولا وأوغست كونت وفرومانتان ولامارتين الذي سجل أنطباعاتة عن رحلتة في بلاد الشام وتركيا وغيرها من المناطق في كتابة الشهير (رحلة الى الشرق) في أربع مجلدات، وهو الذي كتب يقول:"كان خيالي يعشق البحر والصحاري والجبال والآداب في الشرق، وكل ما خلقه الله فيه. كان الشرق حلماً في الأيام المظلمة بغيوم الخريف والشتاء في المنطقة التي ولدت فيها. أن جسدي ابن الشمس وروحي أبنة الشمس. وجسدي وروحي بحاجة الى الضوء والنور. أن ما يلزمني هو شعاع الحياة الشمسية الذي لا ألتقي بة كثيراً بين الغيوم التي تملأ سماء الغرب".

فكان هذا الشرق العربي الاسلامي حلم الغرب وكابوسة في آن، فهو أبدا مواجها لأوروبا متحديا لها حتى في عقر دارها، وكان يعتبر مشكلة لها على الأصعدة الدينية والفكرية والسياسية والاقتصادية، وطبعا يعتبر هذا استفزازا حقيقيا للغرب من وجهة نظره، إذ أن الاسلام العربي قد تفوق

علـى الجميـع وجعلـهم وراءه وسمـى علـيهم، فهـا هـو غيبـون في كتابـه (انحـدار الامبراطوريـة الرومانيـة وسـقوطها) يقـول وبحسـرة في المقطـع التـالي: " في أيـام نصـر الجمهوريـة الرومانيـة كـان هـدف مجلـس الشـيوخ أن يقصـر قادتـه وفيالقـه علـى حـرب واحـدة، وان يخمـدوا عـدوا أول اخمـادا كـاملا قبـل أن يستثيروا عـدوا آخـر. وقـد قوبلـت هـذه المبـادئ الهيّابـة للسياسـة بـالإزدراء مـن قبـل الخلفـاء العـرب المليـئين شـهامة وحماسـة. وقـد غـزا هـؤلاء الخلفـاء بنـبض الحيويـة نفسـه، وبالنجـاح نفسـه خلفـاء أغسـطس وأرتاكسـيركس، وأصـبح الملـوك المتنافسـون في الوقـت نفسـه فريسـة لعـدو كـانوا لـزمن طويـل جـدا قـد اعتادوا أن يحتقروه.

وخـلال عشـر سـنوات مـن حكـم عمـر، أخضـع العـرب لطاعتـه ٣٦ ألـف مدينـة وقلعـة، ودمـروا أربـع آلاف كنيسـة ومعبـد للكـافرين، وشـيدوا ١٤٠٠ جامع لممارسة ديانة محمد.

وبعـد مئـة سـنة مـن هربـه مـن مكـة، امتـد نفـوذ خلفـاء محمـد وسـلطانهم من الهند الى المحيط الأطلسي عبر الأقاليم المختلفة والنائية ".

فـالعرب المسـلمون الـذين خرجـوا مـن الشـرق ليصـححوا الخلـل الانسـاني ويصـححوا مسـار البشـرية ويرتقـوا بهـا ويكسـروا عبـادة الفـرد لتكـون خالصـة لإلـه واحـد دون حاجـة لوسـيط أو رقيـب، لم تكـن طـريقهم معبـدة فلقـد كـانوا علـى موعـد مـع مجابهـة تاريخيـة لا منـاص منهـا مـع أعـداء هـذا الفكـر والنـهج الربـاني في هـذا العـالم، وكـان هـذا الغـرب الـذي انكفـئ علـى نفسـه وتقلـص حتـى صـار لا يـأمن علـى نفسـه في عقـر داره امـام هـؤلاء العـرب المسـلمين في أول أمـرهم والـذين سـقطت أمـامهم كـل الحـدود والسـدود والقيـود، وانطلقـوا في سـباق محمـوم مـع الـزمن ليفتحـوا العـالم ويبلغـوا رسـالة الله الى البشـرية، فيخرجوهـا مـن ظـلام الكفـر والالحـاد الى نـور الحـق والتوحيـد، والأمثلـة كـثيرة علـى هـذا الأمـر ومنـها مـا رواه التـابعي الجليـل علـي بـن ربـاح، عنـدما كـان رسـول موسـى بـن نصـير الـذي أرسـله بكتـاب الى أمـير المؤمنين الوليـد بـن عبـد الملـك في عاصـمة الخلافـة الأمويـة دمشـق يخـبره فيـه بمـا أمـن الله تعـالى علـى

العرب المسلمين من فتح الأندلس، فلما قرأه الوليد وأتى على آخره خرّ ساجداً، فلما رفع رأسه أتاه فتح آخر فخرّ أيضا ساجداً، ثم رفع رأسه فأتاه آخر بفتح آخر، وخرّ ساجداً، حتى قال علي بن رياح يصف أمير المؤمنين، ظننت أنه لا يرفع رأسه.

ولذلك كان ذلك الغرب دوما يعلن عن عداءه الشديد للعرب المسلمين ولشرقهم والخوف منهم باستمرار، وكانت نهاية الدولة العربية الاسلامية الأموية في الشرق والغرب مدعاة أغرت كل تلك القوى الهمجية المتربصة بهذه الأمة في داخلها ومن حولها.

إذ كان سقوطها تضييعا لمنظومة متكاملة من السلوك والفكر والاعتقاد والعمل، وتركت فراغا حضاريا موحشا وكانت أوروبا التي لم تنسى يوما حقدها على تلك الأمة التي كسرت جيوش الروم على أرض العرب وطردتهم خارجا لتطهرها من دنسهم، كما لم تنسى تطهير العرب لأرض الأندلس من ظلم الرومي وغيّه، تنتظر فرصة سانحة لإعادة غزو العرب والانتقام منهم، خاصة بعد أن خربت المعاقل العربية الحصينة على حدودها فانطلقت تعد جيوشها الصليبية لشن حروبها الوحشية على العرب المسلمين، وهذه الحرب لم تكن فقط عسكرية ولكنها سعت لتطال كل الأصول والجذور في حياة العرب، ولكن وكما قال رسول ﷺ: (إن الخير باقٍ في أمتي الى يوم القيامة) فكانت هذه الأمة الجريحة تدافع في مغيب شمسها عن حوزة الوطن والدين في أشق الظروف مع عظيم التضحيات وكانت هذه الأحداث تجري وسط سعي أوروبي لإبقاء العرب المسلمين في حالة من الضعف والعجز والتمزق، فسعت بالعمل المضاد في الخفاء والعلن ضدهم وساعدها في ذلك تلك الطرق والأخاديد الخفية لتنشيط مؤثرات الفلسفة اليونانية الوثنية والأساطير المجوسية والتي كانت جزءا من المخططات الشعوبية إبان الحكم العباسي، فتعلم الأوروبيون من هذه الأساليب الشعوبية والتي حاولت مزج الفكر الاسلامي بالفكر الفلسفي الأرسطي بشكل يشوه المفاهيم الاسلامية ويبعدها عن مقاصدها

الحقيقيــة، فتطاولــت أوروبــا علــى الشــرق العربــي وانــدفعت باتجاهــه بشــكل قــوي وعنيــف فكانــت الحــروب الصــليبية والــتي مازالــت مســتمره الى يومنــا هــذا وإن أخــذت أسمــاء وأشــكالاً جديــده، إلا أن هــذه الحــروب كانــت دلــيلا علــى انقــلاب الكفــة واخــتلال ميــزان أمــة العــرب المسلمين، وكــذلك كانــت صــدمة للأوروبــيين المتســرعين لنــهب خــيرات الشــرق العربــي دون دراســة وفهــم لهــذا الشــرق فتركــت هــزيمتــهم هنــاك وطــردهم مــن أرض العــرب لــديهم مــرارة لم ينســوها، ولكنــها أيضــا كانــت ســببا لتحــول تفكيرهــم باتجــاه تصــحيح الكــثير مــن معلومــاتهم القاصــرة تجــاه العــرب في المجــالات الحضــارية والعلميــة، وإدراكهــم الحاجــة الملحــة للــتعلم مــن العــرب وعنــهم في نفــس الوقــت، فبــدأت أوروبــا بإيجــاد الوســائل الــتي تســاعدها علــى فهــم هــذا الانســان العربــي مــن خــلال تحليــل لغتــه وفكــره، واكتشــاف قدراتــه ومنــابع قوتــه غــير المعلومــة لهــم وتعليــل ســلوكه والوصــول الى لبــاب خصائصــه وثقافتــه وتاريخــه وتقاليــده ومجتمعــه، ولمــا كــان أســاس هــذا الصــراع القــديم ديــني بإمتيــاز فكانــت نشــأة الاستشــراق وبدايتــه المنظمــة في الفاتيكــان مركــز الســلطة الدينيــة الكاثوليكيــة في العــالم، وكــان مــن ضــمن الأشــياء الــتي اعلنــها الفاتيكــان لقيامــه بإيجــاد هــؤلاء المســتعربين أو المستشــرقين نيتــه في أن يوضــح المســيحيون للمســلمين، أن الإســلام لم يكــن أكثــر مــن صــورة معدلــة ومشــوهه للمســيحية، وإن محمــدا كــان مجــرد داهيــة مــاكر، وتصــوير الإســلام علــى أنــه ديــن الســيف والعنــف والقتــل والــبطش والســلب والنــهب، إضــافة إلى رغبــة الفاتيكــان في إيجــاد رهبــان يــدافعون عــن النصــرانية في عقــر دار العــرب المســلمين مــن خــلال مقارعتــهم للعلمــاء المســلمين الحجــة بالحجــة، وأن يــدخلوا البلبلــة في العقــل العربــي مــن خــلال التشــكيك بــالقرآن الكــريم وتشــويه صــورة التــاريخ والأدب العربــي مســتخدمين طرقــا مختلفــة ومســتغلين حالــة الضــعف والــوهن الــتي أصــابت الأمــة، يحــركهم حقــدهم الشــديد ونــوازع ثــأرهم القــديم مــع هــذه الأمــة، فولــد الاستشــراق مــن أبــوين غــير شــرعيين همــا الاســتعمار والتنصــير، فهــاهو المســتعرب الايطــالي (ليــون كاتيــا) والــذي تــوفي في ســنة ١٩٢٦ م يحــاول أن يؤكــد بــأن الاســلام لــيس رســالة إلهيــة عنــدما يقــول: " إن الإســلام لم يكــن

حركة دينية إذ لم يكن فيه دينياً إلا الظاهر، وأما الجوهر فكان سياسيا واقتصاديا " ويقضي عمره محاولا تمجيد تلك الفرق السرية من قرامطة وبابكية واسماعيلية والحشاشين ويمجد معتقداتها وهي التي حاولت القضاء على الاسلام وأهله.

فالغرب الذي كان وما زال يتحرك بمنظور ديني تجاه هذا الشرق العربي ويعتبر ان حرب هؤلاء القوم هو واجب مقدس، فالحروب الصليبية مثلا من منظور (شاتوبريان) في كتابه (رحلة من باريس إلى القدس، ومن القدس إلى باريس) (١٨١٠ - ١٨١١) والذي يروي فيه تفاصيل رحلة قام بها المؤلف في (١٨٠٥ - ١٨٠٦) لم تكن عدوانا على الاطلاق بل كانت رداً مسيحياً عادلاً على دخول العرب المسلمين لأوروبا، إذ يقول: " لم تدر الحروب الصليبية حول إنقاذ كنيسة القيامة وحسب، بل دارت حول معرفة من الذي سينتصر على هذه الأرض: مذهب تعبدي هو عدو الحضارة، مجند باطراد للجهل والطغيان والعبودية [وذلك هو الاسلام طبعا]، أو مذهب تعبدي أدى إلى أن يوقظ في البشر المعاصرين عبقرية الزمن الغابر الحكيم وألغى العبودية الدنيئة ".

فأوروبا لم تأتي إلى الشرق إلا لكي تعلمه معنى الحرية وهو مفهوم آمن شاتوبريان وكل من جاء بعده به، فالشرقيين وخصوصا العرب المسلمين لا يعرفون شيئا عن الحرية وعن هذا يقول: " عن الحرية لا يعرفون شيئا، من الاحتشام ليس لديهم شيء: القوة هي ربهم وحين تمر بهم فترات طويلة لا يرون فيها فاتحين يطبقون عدالة السماء، فإنهم يبدون مثل جنود دون قائد، مثل مواطنين دون مشرعين، مثل عائلة دون أب ".

إن هذا الغرب الذي كان وما زال يشعر بالخوف والرهبة من هذا المارد العربي النائم أدرك أن قوته مرهونة بإبقاء هذا الشرق العربي في حالة سبات، لذلك كان عليه أن يدرسه دراسة تفصيلية ويتنبئ بتحركاته مسبقا حتى يستطيع ان يحبط أي محاولة جادة لإيقاظه من سباته، لهذا بدأت جهود ضخمة في الغرب للترجمة والنقل عن اللغة العربية واللغات

الاسلامية الأخرى، وبدأت أوروبا بإرسال رحالتها إلى عالمنا العربي الإسلامي لإستكشافه من داخله، فلبسوا أزياء البلاد التي زاروها[1]، ومنهم من إدعى إسلامه ليتعمق أكثر في هذه المجتمعات ويتفحصها عن قرب بدون حسيب أو رقيب!!! كما بدأت أوروبا بإنشاء مراكز ومعاهد وأقسام علمية لدراسة العالم العربي والإسلامي منذ قرون عدة، وقامت بتخصيص عدد من خيرة أبنائها لدراستنا، حتى أنه في عام ١٨٧٣ م عقد أول مؤتمر للجمعية الدولية للمستشرقين وما زالت هذه المؤتمرات تعقد حتى اليوم، ونظراً للسمعة العلمية التي حققتها هذه المراكز والمعاهد توجهت أبناء الدول المختلفة للدراسة في تلك البلاد حتى أنهم يتخصصون في الدراسات المتعلقة ببلادهم في أوروبا أو أمريكا من النواحي التاريخية والاجتماعية والثقافية والسياسية والحضارية، وكان من نتيجة هذه السياسات أن استطاع الغرب استقدام أبناء الأمة العربية الإسلامية للدراسة عندهم وخصوصا المتميزين من طلاب الدراسات العليا، فأصبحت رسائل

---

(١) يعتبر توماس إدوارد لورنس الملقب (لورنس العرب) من أشهر شخصيات الربع الأول من القرن العشرين فإسمه اقترن بكتب التاريخ بثورة الشريف حسين امير الحجاز ضد الحكم العثماني عام ١٩١٦ م، كان قد تخرج من جامعة أكسفورد وسافر إلى سوريا وفلسطين بحجة الدراسات الأثرية، قطع خلالها المسافات الشاسعة يبيت عند الفلاحين والبدو في خيامهم يشاركهم المأكل والمشرب، وأقام مدة في جبيل ليتعلم هناك مبادئ اللغة العربية قبل سنة ١٩١١ م وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى راحت الدول الاستعمارية الكبرى تسعى لتحقيق مصالحها الخاصة في المنطقة العربية، واخذت بريطانيا ترسل عملائها الى المنطقة فاستدعت القيادة الانكليزية أصحاب الخبرة في البلاد العربية ومنهم لورنس، الذي التحق بسلك المخابرات العسكرية وأرسلته حكومته في بعثة إلى صحراء سيناء، فكتب دليلا لها لاستعمال الجنود، وادعى أنه جاء ليكشف الطريق التي سلكها بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر، بينما كان في الواقع يقوم برسم الخرائط للمنطقة لاستعمالها في حالة الحرب، وعندما دخلت الدولة العثمانية الحرب في أواخر عام ١٩١٣ م عيّن لورنس في القاهرة مشرفا على شبكة للتجسس ومن مهماته تهيئة الخرائط العسكرية وضبط وتنظيم المعلومات الواردة التي تأخذ من الأسرى والفارين من الجيش العثماني وتنسيقها مع المعلومات الواردة من الجواسيس، ويقول لورنس في أحد تقاريره: " لو تمكنا من تحريض العرب على انتزاع حقوقهم من تركيا فجأة وبالعنف لقضينا على خطر الاسلام إلى الأبد، ودفعنا المسلمين إلى إعلان الحرب على انفسهم فنمزقهم من داخلهم وفي عقر دارهم وسيقوم نتيجه لذلك خليفه للمسلمين في تركيا وأخر في العالم العربي ليخوضا حربا دينيه داخليه فيما بينهما ولن يخيفنا الاسلام بعد هذا أبدا ".

ولهذا فقد سعى لكسب ود العشائر والقبائل والتأثير على زعماء العرب لدفعهم للقيام بالثورة وفي سبيل ذلك، لبس لباسهم وسلك سلوكهم كي يتمكن من أن يتحكم بهم تحكم الاستعماريين بالشعوب.

وهو يقول في (كتيب البنود ٢٧) الذي أعده لتعليم الضباط على طرق التحكم بالعرب: إذا أمكنك لبس لباس العرب عندما تكون بين رجال القبائل فإنك تكسب بذلك ثقتهم،

وهكذا فلما اعلنت الحرب قام لورنس بمرافقة فيصل بن الحسين عامين ونصف، وفي أثناء ذلك سار الجيش العربي من ميناء جدة على البحر الأحمر حتى دخل دمشق منتصرا عام ١٩١٨ م، هذا و لم يخفي لورنس تأييده لوعد بلفور، فبعد زيارته لفلسطين رأى أنه كلما أسرع اليهود في الاستيلاء على فلسطين وزراعة أراضيها كان ذلك أفضل، كما أهدى لورنس كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) إلى سارة أرنسوهن الجاسوسة اليهودية التي ألقى الأتراك القبض عليها في الناصرة أثناء الحرب في فلسطين فانتحرت حتى لا تبوح بسرها.

وعلى العموم فقد كان لورنس من صفوة العملاء الذين أوفدتهم بريطانيا إلى بلاد العرب فخدمو سياسة وأهداف دولتهم بذكاء وإخلاص.

الماجستير والدكتوراه تتقل إليهم أدق التفاصيل في حياتنا في مختلف نواحيها، بل إنهم حرصوا على فتح جامعات لهم في بلاد العرب والمسلمين لكي تسهم موادها الدراسية في تشكيل عقول الطلاب وآرائهم وكذلك رعايتهم لكثير من الندوات والمؤتمرات التي تعقد في بعض الدول العربية الاسلامية بتمويل من المؤسسات العلمية الغربية حيث يحضرها بعض المراقبين من الغربيين، وهذا طبعا عدا عن الكتب المؤلفة من قبل المستشرقين[1] والتي تدرس في كثير من جامعات العرب والمسلمين ككتاب (تاريخ الشعوب الاسلامية) للكاتب (كارل بروكلمان) والذي يعده البعض مرجعاً أساسياً في دراسة التاريخ الاسلامي، أو كتاب (تطور العقيدة الاسلامية) للمستشرق (دنكان بلاك ماكدونالد)، وربما كان من أكثر الأمور خطورة والتي قام بها المستشرقون هو إصدار (دائرة المعارف الإسلامية) بعدة لغات، والذي كان (أدوين كالفري) وهو أمريكي متعصب من محرريها وهو معروف باتجاهات تبشيرية سافرة وكذلك الفرنسي المتعصب جداً ضد كل ما هو عربي ومسلم (بارون كارادي فو) والذي ساهم بنصيب بارز في تحرير دائرة المعارف الإسلامية، وغيرهم ممن عرف عنهم عدائهم الشديد وحقدهم الدفين للعروبة والإسلام، وتكمن الخطورة في كونها اصبحت لاحقاً مرجع هام لكثير حتى من المسلمين في دراساتهم، رغم ما فيها من التشويه والتحريف بحق الإسلام العربي، والعرب المسلمون، وكتاب (دراسة في التاريخ) ل (أرنولد توينبي) لا يقل خطورة لما حمله من أخطاء - كتبها عن الإسلام ورسوله، لكونه يعتبر أحسن دراسة موضوعية للتاريخ في العصر الحديث في نظر كثير من الناس وخاصة من العرب المسلمين بشكل خاص، كما وأن الترجمات التي قامت للقرآن الكريم إلى اللغات الأخرى،

---

(١) بعض أكثر الكتب خطورة والتي تطعن بالعرب المسلمين وبالإسلام العربي التي ألفها المستشرقون ووضعوا فيها تخيلاتهم وتصوراتهم وبثوا فيها سمومهم وتعصبهم وحقدهم، وهي شائعة الإنتشار ولها شبه مصداقية لدى العرب والمسلمين.
دارة المعارف الإسلامية \ والتي حررها عدد كبير من المستشرقين.
موجز دائرة المعارف الإسلامية. - دراسة في التاريخ (القسم المتصل بالإسلام ورسوله) \ أرنولد توينبي. - الإسلام \ ألفرد جيوم. - الإسلام \ هنري لامنس. - تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي \ جولد زيهر. - مصادر تاريخ القرآن \ آرثر جيفري. - إسلام العصور الوسطى \ ج. فون جرونباوم. - اليهودية في الإسلام \ أبراهام كاش. - ١٠- الحلاج الصوفي الشهيد في الإسلام \ لوي ماسينيون.

قامت على أيدي هؤلاء المستشرقين، مع ما يحمله ذلك من مخاطر التشويه والتعصب ودس الاكاذيب والإفتراءات في تلك الترجمات (كترجمة القرآن) التي صدرت في عام ١٩٥٠م والتي قام بها الانجليزي (أ.ج. أربري) المعروف بالتعصب ضد الإسلام والمسلمين وهو أيضاً من محرري دائرة المعارف الإسلامية، كما وقد عمل المستشرقون إلى اختراق المجمعات اللغوية العربية في دمشق وبغداد ومصر، فكان هذا الاحتلال الاستشراقي الخفي الذي أرسل الينا نخبةً من عملائه وأخطرهم اليهود والصليبيون المتصهينون وهم يلبسون أقنعة ناعمة براقة، مدعين أنهم أصحاب مشروع حضاري يهدف إلى حماية موروث العرب الثقافي والتاريخي، فخرجت أجيال عربية شربت ثقافتها من ينابيع غربية ملوثة[1]، كان هدفها ضرب أركان العرب المسلمين ومقومات وجودهم عن طريق إيجاد منظومة كاملة من المعاجم والموسوعات والمعارف المشوهة والتي تؤدي إلى تضييع الشخصية العربية الربانية وتؤدي إلى إبقاء هذه الأمة في حالة عطب وعجز، يقول (جوزيف رينو): "والأن، لو

(١) في أحد نقاشاتي مع صديق لي وهو أستاذ كريم كان قد عاش في فرنسا وعمل بها، وكنا نتحدث عن شخصية الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي وإذ به يخبرني بأن صلاح الدين نفسه لم يأخذ القرار النهائي بطرد الصليبيين من بلاد العرب وتحريرها من دنسهم إلا بعد أن أسر احد أمراء الفرنجة شقيقته واعتدى عليها، وأراد أن يفهمني أن صلاح الدين لم يخرج جهادا في سبيل الله ولم يكن مع من سبقوه أصحاب مشروع جهادي تحرري ولكنه خرج غاضبا ثائرا لشرفه المنتهك!!! فلما انتهى أخبرته بأن هذا الكلام هو رواية الأوروبيين الكاذبة عن الأحداث وأن هذه الرواية تهدف لتقزيم ذلك المشروع الجهادي الذي بدأه عماد الدين زنكي ومن ثم أكمله ولده نور الدين وتوّج بلحظة النصر العظيم التي فتح فيها صلاح الدين بيت المقدس مستعينين جميعا بالله أولا وبأبناء الأمة من الشرفاء ثانيا وأخبرته أن صلاح الدين ما كان ليوجد لولا الذين سبقوه فمهدوا له ولمن معه الطريق نحو تحرير القدس، وأنشأوا جيلا من الأمة كان هدفه الجهاد وتحرير بيت المقدس وغايته الجنة فلما انتهيت، قال لي ربما كان كلامك صحيحا وأضاف بأن الأوروبيين لهم سوابق كثيرة بتحريف وتشويه الحقائق، فطلبت منه حينها أن نكون حذرين في طرح هكذا مواضيع ومتأكدين من مصادرنا حتى لا نساهم من حيث لا نعلم بتأكيد أكاذيب الغرب ونشر أباطيله بيننا فوافقني الرأي، وأنا هنا أريد أن أضيف باننا عندما نتكلم عن الحروب الصليبية نتكلم عنها وكأنها من الماضي، أي انها انقضت وانتهت ولكن العاقل يدرك أن هذه الحرب مستمرة ولم تنتهي ويمكن لنا أن نراها في أرجاء العالم العربي الاسلامي في العراق وأفغانستان في السودان ومصر والخليج العربي وكذلك في بلاد الشام والمغرب العربي وباكستان وتركيا وغيرها من أصقاع العالم الاسلامي والمشكلة أن العرب المسلمين في ظلام حاضرهم ظنوا أنه من الممكن أن يتآخا الحق والباطل، ناسين قول الله عز وجل: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨] وهذا القول هو ما فهمه صلاح الدين ومن كانوا معه ومن سبقوه في الجهاد ضد الفرنجة وهذا ما دفع صلاح الدين ليقول إلى القاضي بهاء الدين بن شداد الآتي: " احكي لك شيءا من نفسي، أنه متى يسّر الله تعالى فتح بقية الساحل، قسمت البلاد، وأوصيت وودعت، وركبت هذا البحر إلى جزائره وأتبعتهم (أي الكفار) حتى لا أبقى على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت "، ويجب أن تكون هذه هي رسالة كل عربي مسلم في هذه الحياة إذا كان حقا يعتبر نفسه من أهل الحق يقاتل بالحق وللحق

قدر لموسى بن نصير، ولطارق بن زياد، ولعبد الرحمن الثالث، أن يعودوا الى الحياة، لاندهشوا لتغير ميزان القوة بين المسلمين والمسيحيين".

ولما أدعى الاستشراق لنفسه صفة البحث واعتبر انه يمثل الشكل العلمي الأكاديمي، قام المستشرقون من خلال تأليف الكتب، وإلقاء المحاضرات في الجامعات والمؤتمرات العلمية، ومن خلال تلك المقالات في المجالات المهتمة في الشؤون العلمية، بشرح الإسلام بطريقة تؤدي إلى نفور المسلمين منه، وتؤدي إلى دخول الشك والريبة في نفوسهم تجاهه، مما ينتج عنه لاحقاً، إماتة تلك القيم العظيمة للإسلام العربي في النفوس، هذا بالنسبة للمسلمين فما بالك بغير المسلمين، فنشط المستشرقون في قلب الحقائق القرآنية وتحريفها وتفسيرها وفق رغباتهم، والأمثلة على ذلك كثيرة، ففي مبدأ (قوامة الرجل على المرأة) ينطلقون بأنها تنبع من نظرة التفوق الذكوري، ويعتبرون أن الإسلام قد إرتقى بالرجل بينما أنزل المرأة إلى منزلة العبودية والإذلال، ويصور المستشرقون، بأن تمسك الرجل المسلم بإسلامه تنبع من هذه القضية، وبالمقابل يحاول إظهار المرأة المسلمة بأنها ليست شديدة التمسك بالإسلام لنفس السبب.

وكتبت مجلة (The Muslim World) عدد تشرين الأول سنة ١٩٥٥م، التي يصدرها الدكتور (Crayg) مدير مؤسسة هاري فورد للدراسات الدينية والشرقية بالولايات المتحدة الأمريكية، شرحاً لآية (إلى الله المصير)، فتقول ما ترجمته: "إن إله الإسلام متكبر جبار مترفع عن البشرية يطلب أن يسير العابد نحوه، بينما إله المسيحية عطوف متواضع يتودد إلى الناس، فظهر في صورة بشر – وذلك هو الإله الإبن، فعقيدة التثليث في المسيحية قربت الإنسان من الإله، وأعطته نموذجاً رفيعاً واقعياً في حياته يسعى ليقترب منه... أما عقيدة التوحيد فباعدت بين الإنسان والإله، وجعلت الإنسان متشائما من شدة الخوف منه، ومن جبروته وكبريائه"[1].

وفي قوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) كتب المستشرق (فليب فونداسي) في كتاب (دراسة عن الإسلام في إفريقيا

السوداء) فيفسر مبدأ الزكاة على النحو الآتي: " إن الأموال المادية - في نظر الإسلام - هي من أصل شيطاني نجس، ويحل للمسلم أن يتمتع بهذه الأموال شريطة أن يطهرها، وذلك بإرجاع هذه الأموال إلى الله ".

كما وقد عمد المستشرقون إلى إظهار الآيات القرآنية بمظهر منتهية الصلاحية، والترويج بين العرب المسلمين إلى ان تلك الآيات كانت قد جاءت لمعالجة بعض القضايا والمشاكل في حياة الرسول ﷺ وهي لا تصلح للتطبيق العملي بعد وفاته ﷺ، ويجب أن تقصر على عهده فقط، فهاهو المستشرق الانجليزي (جيوم) في كتابه (الإسلام) يقول: " كل مسلم يعلم أن كثيراً من القرآن جاء للوجود كي يلتقي مع بعض أزمات معينة، أو لأحوال مؤقتة في حياة محمد! لكن من هو الذي يعلم أن الواجبات والمحرمات والمكروهات التي جاءت في الإسلام، مقصود أن تساس بها حياة الملايين بعده، كي تظل تعيش في اوضاع لا تتصور، وهي أوضاع القرن السابع الميلادي ".

كما وأنهم يتناولون موضوع (الرجوع إلى القرآن الكريم) والذي نادى به كثير من المصلحون في امة العرب المسلمون وعلى رأسهم إبن تيمية رحمه الله، للعودة إلى المنابع النقية والبسيطة للدين الرباني، وترك كل ما علق به من الإنحرافات والتشوهات والإضافات والتي هي ليست من الدين الحق في شيء، على أنه دعوى إلى البدائية والتخلف، من خلال الرجوع بالزمن لعهد الصحابة، معتبرين ان لا إصلاح بالرجوع إلى الخلف.

وبالنسبة للجهاد فقد سعى المستشرقون لإقناع العرب المسلمين بأنه مجرد فكرة منتهية الصلاحية، فهي انتهت بانتهاء عهد رسول الله ﷺ وعهد صحابته الكرام، والترويج الدائم لفكرة أن تخلف المسلمين هو دليل على تخلف الإسلام وبأنهم أن أرادوا أن يتخلصوا من هذا التخلف والجهل فعليهم التبرئ من الإسلام ومن قيمه ومبادئه.

كمـا كـان الاستشـراق والاسـتعراب مرتبطـاً بمشـاريع الصـهيونية والاسـتعمار الغربـي يخـدم مصـالحها ويحقـق أهـدافها، ونجـح اليهـود في التسـلل إلى حقـل الاستشـراق واسـتطاعوا أن يكيفـوا أنفسـهم ليصـبحوا جزئـا مـن حركـة الاستشـراق الأوروبيـة ويصـبحوا عنصـرا أساسـيا في إطـار الحركـة الإستشـراقية الصـليبية فهـم دخلـوا المجـال بوضـعهم الأوروبـي لا اليهـودي وأحـدثوا الكـثير مـن حـالات الفوضـى والهـرج والمـرج في تاريخنـا الاسـلامي واسـتطاعت اليهوديـة العالميـة مـن تنصـيب اليهـود في صـدارة حقـل الاستشـراق فعلـى سـبيل المثـال المستشـرق المجـري (جولـد زيهـر) ١٨٥٠ - ١٩٢٠ وهـو يهـودي متعصـب، ويعتـبر هـذا الرجـل زعـيم الاسـلاميات في أوروبـا وكتبـه ومؤلفاتـه تحظـى بعظـيم الاحـترام مـن قبـل المستشـرقين كافـة وكتابـه (تـاريخ مـذاهب التفسـير الاسـلامي) يعتـبر مـن أهـم وأشـهر المراجـع المعـترف بهـا مـن قبـل الأوروبـيين، وهـو بالمناسـبة مـن أشـد المناصـرين والمـدافعين عـن الفكـر البـهائي فهـو كـان قـد اعطـى أنصـار هـذا المنـهج نياشـين الايمـان وألقـاب البطولـة والشـجاعة، والبهائيـة كمـا هـو معـروف هـي حركـة نشـأت تحـت إشـراف اليهوديـة العالميـة وبرعايـة الاسـتعمار الانجليـزي بهـدف إفسـاد العقيـدة الاسـلامية وضـرب المسـلمين مـن الـداخل، فكـان الحقـل الاستشـراقي أحـد أهـم مظـاهر التعامـل والانصـهار الصـليبي الصـهيوني علـى العـرب والاسـلام معـا وكـان مـن الأسـباب الرئيسـية لـدخول اليهـود في هـذه الحركـة الاستشـراقية، الحصـول علـى المعلومـات الأساسـية عـن العـرب وأرضـهم والـتي علـى بطاحهـا سـيتم إنشـاء الكيـان الصـهيوني في المسـتقبل ومـن هنـا نفهـم مقولـة وزيـر الحـرب الإسـرائيلي (موشـيه دايـان) الـذي قـام بـأداء صـلاة الشـكر عنـد حـائط الـبراق الشـريف في القـدس بعـد أن احتلتـها الجحافـل الصـهيونية في حرب عام ١٩٦٧ م وقال: " اليوم فتحت الطريق إلى بابل ويثرب".

ووصـل اليهـود في معرفتـهم بنـا أن عرفـوا التفاصـيل الدقيقـة عـن أمـة العـرب المسـلمين في كـل المجـالات وسـعى المستشـرقون اليهـود ليروجـوا، بـأن الاسـلام قـد اعتمـد علـى اليهـود وعبقريتـهم وعملـوا علـى نفـث سمـومهم في التـاريخ الاسـلامي مـن خـلال (الإسـرائيليات) وسـعوا لإيجـاد مزعـوم لليهـود

في الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده سواء على المستوى العربي أو العالمي، وكانت لهم مواقف خطيرة من القرآن الكريم والرسول محمد ﷺ والتاريخ الإسلامي والسير النبوية وغيرها حتى وجد مستشرقون غير يهود متحمسين لقيام دولة إسرائيل على بطاح الأرض العربية في فلسطين أكثر من تحمس بعض المستشرقين اليهود لها، وقام اليهود لاحقاً بعد أغتصابهم لأرض فلسطين بإنشاء كثير من مراكز الأبحاث عن العالم العربي، مراكز ابحاث منها ما هو متصل بجيش الإحتلال، واخرى متعلقه بالجامعات اليهودية، مثلاً معهد دراسات شرقيه بالجامعه العبريه مهم جداً، معهد شيلوح التابع لجامعة تل أبيب، ومعهد فانلير، ومعهد في جامعة حيفا للدراسات، ومعاهد متعلقه برئيس حكومة العدو في مخابرات الجيش، وغيرها من مراكز الدراسات.

وسعى الاستشراق الغربي المتصهين إلى محاربة كل ما هو عربي وتغييبه بعد تشويهه، وسعى دوما إلى دس السم في العسل والعمل على تفتيت الوحدة الاسلامية من خلال إثارة النعرات والقوميات لتجزئة[1] الأمة الإسلامية وتفريقها، وكان سعي الغرب المتصهين الحثيث لخلق تلك الأقليات إنما ينبع من رغبته بالإستفادة القصوى منها في خلق القلاقل والمشاكل في الوطن الأم مما يستدعي بالضرورة تدخله لاحقاً في شؤون تلك الدول، إضافة إلى الإستعانة بها لحكم الأغلبية الغالبة من أبناء البلد، فيضمن الغرب بذلك ولاء تلك الأقليات والتي تستميت في الدفاع عن سيدها الذي أعطاها كل تلك الإمتيازات من خلال تقليدهم تلك المراكز الخطيرة في القيادة والولاية والوزارة، لكن الغرب الذي سعى إلى التهام الشرق وهضمه وإبقاءه خاضعا له، لضمان استمرارية تفوقه، والإطمئنان

(١) إن التقسيم والتجزئة هي مسالة مهمة وضرورية لمنع الخصم من القدرة على إكتساب القوة والنهوض مجدداً، ومن هنا نفهم إتفاق كل من الولايات المتحدة الامريكية والإتحاد السوفيتي وبريطانيا في مؤتمر طهران في الحرب العالمية الثانية على وجوب وضع حد لألمانيا وطموحاتها في المستقبل من خلال تقسيمها بعد إنتهاء الحرب، ورغم أن كل من روزفلت وتشيرشل لما يكونا قد وصلا آنذاك إلى خطة نهائية إلا أنهما كانا متفقين على ضرورة إعطاء أهمية خاصة لبروسيا بصفتها الجزئ الأكثر عدوانية في الدولة الألمانية وأنه لا بد من نزع مخالبها وقص أجنحتها بتقليل مساحة أراضيها.

إلى أنه سيكون هو صاحب اليد العليا، وهو يرى أن رغبة الشرق العربي الإسلامي بالانعتاق من قيود الغرب واستعماره له ومطالبته الإنسانية بالمساواة والعدالة والتكافؤ الإقتصادي وحقوق الشعوب في ثرواتها ومنع السطو عليها، إهانة كبرى لتلك الديموقراطيات الغربية، وزيادة في التحقير والإذلال جعل الغرب من نفسه عالما اول، وجعل الشرق على العموم والعرب المسلمين على الخصوص عالما ثالث، وسموا أنفسهم بالدول الغنيه وسمونا دول فقيره رغم أن معظم ثروات العالم تقع في أراضي العرب المسلمين والآراء المعاصرة للمستشرقين على الصحافة والعقل الشعبي الغربي والتي تصور العرب المسلمين على أنهم راكبي الجمال الشهوانيين الإرهابيين القتلة الشرهين، والذين لا يستحقون هذه الثروات فيعريهم من إنسانيتهم، ويفترض بأن الغربي ذو حق شرعي بكل موارد العالم الطبيعية واستهلاكها[1] والتمتع بها والاستفادة منها.

لذلك فإن هذا الغرب الغاشم الذي تعلم من الشرق العربي وأخذ منه أسباب نهضته، حاول لاحقا أن يقلل من شأن العرب المسلمين، ثم لم يكتفي بذلك بل سعى على مر القرون إلى تشويه صورة الشرق العربي المسلم ولصق كل التهم والنقائص فيه[2]، وسعي لاقناع العالم بأنه لم يكن للعرب المسلمين أي دور في نهضة العالم العقلية والعلمية ناهيك عن الأخلاقية، وإفهام الشعوب الغربية بأنهم أعز وأكرم من هؤلاء المتخلفين الشرقيين، وبأنهم صنعوا من طينة النبوغ والقوة والذكاء والإبداع، وهم بعكس هؤلاء

---

(١) في نهاية الحرب العالمية الأولى كانت أوروبا قد استعمرت ٨٥% من سطح الأرض.

(٢) في رواية سكوت الطلمسان ١٨٢٥ ينازل سير كينث (من وحدة الفهد الجاثم) مسلماً ويمنعه من التقدم في مكان ما من صحراء فلسطين وحين يتبادل الصليبي وخصمه وهو صلاح الدين مقنعاً الحديث فيما بعد، يكتشف الصليبي أن عدوه المسلم ليس شخصاً سيئاً على الإطلاق، رغم كل شيء وعلى ذلك يقول: " لقد اعتقدت... أن عرقك الأعمى قد انحدر من سلالة الشرير الرجيم الذي ما كنتم لتستطيعوا دون عونه أن تحتفظوا بأرض فلسطين المقدسة هذه في وجه هذا العدد من جنود الله الشجعان. وأنا لا أتحدث بهذه الطريقة عنك أنت بالذات، أيها المسلم بل بشكل عام عن قومك ودينك، ومع ذلك فالغريب في نظري ليس انك تنحدر من سلالة الشرير، بل انك أيضا تفاخر بذلك".

وها هو ذا الروائي الفرنسي (جوستاف فلوبير) مثلا يصف بكتابه (معجبة الشرق) فيقول: " من أجل تسلية الجمهور، أخذ مهرج محمد علي امرأة في أحد أسواق القاهرة ذات يوم، ومددها على دكة أحد الدكاكين وضاجعها علناً بينما كان صاحب الدكان يدخن غليونه بهدوء.!!! ".

البدائيين (العرب المسلمين)، وبنفس الوقت لم ينسوا أن يزرعوا هذه الخرافات والتفاهات في عقول أبناء الأمة العربية والإسلامية الذين ذهبوا ليدرسوا ويتعلموا لديهم، فضاعوا في ظلمات الغرب الحاقد على العرب المسلمين، وزلت أقدام الكثيرين منهم، وسقطوا في رمال الاستشراق المتحركة التي ابتلعتهم وجعلت عقول هؤلاء تضل في الشك والريبة بدينها وتاريخها.

وهنا أعرض نموذج هو صورة للكثير غيره ممن سمم عقله، واستسلم لهذا الفكر الغربي الصهيوني الاستشراقي، وعانى من الإنفصام الفكري والثقافي وهو أستاذ الفلسفة الدكتور زكي نجيب محمود والذي كان أستاذا جامعيا وصار مؤلفاً لأنواع مختلفة من الكتب، وهو واحد ممن كبرت عقولهم على منابع الثقافة الأوروبية، وأحد المؤمنين والداعين لهذه الفلسفة الأوروبية والمدرسين لها، ولو كانت مناقضة لأساس الثقافة العربية وطبيعتها ونظمها، فهو في كتابه (تجديد الفكر العربي) يريد أن تستسلم الثقافة العربية في مجتمعه أمام هذا الغزو الجارف للثقافة الغربية بكل ما تحمله من انحرافات تهدد هوية هذا المجتمع وأخطار فكرية تسعى لتركيعه وإخضاعه، وهذا طبعا وفق ما كتبه هو نفسه في كتبه ومقالاته، بدلاً من أن يسعى إلى استكمال وايجاد الثقافة العربية المتكاملة، وبعد ذلك يمكن له ولسواه أن يوجد نقاط الوفاق وقضايا الخلاف مع هذه الثقافة الأوروبية، ولكنه بدلا من ذلك وقف ليعلن موقفه الاستنكاري كما يراه ويقول: "كيف نعيش عرباً، ومسلمين، وفي الوقت نفسه نعيش متحضرين حضارة العصرالراهن".

فبالنسبة لزكي نجيب، لا يمكن جمع المتناقضات وهي هنا (العروبة والاسلام والحضارة).

وقبل أن يسأل فيلسوفنا عن الأسس الفكرية التي قام عليها المجتمع العربي الإسلامي الأول فإنه يلخص فلسفته تلك بقوله: " إن العرب ليست لهم فلسفة في هذا العصر... ولكن الفلسفة لازمة للحضارة... وهذه

الفلسفة لا توجد إلا في مراكز الحضارة في العالم وهي أوروبا والهند ... ولقد عرف العرب الفلسفة يوما في عصور الحضارة الإسلامية ".

وهو بذلك كان يدعو العرب ليحولوا وجوههم باتجاه المحراب الغربي علهم يجدون الحضارة المفقودة لديهم، ونسي هذا الرجل الطيب أنه حتى في أوروبا وبالرغم مما يجمع بينها من صلات في المصالح والمعتقد والتاريخ والجغرافية فإن هذه الدول حريصة على هويتها القومية الخاصة بها، فالفرنسيين مثلا كانوا قد أصروا على استثناء القضايا الثقافية من معاهدة (الجات) حرصا منهم على مقاومة المد الاعلامي الأمريكي والذي يمثل ثقافة مختلفة عن الثقافة الأوروبية وكانت الحكومة الفرنسية قد أصدرت قبل عدة سنوات عقوبات على كل من يستخدم أي لغة اجنبية في المعاملات الحكومية أو غير الحكومية او الإعلانات، وذلك كله لحماية اللغة الفرنسية، كما جعلت هذه اللغة هي لغة المؤتمرات والندوات العلمية التي تعقد في فرنسا، بقي أن أشير هنا إلى الرسالة التي أرسلها نابليون بونابرت إلى نائبه كليبر في مصر ويطلب إليه فيها أن يجمع خمسمائة أو ستمائة شخص من المماليك أو العمد أو المشايخ وأن يرسلهم إلى فرنسا قائلا له: "يحجزون لمدة سنة أو سنتين يشاهدون في أثنائها عظمة الأمة الفرنسية ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا، ولما يعودون إلى مصر يكون لنا فيهم حزب يضم إليه غيرهم".

وبعد كل ما تقدم ذكره نجد أن الغرب لم يترك طريقة من الطرق إلا واستعملها لاصطياد عقول الأمة وتفريق الكلمة وتحريف الدين وتشويهه، واستطاع أن يستميل مئات الألوف إلى مذهبه ويلقنهم مبادئه الجديدة، واستطاع أن يحولهم في يده إلى آلة صماء يسخرهم لتحقيق أهدافه ويقذف بهم أينما ومتى شاء، وحول هذا الشرق العربي الإسلامي إلى أمة محكومة من قبله معتبرا أنه لا يستحق أن يحكم نفسه فتعامل معه كأرض خالية يزرعها بما شاء ويحصدها متى شاء.

فكانت مهمة المستشرقين والتي تتلخص بتفصيص هذا الشرق[1]، فدرسوا وفسروا الحضارات والسلالات والثقافات والعقليات وترجموا النصوص ووضعونا تحت مجهرهم وسعوا إلى تعويم الدين بعد أن أقنعونا بأن هذا الدين منتهي الصلاحية، وأنه ليس أكثر من مجرد عبادات شكلية كالصلاة والصوم والحج وغيرها، كما سعى هذا الغرب لأن يضع أنصاره وأتباعه وصنائعه في هذه الأمة في المناصب الرئيسية بالحكومات والمؤسسات والشركات الرسمية وغير الرسمية، لكي يتولوا المناصب ذات الأثر الفعال في خلق المناخ الملائم لتحطيم الأمة من الداخل وحرفها بعيداً عن المسار الرباني الصحيح وإيجاد فراغ هائل في دواخل العرب المسلمين يملؤه الغرب بما شاء لأحكام سيطرته على أرض العرب، فسعى لتقسيم الأمة إلى أمم والوطن إلى أوطان وخلق قوميات وإثنيات، فكتب لها تاريخا مزيفا خاصا بها وأوجد لها لغات متبعثرة وأوهمها بأنها خير لها من لغة القرآن والبيان وشكل فلسفاتها ومجادلاتها ونظمها لتعمل تحت رايات تاريخها القومي الوهمي فتقوم بهدم المجتمع العربي الاسلامي فوق أرضه[2]، ووضع بينهم وبين العروبة حواجز من الشك والكره والريبة، وشجع الطوائف والحركات السرية المسخرة لهدم كيان

---

(١) يقول الأديب الفرنس (بول فاليري) مجيباً على أحد الأسئلة بالمجلة الفرنسية (دفاتر الشهر) عام ١٩٢٥ م الآتي: " من وجهة النظر الثقافية، لا يبدو لي أن ثمة ما نخشاه الآن من التأثير الشرقي. فهو ليس مجهولا لنا. فنحن ندين للشرق بجميع بدايات الفنون والآداب لدينا وبقدر عظيم من معرفتنا.

وإن في وسعنا أن نرحب بما يصدر الآن عن الشرق، إذا كان ثمة من جديد يصدر عنه — وذلك ما أشك فيه كثيرا. وهذا الشك بالضبط هو ضمانتنا وسلاحنا الأوروبي العظيم.

(٢) كتب في صحيفة الأنوار اللبنانية العدد ١٨٠٢٥ — بتاريخ ٢٥ نيسان ٢٠١٢ تحت عنوان:

رئيس (حزب الحمير) في كردستان العراق: عدد الحزبيين يزيد على ١٠ آلاف شخص.

قال عمر كلول، رئيس (حزب الحمير) في كردستان العراق، إن (عشرات الفنانين والكتاب والمثقفين الأكراد قرروا الانضمام إلى حزبنا، حزب الحمير، بعد أن أزحنا الستار عن تمثال الحمار رمز حزبنا). وكان كلول قد أزاح الستار عن أول تمثال برونزي لحمار يرتدي بدلة وربطة عنق وضع في ساحة نالي وسط مدينة السليمانية.

وتحدث كلول عن بدايات تأسيسه لهذا الحزب الذي يربوا عدد أعضاءه اليوم على عشرة آلاف شخص، موزعين على أنحاء كردستان وأجزاء من العراق، قائلا: "عندما سجنت في مديرية الأمن التابعة لنظام صدام حسين، فكرت وأنا داخل السجن بأن ألجأ إلى خدعة النظام لمواصلة نضالي القومي، فمع اشتداد قبضة النظام على مفاصل العراق وملاحقته لكل صوت معارض، واتتني فكرة التستر تحت اسم معين لحزب جديد أواصل من خلاله نشاطي، ونظراً لتعاطفي الشديد مع الحيوانات، وخاصة مع الحمير، وبعد ان وجدت أن ظلم الإنسان لأخيه الإنسان وصل إلى حد القتل والإبادة والتعذيب بشتى الأشكال أعلنت تأسيس حزب الحمير عام ١٩٧٩، وبعد فترة قصيرة وجدت الكثيرين يطلبون الانتماء إلى هذا الحزب، وهكذا أصبح هناك انتماء للحزب حتى من بقية مناطق العراق.!!!

الأمـة وتمزيقهـا وشـجعها علـى نشـر معتقـداتها الدينيـة الفاسـدة وعاداتهـا الاجتماعيـة المنحرفـة، فحـرّف التـاريخ وقلبـت صـورة العروبـة والاسـلام الصـحيح واسـتخف بالثوابـت وعرضـت الحقـائق بشـكل معكـوس وبثـت هـذه السـموم في صـدور أبنـاء الأمـة وعقـولهم ونجحـت المخططـات الاسـتعمارية الصـهيونية بتفتيـت وحـدةِ الأمـة الدينيـة والفكريـة والحضـارية وأيضـا بتمزيـق جغرافيتـها ولغتـها وولائهـا وأهـدافها، لنتحـول مـع مـرور الوقـت إلى أقليـات منغلقـة علـى نفسـها تتخـوف مـن غيرهـا فرقـاً ومـذاهب وديانـات وتنظيمـات، وسـط هـذا الطوفـان المعـادي لكـل مـا هـو عربـي إسـلامي، بعـد أن كنـا امـة واحـدة قويـة منصـهرين في بوتقـة واحـدة، في زمـن كـان العـرب المسـلمون يحكمـون الـدنيا ويسـيرون شـؤونها، يومهـا لم يكتـف العـرب المسـلمون بالنـدب والعويـل ولا بالسـماع والنقـل مـن كتـب الأقـدمين للوصـول إلى المعلومـات الدقيقـة، بـل عملـوا بقـول الله تعـالى: (وَقُـلِ اعْمَلُـوا فَسَـيَرَى اللَّـهُ عَمَلَكُـمْ وَرَسُـولُهُ وَالْمُؤْمِنُـونَ) [التوبـة: ١٠٥] فـاتجهوا نحـو الرحلـة واكتشـاف المجهـول للحصـول علـى المعلومـات الصـحيحة الـتي تفيـد دولتـهم وتكشـف لهـم خفايـا القـوة لـدى أعـدائهم وأسـلوب عيشـهم وطـرق تفكيرهـم، فجـاب الرحالـة العـرب المسـلمين العـالم القـديم وسـجلوا ملاحظـاتهم ودونـوا معلومـات في غايـة الأهميـة عـن التضـاريس الجغرافيـة مـن جبـال وسـهول ومواقـع المـدن الكـبرى وأهميتـها السياسـية والاقتصـادية وشـرحوا عـن طـرق المواصـلات والمسـافات بينـها وكـذلك الحـدود والمسـالك وطـرق القوافـل البريـة، كمـا درسـوا البحـار والانهـار والخلجـان والخطـوط البحريـة بـين المـوانئ ودونـوا لـديهم أحـوال سـكان تلـك البلـدان الإقتصـادية والإجتماعيـة بالإضـافة إلى دراسـة المنـاخ والبيئـة وأثرهـا علـى السـكان وسـجلوا بـأدق التفاصـيل نشـاط المجتمـع البشـري في تلـك البلـدان (عـاداتهم – اخلاقهـم – صـفاتهم – علـومهم – ملابسهم – صنائعهم – مبانيهم) إلى غير ذلك.

فـدونوا الاحـداث الـتي وقعـت خـلال رحلاتهـم وكانـت تلـك المعلومـات ذات أهميـة بالغـة بالنسـبة للامبراطوريـة العربيـة الاسـلامية المتراميـة الاطـراف والـتي كانـت تتمتـع بـالأمن والإسـتقرار السياسـي والإزدهـار الإقتصـادي، فنشـطت فيهـا التجـارة وحركـة النقـل بالإضـافة إلى اكتسـاب المعلومـات الضـرورية لحمايـة

حدود الامبراطورية العربية الإسلامية، فكان لدى الأمة جيش من المستكشفين والدارسين والباحثين والرحالة كإبن بطوطة صاحب (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) والذي زار بلاد الهند وجزيرة سيلان والصين والقسطنطينية وعدد من البلاد الإفريقية.

وشهاب الدين ياقوت الحموي صاحب موسوعة (معجم البلدان) والذي احتوى كتاب رحلته على جميع المعارف عن الكرة الأرضية في القرون الوسطى بما فيها مشاهير البلدان وأحداثيات المدن وتاريخها .

وغيرهم من الرحالة والمستكشفين أمثال ابراهيم بن يعقوب الأندلسي والذي وصف المانيا وأوروبا الوسطى وإبن فضلان الذي كتب عن تركيا وأجزاء من روسيا وخاصة منطقة نهر الفولغا وغيرهم الكثير، فهل يدور الزمان دورته وتعود تلك الأيام وتستيقظ أمة العرب المسلمين من سباتها لتدافع عن ذاتها ووجودها ومصيرها في وجه أعداءها المستهينين بها والفرحين بنجاح تغلغلهم في جوانحها وقلبها وفكرها ولسانها، لتحقق في ومضة من الزمن كل ما قطعته مسيرة أعدائها لتخريب صروحها وكيانها ومعالمها في قرون وتدرك ما الذي عليها أن تفعله في يومها وغدها .

دعونا نتعلم هذه المرة من الغرب والذي لديه حكمة تقول (إذا كان هناك إرادة فهناك طريقة).

التبشير والإستعمار الغربي توأمان

لقد عملت الإرساليات والبعثات التبشيرية الغربية في مختلف المناطق العربية الإسلامية مبكراً من القرن السابع عشر، على محاولة إقناع العرب المسلمين بمزايا الدين المسيحي، وحاولت التشويش على البعض من خلال ربطها بين الدين الإسلامي وتخلف الشرق، ولقد نشطت تلك البعثات والإرساليات لإحداث إنقسام في المجتمع العربي الإسلامي، وقد نجحت بإصطناع فئة من المفترض أنها من العرب المسلمين تتخبط في تلك الحداثة المستوردة من الغرب، مما أدى بالضرورة إلى إيجاد فئة أخرى أرادت أن تواجه تلك الحداثة المستوردة فسقطت في أحضان السلفية الجامدة أو الصوفية التقليدية، وكانت تلك البعثات التبشيرية الغربية امتداداً للحملات الصليبية التي عرفها الشرق والتي اتخذت أشكالاً وأساليب جديدة، يقول القس (مييز): " إن الحرب الصليبية الهادئة التي بدأها مبشرونا في القرن السابع عشر لا تزال مستمرة إلى أيامنا هذه ".

كما يقول اليسوعيون: " ألم نكن نحن ورثة الصليبيين... أولم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشيري والتحدي المسيحي... ولنعيد في ظل العلم الفرنسي وبأسم الكنيسة مملكة المسيح؟ ".

إذاً فقد خرج التبشير والإستعمار من رحم واحدة، فلقد كان المبشرون هم القناع الذي أختبئ وراءه المستعمرون الغربيون، كما كان الإستعمار مجسداً لتلك الآمال والروئ التبشيريه الغربية في المجالات الدينية والعسكرية والإقتصادية والسياسية، فلم يكن نهوض ملوك الغرب لشن حروبهم الصليبية على الشرق الإسلامي إلا بعد ان اخذوا مباركة الكنيسة، يوم تسابق الملوك والأمراء الغربيين لتلك الحروب طمعاً بتلك المغانم التي وعدوا بها من قبل باباوات الكنيسة، ويشير الغزالي إلى أن هناك سبباً أساسياً لذلك التلاحم العضوي بين التبشير والإستعمار، وهو إفتقاد النصرانية لوسائل الإقناع، وفشل رجال الكنيسة من شرح العقائد

النصرانية بمنطق العقل، مما دفعهم إلى إستخدام القوة والبطش لإجبار الناس على إعتناقها فكان الإستعمار طريقاً ضرورياً بسبب قصور العقائد والعبادات النصرانية[1].

ولا بد لي من أن أضيئ ولو بعجالة عن تلك الفترة التي سبقت الحروب الصليبية على الشرق العربي لأنها ستفيدنا لاحقا لفهم العلاقة بين التبشير والاستعمار، فلما اتجه بابا الفاتيكان (أريان الثاني) إلى مدينة كلير مونت بفرنسا عام ١٠٩٥م، ليرأس أكبر مجمع يمثل جميع دول اوروبا، وحضره الفرسان من جيوش الاقطاع المتعدد الأصقاع، فألقى فيهم خطابا استهوى فيه نفوس العامة والخاصة وملئه بشتى الأكاذيب والإدعاءات الباطلة فتحدث لهم عن إهانة المسلمين لقبر المسيح وإنهم يجعلون الحيوانات تبول عليه كما تحدث عن فظائع وهمية ارتكبها المسلمون مع الحجاج المسيحيين القاصدين لبيت المقدس، في سعي منه لإثارة الشعور الديني والحمية في صدور عامة الناس في أوروبا وقد استطاع هذا البابا من تحقيق هدفه وهو لم ينسى في تحريضه من أن يستميل الأمراء والفرسان الأوروبيين ويوعدهم بامتلاك إمارات لهم في الشرق العربي الإسلامي معتبرا بأنه إذا كان بيت المقدس مقرا لقبر المسيح فإن تلك الأراضي الغنية هي ملك لأتباع المسيح المخلصين وهي التي تفيض لبنا وعسلا، ولما كانت أوروبا تعيش في أحط مستوياتها الأخلاقية والاجتماعية والدينية وشعوبها غارقه في المعاصي والآثام فكان وعد البابا لهم بالغفران والتوبة من كل ذنوبهم ومعاصيهم، شرط أن يتجهوا الى بيت المقدس، فكانت صكوك الغفران التي تباع من قبل الكنيسة للمذنبين مقابل مبالغ مالية.

ونعرض الآن جزءا من خطاب البابا مترجما عن المجلد الثامن من كتاب (تاريخ المؤرخين): " أيها الجند المسيحيون لقد كنتم تحاولون من غير

(١) الإستعمار أحقاد وأطماع — محمد الغزالي.

جدوى إثارة نيران الحروب والفتن فيما بينكم، أفيقوا فقد وجدتم اليوم داعيا حقيقيا اليها، لقد كنتم سبب انزعاج مواطنيكم وقتاً ما، فاذهبوا وأزعجوا البرابرة، إذهبوا وخلصوا البلاد المقدسة من أيدي الكفار (المقصود هم المسلمون) أيها الجند أنتم الذين كانوا سلع الشرور والفتن، فهبوا اليوم وقدموا قواكم وسواعدكم ثمنا لأيمانكم، وتسلحوا بسلاح الدين والتقوى، فأنتم بذلك تنالون النعيم الدائم. إنكم إن انتصرتم على عدوكم كانت لكم ممالك الشرق ميراثاً، وأنتم إذا خذلتم فستموتون حيث مات يسوع، فلا ينساكم الرب من رحمته، فيحلكم محل أوليائه، هذا أوانٌ تظهرون فيه شجاعتكم، التي أظهرتموها وقت السلم، وإذا كان من المحتم أن تثأروا لأنفسكم فاذهبوا واغسلوا أيديكم بدماء أولئك الكفار!!! لقد أصبح جند النار جنداً لله، يا قوم، إذا دعاكم الرب يسوع إلى مساعدته فلا تتواروا في بيوتكم قاعدين، ولا تفكروا في شيء إلا فيما وقع فيه اخوانكم المسيحيون من الذل والهوان والمسكنة، ولا تسمعوا إلا إلى القدس وزفراته، واذكروا جيدا ما قاله المسيح: ليس مني من يحب أباه وأمه أكثر من محبته إياي، أما الذي يترك بيته ووطنه وأمه وأباه وزوجه وأولاده حباً فيَّ ومن أجلي، فسيخلد في النعيم."

وبعد هذه الخطبة التحريضية دفع البابا أحد أعوانه وهو بطرس الناسك والذي كان لديه قدرة على الخطابة المهيجة في كل مكان يحل فيه فأخذ يجوب أوروبا يلبس ثيابا رثّة حافي القدمين يركب حمارا أعجف ويحمل صليبا كبيرا ليحكي عمن يصادفهم عن آلام وإضطهاد المسيحيين في المشرق وكيف أن العرب المسلمون لا يراعون حرمة لقبر المسيح ولا لزواره.

وكان من الطبيعي أن يلفظ الغرب جيوش أوروبا من الألمان والفرنسيين واللورين والنورمانديين وغيرهم باتجاه الشرق العربي الاسلامي والذي كان في حالة من الضعف والعجز والتفرق في ظل هيمنة الخلافتين العباسية والفاطمية واللتين كانتا أسوء من بعضهما البعض،

لتدخل جيوش الغرب الصليبي المدن العربية الاسلامية في انطاكية والرها وطرابلس والقدس والتي أحدثوا فيها مذبحة من أخطر وأفظع المذابح التي عرفها التاريخ، فهذا شاهد عيان هو (ريمون داجيل) يقول واصفاً الفظائع التي ارتكبتها جيوشهم بحق العرب المسلمين: " ارتفعت الدماء الى ركب الخيل وأعنتها في المسجد، وكل الذين أبقى عليهم التعب من الذبح أسروا طمعا في أن يفدوا أنفسهم بالمال، ثم قتلهم الصليبيون، إذ أجبروهم على أن يلقوا بأنفسهم من أعالي البروج، وكانوا يخرجونهم من الأقبية وأعماق الأرض، حيث يذبحونهم فوق جثث السابقين من الهالكين، إذ كانت الجثث مكدسة لا في القصور والمساجد والشوارع فحسب، بل في أخفى الاماكن وأبعدها، ولم تنته المذبحة إلا بعد أسبوع ".

وهاهو المؤرخ الفرنسي (ميشوا) يقول عن المذبحة التي ارتكبها الصليبيون بأهل القدس: "سرعان ما صارت المذبحة عامة، ذبح المسلمون في الطرقات وفي المنازل، ولم يعد في بيت المقدس ملجأ للمغلوبين، فبعض الذين فروا من الموت ألقوا بأنفسهم من فوق الأسوار، والآخرون جروا جماعات يختبئون في القصور والأبراج وبخاصة المساجد، ولكنهم لم يسلموا من فتك الصليبيين، حيث دخلوا المسجد بسيوفهم ليصرعوا العزل الهاربين. دخله المشاة والفرسان، وفي وسط أشنع ضوضاء، كنت لا تسمع إلا الأنين وصيحات الموت، إذ كان الصليبيون يسيرون على أكوام من الجثث ليستأصلوا من يحاول الفرار ".

وقد بلغ عدد من قتل من العرب المسلمين في القدس السبعين ألفا بحسب اتفاق معظم المؤرخين وهاهو ابن الأثير كتب في كتابه الكامل [1] يقول: " قتل الفرنج بالمسجد الأقصى، ما يزيد على سبعين ألفا، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وزهادهم وعبادهم، ممن فارقوا الأوطان ليجاوروا في المسجد الشريف".

(١) الكامل لابن الأثير (١٠ \ ١١٧).

كل هذا كان قد حدث وأكثر قبل أن تشرق شمس الحق في عقول وقلوب العرب المسلمين من جديد فيلموا شتات أنفسهم ويجابهوا هذا الغرب الحاقد بإيمان صادق وبجهاد مخلص وببسالة منقطعة النظير فيعز الله الحق وأهله، ويذل الباطل والنفاق والغدر وأهله[1].

ومن هنا نرى ذلك الترابط العضوي بين التبشير والإستعمار، ولقد كان الكثير من رجال الدين المسيحيين يعملون وفق النهج الإستعماري وتحت إشرافه، ولذلك فقد كان كثيرا منهم يستلمون مناصب سياسية ودبلوماسية حساسة، فمثلاً عيّن المنصّر (تاهنسال) قنصلاً للنمسا في الخرطوم سنة ١٢٩٣ ه، كما تولى المنصّر (جون فان آيس) خلال الحرب العالمية الأولى أمر القنصلية الأمريكية في البصرة، وكان الراهب (دولا فورست) اول سفير لفرنسا في الأستانة عام ١٥٨٣ م، وعيّنت امريكا المنصر (ناثان) قنصلاً للولايات الأمريكية بالإنابة في طنجة، فكانت تلك العلاقة المشبوهة بين رجال الكنيسة ورجال السياسة الغربيين لتحقيق الأهداف الإستعمارية للغرب، فهاهو نابليون الأول يقول مؤكداً على أهمية عمل المبشرين، في جلسة مجلس الدولة عام ١٨٠٤ م: " إن في نيتي إنشاء مؤسسة الإرساليات الأجنبية، فهؤلاء الرجال المتدينون سيكونون عوناً كبيراً لي في آسيا وإفريقيا وأمريكا، سأرسلهم لجمع المعلومات عن الأقطار، إن ملابسهم تحميهم وتخفي أية نوايا إقتصادية أو سياسية ".

لذلك فإن التبشير قد عمل جاهداً لمساعدة الإستعمار الغربي والتمهيد لة مستعيناً بكل الوسائل المتاحة ومنها التعليم، ذلك أنة أتخذ طريق التعليم انطلاقاً من رياض الأطفال ووصولاً إلى المرحلة الثانوية

---

(١) لو قارنا بين هذا الإجرام وبين آداب حروب الفتح العربي الاسلامي والتي كان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد لخصها في خطبته التي ودع فيها جيش أسامة بن زيد والتي قال فيها: " يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا انفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيءا بعد شيء، فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفقوهم بالسيف خفقا، اندفعوا باسم الله " وهذا يعني أن يقاتل المقاتلون فقط في ميدان المعركة (الطبري: ٣ \ ٢٢٦، والكامل في التاريخ: ٢ \ ٢٢٧)

للجنسين وانتهاءاً بالتعليم العالي كوسيلة مهمة لترسيخ تلك الأفكار المشوهة والمنحرفة ولتسريب سمومه في عقول الأجيال العربية، ومثال ذلك الجامعة الأمريكية[1] ببيروت (الكلية السورية الانجيلية سابقاً) والتي تأسست في بيروت عم ١٨٦٥م، وكان القس (دانيال بلس) رئيساً لها، والذي كان قد ألقى خطاب بمناسبة إختياره لهذا المنصب في إحدى كنائس نيويورك، مؤكداً فيه حاجة الشرق الأدنى إلى أطباء وإلى تعليم ديني تكون التوراة فيه كتاب تدريس دائم، اما عمل الكلية في تصوره، فيجب أن يكون وضع كتب مسيحية تساعد على الإتصال بملايين الناس في آسيا وافريقيا وعلى إسباغ النعمة المسيحية عليها، كما ان الإرسالية الإمريكية البروتستانتية أعلنت ان هذه الكلية هي مؤسسة بروتستانتية وأنها مصممة على إضفاء الطابع التبشيري عليها وعلى ان يكون كل أستاذ فيها مبشراً مسيحياً.

ويحضرني هنا ما كتبه الدكتور هشام شرابي وهو مفكر بارز في صفوف اليسار العربي، والذي كان عضو في مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ورئيس تحرير مجلة الدراسات الفلسطينية الصادرة باللغة الانجليزية عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية، مستعرضاً بعض مراحل حياته ونشأته في كتابه (الجمر والرماد)، الذي يصفه بأنه (ذكريات مثقف عربي)، فيقول: " كانت الحرية التي مارسناها في الجامعة الأمريكية أقل بكثير مما كان يعتقد الناس. فقد خضعت حياتنا في الجامعة لسلطتين كان لا قدرة لنا على مغالبتها: سلطة الإدارة، وسلطة الأستاذ. كانت سلطة الإدارة بالنسبة إلينا كسلطة الدولة بالنسبة إلى المواطن، شاملة متكاملة لا نعرف أين تبدأ وأين تنتهي. اما سلطة الأستاذ فكانت... تفرض من فوق ولا تقبل المعارضة او النقد. وهكذا كان الهدف الأساسي لعملية تثقيفنا في

(١) وكان قد أشار (فيليب آجي) في كتابة (يوميات المخابرات المركزية الأمريكية) الى أن (كريستوفر ثورن) وهو رئيس سابق للجامعة الأمريكية كان عميلاً في ذات الوقت للمخابرات المركزية الأمريكية (CIA)، وكذلك (مالكوم كير) والذي كان مديراً سابقاً للجامعة الأمريكية ببيروت، والذي عمل تحت لواء المخابرات الأمريكية خلال الستينيات، وكان على علاقة حميمة مع الجامعة الأمريكية في القاهرة من خلال برامج مشتركة بين الجامعتين الأمريكيتين في بيروت والقاهرة.

الجامعة... يقوم على تطويعنا وإخضاعنا نفسياً... كانت حصيلة دراستنا الجامعية أن خضعنا لسلطة الكلمة المطبوعة كما خضعنا لسلطة الكلمة المسموعة، فأصبحنا مشلولي الفكر تجاه ما يقرأ، وبخاصة إذا كان مصدره أجنبياً".

وقد لاحظ د.شرابي بعد ذهابه إلى شيكاغو الفرق بين مناهج الجامعة الأمريكية في بيروت وجامعة شيكاغو، فيقول: " أستطيع القول بصدق أنه خلال سنواتي الجامعية لم يرشدني أحد من أساتذتي حول أسلوب البحث الصحيح ولم أتلقى مرة نقداً او تحليلاً في أي بحث قدمته، وتخرجت من الجامعة وانا اكاد لا أعرف معنى المنهجية أو البحث بمعناه الصحيح... فنشأ عندنا الشعور أن الفكر الصحيح إنما هو الفكر المدعوم بقوة الحس وحسن اللغة، لا بقوة النقد والتحليل... واكتشفت جهلي بعد أسابيع قليلة في جامعة شيكاغو".

وكذلك اتخذ التبشير العمل الخيري في الظاهر، من خلال دور الأيتام والمستشفيات والملاجئ ستاراً يختبئ ورائه لتسهيل الوصول إلى أهدافه وغاياته، يقول (ليفونيان): " خابت دول أوروبا في الحروب الصليبية الاولى من طريق السيف فأرادت أن تثير على المسلمين حرباً صليبية جديدة من طريق التبشير، فاستخدمت لذلك الكنائس والمدارس والمستشفيات، وفرقت المبشرين في العالم. وهكذا تبنت الدول حركة التبشير لمآربها السياسية ومطامعها الاقتصادية".

ومن هنا نجد ان التبشير كان سبباً أساسياً ومهماً لمعاونة الاستعمار الأوروبي على اجتياح أرض العرب المسلمين، من خلال بث الوهن والضعف في الجسد العربي الإسلامي، وتعظيم الحضارة الغربية وتمجيد القيم المسيحية والنظام السياسي فيها وكذلك السلوك الفردي للشعوب الغربية، وبالمقابل فإن الإستعمار قد سهل عمل المبشرين واحاطهم بالحماية والرعاية وزودهم بالمال اللازم والسلطة، ومن هنا نفهم سبب قيام الإستشراق أول أمره على أكتاف المبشرين، فالتبشير يعمل وفق منهج

موضوع وخطة مدروسة تنفذ في الخفاء بعيداً عن الأضواء، ولهذا نرى انهم قد عقدوا في سبيل هذه الغاية عدة مؤتمرات فمثلاً :

عقد مؤتمر القاهرة في عام ١٩٠٦م

ومؤتمر بيروت في عام ١٩١١م

ومؤتمر القدس في عام ١٩٢٤م

ومؤتمر القدس في عام ١٩٣٥م، الذي ألقى فيه (صمويل مارينوس زويمر) خطاباً على المبشرين قال فيه: "أيها الإخوان الأبطال والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام، فأحاطتكم عناية الرب بالتوفيق الجليل ولقد أديتم الرسالة التي أنيطت بكم أحسن الأداء.. إنني أقركم أن الذين دخلوا حظيرة المسيحية من المسلمين ليسوا بمسلمين حقيقيين، لقد كانوا كما قلتم ثلاثة.

إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام، أو رجل مستخف بالأديان لا يهتم بغير الحصول على قوته وقد اشتد به الفقر، وعزت عليه لقمة العيش، وثالث يبغي الوصول إلى غاية شخصية.. إن المهمة التي ندبتكم إليها دول المسيحية في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإن هذا هداية لهم وتكريم، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة لة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام، وهذا ما أهنئكم عليه وتهنئكم عليه دول المسيحية.. ولقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر.. على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التي تهيمن عليها دول أوروبا وأمريكا.

أيها الزملاء: إنكم أعددتم في ديار الإسلام شبابا لا يعرفون الصلة بالله ولا يريدون أن يعرفوها، وأخرجتم بعضهم من الإسلام ولم تدخلوه

المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقا لما أراده الاستعمار لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل ولا هم له في دنياه إلا الشهوات..

فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز فللشهوات، وفي الشهوات يجود بكل شيء.. باركتكم المسيحية ورضى عنكم الاستعمار، فاستمروا في أداء رسالتكم، لقد أصبحتم بفضل جهادكم موضع بركات الرب"[1].

ولاحقاً لما تأكد الغرب من حالة الضعف والإضطراب التي تسود العالم العربي الإسلامي وتيقن من حالة الإنكشاف الذي يعانيها، مستعيناً بمبشرية الذين كانوا يصولون ويجولون في أرجائه لدراسته من النواحي الإجتماعية والسياسية والثقافية والإقتصادية، متلطين بستار الدين والعبادة، ولينقلوها لاحقاً إلى دولهم لتكون الصورة واضحة أمام قياداتهم هناك تمام الوضوح، إنتقل الغرب المستعمر لخطوته التالية والمتمثلة بتمزيق تلك الوحدة الإسلامية في دولة الخلافة، وكسر شوكة الشرق العربي الإسلامي، وبعد قرنين ونصف، منذ بداية القرن السابع عشر إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، استطاع ذلك الغرب الإستعماري من تحقيق الهيمنة والسيطرة على المسلمين في العالم، ومع انتهاء الحرب العالمية الأولى كان الغرب قد فرض سيطرته التامة على أصقاع العالم العربي الإسلامي الذي وقع في براثن هذا الغرب الحاقد الجشع الطامع بالثروات والمتلهف للإنتقام، هذا وقد عملت المدارس التبشيرية والإرساليات الثقافية الغربية المسيحية والتي انتشرت في بلاد العرب على ترويج اللغة العامية، وجعلها اللغة الأساسية في الكتابة والحديث في البلاد العربية، لتتحول هذه اللغة لاحقاً مع مرور الزمن وانتشارها بين الناس لتكون عقبة كأداء بين تلاوة القرآن وبين فهمه باللسان العربي المبين، مما أبعد العرب المسلمين لاحقاً عن النهج الرباني الذي أنزله الله سبحانه

---

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام- محمد محمود الصواف – صفحة ٥٨-٥٩.

لعباده في القرآن الكريم، فجاء التبشير ليكمل ما كانت الشعوبية قد بدأته بإثقال لغة القرآن بقواعد متبعة ومجهدة للدارس، مع العلم أن هذه القواعد الكثيرة التي تدرس في مدارسنا اليوم لم تتكون بشكل طبيعي، وإنما أختلق كثير منها على يد النحاة في العصر العباسي، متأثرين بالسيطرة الشعوبية والمنطق الإغريقي وعوامل أخرى، فأخرجوها بذلك عن السليقة الفطرية التي كان العرب الأولون يجرون بها، فالعرب الأولين لم يكونوا يعرفون كل هذه القواعد النحوية المعقدة، ولا يتبعونها في أحاديثهم اليومية، لأنها أساساً قواعد غير طبيعية، فهم كانوا يتكلمون على فطرتهم دون تكلف أو تصنع، إلا أن النحويين قد جاؤوا لاحقاً، فصاروا يتنافسوا على تطوير القواعد النحوية وتزويقها، حتى صار هذا الأمر حرفة قائمة بذاتها لهؤلاء يعتاشون منها ويتباهون بها، يقول أبو العلاء المعري: "لا يسخط الله عليك ولا المكان، إذا كنت لا تدري لماذا ضُمّت تاء المتكلم وفتحت تاء الخطاب"، ولو دققنا النظر أكثر لوجدنا ذلك التشابه بين تعقيد القواعد النحوية التي قام بها النحويون وبين تعقيد القواعد الفقهية التي سلكها الفقهاء، إذ أن النبي ﷺ قد جاء أساساً بتعاليم بسيطة وواضحة وسهلة في شأن الطهارة والوضوء والصلاة والصوم والحج وغيرها، ولكن الفقهاء قد جاؤوا بعد ذلك ليعقدوا تلك التعاليم بحجة التطوير والإيضاح، حتى أصبح من العسير على الإنسان إتباعها بحذافيرها، فألفت المجلدات الضخمة التي كتبها الفقهاء بموضوع الطهارة والوضوء والصلاة إلخ، حتى صارت بحراً لا نهاية له، ومن يريد إتباع تلك التعاليم بشكل حرفي بعد التطوير، قد يصاب بداء الوسواس الذي لا يرجى شفائه.

كما وقد كان للتبشير الغربي في الشرق العربي دوراً خطيراً في إثارة الفتن والعمل على تأجيج الطائفية والمساعدة في إحياء مشروع القوميات في ذلك الشرق العربي، وهاهو القسيس (زويمر) يؤكد على دور المبشرين وأهميتهم في التهيئة للعدوان الغربي عندما قال في مؤتمر القدس التبشيري

للمؤتمرين: "وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الإستعماري في الممالك الإسلامية".

لقد كان التبشير والإستشراق دعامتين أساسيتين للإستعمار الغربي في الأرض العربية الإسلامية، فكلاهما قد عملا على تضييع الشخصية العربية الإسلامية ومحاربتها بشتى الوسائل ومحاربة اللغة العربية الفصحى لغة القرآن بمختلف الطرق وتشجيعهم للعامية واللهجات الدارجة بدلاً منها، كما قاموا بإدخال الوهن في أمة الحق عن طريق بث الفتنة بين أبناءها، وازدراء شعوبها وتقطيع أواصر القربى بينهم، ودفعهم لترك منظومة الأخلاق والعمل والفكر العربي بحجة أنها لا تتوافق مع قيم العصر والتطور، هذا ناهيك عن تلك الأكاذيب والإفتراءات التي أشاعوها بين أبناء هذه الأمة عن دينهم ونبيهم وتاريخهم، لذلك فقد نشط كل من التبشير والاستشراق لإحداث مزيد من الإنقسام والتمزق وإثارة النزعات الشعوبية في أمة العرب المسلمين من خلال الإدعاء بأن الساحل الشامي هو فينيقي، وبأن مصر هي فرعونية، وبأن العراق هو آشوري، وإن البربر وحدهم هم أصحاب المدنية في دول شمال إفريقيا، وأن هؤلاء ليسوا من العرب ولا علاقة تربطهم بالعروبة، يقول القس (كالهون سيمون): " إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السود، وتساعدهم على التملص من السيطرة الاوروبية. ولذلك كان التبشير عاملاً مهماً في كسر شوكة هذه الحركات. ذلك لأن التبشير يعمل على إظهار الأوربيين في نور جديد جذاب وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصر القوة والتمركز فيها ".

فكان القرن التاسع عشر، قرن الغرب الإستعماري الطامع في الموارد الإقتصادية والمواقع الإستراتيجية والإنتقام الديني، والمتفرد بالزعامة العالمية، ولم يكن الشرق في نظر الغرب آنذاك إلا شرق الضعفاء الكسالى، والحكام الظلمة المستبدين، والأمراء الشهوانيين، شرق اللذات والبخور والقصور والجواري، فهاهو المستشرق الأمريكي (لوثر وب ستودارد) يختصر حال العالم الإسلامي في ذلك الوقت قائلاً: " في القرن الثامن

عشر كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ، ومن التدني أعمق درجة، فأربد جوه، وطبقت الظلمة كل صقيع من أصقاعه، ورجاء من أرجائه، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب وتلاشى ما كان باقياً من آثار التهذيب العربي واستغرقت الامم الإسلامية في إتباع الاهواء والشهوات، وماتت الفضيلة في الناس، وساد الجهل، وانطفأت قبسات العلم الضئيلة، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واختيال، ليس يرى في العالم الإسلامي ذلك العهد سوى المستبدين الغاشمين، كسلطان تركيا، وأواخر ملوك المغول في الهند يحكمون حكماً واهناً، فاشي القوة، متلاشي الصبغة... وأما الدين فقد غشته غاشية سوداء فألبست الوحدانية التي عملها صاحب الرسالة سحباً من الخرافات وقشور الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثير عديد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين، يخرجون من مكان إلى مكان، يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات... فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدهور المسلمين لغضب، وأطلق اللعنة على من استحقها منهم ".

كما وقد عمل التبشير في ذلك الزمان دوراً مهماً لتجميل صورة المستعمر القبيحة، يقول (رينيه بوتيه) في كتابه (الكاردينال لافيجري): " إن العمل الوطني الذي قام به لافيجري بدأ مع عمله التبشيري، بدأ بنشره على السوريين تلك العطايا التي تمنحها الكنيسة الكاثوليكية، إنه جعل فرنسا محبوبة (للسوريين)، وأضاف إلى الحقوق القديمة التي كنا نملكها نحن الفرنسيون على تلك المنطقة حقوقاً جديدة... في الجزائر استطاع أن يهب كل ما في استطاعته لإظهار حبه لفرنسا... أراد لافيجري أن يحبب فرنسا إلى الناس باسم المسيح ".

ويقول القس (سيمون) في مؤتمر لكنو في الهند ١٩١١ م: " إن العامل الذي جمع هذه الشعوب (الإسلامية) وربطها برابطة الجامعة الإسلامية هو الحقد الذي يضمره سكان البلاد للفاتحين الأوروبيين، ولكن المحبة

التي تبثها إرساليات التبشير النصرانية ستضعف هذه الرابطة وتوجد روابط جديدة تحت ظل الفاتح الأجنبي".

أما المبشر الامريكي (هنري جيسب) فيقول واصفاً المسلمين: "المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها ... إنهم لصوص، وقتلة ومتأخرون، وإن التبشير سيعمل على تمدينهم".

يبقى أن أشير إلى أن المسيحية إنطلقت من الشرق إلى الغرب وليس العكس، وفي الشرق توجد اول المعابد وأقدم الكنائس في العالم والتي ما زالت إلى اليوم تقوم بدورها دون توقف، بالرغم من أن العرب المسلمين كانوا قادرين في كثير من الأوقات لو أرادوا، بإزالتها وإفنائها، إلا أن الإسلام العربي قد أعلنها واضحة جلية، أن لا إكراه في الدين.

لقد أبان المستشرق الألماني (بيكر) سبب ذلك الحقد والغل والكره من النصرانية على الإسلام العربي عندما قال: " إن هناك عداء من النصرانية للإسلام بسبب أن الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سداً منيعاً في وجه انتشار النصرانية ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها "، لهذا فقد سعى الفاتيكان وحلفائه الغربيين مستعينين جميعاً بجيوش من المبشرين والمفكرين والمستشرقين إلى إشاعة الاكاذيب والإفتراءات حول الإسلام العربي ونبيه العربي وقرآنه العربي ونشرها في أرجاء العالم ظناً منهم أنهم بذلك ينتقمون من نهج الحق ويضعون العوائق في وجه إنتشار الإسلام العربي في أرجاء المعمورة، ومثال ذلك:

ما كتبه المونيسنيور كولي في كتابه (البحث عن الدين الحق) هذا الكتاب الذي نال إعجاب البابا ليون الثالث والذي انتشر لاحقاً في كل المدراس المسيحية شرقاً وغرباً وحتى اليوم، واصفاً الإسلام ونبيه بالشكل التالي: " الإسلام: في القرن السابع للميلاد. برز في الشرق عدو جديد ذلك هو الإسلام الذي أسس على القوة، وقام على أشد أنواع التعصب. لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه. وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق. ثم سمح لأتباعه في الفجور والسلب، ووعد الذين يهلكون

(يستشهدون في سبيل الله) في القتال بالإستمتاع الدائم بالملذات (الجنة). وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى إفريقيا وأسبانيا فريسة له، حتى إيطاليا هددها الخطر، وتناول الإجتياح نصف فرنسا. لقد أصيبت المدنية. ولكن هياج هؤلاء الأشياع (العرب المسلمين) تناول في الأكثر كلاب النصارى...

ولكن انظر! هاهي النصرانية تضع بسيف شارل مارتل سداً في وجه سير الإسلام المنتصر عند بواتييه (٧٥٢م). ثم تعمل الحروب الصليبية في مدى قرنين في سبيل الدين، فتدجج أوروبا بالسلاح، وتنجي النصرانية، وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب، وانتصر الإنجيل على القرآن، وعلى مافيه من قوانين الأخلاق الساذجة".

ويقول المستشرق الفرنسي (كيمون) في كتابه (باثولوجيا الإسلام) واصفاً الإسلام: "إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً، بل هي مرض مريع، وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء، ويدمن على معاقرة الخمور ويجمح في القبائح!! وما قبر محمد إلا عامود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلي، وتكرار لفظة (الله) إلى ما لا نهاية، والتعود على عادات تنقلب إلى طباع أصيلة، ككراهية لحم الخنزير والنبيذ، والموسيقى، وترتيب ما يستنبط من أفكار القسوة والفجور في اللذات".

أما (جو ليمين) في كتابه (تاريخ فرنسا) فيصف النبي العربي وأتباعه على الشكل التالي: "إن محمداً، مؤسس دين المسلمين قد أمر اتباعه أن يخضعوا العالم وأن يبددوا جميع الأديان بدينه هو. ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين (العرب المسلمين) وبين النصارى! إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس: أسلموا أو موتوا، بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم. ماذا كانت حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا؟ إذاً لكنا مسلمين كالجزائريين والمراكشيين".

وها هو المستشرق (نيكلسون) في كتابه (الصوفية والإسلام) لا ينسى الطعن بالنبي العربي والقرآن العربي إذ يقول: " والقارئون للقرآن من الأوروبيين لا تعوزهم الدهشة من اضطراب مؤلفة – وهو محمد – وعدم تماسكه في معالجة كبار المعضلات! وهو نفسه لم يكن على علم بهذه المعضلات، كما لم تكن حجر عثرة في سبيل صحابته الذين تقبل إيمانهم الساذج القرآن على أنه كلام الله "!!.

وأخيراً وبغض النظر عن رأينا في كل ما يكتبه ويفعله هؤلاء المبشرون والمستشرقون وغيرهم، وما يلحقونه من إساءات وانحرافات وتشويه للحقائق والتاريخ عن الإسلام العربي والعرب المسلمون، إلا انه لا بد لنا من أن نقر بأنهم يعملون وفق خطة مرسومة بدقة، وهم يبذلون في سبيل تحقيقها جهوداً مضنية من العمل الجاد الطويل الأمد الذي يستهلك سنوات من عمرهم، فأين أمة العرب المسلمين من هذا التحدي الخطير، وهل يكفي أن نقول أن كتاباتهم وأفعالهم لا تمت للحقيقة وللحق بصلة لينتهي الأمر، أم أن الموضوع يحتاج منا لأكثر من ذلك، فإذا كانوا وهم على الباطل قد عقدوا العزم على المضي قدماً في طريق عدوانهم، أفليس الاجدر بنا ونحن على الحق ان نكون أكثر حزماً وعزماً منهم، ليس فقط في مدافعتهم عن ديننا وديارنا وأجيالنا، بل حتى في الهجوم عليهم بعقر دارهم دون خجل أو وجل، من خلال استنهاض أبناء الأمة الشرفاء النجباء والذين ستقع على أكتفاهم مهمة إعلان النفير والجهاد في وجه اهل الفساد والباطل ومن لف لفهم من حزب الشيطان، ذلك أنة لم يعد هناك وقت للبكاء والنواح والندم، لم يعد امامنا إلا طريق واحد وهو طريق العمل، هذا العمل، الذي لن يقوم به إلا أولي العزم من الرجال المؤمنين والمحسبين والمخلصين لله ورسوله حتى يستطيعوا تحقيق الغاية ونصر الراية، فالحق لا يكون بمجرد الدعوة إليه، بل يجب العمل على أمره ومباشرة تنفيذه، كما وإن الحق لا يحقق بالإرشاد فقط بل لا بد من الإلزام، والمغنم دوماً بقدر المغرم.

العرب والغرب
صراع الأخلاق والمادة

لم يقدم العرب المسلمون للعالم حضارة مادية، وإنما قدموا حضارة أخلاقية مدنية تكرم الإنسان وتحرره عقلا وجسداً من أي قيد، وترده إلى التوحيد الخالص والإيمان بالله عز وجل، وتدفعه لإلتماس الحق والحقيقة وسمو القيم، والتي جعل الإسلام العربي في مقدمتها التوحيد والإيمان والأخلاق إذ لا يمكن للعرب المسلمين أن يتجاوزوا هذه القاعدة أو أن يغيروها ليجعلوا في الصدارة القيم المادية ومسائل الأهواء والرغبات واللذات، والتي أتاح لها الإسلام العربي التحقق في إطار محدد من الضوابط التي تحول بينها وبين الإنحراف.

يقول المؤرخ البريطاني (هاملتون جب): " ليس الإسلام ديناً بالمعنى المجرد الخاص، بل هو مجتمع بالغ تمام الكمال، يقوم على أساس ديني ويشمل كل مظاهر الحياة الإنسانية، لأن ظروفه في أول الأمر أدت إلى ربط السياسة بالدين، وقد أكد هذه النزعة الأصيلة ما تلى ذلك من صوغ القانون الإسلامي، والنظام الإجتماعي. والحق أن الإسلام ليس مجرد نظام من العقائد والعبادات إنه أعظم من ذلك كثيراً، فهو مدنية كاملة ".

ومن هنا نرى كل تلك المحاولات التي تقوم على أساس تغيير العقلية العربية الإسلامية التي تقوم على أساس التوحيد بالله، أنما تهدف لتغيير هذه العقلية وإنكار فطرتها، هذه العقلية التي أضاءت الأرض بشريعتها وعلومها وآدابها، وتركت الناس يفكرون بحرية ويرتبطون بالله من دون وسيط، لذلك فإننا نجد ذلك الفارق الكبير بين الفكر العربي الإسلامي الذي يقوم أساساً على سمو الأخلاق والرحمه ورفعة السلوك وبين الفكر الغربي الذي لا يؤمن إلا بالمادة حتى ولو كانت على حساب البشر والشجر والحجر، والشهادات على هذا الأمر كثيره، فمن المعلوم أن المفهوم العربي للفروسية انتقل إلى أوروبا في العصر الوسيط والذي أصبح فيه للفرسان

مكانة متميزة، ومن المتفق عليه أن الوجود العربي في أسبانيا كان عاملاً مهما وأساسياً في بروز ظاهرة الفارس في أوروبا بكل ما تعنيه من مفاهيم الشجاعة والمغامرة وواجب الدفاع عن الرعية والزود عن حياضها، وأيضا في فن معاملة المرأة الذي أصبح مؤسسة من القواعد والأصول والقانون والعرف بعد أن كانت المرأة لا تحظى بأي احترام أو قيمة في تلك المجتمعات الأوروبية البربرية.

فها هو(أبانيز) الكاتب الأسباني الشهير يقول:"إن أورويه لم تكن تعرف الفروسيه ولا تدين بآدابها المرعيه ولا نخوتها الحماسيه قبل وفود العرب الى الأندلس وانتشار فرسانهم وأبطالهم في أقطار الجنوب ".

و(غوستاف لوبون) يقول:"كلما أمعنا في دراسة حضارة العرب وكتبهم العلميه وفنونهم ظهر لنا أن العرب هم الذين منحوا أوروبا (المدنية)مادة وعقلا وأخلاقا، وأن التاريخ لم يعرف أمه أنتجت ما أنتجوه في وقت قصير".

فالصراع بين العرب والغرب هو صراع حضاري شامل على كل الصعد، إلا إن العرب لم ينظروا يوماً الى الغرب على أنه عدو الا عندما بادئهم هذا الغرب بالحرب والعدوان وهذا طبعاً عكس منظور الغرب للعرب والذي لايرى فيهم الا أعداءٍ يمكن أن يسلبوه كل مكتسباته فيما اذا تمكنوا من النهوض وتحقيق مشروعهم البشري النهضوي الأخلاقي الرباني، لذلك فقد سعى الغرب الى إختراق المجتمعات العربية وهدمها من الداخل وتمزيق كل مقوماتها كروابط الجماعه وتفتيت الأسره ودحر مقومات الأخلاق ومحاولة خلق أجيال تختلط فيها المفاهيم ويشيع فيها الانحلال لتضيع وتضيع الأمانه.

يقول المؤرخ (سوبر هاييم): " إن صلاح الدين الأيوبي لم يكن متعصباً ولم يكن ليحمل ضغينة أو بغضاء للصليبيين باعتبارهم بشراً ولا للمسيحيين الخاضعين لحكمه، لذلك لم يضرب الصليبيين كمسيحيين، بل كان يضربهم كأعداء بادءوا العرب العداء وجاءوا ليضربوا الإسلام في دياره".

ويقول (غليوم دي تير) الذي أرّخ للحروب الصليبية: " إن الصليبي كان يرى في الشرقي – فحسب – عدوه اللدود مسلما كان الشرقي أو مسيحياً" .

ويقول (شامب دور): " لقد كانت معجزة حقاً أن يتمكن صلاح الدين من البقاء في الحكم دون الركون إلى وسائل القوة والبطش بخصومه أو القضاء عليهم، وأعجب من هذا أن يتمكن هذا القائد العربي من إقامة إمبراطورية عربية قوية في مدى محدود من السنوات، على الرغم من كل هذه المناورات، وعلى الرغم من أن الحروب الصليبية كان يقودها ويدير معاركها، ويلظى نارها زعماء المسيحية وخاصة من الغرب ممن يزعمون لأنفسهم رسالات الدين والخلق، ويتصفون بطابع الفكر والإتجاهات الروحية – على الرغم من ذلك كله، فإنه في غمار تلك الحملات الصليبية وبإسمها أرتكبت أحط الجرائم من قتل للأبرياء وسلب للآمنين وسبي للنساء، مما لم يكن له مثيل في تاريخ الحروب في الشرق" .

لذلك فإن كثيرا من المؤرخين والباحثين والدارسين يقفون بتعجب واستغراب وأحترام أمام موقف الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي عندما عفى وصفح عن الصليبيين بعد هزيمتهم أمام العرب المسلمين في أرض المشرق العربي، بالرغم من كل فظاعاتهم وجرائمهم التي ارتكبوها بحق العرب المسلمين وسماحه لهم بالعودة سالمين إلى ديارهم حتى صح فيه قول الشاعر:

ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح

وحللتمو قتل الأسارى وطالما ... غدونا على الأسرى نمن ونصفح

وحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بالذي فيه ينضح

ففي الغرب يعتبرون ما قام به صلاح الدين نوع من الطيبة ويسمون العرب المسلمون هناك بالطيبين، وهذا التعبير يعني في الغرب (البساطة أو السذاجة)، أما في الشرق العربي فإن كثيرين اتهموا صلاح الدين بالتقصير والعجز لعدم قيامه بتأديب الغزاة الأوروبيين وذلك بالانتقام منهم وسفك دمائهم وهو المتمكن منهم والقادر عليهم حينذاك ليكونوا عبرة لكل من

تسول نفسه أن يحاول التجرأ على العرب المسلمين ويرهبهم ويردعهم، ويعتبر كثيرين أن ذلك العفو كان سببا لأطماع الغرب في الشرق العربي ودفع الغزاة الأوروبيين لمعاودة الكرة، ولا شك أن قرار صلاح الدين كان قرارا انسانيا عظيما يعبر فيما يعبر عن صفاء نفسه وعظيم خلقه وسعة رحمته، إلا أنه أيضاً يعبر عن شيء دفين في شخصيتنا العربية، تلك الشخصية الودودة الرحيمة بالإنسان والحيوان والنبات، تلك الرحمة التي أكسبتهم مكارم الأخلاق وسمو الفعال وتلك الخصال العربية العظيمة والعفو عند المقدرة والتي صقلت لاحقاً بعد الإسلام، فصلاح الدين لم يكن مجرد كفاءة عسكرية بل هو نائب عن أصحاب رسالة ربانية، علمت البشرية أسمى وأرقى أنواع السلوك الإنساني، وهو لم يكن الوحيد في هذا الأمر وإنما كان استمراراً لنهج عربي إسلامي ابتدأه النبي الكريم محمد ﷺ حين عفى عن قريش يوم فتح مكة قائلا لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء، واستمر لاحقاً في نهج صحابته الكرام فكانت تلك الوصايا والتوجيهات التي أعطاها صحابته لاحقاً لجيوش الفتح العربي، فهاهي وصية سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد لخصها في خطبته التي ودع فيها جيش أسامة بن زيد والتي قال فيها: " يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا انفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئا بعد شيء، فذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفقوهم بالسيف خفقا، اندفعوا باسم الله " وهذا يعني أن يقاتل المقاتلون فقط في ميدان المعركة، وكذلك خطبة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في جند جيش القادسية غداة خروجه من المدينة متجهاً إلى العراق قائلا لهم: (إن للعدل أمارات

وتباشير فأما الأمارات فهي الحياء والسخاء والهين واللين واما التباشير فالرحمة)، وقوله أيضاً: (إن لكل أمر باباً ولكل باب مفتاح وإن باب العدل هو الاعتبار – أي ذكر الموت – ومفتاحه الزهد وان من لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء)، فكان خطاب الحرب هذا خطاباً يتضمن كلمات العدل والحياء واللين والرحمة والزهد، إذ أن عمر بن الخطاب ومن سبقوه ومن لحقوا بهم كانوا يحشدون جيوش مبادئ وأخلاق وليس جيوش تسلط واستعلاء لهذا فقد نجحوا جميعهم لأنهم فهموا الغاية وعرفوا الوسيلة، فكانوا اعظم مثال للانسانية والرحمة والعفو والاخلاق وهذا ما دفع اللجنة الدولية للصليب الأحمر في جنيف من إصدار كتاب بخمس لغات، هي اللغات المعتمدة في الأمم المتحدة ومنها اللغة العربية عنوانه (سجل أو وقائع التاريخ العربي – الإسلامي) (Chronides Of Islamic Arab History)، جاء في مقدمته: (بإطلالة واعية على التراث العربي الإسلامي العريق يتبين لنا مدى حرصه على تأكيد تقاليدالفروسية حيث أضفى عليها صبغته الإنسانية، وحث على التقيد بها، من حيث الاحترام المتبادل، والإنصاف في الهجوم والدفاع، بالإضافة إلى احترام حقوق المقاتلين والرفق بالضحايا ومعاملتهم معاملة انسانية وهو في ذلك يتفق مع نصوص وروح القانون الدولي الإنساني الذي يحتم حماية حقوق المقاتلين وضحايا النزاعات المسلحة، ويقيد من وسائل استعمال القوة، بقصر استعمالها ضد المقاتلين في أثناء المعارك الحربية، وحظر استعمالها ضد المدنيين أو الجرحى من المقاتلين الذين حيدتهم إصاباتهم، فأصبحوا غير مشاركين في القتال فعلاً).

ويقول الكتاب أيضاً: (ومن يراجع التراث يجده قد اتفق مع المعاهدات المعاصرة التي قيدت استخدام القوة في النزاعات المسلحة ولقد اتسمت الحرب في الإسلام بالرحمة والفضيلة).

على أنه لا بد من التنويه الى أمر جوهري وأساسي فوضع العرب المسلمين في عهد رسول الله ولاحقاً مع خلفائه الكرام وحتى زمن بني أميه كانوا في حالة قوه وأتحاد واستعداد ومنعه ونهوض، أثناء سعيهم لفتح

الأرض ونشر رسالة السماء، وكانت امم الأرض تسعى لكسب رضاهم والتودد أليهم وكان أعدائهم خاضعين لأمرهم، وجل ما يرجوه الواحد منهم أن يأمن من غضبة أهل الحق من العرب المسلمين، ومثال ذلك ما قام به أعظم ملوك الأندلس "المنصور بن أبي عامر" والذي كان سياسياً بارعاً وصاحب همة عالية ، وبعلو همته وحسن سياسته وشجاعته استطاع أن يوصل الأندلس في زمانه إلى أوج عزها وعظمتها، فقال عنه "الذهبي" كان من رجال الدهر رأياً وحزماً، ودهاء وشجاعة وإقداماً استطاع استمالة الأمراء والجيش بالأموال، ودانت لهيبته الرجال،وكان حازماً، قوي العزم، كثير العدل والإحسان، حسن السياسة، ومما يروى عنه أنه كان يقول: والله لأجعلن المرأه الفرنجيه أن أرادت أن تخيف ولدها لتسكتة أن تقول له أسكت أو سأتيك بأبن أبي عامر.

ومما يذكر عنه من حسن سياسته وتدبيره: أنه دخل بلاد الفرنج غازياً، فجاز الدرب إليها ، "الدرب: مضيق بين جبلين"، وأوغل في بلاد الفرنج يسبي، ويغنم، فلما أراد الخروج رآهم قد سدوا الدرب، وهم عليه يحفظونه من العرب المسلمين، فأظهر أنه يريد المقام في بلادهم، وشرع هو وعسكره في عمارة المساكن وزرع الغلات، وأحضروا الحطب، والتبن، والميرة، وما يحتاجون إليه، فلما رأوا عزمه على المقام مالوا إلى السلم، فراسلوه في ترك الغنائم والجواز إلى بلاده، فقال: أنا عازم على المقام، فتركوا له الغنائم، فلم يجبهم إلى الصلح، فبذلوا له مالاً، ودواب تحمل له ما غنمه من بلادهم، فأجابهم إلى الصلح، وفتحوا له الدرب، فجاز إلى بلاده.

وحدث في مرة من مرات العودة من إحدى الحملات التي قادها المنصور، أن نسي حامل الراية المسلم رايته وتركها مركوزة على قمة جبل مشرف على إحدى المدن المسيحية فظلت الراية مكانها أياماً لم يجرء النصارى على التقدم نحوها ليروا هل رحل المسلمون أم لا زالوا مقيمين[1].

---

(١) المقري – نفح الطيب (١\٣٩٢).

ويقال أيضاً أن رسولاً من قبل المنصور وصل إلى بلاط غرسيه ملك نفاره، فبولغ في الحفاوة به، ثم وجد في إحدى الكنائس عجوزاً مسلمة ذكرت له أنها أسرت في صباها ولا زالت رهن الأسر في تلك الكنيسة، وتوسلت إليه أن يروي للمنصور خبرها، فوعدها الرسول الذي قص على المنصور خبر سفارته، فلما فرغ من تقريره سأله المنصور عما إذا كان قد أبصر في نفاره أمراً إستنكره، فأفضى إليه بخبر الأسيرة المسلمة، فصاح به المنصور "ويحك... كان عليك أن تبتدرني بهذا الخبر"، وجهز في لحظته حملة تقدمت إلى حدود نفاره، فإشتد جزع غرسيه وأنفذ إليه في ساعته رسالة يستفسره فيها عما إقترف من الذنب لأنه لم يكن يرى أنه جاء بشيء يهيج حفيظته، وإذ قال المنصور للرسل الذين حملوا إليه هذا الخبر: "كان قد عاقدني ألا يبقي بأرضه أسيراً ذكراً كان أو أنثى، وقد بلغني بعد مقام فلانة بتلك الكنيسة، والله لا أنتهي عن أرضه حتى أمسحها"، فلما وقف غرسيه على جواب المنصور بادر فأرسل إليه المرأة التي طلبها وكذلك أخرتين هداه إليهما البحث، وأقسم في الوقت ذاته أنه لم يرى أبدا هؤلاء النسوة، ولم يبلغه خبرهن من قبل، وأعلمه أنه أمر بهدم الكنيسة التي أشار إليها المنصور[1].

هذا ما كان عليه الحال في زمن القوة والمنعة العربية الإسلامية، أما في زمن الحروب الصليبية، فقد كان وضع الأمة مختلفاً، فقد كانت تعاني من حالة إنكسار وإندحار وضعف وتجزئه وخلاف وصراع داخلي، نتيجة السياسات المدمرة التي مورست عليها زمن العباسيين والفاطميين وتسلط الشعوبية ومن لف لفهم على رقاب العرب المسلمين، وكان هذا واضحاً لأعداء الأمه مما جرأهم على العرب المسلمين وأطمعهم فيهم، ودفعهم ليقتحموا عقر دارهم، ويرتكبوا بحقهم أبشع المجازر وينهبوا خيراتهم ويحتلوا أرضهم غيرعابئين بهم، لذلك نقول أنه كان من أوجب الواجبات بعد حطين، معاقبة الصليبين عقاباً حازماً جازماً تنخلع له قلوب الفرنجه

(١) المقري — نفح الطيب (١\٢٤٧).

في الغرب فلا يفكرون في معاودة الكره أبداً، عقاباً لا يترك لملك من ملوكهم أن يجول في خاطره معاودة غزو أرض العرب المسلمين من جديد، قائلاً نغزوهم فإن أنتصرنا قتلنا وسرقنا وأحتللنا وغنمنا، وإن هم أنتصروا عفوا وصفحوا ومنوا علينا، فالغرب الصليبي والصهيونية يعتبران أن السياسة لا تتفق مع الاخلاق في شيء وبمنظورهم فإن الحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسي بارع وهم يعتبروا أن من يريد الحكم فلا بد له من الإلتجاء إلى المكر والغدر والرياء والخيانة، وإن الشمائل الإنسانية العظيمة من الإخلاص والأمانة والصفح والعفو، تصبح رذائل في السياسة، وتصبح من أشد الأخطار التي تهدد عرش الحاكم أكثر من ألد الخصوم، كما وإن عندهم الغاية تبرر الوسيلة، فهم عندما يضعون خططهم لا ينظرون كثيراً إلى ما هو اخلاقي وإنساني بقدر ما ينظرون إلى ما هو ضروري ومفيد، ومن هنا نرى أن تلك الرحمة قد أتعبت العرب المسلمين كثيراً، وعرضتهم لأخطار كثيرة، ولكن هي كذلك جزء من صميمهم عليهم أن يسيطروا عليها، وأن ينزلوها في مكانها الذي تستحق، وأن لا يجعلوا منها نقطة ضعف بل يبقوها نقطة قوة دائمة، وأن يتذكروا بأن بعض الشدة رحمة وأن بعض الرحمة تفريط.

بينما نرى الغرب الدموي والذي لم يعرف معنى التسامح والرحمة بل على العكس تماماً، فهذا الغرب لا يستطيع العيش دون عدو يقاتله، ويفرغ عدوانيته تجاهة، وإن لم يجد هذا العدو سيخلق لنفسه عدواً من خلال التعصب الديني والفكري، فأوروبا والتي تلطخت بلدانها بالمذابح والمجازر البشرية البشعة ضد المخالفين في الرأي والعقيدة سطرت تاريخا أسود من الدماء، يذكر القس (ستيفن نيل) في كتابه (تاريخ البعثات التبشيرية) واصفاً المنصرين الاوائل والذين كانوا نواة للوحشية والعنف والتطرف في قلب الكنيسة والذين تم تعميدهم ليقوموا لاحقاً بمهمتهم المقدسة بالآتي: " فعندما دخل هؤلاء البرابرة الكنيسة وأصبحوا نصارى، لم يجلبوا معهم بساطة الناس الأميين الجهلة، فلقد علمنا من مؤرخي القرن الذي تلى أن ما جلبوه معهم للكنيسة هو النفوس الشرسة، والميل للبطش والوحشية

والتطرف "، ثم ياتي بالأمثلة على تلك الوحشية والفظاعات عندما يقول: " ولقد سجلنا لاحقاً في هذا الفصل أعمال عنف وقسوة، تعكس وحشية وفظاعة تلك المرحلة من التاريخ، التي لم تعرف الرحمة، ولقد سجل عن شارلمان حادثة، ذبح فيها في يوم واحد فقط ٤٥٠٠ شخص من الساكسون، وكان من بعض القوانين التي أصدرها: كل ساكسوني لا يدخل النصرانية، او يحاول التهرب أو الرفض، يقتل "، ثم يشير نيل إلى تلك الطريقة العنيفة والوحشية التي فرضت بها النصرانية على شعوب روسيا وليتوانيا وجنوب وشرق بحر البلطيق، الذين كانوا يرفضون الدخول في النصرانية، قبل ان يشكك باقتناع هؤلاء الناس بالنصرانية بعد دخولهم فيها قائلا: " اما إلى أي مدى كان الإقتناع الداخلي بالنصرانية بعد القبول الظاهري لها فأمر مشكوك فيه، وهذا سؤال لاحقنا منذ حمل شارلمان السيف، لتحويل الساكسون إلى النصرانية، بل منذ قام التعميد الجماعي لكلوفيس وجنوده عام ٤٩٦م "، ولا بد من الإشارة إلى مذبحة (سانت بارتلمي) التي حدثت في فرنسا والتي فتك فيها الكاثوليك بموافقة ملك فرنسا شارل التاسع بمواطنيهم البروتستانت وذبحوهم ذبح النعاج، هذا بين أبناء البلد الواحد، فتصور يرعاك الله.

لم يكن انعدام الأخلاق والرحمة والشفقة في الغرب مرتبطاً بفترة زمنية معينة وانما كان هذا ديدنهم دائما فلقد كان الظلم والاستبداد والتخلف والشغف إلى الدماء والوحشيه هم الذين يقودون تلك المجتمعات البربرية في الغرب، والتي كانت ترتكب فيها كثير من الفظاعات، وسط ظلم اجتماعي يسوده درجة حادة من التمييز الطبقي، ولنرى ما يقوله (وليم آندرز) في (عقوبات الماضي): " بين فظائع الفتح الدانمركي كانت العيون المسمولة والأنوف والآذان والشفاه العليا المقطوعة. كانت فروات الرؤوس تسلخ. وفي بعض الأحيان، وهناك ما يدفعنا إلى التصديق، كان الجسد كله يسلخ والشخص حي ".

وفي بريطانيا كانت أكثر أساليب التعذيب الجزائي شيوعاً، السحل والتعليق والتقطيع إلى أربعة أجزاء، ويسمى هذا التقطيع أحياناً (مسلخ الله) وكانت هذه التسمية التي تدعي التقرب من الله تستخدم لأن السلطات، كما هو الحال في العديد من الأعمال الوحشية الشنيعة الشائعة، تدعي أنها قد وجدت أصولها في الكتاب المقدس.

وقد وصف رحالة انكليزي هو (فانيس موريسون) في (يوميات الرحلة) وهو الكتاب الذي يقال أنه أحد أكثر القصص دقة في أوروبا اوائل القرن السابع عشر، ما يلي: " قرب لنداو رأيت شريراً متدلياً بسلاسل حديدية من المشنقة وكلباً هائل الحجم متدلياً على كل جانب قرب كعبه. فحين يتضور الكلبان جوعاً يأكلان من لحم الشرير قبل أن يموت هو جوعاً. وفي فرانكفورت رأيت عقوبة مشابهة مطبقة على يهودي ".

ومن أشد أنواع القتل شناعة الطريقة التي كان يستخدمها الهولنديون لاعدام العبيد في سورنيام في البدء كان كلّاب حديدي يغرس في شق بين أضلاع المحكوم. ثم يتم ربط الكلّاب بسلسلة يعلق بها المحكوم حيّاً من حبل المشنقة وكان المحظوظون من هؤلاء هم الذين يموتون بسرعة، اما سيؤوا الحظ فكانوا يعيشون ما يقرب من ثلاثة أيام.

وأحد أقسى انواع القتل هو ذلك الذي ابتكر في عهد الملك هنري وهو السلق حتى الموت، ففي سنة ١٥٣١ م سن قانون يقضي بسلق السجناء امام الناس.

وغيرها من تلك الأساليب الشنيعة والمفزعة التي كانت تبتكرها تلك المجتمعات المتوحشة والتي تجردت من أي أثر للرحمة والانسانية، ويرى محمد الغزالي إلى أن قسوة الأوروبي في تلك المستعمرات التي احتلها لاحقاً تنسجم مع قسوة الغربيين وجلافتهم وذلك بسبب قرب عهدهم بالهمجية والتخلف[1].

---

(١) الإستعمار، أحقاد وأطماع — محمد الغزالي.

ومع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كان التفاؤل بالعلم هو موضة العصر في الغرب، حتى أصبح الإيمان بالعلم عند كثير من مثقفيهم ومفكريهم هو كالإيمان بدين جديد قادر ان يخلص الأنسانية ويحل مشاكلها ويعمل على تأسيس المجتمعات الفاضله، وأعتبر عدد كبير منهم بأن العلم هو وسيلة الخلاص للبشرية ونهاية لرحلة عذاباتها، وان خلاصة هذا العلم سيكون في النهاية في خدمة المجتمعات الإنسانيه، وان العلم سيكون سبباً لمزيد من العدالة والحرية والسعادة، الا أن علمهم هذا كان مجرداً من أي أخلاق أو قيم أو مبادئ، فماذا كانت النتيجه: ظهرت في بلدانهم مجتمعات قامت على السيطره والأستبداد والطغيان ولم يأتي النصف الأول من القرن الماضي إلا وكانت هناك، حربان عالميتان الأولى والثانية واللتان تسببتا بضياع أرواح عشرات من الملايين ومجازر وحروب عمت العالم في شرقه وغربه واستخدام لأسلحة الدمار الشامل وحرباً بارده حبس فيها العالم أنفاسه من تطاحن الكبار، وترجمت الى حروب ساخنه في كثير من دول العالم في القارات الخمس، فكان علمهم العاري عن الأخلاق، الضال عن الحق، أداة للقتل والخراب والدمار وأضطهاد الأنسان، هذا ناهيك عن تلك المجازر التي ارتكبها الغربيون أثناء أحتلالهم لتلك الشعوب التي قامت تدافع عن دينها وأرضها وخيراتها، فقد كتب القائد البرتغالي (البو كيرك) يخاطب ملك البرتغال مهنئاً إياه بالسيطرة على مقاطعة جوا الهندية فيقول: " وبعد ذلك أحرقت المدينة، وأعملت السيف في كل الرقاب، وأخذت دماء الناس تراق أياماً عدة... وحيثما وجدنا المسلمين لم نوقر معهم نفساً، فكنا نملأ بهم مساجدهم، ونشعل فيها النار، حتى أحصينا ستة آلاف روح هلكت، وقد كان ذلك يا سيدي عملاً عظيماً رائعاً أجدنا بدايته وأحسنا نهايته "، كما وقد بلغت أعداد قتلى المسلمين في الهند حتى عام ١٨٨٠م مليون مسلم سقطوا على يد الغزاة الإنجليز، ومثله كانت الجزائر بلد المليون شهيد، والذي يقول الجنرال الفرنسي (شان) والذي كان بالجزائر: " إن رجاله وجدوا التسلية في جز رقاب المواطنين من رجال القبائل الثائرة في بلدتي الحواش

ويورقيبة "، وها هو الماريشال (سانت آرنو) يكتب إلى زوجته بعض ما صنعه وجنوده في أرض الجزائر فيقول: " إن بلاد بني منصر بديعة، وهي من أجمل ما رأيت في إفريقيا، فقراها متقاربة، وأهلها متحابون، لقد أحرقنا فيها كل شيء، ودمرنا كل شيء... أكتب إليك يحيط بي أفق من النيران والدخان، لقد تركتني عند قبيلة البزار فأحرقتهم جميعاً ونشرت حولهم الخراب، وأنا الآن عند السنجاد أعيد فيهم الشيء نفسه ولكن على نطاق أوسع"، وكتب (مونتياك) في كتابه (رسائل جندي) واصفاً إحدى المذابح التي حضرها: " لقد كانت مذبحة شنيعة حقاً، كانت المساكن والخيام في الميادين والشوارع والأفنية التي انتشرت عليها الجثث في كل مكان، وقد أحصينا في جو هادئ بعد الإستلاء على المدينة عدد القتلى من النساء والأطفال فألفيناهم ألفين وثلاثمائة، وأما عدد الجرحى فلا يكاد يذكر لسبب أننا لم نترك جرحاهم على قيد الحياة"، وغيرها من تلك المجازر الشنيعة، فقد بلغ عدد القتلى في مدينة صطيف في مايو ١٩٤٥م ما يقرب الأربعين ألفاً، ويقول الكونت (هيريسيون) على هذه الفظائع التي لا مبرر لها: " فظائع لا مثيل لها، أوامر الشنق تصدر من نفوس كالصخر يقوم بتنفيذها جلادون قلوبهم كالحجر... في أناس مساكين جُلّ ذنبهم أنهم لا يستطيعون إرشادنا إلى ما نطلب إليهم أن يرشدونا إليه "، هذا عدا عن جرائم مارسها الغزاة الأوربيون في كثير من مناطق العالم ففي مدغشقر مثلاً قتل الفرنسيون ثمانين ألف في ضربة واحدة للثائرين من أهل الجزيرة، كما وقد قام الإنجليز بإعمال القتل والأبادة في قبائل الماوماو الإفريقية، ثم اعلنوا كذباً وزوراً أن وحوشاً مفترسة ظهرت في المنطقة وقتلت الآلاف منهم.

هذا وقد اجتهد الغرب أينما حل على نشر الفساد والانحلال والانحراف، لضرب الأخلاق والفضيلة والتي هي من حصون العرب المسلمين، فبعد فتنة عام ١٨٦٠م في لبنان، أرسلت فرنسا جيشاً لتحتل لبنان بحجة الدفاع عن الموارنة وكان من نتائج تلك الحماية ان قامت فرنسا بفتح خمسين حانة حتى انتشر السكر إلى حد لم يكن معروفاً من

قبل والعديد من بيوت الدعارة، وبعد أكثر من ١١٥ عام من استعمار فرنسا لجيبوتي في السابع والعشرين من حزيران ١٩٧٧م حصلت جيبوتي على استقلالها، وكانت حصيلة التركة التي خلفها الفرنسيون على أرضها: ٢٠٠٠ إمرأة يحملن تراخيص رسمية بممارسة البغاء، وطبيباً واحداً!، ولم تنسى فرنسا أن تترك في ذلك البلد العربي من ينوب عنها في احتلاله فتركت لهم (القات)، والذي تغلغل في عقول شعب جيبوتي ونفوسه صغاراً وكباراً، كما عمل الإحتلال الإنجليزي لمصر من نشر الحشيش بين أبنائها، وهذا ليس غريباً عن بريطانيا العظمى والتي أعلنت حرباً شرسة في الماضي على الصين فيما عرفت لاحقاً بحرب الأفيون، وذلك لما أرادت الصين ان تمنع دخول الأفيون الذي كانت تورده الشركات البريطانية جهراً وسراً إليها.

والغرب اليوم وبرغم هالات القوة والتطور والعلم والتكنولوجيا التي تحيط به، إلا أنه يمر بأصعب أوقاته فأزمة الإنسان الغربي هي أزمة روحية ونفسية، ولقد عجزت حضارته التي تقوم على القوة والشهوات والأهواء والملذات والإنحلال أن تقدم له السعادة والهناء، بل على العكس تماماً إذ أنه ازداد شقاءً وغربة، جارمة إياه عطاء النفس وطمأنينة القلب، يقول (آرنولد توينبي) في كتابيه (الحضارة والغرب) و(الحضارة في محنة): "إن الحضارة الغربية تمر الآن في طور من التدهور والإنحلال الذي مرت به الحضارات من قبل، من أجل هذا كانت فنون الصناعة والإقتصاد وغيرها من المعارف غير كافية لتوفير الاستقرار والسعادة للمجتمع الإنساني، ذلك أن الروابط الروحية هي العمد التي يقوم عليها صرح المجتمع ويتماسك بناؤه".

فأين هذه القيم من القيم العربية الأصيلة التي تقوم على الفطرة السليمة والحق والرحمة، وهل ترجع مجتمعاتنا إلى منابعها الأخلاقية السامية والإجتماعية الأصيلة ونرجع إلى مفاهيمنا الأساسية الواضحة السليمة، يروى أنة لما جيء بأموال الزكاة زمن بني أمية الى أمير المؤمنين عمرين عبد العزيز، فقال أنفقوها على الفقراء والمساكين فقالوا ما عاد في

أمـة الإسـلام فقـراء ولا مسـاكين، قـال فجهـزوا بهـا الجيـوش، قـالوا جـيش الإسـلام يجـوب الـدنيا، قـال فزوجـوا بهـا الشـباب، فقـالوا مـن كـان يريـد الـزواج زوج، وبقـي مـال فقـال اقضـوا الـديون علـى المدينين، قضـوه وبقـي المـال، فقـال انظـروا في أهـل الكتـاب، مـن كـان عليـه ديـن فسـددوا عنـه ففعلـوا وبقـي المـال، فقـال أعطـوا أهـل العلـم فـأعطوهم وبقـي مـال، فقـال اشـتروا بـه حبـاً وانثـروه على رؤوس الجبال، لتأكل الطير من خير المسلمين.

فـأين هـذا الفكـر الإنسـاني الخـير الـرحيم مـن فكـر الغـرب المـادي القاسـي الأجـوف، فالإنسـان الغربـي والـذي يـرى بـأن الـروح والجسـد متعارضـان متصـارعان يخـالف بـذلك رؤيـة العربـي المسـلم والـذي يـرى مـن منظـوره الإسـلامي بأنهمـا متكـاملان متوازنـان مرتبطـان بالإنسـان في أتجـاه واحـد، فـلا الجسـد سجيناً للروح ولا الرغبات هدماً لها.

والغـرب الـذي عمـل علـى عبـادة المـال والمـادة والشـهوات وغيرهـا مـن الأشـياء، لاقـى معارضـة مـن العـرب المسـلمين الـذين أبطلـوا أي عبـادة لغـير الله عـز وجـل لمـا في ذلـك مـن معارضـة للفطـرة السـليمة وامتـهان للعقـل الـذي ميـز بـه الله الإنسـان عـن غـيره مـن المخلوقـات، وجعلـوا مـن رغبـات الجسـد وأشـواق الـروح وتطلعاتهـا سـبيلاً للوصـول إلى رضـى الله عـز وجـل، ففهمـوا أصـل الرسـالة الـتي حملوهـا، والأمانـة الموكولـة إلـيهم، فكـانوا تلـك الأمـة الوسـط والـتي وصـفها الله عـز وجـل قـائلا: (وَكَـذَلِكَ جَعَلْنَـاكُمْ أُمَّـةً وَسَـطًا لِتَكُونُـوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة: ١٤٣].

فلـم يكونـوا كاللـذين سـعوا إلى الجسـد والمـادة ولهثـوا ورائهمـا فوقعـوا بالشـقاء وابتلعـوا المـرارة وأحسـوا بالضـياع والتشـاؤم لأنهـم ابتعـدوا عـن ذلـك التركيـب الطبيعـي الفطـري للإنسـان، ولم يكونـوا مـن حـزب أولئـك الـذين تعصـبوا للـروح وتشـددوا فيهـا وعزلـوا أنفسـهم في الصـوامع بعيـدا عـن الـدنيا ومـا فيهـا فوقعـوا في الشـدة والشـقاء وحرمـوا متعـة الـدنيا ولـذتها ونعمهـا والـتي هـي جـزئ أصـيل مـن رسـالتهم بـتعمير الأرض بـالحق دون جـور أو إسـراف أو تـرف، فبنـى العـرب المسـلمون تلـك الأمـة الـتي تقـوم علـى فكـر الحـق

والإيمان، والتقوا على ما أباح الله وامتنعوا عن محرماته وطبقوا الحدود التي أمر الله بها لحماية حق الجماعة وحق الفرد، يقول تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [الأنعام:١٥٣]، لقد سعت الصهيونية في الغرب وعملت على ترسيخ ما أطلق عليه علم مقارنات الأديان، ليتصور أن العالم كان وثنياً ثم عرف التوحيد لاحقاً وهذا ما يخالف المفهوم القرآني والذي يؤكد بأن البشرية إنما قامت أساساً على التوحيد منذ لحظتها الأولى، ومنذ ذلك الوقت وإلى قيام الساعة سيبقى هذا الصراع بين الإيمان والكفر بين التوحيد والشرك بين الحق والباطل بين الأخلاق والمادة.

يقول (ليوبولد فايس): " إن روح الغرب يتمثل في جحود الغربيين لوجود نفس مفارقة للمادة منفصلة عنها ومخالفة لها، وإن المدنية الغربية الحديثة لا تقر الحاجة إلى خضوع ما إلا لمقتضيات إقتصادية أو إجتماعية أو قومية، إن معبودها الحقيقي ليس من نوع روحاني ولكنه الرفاهية، وإن فلسفتها الحقيقية المعاصرة أنما تجد قوة التعبير عن نفسها عن طريق الرغبة في القوة، وكلا هذين موروث عن المدنية الرومانية القديمة ".

لذلك أجزم بأنه لن ينهض العرب المسلمون، ولن تنهض البشرية والإنسانية لا بالنموذج الغربي ولا بأي نموذج آخر، لن ينهضوا إلا بنموذج القرآن وبالرجوع إليه وفهمه فهماً صحيحاً بعيداً عن التسطيح والتشويه والتحريف لمعنى الآيات، يقول (جوستاف لوبون) في كتابه (روح السياسة): " إن تهذيب المسلمين بالمعارف العصرية الأوربية خارجاً عن دائرة تقليدهم وعقائدهم يزيدهم انحطاطاً وفساد أخلاق ولن تنفعهم هذه العلوم إلا إذا كانت ضمن دائرة عقيدتهم"، فكل تلك المحاولات الغربية والتي تهدف الى القضاء على الشخصيه العربية الاسلامية وتذويبها في شخصيات الامم والحضارات والشعوب الاخرى، وخلط فكرها النقي بفكر الأممية الواسعة، أنما يهدف الى إستباق المشروع العربي الرباني القادرعلى إعادة الحق الى نصابه فى هذا العالم والقادر على إعادة إحياء الخير والسعادة والأخلاق

والعدل الى الإنسانيه التي تمر بأسواء لحظاتها وإجهاضه قبل تمامه، لقد أستطاع الغرب من محاصرة الأعراب المسلمين والسيطرة عليهم وأختراقهم وتوجيههم كيفما شاء بعد أن نجح في إبعادهم عن منهج الحق.

وها هو (جون باغيت غلوب) المعروف ب (أبو حنيك) وهو الضابط البريطاني الراحل والذي قضى ٣٦ سنة من عمره من ١٩٢٠ - ١٩٥٧ عاملاً في الأردن والجيش الأردني، والذي كتب لاحقاً كثيراً عن العرب، وكان قد ألقى محاضرة في لندن، شرح خلالها رؤيته للعرب كما عرفهم، وأشار إلى تلك الصفات والميزات العربية الرائعة والتي بدأت تزول في البلاد العربية التي تسعى للتشبه بالغرب الفاقد لتلك الصفات والخصائص العربية الشريفة والأصيلة.

يقول غلوب الذي عاش لمدة طويلة بين البدو في الصحراء فلبس زيهم، واعجب بعاداتهم وتقاليدهم وتعلم لغتهم، والذي يضع باللائمة على تلك القلة المثقفة من العرب والتي درست بجامعات الغرب وانخرطت في تلك الحياة الغربية فصارت صدى لصوت الغرب في أرض العرب، يقول لهؤلاء: " لا تقلدونا في كل شيء، فلديكم الكثير مما يجدر بالغربيين تعلمه "، فما هي تلك الأشياء التي عرفها غلوب عن العرب، ويطلب من أولئك الغربيين تعلمها من العرب، ويجيب: "تعلمت من العرب الكثير، تعلمت اللباقة والوقار واحترام الغير"، ثم يضيف: "وربما يُظن عندنا أن هذه الصفات ليست على جانب من الأهمية لأننا نعتبر الفظاظة ديمقراطية وهذا هو الخطأ بعينه، فأن تكون مهذبا مع الجميع ليس معناه ان تكون ذليلاً "، وهو يشير إلى أن هناك في الحياة العربية نمطان متبعان اما الأول فهو ذلك النمط الذي تتبعه تلك الفئة المثقفة المتغربة والذي بدأ يطغى على حياة العرب بشكل واضح وهو ما لا يحبذه، وأما النمط الثاني فهو ذلك النمط العربي الأصيل، ويشير إلى أن لكل سلوك لدى العرب آداب وأعراف متبعة، تنبه لها هذا الرجل وشاهدها أثناء إقامته تلك السنين الطويلة في أرض العرب، فهناك آداب السلوك في الشارع وآداب السلوك في المجالس العامة

والخاصة وآداب الإستماع وآداب الإستضافة، وآداب الطعام وآداب الشراب إلى آخر ما هنالك من مظاهر الأخلاق والإحترام والكياسة لدى العرب وبخاصة لدى السوريين الذي يقول عنهم غلوب، إنهم أكثر الشعوب التي عرفها تهذيباً على الإطلاق وإن لباقتهم يمكن أن تكون مثالاً يحتذى، ثم يسيق الأمثلة الكثيرة على ذلك، والتي تدل على كرم واخلاق واحترام العربي لضيفه، هذه الأخلاق واللباقة التي كانت تحكم تلك العلاقات بين العرب مما حدى بالرواد الأوائل للمنطقة كما يصفهم أن يدعوا العرب (بالمهذبين بالفطرة).

أما عن الطرف الآخر فيقول هذا الغلوب واصفاً أولئك الغربيين بالآتي: " إن المرء ليشعر بالخجل بصحبة الزوار الغربيين الذي يتسكعون بملابس تكاد لا تستر عريهم، يضحكون بصخب، ويحدثون جلبة ويعتبرون ذلك ديمقراطية، وهو يقول أنه ذات مرة - زرت خيام البدو بصحبة صحفي أمريكي فأكرموا وفادتنا وفي طريق العودة قال الصحفي بحدة، ما كنت لأصدق ان مثل هؤلاء الفقراء على هذا القدر من التهذيب ".

إن الحياة المادية التي تعيشها المجتمعات الغربية، قد جعلتها تغرق في حياة معقدة، مستبعدة كل العلاقات الإنسانية بين أفراد الأسرة الواحدة، وجعلت ذلك الإنسان الغربي يعيش في دوامة مستمرة من الخوف من الحاجة والفقر، وجعلت من جمع المال وإكتنازه هو الهدف الأسمى للإنسان في تلك المجتمعات، أما في المجتمع العربي فلقد كان المال ضرورة لمعاشهم ولم يكن يوماً هدفاً مقدساً كما هو حالهم في هذه الأيام، وهذا ما دفع غلوب ليقول: " إن العرب لا يحبون المال وهذا ما لا يصدقه الغربيون لأنهم هم يعيشون من أجل المال "، ثم يضيف: " أننا في الغرب لا نتصور وجود شعب نشيط وذكي وهو لا يؤمن بالمال كافة بحد ذاته "، ثم يسأل غلوب سؤال، لماذا كل هذا الإختلاف بين المجتمعين فيما يختص بحب المال؟ ثم يجيب، معزياً السبب إلى ذلك التكافل الإجتماعي الموجود في الأسرة الشرقية وافتقاده في الأسرة الغربية فيقول: " الأسرة في المجتمع الغربي

مفككة، فالمسنون لا يحظون بحب الأبناء ورعايتهم والشيخ عندما يبلغ سن العجز فإنه يُزجّ به في مأوى العجزة ليعيش الأبناء على هواهم دونما عائق والشيء ذاته يحدث لهؤلاء عندما يبلغون أرذل العمر " ثم يضيف " أمور كهذه لا تحدث في المجتمع الشرقي، الأسرة هنا متماسكة الأطفال ينشئون تنشئة صحيحة وطبيعية في كنف الأسرة، يقومون بالأعمال التي يعمل بها آبائهم، فإبن الراعي يصبح راعياً وإبن المزارع مزارعاً وهكذا حتى يبلغوا سن الزواج فإذا تزوج الأولاد انضمت زوجاتهم إلى الأسرة وعندما يبلغ الشيوخ سن العجز يبقون تحت رعاية الأبناء والأحفاد والزوجات ينعمون بالإطمئنان ولا يخشون الفقر ولا تسئمهم الوحدة "، ثم يؤكد إلى ان حب المال ليس بتلك الاهمية لدى العربي وبالتالي فلا وجود للحسد بينهم، ثم يقول، نعم العربي لا يحسد العربي من أجل المال، وان كانت بوادره قد بدأت بالظهور بين أولئك الطلاب - لسوء الحظ - الذين تخرجوا من معاهد الغرب وتشبعوا بأفكاره وأصبحوا يهتمون بجمع المال جراء ما عانوه خلال إقامتهم هناك وما لمسوه من إحتقار الغرب للشعوب الفقيرة والنظرة الدونية لها، أما المجتمع العربي وقبل الغزو الفكري الغربي فإنه مجتمع بلا طبقات أي ليس هناك فارق كبير بين غنيهم وفقيرهم، والمجتمع الغربي اليوم يعاني من هذه المشكلات وينتقدها بشدة، وهناك إلى جانب التفاوت الطبقي نجد عندنا المرض الذي دعوناه بالفارق بين الاجيال والعقليات وهو المرض الذي لا يعاني منه المجتمع الشرقي لأن الأسرة فيه، وحدة متماسكة متداخلة تتشكل من أفراد من مختلف الأعمار، ويجدر الذكر هنا أن الأسرة لا تعني الأب والأولاد وإنما تتوسع الدائرة لتشمل الأعمام والأجداد والأحفاد يتعايشون في جو من الود والوئام، والأطفال بدورهم يحظون بالرعاية وبتوجيه الكبار فيكتسبون الحكمة والدراية والعطف في أهم المراحل الحساسة من العمر.

وبالمقابل فإن الأولاد في المجتمع الغربي يفصلون عن أسرهم في هذه المراحل ويرسلون إلى الجامعات، وهناك يعيشون مع زملائهم فتحشى أدمغتهم بالمعلومات ليتخرجوا من الطرف الآخر مجازين يحملون شهادات

تؤهلهم للعمل ولا تؤهلهم للحياة وتصبح الثقافة تابعة لخط الإنتاج ويكون هدف الحكومات زيادة الحصيلة من المتخرجين تماماً، كهمهم في زيادة حصيلة المعامل من السيارات والإلكترونيات، وهكذا ينقطع الشباب في المراحل الأولى عن جو الأسرة ويتخرجون من الجامعات تنقصهم الخبرة ويعانون من القلق العاطفي والروحي، فالجامعات تزود المتخرجين بالعلم ولا تزودهم بالحكمة لأن الحكمة تكتسب بالعيش وحده، فقد يكون الفلاح أكثر حكمة من أعظم عالم، والحكمة هي فن التعامل مع الناس وسر السعادة يكمن في علاقتنا مع الآخرين، وربما أمكن للإنسان في العصر الحديث السيطرة على المادة أما السيطرة على الإنسان فما زال بعيداً عن متناوله، يقول غلوب: إذا كان شبابنا يعانون ما يعانون من القلق والفشل في الحياة العملية لكل هذه الأسباب فلا تعجب بعد هذا إذا أصبحوا ضحايا للمخدرات والإنتحار والجنوح ".

وفيما يتعلق بالدين يقول: " العرب كلهم - عدا أولئك المتفرنجين الذين يتبعون الأسلوب الغربي في الحياة ويوهمونك أنهم ملحدون - يؤمنون بالله وبحقيقة وجوده وبرحمته الواسعة وبانه على كل شيء قدير، وهم يذكرونه في كل أفعالهم وإنك لتسمع مثل هذه العبارات تتردد باستمرار ففي إشارة للمستقبل تسمع عبارة إن شاء الله وفي كل استفسار عن الصحة أو العمل تسمع عبارة الحمد لله ومن يغادر مجلس الجماعة يقول لهم، استودعكم الله، فيجيبون، بحفظ الله، ورعاية الله، وإذا أراد الواحد أن يبدأ مشروعاً أو أي عمل فإنه يقول توكلت على الله ويتمنى له السامعون النجاح والتوفيق فيقولون له، وفقك الله إلى آخر ما هنالك من العبارات المتداولة التي تطفي على نفوسهم الراحة والطمانينة والإستقرار النفسي، ثم يقول " نحن نتهم المسلمين بالقدرية ونسخر منهم لاعتقادنا أنهم يقعدون بانتظار أن تقرر السماء لهم ما يفعلون، هذه التهمة باطلة في رأيي "، ويستمر قائلاً " إن العرب نشيطون في تدبير أمورهم وبإهتماماتهم الدنيوية مثلنا تماماً "، فالعرب لا يستسلمون لليأس أبداً بل يتقبلون الخسارة أو الفشل بهدوء أعصاب والمؤمن إذا أصابته مصيبة يقول، هذه

مشيئة الله والحمد لله على كل حال ثم يستأنفون أعمالهم بصورة طبيعية، ثم يقول "يخالجني شعور أن معظم حالات الإنهيار العصبي والجنوح والانتحار مردها إلى ضعف الإيمان بالله والدين وقد فطن الأطباء النفسيون في الغرب لهذه الناحية، فهذا الطبيب النفساني (جنك) يقول: "إن كل ما يحتاجه مرضانا هو الإيمان بالله"، ثم ينبه قائلاً " نحن بالطبع نرجع هذه الأزمات النفسية والعقلية إلى ضغط الحياة الحديثة، ولكنني أؤكد أن العرب يعيشون ظروفاً أشد وأدهى في بعض الأحيان مثال ذلك ظروف اللاجئين الفلسطينيين الذين أخرجوا من ديارهم بقوة السلاح وتركوا يضربون في الأرض بلا مال ولا مأوى طيلة هذه السنين، ومع ذلك لا توجد لديهم مثل تلك الأزمات، لاشك ان إيمانهم هو الذي منحهم القدرة على الصبر والثبات ".

وأخيراً يتطرق الضابط البريطاني غلوب للفروسية عند العرب فيقول إن بلاد العرب هي موطن الفروسية ومنهم انتقلت عن طريق أسبانيا إلى جنوب فرنسا ثم انجلترا لأن جنوب فرنسا ومنطقة النورماندي كانتا تابعتين لانجلترا في ذلك الوقت، والفروسية هي الحرب من أجل قوانين الشرف الصارمة وكانت المرأة هي الحكم فيها لذلك كان الفرسان يستبسلون لنيل رضاها، وهذا ما أعطى المرأة في المجتمع العربي مكانة لم تحظى بها في أي مجتمع آخر، ويقول "وسيعجب البريطانيون إذا قلنا لهم أن العرب هم الذين علموا الغرب احترام المرأة "[1]، ومن هنا نجد أن هذه الشهادة القيمة قد خرجت من فم رجل اندس بين العرب لفترة طويلة وعاملهم عن قرب وخبرهم فأعطى شهادته بعد أن أنتهت مهمته في أرض العرب وأحيل إلى التقاعد في بلاده، فصح فيه المثل القائل (وشهد شاهدا من أهله).

---

(١) ألقى جون باغيت غلوب محاضرته في مركز البحوث الثقافية في لندن وعرضها السيد جميل الضحاك.

وأذاً فان تضييع منظومة الأخلاق والقيم والمبادئ والسلوك العربي هو الهدف الذي سعى ألية الغرب المتصهين لضرب هذة الأمة في الصميم، وهاهو اليهودي (يوجين روستو) يقول:"ان الحوار بين المسيحية والإسلام كان صراعاً محتدماً على الدوام، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، أي خضعت الحضارة الاسلامية للحضارة الغربيه والتراث الإسلامي للتراث المسيحي، وتركت هذه اثارها البعيده في المجتمعات الإسلامية".

إلا أن هذا الخضوع هو خضوع مؤقت، فالغرب يدرك بأنه وبالرغم من كل هذا التكالب من قبله لأمتلاك القوه للسيطره على العالم وعلى ثرواته، ألا أنه يتعرض للتآكل الداخلي بشكل مستمر وخطير، وهو أعجز من أن يوجد العلاج لمرضه، فعلاجه موجود لدى خصمه، لذلك فجل ما يستطيعه هو إبقاء خصمه الوحيد المؤهل لأخذ زمام المبادره وقيادة العالم وهم العرب في حالة غيبوبه قدر المستطاع ليتمكن هو من الإستمرار بلعب دوره في نهب وسرقة ثروات العالم وقيادته بإتجاه مزيد من الفساد والخراب والدماروالحروب.

يقول (سالازار) دكتاتور البرتغال السابق:"إن الخطر الحقيقي على حضارتنا هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون حين يغيرون نظام العالم"، ولما سأله أحد الصحفيين: ولكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم عنا ...أجابه:"أخشى أن يخرج من بينهم من يوجه خلافهم إلينا".

وكان المستشرق البريطاني(مونتجمري وات)قد صرح يوماً:"إذا وجد القائد المناسب الذي يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام، فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسيه العظمى في العالم مره أخرى".

فالمسألة مسألة وقت ولقد حض القرآن أتباعه على تحرير الشخصيه العربية الاسلامية من أي تقليد أجنبي أعمى وتحريره من أي تبعيه أو عبوديه فكريه أو عقليه كانت، فهل سيفهم العرب هذا ليعودوا الى الإسلام

العربـي الإصـيل ويتركـوا البـديل الـذي أعطـاهم إيـاه الغـرب لينـالوا كـل الخـير في الدنيا والآخره!!!.

نحو بناء أمة ضعيفة ومستباحة

قد يبدو هذا العنوان غريبا للبعض ولكن لو دققنا النظر بكل ما هو حولنا في هذه الأمة لوجدنا أن هذا العنوان ينطبق علينا تماما، وأطرف ما في الموضوع ذلك الإصرار من زعامات وقيادات تفترض بنفسها أنها عربية اسلامية، تقود شعوبها وتسيّر بلدانها بعكس الاتجاه الرباني تماما وتحاول ما استطاعت أن تسلخ شعوبها من عروبتها وأصالتها وتاريخها وإيمانها، فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد خلق العرب أحرارا لا يذلون لسلطان وكوّن فيهم الحكمة والبيان وتلك الأخلاق الشريفة والكريمة التي كانت لهم على مر الأزمان سلوكا وعنوان، وهيئهم ليقوموا بدورهم الحقيقي بدفع البشرية وجمعها، وصهرها في عصبة الحق الإلهي وقيادتها إلى الخير والعدل والسلام، رافضين وضع الدنية في دين الله.

إلا أن ذلك لم يرق ببساطة لأعداء الله والأمة وبعد كل ما ذكرناه في الفصول السابقة عن التخريب والتدمير الممنهج في أمة العرب المسلمين في مختلف الميادين من قبل أعداء الخارج وأزلامهم المتمكنين والمسيطرين والمتسيّدين في الداخل، حتى صارت هذه الأمة اليوم في أسوأ أحوالها وأرداها على الإطلاق، ولو اننا اقتلعنا بعض الدول الإفريقية من على الخارطة لوجدنا هذه الأمة اليوم تقبع في ذيل الأمم، فالعرب اليوم يعيشون خارج دائرة الزمن واليهود والصليبية العالمية المهوّدة والشعوبية الحاقدة والذين قاموا منذ قرون بتهيئة أزلامهم ليخترقونا من الداخل ويقوموا بدراستنا وفهمنا، فأعلنوا حربهم الشاملة ضدنا بكل الوسائل المتاحة وبكل الإماكانيات المتوفرة، بهدف إبادتنا وإخضاعنا وحرف مسارنا عن منهج الحق الرباني وتقسيمنا وتفتيتنا وقتل الروح الوطنية العروبية فينا وتشويه تاريخنا وتجهيلنا بدستورنا السماوي القرآني ونهب ثرواتنا وسرقة خيراتنا واستعبادنا وكل ذلك يحدث امام أعين أبناء هذه الأمة الذين يتفرجون كالبلهاء فرحين بما يحل بهم.

وفي زمن العار والشفار والسقوط والانكسار أبت بعض تلك القيادات العربية التي احيطت بالأديب الأجير، والقلم المدّاح، والتي رفّعت للقيادة من قبل أسيادهم في الخارج إلا أن تترك بصمتها التخريبية لإفناء هذه الأمة، أوليسوا هم من بني جلدتنا وهم أحق من الغريب البعيد بظلم هذه الأمة والاستبداد بها، لذلك كممت الأفواه ومنعت الحريات واستبيحت الكرامات وألهت الزعامات وأعطيت مبررات لكل أفعالها، كيف لا، وهذا كله مبذول في سبيل الأوطان وحفظ كرامة وحقوق هذا الانسان العربي، فتواطئ الخارج المستعمر مع الداخل المستبد الظالم لكي تبقى أمة العرب تدور في حلقات مفرغة، ويمضي بعض زعماء الأمة في آثامهم حتى تحولت أكاذيبهم وتحريفاتهم إلى دين متّبع لدى شعوبهم، يقول تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ) [إبراهيم: ٣٠] وجرّفت مجتمعاتنا العربية من خيرة أبناءها الأنجاد، أصحاب العقول النيرة والفكر الحر والهمم العظيمة والمبادرات الفاعلة، ولم يبقى لهؤلاء إلا القبر أو السجن أو المنفى حتى يأكلهم هناك الموت والنسيان في عتمة هذا الزمن العربي المخزي، وحدث الإنشقاق والتباعد بين القيادات والشعوب، وازدادت تلك الفجوة بينهما مع مرور الوقت حتى وصلت إلى لحظة القطيعة التامة بينهما، وهذا ما يتماشى مع وجهة النظر الصهيونية والتي وضعها حكماؤهم في بروتوكولاتهم عندما قالوا: (إننا نخشى تحالف القوة الحاكمة في الأممين (غير اليهود) مع قوة الرعاع العمياء، غير أننا قد اتخذنا كل الإحتياطات لنمنع احتمال وقوع هذا الحدث. فقد أقمنا بين القوتين سداً قوامه الرعب الذي تحسه القوتان، كل من الأخرى).

فمسكين هذا المواطن العربي الذي ترتكب بأسمه كل الخطايا، هذا العربي صاحب الهموم الكثيره التي تمتد من لحظة ولادته وتستمر معه حتى القبر، فأهل الحكم يجورون بأسمه وعليه، والفنانون يعملون بأسمه وبواسطته، كما ينهب التجار منه وبأسمه، ألخ.

ورحم الله رئيس الوزراء اللبناني الراحل تقي الدين الصلح والذي قال يوماً: "المواطن يسأل لماذا يموت ولماذا يخرب بيته ويرضى. إذا كان موته وخرابه في سبيل القضية، في سبيل أي قضية وطنية أو عربية، فهو لا يرفض التضحية مهما كبرت وعظمت، لكنه يريد أن يعرف ومن حقه أن يعرف من اجل ماذا يضحي أو يضحى به".

فالمراقب لأحوال هذه الأمة سيجدها تتراجع بشكل مستمر في كافة المجالات، فيما الآخرون في حالة تقدم مستمر إلى الأمام.

ولما كان السقوط الأخلاقي هو قمة الهزيمة فعمت التربية الفاسدة والثقافة المغشوشة والتي كان لهم كبير الأثر في هذا التبلد لدى الأمة، فأنشأت أجيال عربية منسحبة من هذه الحياة ومشوشة الرؤيا معطوبة الخواص والإمكانيات الذاتية والتي من خلالها لا يمكن لهذه الأمة أن تعلوا وترتقي في سلم المجد والانتصار والتقدم، أو أن تأخذ زمام المبادرة من الآخرين، فشلت قدرات الأمة كلها في كافة الاتجاهات والمجالات العسكرية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية، فحدث هذا الفارق المخيف بيننا وبين الآخرين، واتّسعت تلك الفجوة الحضارية بيننا وبينهم، وأصابنا التخلف في ميادين شتى، ولو تفحصنا أي مجال مهما كان لوجدنا حجم الكارثة وعظيم الخطر وسنعطي امثلة على ذلك:

المجال العسكري والأمني:

لقد عجزت أمة العرب عن إيجاد منظومة دفاعية امنية لحمايتها، بل اعتمدت بشكل كبير على حماية القوى الأخرى لها مما يعني بالضرورة ارتهان ثرواتها وخيراتها وأراضيها وقرارها للآخرين، في وقت تعمل فيه كل الدول والقوى الملاصقه والمجاورة لها ببناء قوتها الذاتية (الكيان الصهيوني - إيران - تركيا - الهند - الباكستان) ومحاولة تصنيع وامتلاك كافة أنواع الأسلحة ومن ضمنها أسلحة الدمار الشامل.

فالكيان الصهيوني مثلا يحتل المرتبة الرابعة عالميا بانتاج وبيع السلاح أي قبل بريطانيا، وهو يمتلك أسلحة الدمار الشامل والذي لا يخفي نيته في استخدام هذا السلاح ضد العرب وغيرهم في حال التفكير بالتعرض لوجود هذا الكيان الغاصب على أرض فلسطين المحتلة، وفي مؤتمر دعي إليه معهد الدراسات الاستراتيجية في تل أبيب في الثمانينات، أعد الإرهابي الصهيوني آرييل شارون، وكان وزير حرب العدو حينها تقريراً يوضح فيه تصور الكيان الصهيوني لدوره الجديد بعد اتفاقية التعاون الاستراتيجي التي تم الاتفاق عليها بين امريكا والكيان الصهيوني حينها .

كتب التقرير تحت عنوان (قضايا اسرائيل الاستراتيجية في الثمانينات)، ويقدم خلاصة لسياسة الكيان الصهيوني التي تمتد، كما جاء في التقرير (في مجال النفوذ الاسرائيلي الاستراتيجي والأمني الذي يمتد من الباكستان فتركيا فايران فعبر الوطن العربي حتى قلب القارة الافريقية)، وفي ضوء هذه السياسة التي يتبعها الكيان الصهيوني فانه يلتزم بالتدخل العسكري كلما استدعى ذلك احتياجاته الأمنية، كما يراها من وجهة نظره، فمن وجهة نظر الكيان الصهيوني مثلا ان انتقال جيش عربي من قطر إلى آخر يشكل شرعية لتدخل عسكري صهيوني، ويدخل ضمن هذه الذريعة المشروعة من وجهة نظره ضرب أي تقدم علمي يتيح لدولة عربية السيطرة على اسرار الطاقة وقد نفذ الكيان الصهيوني بالفعل هذه السياسة حين ضرب المفاعل النووي العراقي، وكان هذا التقرير يقدم تصورا جديدا للانتقال من وجهة نظر الكيان الصهيوني من (اسرائيل الكبرى إلى اسرائيل العظمى).

وكذلك فقد قطعت كل من إيران وتركيا أشوطا في امتلاك التكنولوجيا العسكرية، بينما العرب ما زالوا يعتمدون في تسلحهم بشكل كامل على الشراء من الخارج بأثمان مرتفعة وأحيانا بمواصفات متدنية وبشروط مجحفة تصل أحيانا الى مستوى المساومة على السياسات والمواقف.

ومع كل تلك الأخطار والتحديات، والعلاقة العضوية بين السلاح والقرار السياسي، يبدو بأن ليس لدى العرب تلك الرغبة الضرورية

لتأسيس قاعدة صلبة ولازمة لصناعة السلاح العربي الذي يكون كفيلا بحماية العرب المسلمين ورد أي عدوان عنهم بتمويل عربي وعقول عربية في أرض عربية[1]، لإيجاد التوازن بينهم وبين القوى الاخرى، أو على الأقل تقليص حالة هذا الانكشاف العربي المخيف أمام الآخرين وهذا ما يشعر به أعدائهم مما دفعهم لاستفزاز العرب والتجروء عليهم والسخرية منهم، صرح وزير خارجية بريطانيا السابق (لورد كارينغتون) يوماً بسخريه:"لن تكون هناك دولة فلسطينيه طالما ان إسرائيل تعارض قيامها، الا اذا أقامها العرب بالحرب".

المجال الغذائي والزراعي:

إن مساحة الوطن العربي البالغة ١٤,٥ مليون كم^2، أي بنسبة تساوي ١٠,٢٪ من مساحة اليابسة، والذي يبلغ تعداد سكانه حوالي ٣٤٠ مليون نسمة تقريبا.

تقدر مساحة الأراضي القابلة للزراعة فيه حوالي ١٩٧ مليون هكتار أي ما يقارب ١٤,١ ٪ من مساحته الإجمالية.

وسنعرف حجم المشكلة إذا علمنا أن المساحة المزروعة تشكل ٤,٩ ٪ فقط من مساحة الوطن العربي.

إذا وبمعنى آخر نعرف أن هذه الامة بعيدة عن الوصول للأمن الغذائي، بل إنها تواجه تدهور خطير في مستويات الأمن الغذائي العربي، ففاتورة الغذاء العربي المستورد تقدر بحوالي ٣٨ مليار دولار سنويا، وتشكل

---

(١) إذا كانت موقعة أكتيوم سنة ٣١ ق.م قد جعلت من البحر الأبيض بحيرة رومانية فإن معركة ذات الصواري قد دخلت التاريخ من أوسع أبوابه، حين سجلت انتصار الأسطول العربي الإسلامي الناشئ على أسطول بيزنطة ذي التاريخ البحري الطويل، كما وأن من أهم النتائج الاستراتيجية لهذه المعركة البحرية الشهيرة هو انتهاء عصر السيادة البيزنطية في هذا البحر وتحوله من بحر الروم إلى بحر الشام، وبروز العرب الفاتحين كقوة مؤثرة ذات ثقل عسكري وسياسي واقتصادي في هذا العالم، عندما كان للعرب المسلمين رغبة حقيقية بتغيير الوقائع على الأرض فلم يترددوا و لم يعتمدوا على الآخرين في بناء قوتهم، بل توكلوا على الله وعملوا بأيديهم و لم يكتفوا بالبكاء والعويل والتمني والتفاخر الكاذب، فدانت لهم الدنيا وخضعت لارادتهم، يقول تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) [التوبة: ١٠٥].

٩٪ من إجمالي الاستيرادات العالمية من الغذاء، مع العلم أن الزيادة السنوية في حجم الاستهلاك تبلغ حوالي ٤,٥ مليار دولار، في حين أن معدل النمو في الانتاج المحلي لا يتجاوز المليار دولار.

وهذه الأرقام الخطيرة تدل بشكل واضح على تخلف الطرق الزراعيه وضعف البنى التحتية لوسائل النقل والتخزين والتصنيع بالإضافة إلى عدم العناية بمعايير ومواصفات الجودة، ونقص المختصين في التسويق الزراعي وفشل التنسيق بين مؤسسات الإرشاد الزراعي وهيئات البحث الزراعي إضافة إلى ضئالة الاستثمارات في مجال القطاع الزراعي رغم حجم الأموال العربية الضخمة في منطقتنا، فلقد أشرنا أن الغذاء العربي المستورد يقدر بحوالي ٣٨ مليار دولار سنويا، فماذا سيكون الحال في منطقتنا لو ان هذه المبالغ سخرت في دعم القطاع الزراعي فيها!!!.

فالحد بين الواقع والتمني ما يزال شاسعاً في حال الأمن الغذائي العربي ما دام الواقع العربي يسير باتجاه التنمية القطرية بدل العمل على التنمية القومية، والتي تقف في وجهها عوائق وعقبات عديدة، كالحدود والموانع أمام انتقال عوامل الإنتاج البشرية والمادية بين أصقاع الأرض العربية، والتي تزداد بدلاً من أن تزول وتتلاشى، وغني عن القول أن وضع غذاء الشعب العربي تحت رحمة بلدان المنشأ عملية قد يكون لها ذيول خطيرة على المستوى السياسي لأمن ومستقبل الشعب العربي، وكما قلنا سابقاً فبدلاً من قيام العرب من استثمار رؤوس أموالهم في الأرض العربية واعتبارها سوقاً واحداً تتم فيه عملية توزيع الإنتاج بحسب الميزات النسبية لإنتاج مختلف السلع في كل بلد عربي، وتحقيق التكامل الإقتصادي بينهم في ميادين الإنتاج الزراعي والصناعي يبقى العمل العربي في هذا المجال كما ذكرنا قطرياً بسيطاً ومحدوداً مما يعني بقاء الإنكشاف الغذائي العربي على حاله، فالضغط الغذائي لا ينحصر في الاقتصاد فقط، بل إنه يتمدد ليفرض نفسه على سيادة الدول وذلك حين يضطر البلد الجائع أو المهدد

بالجوع، لتغييب سيادته والسماح للآخرين بمصادرة تلك السيادة طمعاً بالمساعدات المالية أو الغذائية.

وللأسف فإن كثيراً من الدول العربية وهي من الدول النامية اهتمت بالصناعة على حساب الزراعة معتقدة بأن تطوير القطاع الصناعي هو الأهم وله الأولوية على القطاع الزراعي، متناسية أن تحقيق الاكتفاء الذاتي في المجال الزراعي وتطوير مصادرها الزراعية وإعطاءها الإهتمام الكافي وتحقيق البنية الأساسية لهذا القطاع كان يجب أن يكون الهدف الأول، وهذا لا يعني بأي حال إهمال الصناعة، فالتصنيع لا يمكن فصله عن الزراعة ولكن المسألة هي ان لا تختلط الأمور وتضطرب الأولويات وسأعطي مثالاً مهماً على أهمية تنظيم تلك الأولويات، فلو أننا عدنا وتابعنا بداية تطوير الإقتصاد الأمريكي قبل أكثر من قرن من الزمان، لوجدنا أن الجهود الأمريكية انصبت بالدرجة الأولى في القطاع الزراعي، فأنشأت مراكز التجارب الزراعية المتطورة والمدارس الريفية، وتم العمل على بناء نظام مواصلات لخدمة الإقتصاد الزراعي وصرف على شق الطرق والمواصلات ما يوازي الحاجات الجديدة للزراعة بل ويزيد عليها، ووضع أحدث وأحسن الأساليب لاستخدام الأسمدة والأراضي، وجعل مسؤولي الحكومة والاقتصاد الأمريكي، القطاع الزراعي في تلك الفترة له الأفضلية على القطاع الصناعي، لإدراكهم وفهمهم بأن الزراعة تأتي في المقام الأول، بقي أن نشير إلى أن الدول العربية فشلت في تحقيق التنمية الحقيقية في القطاع الزراعي والصناعي معاً[1]، هذا في الوقت الذي قفز فيه العالم ليدخل القرن الواحد والعشرين بعقل العلم وطموحات التكنولوجيا المتطورة، وفي الوقت الذي تتسابق فيه دول العالم للإنتقال من المجتمع الصناعي إلى المجتمع ما بعد الصناعي، حيث يتسارع التاريخ وتندفع فيه الحركة والأحداث بإتجاه التقدم والصعود، وإقامة أنظمة إقتصادية فعالة وأجهزة إنتاجية قادرة على تغطية حاجات الفرد لديهم والإستجابة لطموحاته وآماله، نجد المواطن العربي ساكناً حائراً وهو الموجود في قلب العالم، والذي يرزح بشكل مؤسف تحت سيطرة الغربي

الذي لا يستطيع التسامح مطلقاً مع تطلعات العرب وآمالهم ورغباتهم بالتقدم والإرتقاء، وتجميع طاقاتهم المبعثرة.

مجال البحث العلمي:

إن وضع البحث العلمي لدى العرب مثير للحزن والسخرية، ذلك أن ميزانيات البحث العلمي في الدول العربية شبه معدومة، فنسبة الإنفاق على البحث العلمي بالنسبة إلى الناتج القومي الإجمالي لم تتعدى ٠,٣٪ في الأقطار العربية المجتمعة لعام ١٩٩٩ م ولو قارناه مع الإنفاق على البحث العلمي في الكيان الصهيوني (ما عدا العسكري) فهو ما يوازي ٢,٦٪ من إجمالي حجم الناتج الوطني في عام عام ١٩٩٩ م، ثم ترى البعض يستغرب نزيف العقول العربية المهاجرة والذي ما زال مستمرا وهو في ازدياد، ففي الوقت الذي تدفع فيه مئات الملايين من الدولارات للخبراء الأجانب يهرب خبراؤنا الى من يحترمهم ويقدر جهدهم.

ويبدو أن النظام العربي لا يشعر بأهمية لهذا البحث طالما أن هناك من يبحث بالنيابة عنا، إذاً فالنظام العربي مرتاح الضمير[1].

ولو أجرينا مقارنة بسيطة بين ما تصرفه حكومة الكيان الصهيوني على البحث والتطوير في مؤسسات التعليم العالي والذي يوازي ٣٠,٦٪ من الموازنة الحكومية المخصصة للتعليم العالي بكامله ويصرف الباقي على التمويل الخاص بالمنشآت والرواتب والتجهيزات والصيانة بينما نرى في الجانب العربي يحدث العكس تماما، إذ أن أغلب الموازنة المخصصة للبحث

---

(١) منذ سنوات عندما كنت أتابع مقابلة تلفزيونية مع الدكتور العلامة الشيخ أ.ك رحمه الله وإذ بمقدم البرنامج يسأل فضيلة الشيخ قائلا له: يا فضيلة الشيخ عندما نسمع عن تلك الاختراعات والاكتشافات العلمية في العالم، في الفضاء والأرض وفي أعماق البحار والمحيطات يعتصرنا الألم لأن أصحاب تلك الإكتشافات والإختراعات ليسوا من العرب أو المسلمين، أفليس الأحق بالعرب والمسلمين أن يكونوا هم أصحاب هذه الإنجازات والإبتكارات خصوصاً وان كتاب الله يحضهم على العمل والبحث والتفكر؟!! فجاء الجواب صادما لي أنا شخصيا من فضيلة الشيخ المحترم عندما اجابه قائلا: هل تعتقد بأنهم في الغرب أفضل منا، على العكس تماماً فنحن نستفيد منهم من حيث لا يدرون هم بذلك، فمراكز أبحاثهم تصرف مليارات الدولارات في البحوث والدراسات والاختراعات والاكتشافات وتصلنا كلها على بارد الماء دون أن لتكلف الأموال الطائلة كما يفعلون هم، ودون أن نتكلف كل هذا العناء في البحث، فنوفر وقتنا ونستفيد من انجازاتهم معاً، وإلى هنا ينتهي جواب فضيلة الشيخ على سؤال مقدم البرنامج، لا تعليق!!!.

العلمي تصرف على الرواتب والمكافآت وغيرها بل إن معدلات الإنفاق الحكومي لدى الكيان الصهيوني على البحوث داخل الجامعات هي أعلى نسبة في العالم، ويحتل هذا الكيان المركز الثالث عالميا في صناعة التكنولوجيا المتقدمة والمركز الخامس عشر بين الدول الأولى في العالم المنتجة للأبحاث والإختراعات.

وبينما تقوم الدول المتقدمة في العالم بزيادة ميزانياتها الضخمة أساساً للبحوث العلمية لمعرفتها بقيمة هذه البحوث وعوائدها المستقبلية والتي تعطي أضعاف ما أنفقته، نرى أن ميزانية البحث العلمي الزهيدة أساساً تتراجع وتنكمش في الدول العربية بسبب النقص في التمويل، وهنا نتسائل أين تصرف ميزانيات هذه الدول؟!!.

وفي الكيان الصهيوني يدخل القطاع الخاص بقوة في تمويل البحث العلمي حيث تتراوح حصته حوالي ٥٢٪ من مجموع التمويل ونرى غياب هذا القطاع بشكل شبه كلي في الدول العربية حيث يقوم القطاع الحكومي العربي الغير مهتم أصلا بالبحث العلمي، بالتمويل الأساسي لعملية البحث حيث تبلغ حصته حوالي ٨٥٪، والعبرة التي يمكن أن نستخلصها من هذا الكلام أن أي أمةٍ تسير على رأسها وتفكر بقدميها، فالتقهقر حالها والخراب مصيرها .

وهنا أتذكر كلام الأستاذ الإنجليزي (بريفولت) الذي قال في كتابه (بناء الأنسانيه): إن آراء روجر بيكون عن العلم أصدق وأوضح من آراء أسلافه فمن أين أستمد دراسته العلميه، ويجيب بأن بيكون تعلم في الجامعه الاسلامية في الأندلس.

ويقول:"أما مصدر الحضارة الأوروبيه الحق فهو منهج العرب التجريبي وقد أنتشر هذا المنهج في عصر بيكون وتعلمه الناس في أوروبا تحدوهم الى ذلك رغبه ملحه".

ثم يضيف بريفولت فيقول:"إن ما يدين به علمنا (أي علوم أوروبا) لعلم العرب ليس هو ما قدموه لنا من أكتشافهم لنظريات مبتكره غير

سالفه، إن العلم يدين للثقافه العربية بأكثر من هذا (انه يدين لها بوجوده)". فسبحان من قدر الأقدار وغير الأحوال!!!.

إن كل ما ذكرناه هو مجرد غيض من فيض، ولو أردنا أن نأتي بأمثلة أكثر فلن تكفينا آلاف الصفحات للحديث عن الإهمال والتسيب والتخريب والفساد المتعمد في بنية المجتمعات العربية وعدم تأمين أبسط أساسيات البقاء للأمم التي تريد أن يكون لها دور فاعل في هذا العالم.

وبفعل فاعل عممت الفوضى بالمجتمعات العربية ونفثت فيها ثقافات أستهلاكية سامة ومفاهيم خاطئة واستخدمت تجاه أجيالها تربيات فاسدة، وقيدت هذه المجتمعات بسياسات خائنة خاطئة، كما ألغي الاهتمام بالبنى التحتية اللازمة لبناء الانسان العربي السليم ولم تعد مسألة الإكتراث لتنمية العقول العربية الناشئة وتحضيرها لتبتكر وتبدع وتتقدم ذات أولوية في دولنا، وترك الإستثمار بالأنسان العربي، ناسين أن هذا الإستثمار كان يجب أن يكون له الأفضليه على كل إستثمار أخر، فأنزلت بهذه الأمة هزائم ساحقة وأنتجت جماهير تائهة وتحول فهمنا للمنهج الإلهي وحرّف ليكون عادات لا عبادات، وصارت دول العرب كالغريق الذي يسعى للتعلق ولو بقشة، وهنا يحضرني ما أعلنه الدكتور صبحي الطويل وهو خبير بمنظمة الصحة العالمية في أحد محاضراته والتي تمكنت من الاطلاع على مضمونها وهو يصف ما جرى في مصر ضمن برنامج التثبيت الاقتصادي الذي عقده صندوق النقد الدولي بمصر في الفترة بين سنة ١٩٧٨ -١٩٨١م لإخراجها من أزمتها الإقتصادية وتقليل نسبة العجز في ميزانها التجاري، وطبقا للدراسة التي أجراها الخبير الأول الدكتور رمزي زكي فقد دخل الصندوق الدولي مصر وهي مدينة ب ٨٠٠ مليون دولار سنة ١٩٧٨م وخرج منها عام ١٩٨١م وهي مدينة ب ١٨٠٠٠ مليون دولار!!!.

ومعنى هذه الأرقام أن حصيلة ما يكسبه المغتربون المصريون المشتتون في أرجاء الأرض مضافة إلى حصيلة قناة السويس يمكن أن تسد الربا

المقـرر علـى هـذا الـدين الباهظ، فـإذا قصـرت ازداد الـدين الأصـلي، وإزداد تبعـا لـذلك الربـا المطلـوب سـنويا، ولـو تأملنـا كـلام الـدكتور صـبحي لاكتشـفنا تلـك الحقـائق الخطـيرة وعلـى رأسـها اغتيـال إرادة العـرب وسـرقة قـراراتهم مـن خـلال افقـار هـذه الـدول وتجويعهـا ودفعهـا للاسـتدانة مـن البنـك الـدولي والـذي مـن خلالـه تتكـدس ديـون الـدول الغنيـة علـى هـذه الـدول الفقـيرة وعنـدما تبلـغ تلـك الـديون أرقامـا خطـيرة، تسـتخدم تلـك الـديون أداة ضـغط علـى تلـك الـدول وهـذا يعـني ربـط سياسـات تلـك الـدول الضـعيفة بسياسـات الغـرب القـوي وحليفـه الكيـان الصـهيوني المـتمكن وجعلـها بـلا حـول ولا قـوة، وبالتـالي إبقـاء هـذه الـدول عـاجزة عـن إحـداث أي تغـيير في مـوازين القـوى في هـذا العـالم، وهـم في هـذه الحـال أبعـد مـا يكونـوا عـن الـتفكير بـتطهير أرض فلسـطين مـن رجـس الإحـتلال الصـهيوني لهـا وغيرهـا مـن الأراضـي العربيـة المستباحة من قبل الآخرين.

وكـان الـرئيس الامريكـي السـابق رونالـد ريغـان قـد صـرح في يـوم مـن الأيـام قـائلاً: "إن المسـاعدات الضـخمة للـدول الفقـيرة مـن الـدول الصـناعية ليس هو الحل، هذه المساعدات هي أفيون، انها تقود الآخرين".

ثـم يظهـر علينـا بعـض علمـاء الغـرب ومفكريـه البرجـوازيين ليقـدموا لنـا الحلـول والدراسـات لمعالجـة مشـاكل هـذه الشـعوب المنكوبـة والـدول الفقـيرة، فتراهـم يوصـون بتقليـل نسـبة الـولادات، والعمـل علـى زيـادة نسـبة التراكـم، وينصـحون باسـتخدام الوسـائل الحديثـة في الإنتـاج، وهـم في أثنـاء تـنظيرهم علـى هـذه الشـعوب، ينسـون أن مـن الحماقـة مطالبـة الإنسـان الأمـي بتحديـد النسـل وخفـض معـدل تزايـد السـكان، وهـم لا يخبرونـا كيـف يمكـن لتلـك الـدول الناميـة ان تزيـد مـن نسـبة التراكـم وهـي تعـاني أساسـاً مـن إنخفـاض في الـدخل القـومي ومعظـم سـكان تلـك الـدول يعيشـون علـى الكفـاف فمـن أيـن تـأتي مصـارد التراكـم، لقـد نسـي هـؤلاء المفكـرون والعلمـاء الجهابـذة أو تناسـوا، أن معظـم مشـاكل ومصـاعب وتخلـف ونكبـات تلـك الـدول الفقـيرة المعدمـة تعـود إلى تلـك العلاقـات التجاريـة غـير المتكافئـة بينـها وبـين الـدول المتطـورة، وإلى علاقـات الإسـتغلال

والسيطرة والنهب المنظم التي تمارسه تلك الدول الإستعمارية في العالم الأول بحق الدول المتخلفة من العالم الثالث كما يسمونه، وذلك من أجل إبقاء هذه الدول التي أفقروها تقوم بتمويل السوق العالمية بالمواد الأولية الخام، في مقابل شراء السلع المصنعة من الدول المتقدمة.

لقد جهد الغرب من أن يجعل العالم مستعمرات تخدم مصالح وأهداف أسيادها، من خلال استغلال هذه الدول لإعادة بناء الرأسمالية الصناعية، فتكون أسواقاً ومصادر للمواد الأولية، وقد عمل الغرب على منع أي توجه، ومعارضة أي تحرك باتجاه إرساء إقتصاد وطني في بلدان العالم الثالث، وبإعتبار الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة يعتبرون أنفسهم حراساً للنظام العالمي، فقد دخلوا في مرحلة تصادم في آمال العالم الثالث وإتجاهاته الوطنية للتطور المستقل، وكانت القوة الغربية ضرورة لوضع حد للأنظمة الوطنية التي تستجيب للضغوط الشعبية لتحسين مستوى المعيشة والإنتاج المطابق للحاجات المحلية، مما يعني بتهديد الجو الملائم للأعمال والإستثمارات الغربية، يقول المفكر (بان تنيرجن) واصفاً الحالة التي تعيشها تلك الدول المنهوبة بما يلي: " نجد اليوم امامنا حوالي مليار إنسان في العالم هم من الأميين على الرغم من أن العالم يملك الأموال والأساليب لنشر التعليم، وإن حوالي ٧٠ ٪ (من أطفال العالم الثالث) يعانون من قلة التغذية على الرغم من أنه توجد في العالم الأموال اللازمة لإطعامهم، وفي ومجال توزيع الموارد العالمية يوجد اختلال كبير، بحيث نرى أن الدول المتطورة صناعياً تستهلك من الموارد للفرد الواحد من السكان ما يزيد عن عشرين مرة تقريباً على البلدان الفقيرة، نجد أمامنا أن ملايين الناس (في العالم الثالث) يعملون عملاً مرهقاً تحت أشعة الشمس الحارقة من الصباح حتى المساء لقاء أجور زهيدة بغية أن يموتوا قبل الأوان وقبل أن يدركوا لماذا عاشوا على هذه الأرض ".

ومع أستمرار أستنزاف ونهب خيرات وثروات العرب المسلمين دون أي فائدة على أوطانهم وشعوبهم، من قبل الأمم الأخرى، وعلى رأسها النفط

وهي ثروة ناضبة، وتكتل الأموال في أيدي فئه قليله من المتسلطين والمنتفعين، يبقى حالهم من سيء الى أسوء، فلا تخطيط ولا تنميه ولانهضه، ناسين ان هذه الثروات هي ملك لكل الأجيال السابقه واللاحقه، في الوقت الذي يقوم فيه الأخرون بالحفاظ على ما لديهم من ثروات للاستفادة منها الى المدى الأقصى وفي الوقت المناسب، وفي ثمانينات القرن الماضي صدرت دراسة جادة عن إحدى أهم مؤسسات الأبحاث الأمريكية، وكان واضع الدراسة هو (ميلتون كوبولوس) المتخصص في شؤون النفط والذي كان يعمل في مؤسسة (الهيريتاج) أي مؤسسة التراث، والتي نشرت الواشنطن بوست موجزاً عن تلك الدراسة والتي تقول:

تمتلك أمريكا احتياطي نفطي ثابتاً قدره حوالي ٢٨ بليون برميل، وهو أكبر من احتياط ليبيا وفنزويلا ونيجيريا . ولكن دراسات كوبولوس تشير إلى أن الاحتياطي الأمريكي الحقيقي يزيد على ذلك بكثير، ويقدره ما بين ٢٧٦ إلى ٤٤٤ بليون برميل، وهو احتياط كاف لسد الاحتياجات الأمريكية من ٤٦ إلى ٧٤ سنة دون الحاجة إلى إستيراد نقطة واحدة من النفط.

ويقدم الخبير الأمريكي بعض الوقائع التي تدعم أبحاثه، ففي سانتا ينيز، في كاليفورنيا، يقدر الاحتياط بنص بليون برميل، ويمكن الانتاج من هذا الموقع الذي اكتشف قبل ١٢ سنة، بمعدل ٨٠ ألف برميل يومياً ولكن حكومة الولاية ترفض إعطاء الإذن بالإنتاج، وفي ألاسكا، الاحتياط الذي يمكن استخراجه يقدر ب ٧٦ بليون برميل، ولكن تقديرا أقرب إلى الحقيقة يضع هذا الاحتياط في حدود ١١٣ بليون برميل، والانتاج حاليا يبلغ ١، ٦ مليون برميل يومياً، ويضيف الخبير أن احتياط ألاسكا يزيد على احتياط فنزويلا وأبو ظبي والمكسيك والاتحاد السوفييتي مجتمعين، ورغم ذلك فإن شركات النفط الأمريكية لم تحفر أكثر من سبعة آبار في كل ألاسكا، لماذا؟

لأن الحكومة لا تسمح للشركات بالحفر والاستكشاف والاستخراج في مساحة قدرها ١٢٠ مليون فدان وذلك بموجب قانون جديد أصدرته حكومة الرئيس كارتر، وفي مقابل الشاطئ الأمريكي بالقرب من وادي

بلتيمور، يقدر الاحتياط بإحتياط بحر الشمال، ولكن وزارة الداخلية الأمريكية تمنع شركات النفط من العمل في هذه المنطقة، شركة اكسدنتال، منعت من استخراج ٨٠ ألف برميل في السنة زيادة عما تستخرج حاليا في كاليفورنيا، وتستند الحكومة الأمريكية في هذه السياسة إلى قانون موري في الذي وضع لحفظ الثروة القومية في أمريكا، وهو قانون يحظر تطوير استخراج النفط وانتاجه داخل أمريكا إلا في أضيق الحدود، فالنفط ثروة موقوتة بأجل، وهي نتاج عوامل جيولوجية عمرها ملايين السنين، هكذا هي طريقة تفكير الحكومة الأمريكية، فماذا عن طريقة تفكير حكومات الأعراب المسلمين الذين يضيعون تلك الثروات القومية لبلدانهم هباءً دون أي فائدة سوى الإنغماس بملذاتهم الشخصيه وانتفاخ أرصدتهم الموجودة في بنوك الغرب والتي تقدر بمبالغ فلكيه، ولكن من يهتم!!.

نعم، إن واقع العرب لغريب وحالهم لعجيب، فلو إنك قلبت في قنوات العرب التلفزيونية والإذاعية لوجدتها ملئى بالخلاعة والغناء والسخف والتفه والرقص والتعري والإباحية، ولو أن أحدا من سكان المريخ قدر له أن يشاهدها أو أن يسمعها لحسب أن هذه الأمة معدومة المشاكل وليس عليها التزامات ولا تواجهها تحديات خطيرة تهدد وجودها ومصيرها، حتى تتسابق قنوات العرب فيما بينها لتأخذ حقوقا حصرية لبرامج الغناء والرقص والفضائح بينما الكيان الصهيوني يعرض في قنواته التلفزيونية برامجه الخاصة والتي تتعلق بصاحب أحسن ابتكار علمي وصاحب أفضل اختراع وغيرها من البرامج والمسابقات الهادفة.

لقد عجزت القيادات العربية ومن ورائها الأحزاب العربية المتوزعة الولاء بين الشرق والغرب والحركات الثورية العربية، بأن تحقق النقلة النوعية إلى الأمام بالنسبة للعرب منذ مطلع القرن العشرين وإلى هذه اللحظة، وفشلت في تغيير واقع هذه الأمة وايجاد صحوة عربية شاملة في مختلف الميادين، بل إنهم دخلوا في صراعات بينية وحروب عبثية وتنازعات جانبية فيما بينهم، فما جدوى الركض إذا لم يكن على الطريق الصحيح،

ولكنهم وللامانة حققوا أعظم انتصاراتهم عندما استطاعوا دفع هذه الأمة إلى الوراء عقودا كثيرة، ولم يقدموا سوى طفل وحجر وشهيد، وصدر عار، وهتاف الله أكبر، وتظافروا حتى يبنوا أمة ضعيفة مستباحة متهالكة وقد نجحوا في ذلك من خلال نظريات سياسية مختلفة المقاصد والمشارب صنعت في خارج الأرض العربية وطبقت فيها، والهدف منها تشويش العرب وارباكهم وتركهم في حالة من التصادم والتعارض وادخالهم في متاهات، لها أول وليس لها آخر، ليبقوا في حالة من التخلف والعطالة، ولم يكن الهدف منها يوما وأبدا إحداث تغيير حقيقي للواقع العربي أو مواجهة الانحرافات الخطيرة بالفكر العربي، نتيجة الجهل والتخلف الذي انتشر بين العرب برعاية استعمارية مركزة، وكان من أشد واخطر اخطاء تلك النخب والاحزاب العربية في مرحلة ما بعد الإستقلال، أنها كانت تقاتل الإستعمار وفي نفس الوقت كانت تنظر إليه بكثير من الإعجاب والمهابة، فكانت تلك النخب تسعى لتشيد بلدانها وتكون مطابقة لنموذج البلد المحتل سابقاً، وإذا كانت محاولة الإحتذاء بالدول المستعمرة هو أمر مقبول مبدئياً من حيث بناء دولة متطورة حديثة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، فالخطأ في الفهم والتطبيق جاء بنتائج عكسية على تلك الدول الوليدة والمتحررة بالإسم فقط، ليتحول لاحقاً إلى كارثة حقيقية، فتلك النخب اندفعت لتقليد رموز الحكم الاستعماري المنسحب في الإستحواذ على المكافآت والامتيازات واقتناء القصور والاستراحات والنوادي وسرقة خيرات تلك الدول، فغرقوا في الفساد، حتى صار يصعب على الإنسان العادي في تلك البلدان أن يميز من منهما كان أكثر فساداً وسرقة للبلاد، ما حال دون تطور تلك البلدان بل ودفعها إلى مزيد من التدهور والخراب وجلب عليها كثيراً من المآسي، وتحولت قضايا العرب إلى مجرد شعارات فارغة لا قيمة لها يرددها الناس دون فهم أو اقتناع، في حالة ممتدة من الفوضى والضياع والتشتت لدى العرب(1)، فانقلبت المفاهيم في العقول وبدلا من صهر أبناء المجتمع العربي

---

(١) عند هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية أرادت الولايات المتحدة وحلفائها من تحقير وإهانة اليابان أمام العالم، لذلك فقد قررت=

بمختلف أديانهم وطوائفهم وأصولهم في بوتقة الوطن العربي الواحد تعززت فكرة التقوقع والانفصال والتعصب والتشرذم مع مرور الزمن، حتى وصل الأمر في بعض الدول العربية من التخبط والاختلاف إلى أن دولة كلبنان الشقيق لم يتفق أبناءه على كتاب تاريخ واحد، بل إن كل طرف منهم يعلم أبناء طائفته التاريخ بطريقة مختلفة عن الآخر، فالمحتل في نظر البعض هناك هو قوة حق وتحرير عند البعض الآخر، والخائن عند بعضهم هو بطل يستحق التقدير والاحترام والتبجيل عند الآخر، واتفقوا جميعا على أن لا يتفقوا، فكيف يمكن لهذه الأمة وسط هذا التخبط والتصادم والتناحر والاختلاف من أن تنهض وتقف في وجه أعداءها وتأخذ مكانها الطبيعي بين الأمم، فلماذا تم تضييع الروح الوطنية العربية ولماذا تم وئد الانتماء الوطني في قلوب أبناءها ولماذا تم تشويه وتغييب الرموز الوطنيه، خصوصاً إذا ما عرفنا أن تلك الروح هي أحد أهم أساسات نهوض الأمم في العالم، فالروح الوطنيه تجعل من الإنسان حاله من العطاء المتواصل، يقدم التضحيه لوطنه تلو التضحيه، وتلك الروح هي التي تكشف أعظم ما في الرجال وتجعلهم يلتصقون بوطنهم ويستشعروا همومه ومشاكله ويتفاعلوا معها، غير عابئين بحجم ما يقدمونه من تضحيات، كاشفين عن صلابتهم الوطنيه في الشدائد، فمثلاً بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وتمزقه إلى دويلات وغياب روسيا كقوة عظمى من على الساحة الدولية، عمل الروس على إعادة البناء من جديد وكان أحد اهم الدعامات الأساسية لهذا المشروع هو إحياء الإحساس والانتماء الوطني لدى الروس، وقد عمل فلاديمير بوتين جاهدا على تقوية هذا الجانب الوطني للمواطنين، وأنشأت الكليات العسكرية التعليمية والتي مهمتها تصنيع الجنود الذين سيدافعون

-أمريكا أن يكون توقيع الاستسلام الياباني على متن بارجة حربية، يكون عليها ممثلين عن الدول المنتصرة في الحرب ويكون عليها ممثلين عن وسائل الإعلام العالمية ليشهدوا على لحظة الانتصار تلك، فأوفد الامبراطور الياباني وزير خارجيته ليوقع باسم اليابان على اتفاقية الاستسلام قائلا له: " علينا أن نذهب إلى مراسم الحداد تلك، ونجعل من اليوم التالي بداية لبناء اليابان الجديدة، بهذا فقط يمكن لنا أن نذهب ونحن رافعي الرأس ". وهذا إن عبر عن شيء فإنما يعبر عن تلك الرغبة الدفينة لدى الآخرين برفض الهزيمة والانكسار وهم في أسوئ أوقاتهم، يرفضون القبول بالسقوط والاندحار ويسعون جاهدين لتعويض ما فات من خلال الإرادة الحديدة بالبناء ورفض الأمر الواقع.

عن روسيا وهم متفجرون وطنية وحمية لوطنهم، ولقد أصبحت تلك الكليات قبلة الكثير من شباب روسيا الصغار، وقد عمل المسؤولون هناك على إعادة إحياء رموز روسيا الوطنية القومية وجعلهم قدوة لأجيال الروس الجديدة، وقد أتت تلك الأفعال أوكلها وهاهي روسيا اليوم تعود كقوة عظمى على الساحة الدولية، وتسعى روسيا اليوم إلى بناء جيش وطني متجانس مهمته الدفاع عن روسيا ورد أي اعتداء عليها.

ومن هنا يمكن لنا أن نتفهم قيام دولة كألمانيا الشرقية قبل الإتحاد مع شقيقتها الغربية والتي كانت تدرو في الفلك الشيوعي بالإحتفال في العاشر من تشرين الثاني من عام ١٩٨٣ م بالذكرى المئوية الخامسة لرجل يعد من أحد كبار المبتدعين في المجال الديني، وهو أبو الحركة الدينية الإصلاحية البروتستنية (مارتن لوثر) والذي كان يصفه المؤرخون الماركسيون بالشخصية الرجعية وكانوا ينعتونه بموالاة الأمراء والسلطات الأخرى، لا لشيء إلا لأن ألمانيا الشرقية في ذلك الوقت كانت تبحث عن جذورها وتراثها وأبطالها، لقد كانت حاجتها تلك هي التي دفعتها كذلك إلى إعادة الإعتبار لفريدريك الكبير بنشر سيرة له، راجت بشكل كبير في ألمانيا الشرقية بتلك الأيام، وقد جاء في هذا السيرة المنقحة ان الدولة البروسية في عهد فريدريك كانت دولة تقدمية مستنيرة، بعد أن كان ينظر إليه باعتباره الرجعي العسكري الأول.

والعبرة التي يمكن أن نستخلصها، هي أن الاهتمام والعناية والرجوع الى التراث والتاريخ والرموز والإتصال بالجذور، وتنمية الروح الوطنيه، هما هدف أي أمه لأنهم يشكلون هوية الأمة، وان قتل الروح والأنتماء الوطني في أمة من الأمم، يجعلها منكشفه أمام كل الأخطار والتحديات، فمن لا ولاء ولا إنتماء له، كيف له ان يقف بثبات أمام الأطماع والأخطار التي قد تهدد بلاده وأهله وأمته، أن هكذا إنسان سيكون معدوم الرغبه في مواجهة الأخطار الخارجيه، منكفيء على نفسه، أول ما يفكر به هو الأنسحاب والهروب والقفز من السفينه للنجاة بنفسه أولاً، شعاره: ما الفائده، يرفض

أن يبذل أي جهد للمحاولة رغبة منه لكي يبقى في الأمان حيث هو دون ان يخسر أي شئ، وهذا طبعاً ما يخالف نهج القرآن وسلوك خير الخلق أجمعين وسلوك أصحابه الغر الميامين، ومن سارعلى نهجهم من المجاهدين والمقاومين الى يوم الدين.

لقد كتب الباحث الأستاذ (خالد محمد حمد) في كتابه (تكثير الأقلية وتقليل الأكثرية) في ص ٤٢ الآتي: [ترشيش ضيعة جميلة جداً، تقع على قمة جبل صنين في لبنان وهي قطعة من الجنة إن صح التعبير تعبعب فيها الغيوم دائما وفيها مناظر رائعة وخلابة، أشجار الكرز واللوز والتفاح والخوخ والورد الجوري على مد النظر، خضرة وماء وسماء، لقد ظلت هذه الضيعة الوادعة فوق قمة جبال صنين الشامخة بسكانها الذين كان نصفهم مسلمين ونصفهم مسيحيين، كان جميعهم طيبين ومتفاهمين وقد ظلت هذه الضيعة بمنأى عن مجريات الحرب الطائفية في لبنان والتي بدأت عام ١٩٧٥، وفي يوم أسود بهيم من عام ١٩٨٠ انقض ووثب الأهالي من كل قسم على القسم الآخر فدمروا جميع البيوت في القرية في يوم واحد وكذلك فعلوا بالجامع والكنيسة وتدخلت قوات الردع العربية التي كانت متواجدة في المنطقة لإيقاف القتال الطائفي في الضيعة التي نزح عنها جميع سكانها وفجأة أصبحت خاوية على عروشها، بلدة كل شيء فيها مدمر ولا يوجد فيها أحد ولم يكن بإمكان أحد الإقتراب منها أبدا فقد كان محظورا على أي إنسان الإقتراب من هذه الضيعة، قال تعالى: (فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (٤٥) [سورة الحج: ٤٥] وفي عام ١٩٨٢ عندما كنت جندياً ضمن قوات الردع العربية وكنت مع القوات التي دخلت هذه القرية لتطهيرها من الألغام المحتمل أن تكون قد زرعت بها وذلك تمهيداً لإعادة دخول أصحابها إليها وشاهدت بأم عيني القرية المنكوبة وهي خاوية على عروشها تماماً كل شيء فيها مدمر بينما الأشجار المثمرة تحمل الثمار وتطرحها على الأرض!... وأثناء عملية الاستطلاع والتطهير والتفتيش، أذكر أني عثرت في سقيفة تلك الكنيسة المدمرة على صندوقين كان أحدهما مليئا بالكتب أو

هو أرشيف لكتب مدرسية عن التاريخ في لبنان والثاني عبارة عن أرشيف لصفحة الحوادث من جريدتي الأنوار والأحرار اللبنانيتين طوال فترة الستينات والسبعينات، طبعاً في البداية لم أكترث لها ولكنني فيما بعد عرفت أنني عثرت على شيء رهيب. وانتبهت إلى أن جميع كتب التاريخ في لبنان الطائفي في ذلك الوقت، كانت تدرس الفتح الصليبي للبنان! فتقول: قام الصليبيون بتحرير لبنان من الاحتلال العربي ونشروا فيه الحضارة والثقافة والمدنية والعلم والمعرفة! وفي الدرس الذي يليه كان عنوانه، الاحتلال العربي للبنان، يقول: قام العرب باحتلال لبنان هذا ولم يتمكن العرب من احتلال لبنان كاملاً ولم يحتلوا سوى السهول والوديان بينما بقيت القمم محررة، وقد نشأت فيما بعد بعض العلاقات بين العرب واللبنانيين الساكنين في أعالي الجبال، فأخذ العرب عن اللبنانيين الكثير من الأمور! وتعلموا منهم الحضارة والثقافة والعلم! (دون تعليق) أما أرشيف الصحف فقد لاحظت فيه أن خوري الكنيسة قد أرشف فقط لصفحة الحوادث في جريدتي الأنوار والأحرار ولأكثر من خمس عشرة سنة ويا لهول ما رأيت، فقد كانت جميع الجرائم التي كانت تحدث في بيروت في الستينات والسبعينات كان المجرمون فيها يحملون أسماء عربية وإسلامية، علي وحسين وأحمد ومحمد وكان المعتدى عليهم دائما يحملون أسماء غير إسلامية أو غير عربية، جورج وطوني وفادي وطنوس، وكان القاضي دائما رمز العدالة أو هو ممثل العدالة التي لا يعرفها العرب كان دائما يعطى إسماً غير عربي، زافين وطانيوس وفرنسيس، ومنذ ذلك الحين عرفت كيف كانت تطبخ الطائفية وكيف كانت تصنع وكيف كانت تعلب وكيف كانت تحمل للجاهلين لكي يقتلوا].

ومن هنا نفهم تآمر الخارج المتربص مع أدواته في الداخل الحاقدة على العرب والاسلام، يقول المستشرق الفرنسي(كارادي فو): " أعتقد أن علينا أن نعمل جاهدين على تمزيق العالم الإسلامي وتحطيم وحدته الروحيه مستخدمين من أجل هذه الغايه الإنقسامات السياسيه العرقيه... دعونا نمزق الإسلام بل نستخدم من أجل ذلك الفرق المنشقه والطرق

الصوفيه... وذلك لكي نضعف الإسلام، لنجعله عاجزاً الى الأبد عن صحوه كبرى"، لذلك فقد قام الغرب المتصهين بمحاصرة العرب المسلمين سعياً منه للسيطرة عليهم وإخضاعهم وأقحمهم في أشتباك المذاهب الدينيه ومن ثم دفعهم في صراع القوميات ثم لم يلبث أن زجهم في تضارب الأيدلوجيات، ولم ينسى أن يرميهم في دوامة الطائفية المقيتة، فنبتت في الجسد العربي حركات تتحين الفرصة للاضرار به وتسعى جاهدة لانهاكه والتآمر عليه وهي لا تزداد مع الوقت إلا قوة وكرها له، وهي بمثابة جيوب كامنة فيه، كلما رأت أملا بتعافيه ونهوضه سارعت إلى بخ سمومها فيه وقتل تلك الروح العربية في مهدها لعلمها بأنه في حال قيام هذا الكيان العربي الواحد القوي المتماسك فلن يكون لها أي دور تلعبه وسينتهي امرها حتماً، وأيضا، فقد سعت كثير من القيادات العربية الحكيمة طوال عقود إلى افقار شعوبها ماديا وعقليا، حتى صاركثيرمن أفراد هذه الشعوب المنكوبه يشترون ملابسهم من تلك البسطات التي ملأت شوارع وأرصفة مدننا العربية والتي تبيع ألبسة الأمم الأخرى المستعمله (الباله)، فنظرية الحكم في العالم المستبد المتخلف تقول إن الجائع لا يثور، فالجائع لا يفكر إلا في الخبز فقط، والخطر لا يأتي من أولئك الذين يملكون الكثير وهم القلة في أرض العرب المسلمين، ولا من أولئك الذين لا يملكون شيئاً وهم الكثرة في أرض العرب المسلمين، فالخطر إذا لا يأتي إلا من أولئك الذين يملكون القليل ويطمحون إلى المزيد، وهؤلاء لا بد من سلبهم القليل الذي يملكونه لمنعهم من التفكير بالمزيد، فحولت هذه الشعوب إلى عالات على حكوماتها يعتمدون عليها من رغيف الخبز وحتى إيجاد فرصة العمل، وهم، أي هذه القيادات، لم يكونوا يجهلون ما يفعلون، وانما سعوا إلى تنفيذ برنامج ممنهج مرسوم بدقة متناهية، وإنني هنا أتسائل لماذا تتحمل هذه الحكومات غرامة الدعم لشعوبها، فترى هذا الوزير أو ذاك يخرج على الناس في اللقاءات التلفزيونية أو الإذاعية ليخبر شعبه كيف أن حكومته تتفضل عليهم بعملية دعم بعض المواد الأساسية والتي لا تستقيم الحياة بدونها، وهو لا ينسى أثناء حديثه أن يخبر الجميع بمليارات الدولارات التي

تتحملها خزينة الدولة في سبيل خدمة المواطن المسكين، وهنا اجد سؤالا ملحّاً يطرح نفسه، لو أن هذه الحكومات رفعت الدعم عن كل تلك المواد، ولكن قبل ذلك قامت بتوزيع عادل لجزء بسيط من الدخل القومي لتلك الدول على شعوبها بالحق، فهل كنا سنرى كل هذا الفقر والجهل والظلم والفساد والمعاناة في دول العرب[1]، وهل كنا سننتظر معونات الأمم المتحدة وفتات الدول الكبرى لنا، مع العلم بأن الأرض العربية من أغنى وأكثر بقاع الأرض تخمة بالثروات والخيرات، ولكنها مع ذلك بلاد ذات أدارة وأرادة فقيرة.

إذاً يمكننا القول أن العالم العربي هو عالم المتناقضات، فلو نظرنا مثلاً إلى تلك الودائع العربية الموضوعة في الغرب، لوجدتها بمبالغ فلكية مذهلة نصفها تقريباً تتألف من ودائع خاصة، لأن أصحابها لا يثقون في مصائر أوطانهم، أما الباقي فهي ودائع حكومية عربية، وذلك لعدم وجود مجالات خلاقة يتم توظيفها في تلك الدول، أي أن هجرة رؤوس أموال عربية، تضاف إلى هجرة العقول العربية، وهجرة الرودا العرب من أصحاب المبادرات الخلاقة في الصناعات والمشاريع الإنتاجية، والذين لا تقل خطورة هجرتهم عن هجرة المال والعقل العربين.

(١) كان العرب المسلمون يعطون الناس أموالا معلومة من بيت مال المسلمين، وكانوا يسمونها عطاءات، وهو حق المسلمين في أموال دولتهم لذلك لما قام أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ببناء الجامع الأموي الكبير في دمشق، بلغه أن الناس تقول، إن ما أنفقه من بيت مال المسلمين في غير حقها، فنادى في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس وصعد المنبر وقال: إنه بلغني عنكم انكم تقولون أنفق الوليد بيوت الأموال في غير حقها.

ثم قال: يا عمر بن مهاجر، قم فأحضر أموال بيت المال، فحملت على البغال إلى الجامع، ثم بسط الأنطاع تحت القبة، ثم أفرغ عليها المال ذهباً صبيا، وفضة خالصة حتى صارت كوماً، حتى إذا كان الرجل إذا قام من جانب واحد، لا يرى من يقف من الجانب الآخر، وهذا شيء كثير. ثم جيء بالقبانين، فوزنت الأموال فإذا هي تكفي ثلاث سنين مستقبلة، وقيل بل تكفي ست عشرة سنة مستقبلة ولو لم يدخل الناس شيءا بالكلية.

فقال لهم الوليد: والله ما أنفقت شيءا من بيت مال المسلمين، إنما هذا كله من مالي، ففرح الناس وكبروا، وحمدوا الله عز وجل على ذلك، ودعوا للخليفة وانصرفوا شاكرين. فقال لهم الوليد: يا أهل دمشق والله ما أنفقت في بناء هذا المسجد شيءا من بيوت المال، وإنما هذا كله من اموالي، لم أرزأكم في اموالكم شيءاً، يا أهل دمشق إنكم تفخرون عليّ بأربع: بهوائكم ومائكم وفاكهتكم وحماماتكم، فأحببت أن أزيدكم خامسة وهي هذا المسجد. [البداية والنهاية (٩ \ ١٤٩)]. ويظهر من قول الخليفة الوليد (لم أرزأكم في اموالكم شيءا) بأن أموال الدولة العربية الإسلامية كانت حقا لرعاياها، وهم يحاسبون ويلاحقون من يحاول العبث بها أو استغلالها في غير حقها.

إذاً فقد آن الأوان لأن نبحث عن صاحب المصلحة الحقيقية في إفقار هذه الشعوب وإلهائها في هموم حياتها اليومية، والتي تبعدها عن أهدافها السامية والأصيلة والحقيقية، ونبحث عمن قام بإفقار دولنا وجعلها تستجدي معونات الغرب المتصهين والأمم المتحدة (ضدنا فقط)، لتكون أسيرة عطاءاتهم وتفضلهم علينا، وكذلك علينا ان نسأل كيف سمحت حكومات هذه الدول العربية للخارج المستعمر بافتتاح مدارس له في الداخل العربي تحت مسميات مختلفة يتعلم فيها قسم من أبنائنا الذين يدرسون فيها تاريخاً مشوه يرونه من وجه نظر الغرب الذي يقلب الحق باطلاً والباطل حق ويظهرعدوانه علينا في عقر دارنا بأنه عمل نبيل وأخلاقي وحضاري ويصور دفاع أجدادنا الأحرار البواسل عن كرامتهم وأعراضهم وأرضهم بأنه ارهاب وتخلف، ويزرع بذور الحقد والشقاق بين أبناء الوطن الواحد، ويعمل على حرف الولاء الطبيعي لهؤلاء الطلاب لأوطانهم باتجاه تلك الدول ليكونوا له في المستقبل رأس جسر للعبور إلى بلداننا كلما أراد ذلك، فيشب البعض من أبنائنا وبناتنا يتنكرون للعروبة وينفرون منها بل حتى أنهم يحاربونها ما استطاعوا ويتبرئون منها، فهذا آشوري وهذا فرعوني وذاك فينيقي وهذا مسيحي وكردي وشركسي وأرمني وأمازيغي إلخ.

فهل كانت تلك الدول لتقبل افتتاح مدارس عربية إسلامية في دولها يتعلم فيها أبناء الغرب الحقيقة من وجهة نظرنا أم أن هذا الأمر حلال عليهم وحرام علينا!.

ان تلك الفوضى المنظمه لدى العرب المسلمين والتي عمل خلالها أصحاب القرار لديهم على وضع الرجل غير المناسب في مركز القياده والاداره، كان لها كبير الأثر في حالة التقهقر والأنهزام التي وصلوا إليها، وهكذا فإن دول كدولنا باتت تمشي على بركة الله، دونما خطط واضحة المعالم، فليس غريباً في بلداننا مثلاً ان تجد معملاً للأحذيه ينتج خمسمائة ألف فرده يسار فقط، وأذا سألت عن السبب، فستجد أن مدير المعمل

صاحب فكر عقائدي، يساري الهوى ويكره اليمين، أو العكس، وربما قد أختلطت عليه الأمور بين الأحذيه والمباديء، ولكن لا داعي للقلق فلدينا دوماً أناس مجهزين لحل تلك المشكلات، وأذا كان وضع الحذاء صعباً ولم يجدوا له حلاً فلا بأس من معالجة وضع المواطن العربي، وذلك من خلال اقناعه ولو بالشده أن أستخدام فردتين متشابهتين ضرورة قوميه، فتطابق وتشابه فردات الأحذيه مع تطابق وتشابه وجهات النظر امر تمليه مصيرية المعركة.

ولابد من الإشارة إلى أنه في أحد المرات تم إلقاء القبض على أحد الجواسيس للغرب والذي كان يستلم أحد المناصب المهمة داخل الإتحاد السوفييتي، والذي أوضح أثناء التحقيق معه من قبل السلطات المختصة، أن مهمته كانت تقتصر على وضع الشخص المناسب في المكان غير المناسب وكان يتقاضى لقاء هذا العمل مبالغ مالية مغرية من قبل تلك الجهات.

قال رسول الله ﷺ: "من ولي من أمر المسلمين شيئاً، فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح منه للمسلمين، فقد خان الله ورسوله "، وفي رواية: " من قلد رجلاً عملاً على عصابة وهو يجد في تلك العصابة أرضى منه، فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين" (رواه الحاكم في صحيحه)، وصدق الله العظيم إذ يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [الأنفال: ٢٧]، وهذا طبعا ما يتناقض مع طبيعة المؤامرة الصهيونية، والذي يقول مفكروها في بروتوكولاتهم: (وسنعوق الرجال ذوي العقول الحصيفة عن الوصول إلى الصدارة، وإن العامة تحت إرشادنا ستبقي على تأخر أمثال هؤلاء الرجال، ولن تسمح لهم أبدا أن يقرروا لهم خططاً).

من المؤكد أن العرب المسلمون كانوا وما زالوا في حالة غياب شبه تام وأعود فأقول (بفعل فاعل) والغائب دائما هو الخاسر والعرب اليوم يجدون أنفسهم في ظل هذه الظروف المحيطة بهم مرغمون على طئطئة هاماتهم أمام أعدائهم والرضوخ للسيطرة التي يريد أعدائهم فرضها عليهم،

ومقاساة أهوال السلب والنهب والإذلال على أيدي الأعداء، كيف لا، وهم مجرد جماعات تسير من غير هدف محدد واضح ومن غير أن تكون لديهم فكرة سياسية أو دينية جامعه يسعون لتحقيقها، فيدفعهم اليأس والطيش بطرح أنفسهم في أعاصير مدمرة، لكنني أريد أن أؤكد على أن كل تلك المؤامرات التي تقف ورائها كل تلك القوى العظمى الحاقدة والطامعة ماكانت ستفت في عضد الأمة لو أن هذه الأمة كانت متماسكة ومتراصة ومنصهرة ومتحابة من داخلها فالهزيمة الحقيقية تبدأ من داخلنا أولا وعندها يمكن للمتربصين بنا أن يتصيدوا فينا متى وكيفما شاؤوا.

وإذا قدر لنا أن نعدد إنجازات الأعراب الفعلية في المئة سنة الأخيرة فسنرى أن حصيلة إنجازاتهم والمتمثلة بتقسيم الأرض العربية إلى دويلات وتسليم فلسطين إلى اليهود والسماح للغرب بنهب ثرواتهم والتسلط عليهم وتشويه مسار الحق فيهم، وإعادة تقسيم المقسم أصلا وتجزئة المجزأ، وإباحة الدم والكرامة العربية لكل من هب ودب، وخلق أجيال عربية عاطلة عن العمل جاهلة جائعة معوزة مشوهة الفكر معطوبة الفاعلية، فكانت خلاصة كل هذا العبث المستمر والتخريب الممنهج تحقيق أعظم انجازاتهم والمتمثل ببناء أمة ضعيفة ومستباحة.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [المائدة:٥٤].

الصهيونية تسبقنا بالزمن والتخطيط والكتمان

لو نظرت إلى تاريخ اليهود في العالم وعلى مر العصور لوجدتهم الفئة الوحيدة التي اجمعت البشرية على كرهها، لما يمتازون به من لؤم الطباع وفساد الطوية وعدوانية الفعال ونجاسة الفكر وسوء المعشر، فاجتمعت بهم شرور الخلق جميعا، وهم مع ذلك أكثر الفئات تخطيطا وتنظيما وكتمانا واستعدادا، وسعوا دوما إلى القوة لتحقيق مآربهم، فإذا لم يستطيعوا امتلاكها كانوا ينسجون مع القوى المسيطرة في العالم شبكة وثيقة من المصالح التي تؤمن وجودهم وترسخ حمايتهم وتحقق مصالحهم بحيث يبقون دوماً بوضع حصين من أي خطر يمكن أن يتهددهم، هكذا كانوا زمن الدولة الرومانية والفارسية وكذلك صنعوا في بغداد عاصمة العباسيين في الشرق قبل أن ينطلق فريق منهم باتجاه دولة الأندلس في الغرب بعد أن دخلت دولة العباسيين فترة الانحطاط يوم تسلط عليها الأعاجم وبدأت تنهال عليها النكبات وكذلك فعلوا في الأندلس في ظل الدولة العربية الاسلامية هناك، متمتعين بالأمن والأمان من أي ظلم أو اضطهاد، فلما تلاشت دولة العرب المسلمين بالأندلس وبدأت محاكم التفتيش والملاحقة، وتعرض العرب هناك لشتى أنواع التعذيب والاستبداد المسيحي المتشدد واختفى ذلك التسامح الديني الذي عاش اليهود في ظله بالأندلس، فرحل قسم منهم إلى دولة الخلافة العثمانية لتكون لهم ملاذا آمناً[1]، كما أنه ليس

---

(١) يقول الباحث الأستاذ خالد محمد حمد في كتابه (المسلمون الأعراب من القمة إلى أدنى مستوى) الصفحة ٢١٠-٢١١ مايلي:
فإن الجزيرة الإيبرية لم يكن فيها ولا يهودي واحد، وذلك قبل دخول العرب إليها وإن اليهود قد دخلوها بعد دخول العرب إليها، هاجروا إليها من بغداد لما عرفوا أن الحكم الإسلامي الأموي هناك مزدهر، ومتسامح ففضلوا العمل في ظل الأمويين، ودخلوا في طاعتهم في الاندلس، وفضلوهم على العباسيين في بغداد، لا سيما بعد اضطراب الوضع في الشرق العربي إبان إنحطاط الدولة العباسية، وقيام الدولة البويهية وقدوم المغول والصليبية إلى المنطقة، فكيف يصور المؤرخون المهوذون التاريخ ويزوِّرونه وكيف يعيدون كتابته، لمعرفة المزيد راجع (صبح الأعشى في صناعة الانشا) لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ج١٤ \ وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للكتاب. دون تاريخ وفي كتابه (يهود الخزر أو القبيلة الثالثة عشرة) يقول آرثر ليستر: إنه إبان نكبة العرب المسلمين في الأندلس وعقب سقوط دولتهم في نهاية-القرن الخامس عشر، تعرض المسلمون في الجزيرة الإيبرية لما سمي (بمحاكم التفتيش الوحشية) بما فيها من قتل جماعي وإبادة وحشية، وتعذيب للأسرى، ولمن بقي من الأحياء من العرب المسلمين، على كافة أنحاء الجزيرة مذابح، لم يعرف العالم لها مثيلا، لا من قبل ولا من

من الغريب ان الصهيونية العالمية قد جعلت قاعدتها ونقطة ارتكازها في أوروبا والتي كانت في نهاية الحرب العالمية الأولى قد استعمرت ٨٥٪ من سطح الأرض والتي بمساعدتها خلق هذا الكيان المسخ على أرض فلسطين بعد هزيمة الخلافة العثمانية واسقاطها، وتجزئة أرض العرب المسلمين واحتلالها من قبل جيوش الدول الأوروبية الاستعمارية، وعلينا التأكيد على أن اليهود كان لهم دوراً أساسياً ومحورياً خطيراً بتلك الأحداث، وفي نهاية الحرب العالمية الثانية كانت هذه الصهيونية قد قفزت من المركب الاوروبي الهرم إلى المركب الأمريكي الجديد صاحب القوة الاستعمارية الأكبر في العالم، وجعلت من أمريكا قاعدتها الجديدة ونقطة انطلاقها في تحركاتها حتى صار اليهود هم بوصلة السياسة الأمريكية في العالم كافة وفي الشرق

بعد، في غاية القسوة والوحشية، مارسها ضدهم المسيحيون الكاثوليك المتشددون. وذلك كان بهدف إعادة المسيحية إلى الجزيرة، وهذا كان قد اقتضى من المسيحيين الكاثوليك المتشددين بإرهابهم، أن يخيروا طائفة اليهود التي كانت متواجدة على أرض الجزيرة بين الدخول في الكاثوليكية أو الخروج من الجزيرة، أو التعرض للقتل والتعذيب، ووجه لهم إنذار بهذا الخصوص، وتمت بينهم مفاوضات ولم يعرف عن حادثة واحدة تعرض فيها يهودي واحد في الأندلس لمحاكم التفتيش التي تعرض لها جميع العرب المسلمين فقط عرقيا ودينيا، وبكل قسوة ووحشية وبربرية! (لكن الإعلام اليهودي في أوربه قد قلب الحقيقة ولفق وأشاع بأن اليهود فقط هم الذين تعرضوا لمحاكم التفتيش تلك، وقد استمر افتراءه فترة طويلة، كما زعم الكاتب اليهودي ديورانت في كتاب قصة الحضارة، والإعلام اليهودي يردد افتراءه ليل نهار وذلك لابتزاز أوربه والشعوب الغربية) ويسوق أرثر ليستر في كتابه خبرا يقول فيه: إن اليهود عندما خيّرهم الكاثوليك وأجبروهم، وذلك في أواخر القرن الخامس عشر بين الدخول في الكاثوليكية، أو الخروج من الجزيرة الإيبرية، إنهم (أي اليهود) قد بعثوا برسالة إلى حاخامهم الأكبر في أوربه يستشيروه فيها، في أمرهم وأن هذا الحاخام الذي كان أبدا بداية استغرابه من وجود يهود في الأندلس قد أشار عليهم في ذلك الزمن برأي كان من أخطر الأفكار التي أنتجها العقل اليهودي، بحيث تحول هذا الرأي فيما بعد إلى سلاح بيد اليهود في العالم سلاح غير مرئي، خطير وفتاك، يستعملونه (اليهود) ضد غيرهم من الشعوب، وما يزال هذا السلاح إلى الآن، وسيبقى، لا قدرة للشعوب في كافة أنحاء العالم على صده أو رده أو دفعه، أو القضاء عليه. فما هو هذا السلاح الخطير الموجود بحوزة اليهود، وقد سيطر اليهود بواسطته على العالم، في كل المجالات بعد أن كانوا عبارة عن شرذمة منعزلة وقد أصبح العالم كل العالم، منذ ذلك التاريخ تحت سيطرة اليهود، وهيمن عليه اليهود منذ ذلك التاريخ عندما أرسل اليهود برسالتهم إلى الحاخام وفوجئ بها الحاخام، واستغرب وجود يهود في الأندلس، كما قال آرثر ليستر، فأشار عليهم الحاخام بأن يستعملوا ذكائهم، فيحافظون على ثرواتهم ومكتسباتهم وأن لا يضيعوها بغبائهم، وقال لهم أن بإمكانهم خداع الكاثوليك فيدخلوا في دينهم في النهار في العلن، وأن يحافظوا على يهوديتهم على دينهم اليهودي في البيت سرا وطلب منهم أن يدخلوا في المسيحية بقوة، وذلك بغية خدمة اليهودية، وأن عليهم العمل على نصرة اليهودية، من داخل المسيحية، والعمل على تدمير المسيحية من الداخل راجع كتاب (القبيلة الثالثة عشرة ويهود العالم) لآرثر ليستر \ ت. أحمد نجيب هاشم، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٤، ومنذ ذلك الحين لمعت الفكرة الجهنمية الشيطانية في العقل اليهودي، وبدأ اليهود العمل بها على كافة المسارات المسيحية والإسلامية، وتقاسموا الأدوار في الجانبين، فدخل قسم من اليهود في المسيحية الكاثوليكية، حتى أصبح البابوات في الفاتيكان كلهم من الحي اليهودي، يعملون من فوق من أعلى الهرم على استصدار الفتاوي والقرارات العجيبة التي تخدم اليهود، حتى باتت المسيحية تقدس اليهود وكتابهم التوراة، ودخل القسم الآخر من اليهود إلى الإسلام فحملتهم السفن العثمانية وحدهم دون العرب، من شواطئ الأندلس إلى ميناء سالونيك العثماني ودخلوا في خدمة الدولة العثمانية منذ ذلك الحين، وكانت لهم في ظل العثمانيين حظوة على اعتبار أنهم أسلموا على يد السلطان، فهم في حماية السلطان، ودخلوا في الطرق الصوفية، وتزوج منهم السلاطين العثمانيون كما هو معروف. وقد عرفوا (بيهود الدونما) ويقال أنهم كانوا سبب انحطاط وتخلف وانهيار الدولة العثمانية مطلع القرن العشرين، وهناك قسم من هؤلاء اليهود الذين كانوا في الأندلس، قد دخل المغرب ودخل في الإسلام فنال الحماية من امبراطور المغرب ودخلوا السلك الإسلامي في المغرب منذ ذلك الحين، ويقال أن أسرة كانت بيدها الفتوى في المغرب، منذ القرن الخامس عشر، أن هذه الأسرة في عام ١٩٦٧ م غادرت إلى فلسطين لتنضم إلى اليهود!.

الأوسط خاصة، وهذا ما دفع يوجين روستو رئيس قسم التخطيط بوزارة الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس جونسون في الستينات ليقول: " لا تستطيع امريكا إلا ان تقف في الصف المعادي للإسلام، أي إلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية، لأنها إن فعلت غير ذلك تنكرت للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها ".

حتى باتت الدولة الصهيونية الحليف الأول للغرب الصليبي وصارت أمريكا تعتبر الكيان الصهيوني جزءاً من أراضيها وولاية أخرى من ولاياتها وفي عام ١٩٥١ م صدر بيان ثلاثي من أمريكا وانجلترا وفرنسا يضمن فيه بقاء الكيان الصهيوني ويتعهد بجعل قدراته العسكرية أعلى من قدرات كل الدول العربية مجتمعة.

كما أنه ليس غريبا أن هذه الصهيونية قد هيأت ووطدت مكاناً مناسبا ومريحا لها في أحضان قوة جديدة بازغة من المستقبل وهي الصين، وبدأت منذ سنين مضت بالتغلغل في الاقتصاد الصيني وايجاد العوامل الكفيلة لتوافق مصالح الطرفين، استعدادا لقفزتها القادمة في مركب التنين الصيني عندما يؤون الأوان في المستقبل[1].

بينما في الطرف الآخر نجد الأعراب المسلمين في حالة انكشاف كلي، للقريب والبعيد، للصديق والعدو، حتى انهم يفقدون حلفائهم في العالم بتجاهلهم لهم ويتركونهم لأعدائهم حتى يفقدوهم ويرتمون في أحضان أعدائهم علّهم يجدوا لديهم الحماية والأمان.

فالصهيونية والتي تشكل أحد تلك الحركات اليهودية والتي تهدف إلى خدمة مصالح اليهود في العالم وترمي إلى حكم هذا العالم من خلال دولة الكيان الصهيوني(إسرائيل) كان من اول اهدافها إقامة دولة هذا الكيان المسخ على أرض فلسطين المحتلة ونجحت بعد أن هيأت طويلا في الساحة العالمية لذلك.

---

(١) قد ذكر اليهود في بروتوكولاتهم ما يلي: " إذا إتفقوا جميعاً ضدنا فعندئذ سنحييهم بالمدافع الإمريكية أو الصينية أو اليابانية".

فالصهيونيه والتي كانت من أعظم لحظات تاريخها، انعقاد المؤتمرالصهيوني الأول في بازل بسويسرا عام ١٨٩٧م والذي أجتمع فيه ممثلون لما يقارب من خمسون جمعيه يهودية وحضره نحو مائتين من كبار زعماءاليهود في العالم، وكان أهم قراراته: إن هدف الصهيونيه هو اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

وقد أقر المؤتمرعدة خطوات لتحقيق هذا الهدف ومنها :

١-تشجيع الهجره اليهودية الى فلسطين مع تشجيع استيطان العمال الزراعيين والصناعيين من اليهود في أرض فلسطين بأسلوب علمي.

٢-تنظيم اليهود وربطهم جميعاً عبر مؤسسات مناسبه محلياً وعالمياً، وذلك بما يتلائم مع قوانين البلد الذي يعيشون فيه.

٣-تقوية الحس والوعي القومي اليهودي وتعزيزهما.

٤-اتخاذ خطوات تمهيدية للحصول على موافقة الدول، ويعد ذلك ضرورياً لتحقيق هدف الصهيونية.

٥- أقرالمؤتمرشكل العلم اليهودي والنشيد القومي.

وكانت هذة هي المقرارات العلنية، أما المقرارات السرية فهي ما تسمى ببروتوكولات حكماء صهيون وهي تلك المخططات السريه الموضوعه من قبل زعماء الصهيونيه وكبارهم والتي من خلالها يرجون ان يتم لهم إحكام سيطرتهم على العالم وإقامة مملكتهم المزعومه وبناءٍ على ذلك وضعت الصهيونيه مخططاتها لتحقيق هذه الأهداف من خلال الأتصال بسلطان الدوله العثمانيه عبدالحميد مباشرةٍ والتي كانت فلسطين جزءمن أراضيها وإغرائه بعروض معونات مغريه مقابل السماح لليهود بسرقة فلسطين، ولما رفض السلطان عبد الحميد طلبها بشده قائلاً:"ليحتفظ اليهود بملاينيهم فإني لن أستطيع أن أتخلى عن شبر من الأرض، فهي ليست ملكاً لي، بل ملك شعبي الذي ناضل من أجلها ورواها بدمه".

فتفاقم الحقد الصهيوني على دولة الخلافة العثمانية لما تمثله من حجر عثره في وجه أطماعهم اليهودية فعملوا على تجنيد كثير من القوى لأستخدامها في إسقاط الخلافه الاسلامية لكي يستطيعوا من تحقيق أهدافهم لاحقاً، وبدأت الصهيونية مشروع الإستيلاء على فلسطين من خلال التسلل خلسة إليها، ففي عام١٨٩٢م قام اليهود الألمان بإنشاء أول مستوطنه لهم في فلسطين وأستنفرت الصهيونيه سفراء الدول الكبرى كروسيا وبريطانيا وإمريكا للضغط على السلطان العثماني لكي يسمح لليهود باالأستيطان في فلسطين، إلا أن محاولاتهم جميعها قد باءت بالفشل مما أقنع أرباب الصهيونيه بأنه لا طريقه لتحقيق أهدافهم إلا بإسقاط دولة الخلافه وتفتيتها وهذا ما كان، من خلال استخدام الصهيونية ليدها الطولى في أرض السلطنه العثمانيه وهم يهود الدونمه[1]، والذين عملوا على تأسيس جمعية (تركيا الفتاة) وكان من مؤسسيها مدحت باشا الذي وصل في دولة الخلافة إلى أعلى المناصب عندما عيّن الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) وهو ابن أحد حاخامات اليهود المجريين، وكان ممن أدعوا الإسلام وبقي على يهوديته وكان من أكثر المتآمرين على دولة الخلافة خطورة وخبثاً.

ولاحقا خرجت جمعية الاتحاد والترقي من رحم تركيا الفتاة، والتي ضمت كثيراً من الضباط الأتراك من رجالات الماسونية[2] ويهود الدونمه والتي أعلنت الثورة المسلحة ضد السلطان عبد الحميد الثاني والتي استطاعت لاحقا من خلعه وسجنه بمدينة سالونيك باليونان، وولوا مكانه أبن عمه العاجز محمد الخامس المعروف بالسلطان محمد رشاد مما مكن جمعية الاتحاد والترقي بالتصرف بمقاليد الأمور كيفما شاءت، فشرعت منذ أن تم لها الأمر والسيطرة على مقدرات الدولة العثمانية في احياء

(١) يهود الدونمه أو الدمنه: هم أولئك اليهود الذين ادعوا الاسلام ظاهرياً وبقوا على يهوديتهم، وكلمة دونمه أو دمنه في اللغة التركية تنقسم إلى شقين (دو) وتعني إثنين، و (نمه) أو (منه) وتعني نوع، وتكون بذلك الفرقة التي تقوم على أصلين هما اليهود والاسلام.

(٢) الماسونية: هي أحد الأذرع اليهودية، لها محافل في أرجاء العالم وتسعى لتحقيق الأهداف اليهودية تحت ستار الإخاء والمساواة والحرية وغيرها من الشعارات البراقة تضم في صفوفها كثيرا من الشخصيات النخبوية في مختلف المجالات وتتصف بالسرية الشديدة.

فكـرة القوميـات وإذكائهـا في جسـد الأمـة الواحـدة مـن خـلال تـبني ونشـر القوميـة الطورانيـة (التركيـة) لتعمـل علـى ايجـاد رد فعـل لـدى الفئـات الأخـرى في الأمـة، وعملـت الحركـة الصـهيونية والماسـونية بالإعتمـاد علـى بعـض المفكـرين ووسـائل اعلامهـا ومحافلـها لترويـج فكـرة القوميـات المتصـارعة المتنـاحرة خصوصـا مـع العـرب، فبعـد أن كـان الأتـراك في زمـن العثمـانيين يلقبـون العـرب بالأمـة النجيبـة أو الشـعب النجيـب ويطلقـون اسـم العـرب علـى كـثير مـن أحيـائهم تبركـاً بهـم (كعـرب دار - وعـرب لارا - وعـرب محمـد)، صـار العـرب زمـن تسـلط الاتحـاد والترقـي هـم الخصـم والعـدو، وحـدث انقـلاب علـى كل مـا هـو عربـي، كمـا عملـوا علـى تكـريس الانقسـام مـن خـلال إحيـاء الأقليـات سـواء الدينيـة أو الطائفيـة أو العرقيـة، ممـا زرع بـذور الشـقاق والخـلاف والعـداوة في الأمـة الواحـدة ليقومـوا فيمـا بعـد مـتخفين وراء جمعيـة الاتحـاد والترقـي الـتي أعلنـت عـن طريـق كمـال أتـاتورك عـن إلغـاء الخلافـة الإسـلامية في الثالث من آذار عام ١٩٢٤م.

وكـل هـذا مـا كـان ليـتم لـولا توافـق المصـالح الصـهيونية الصـليبية علـى ضـرورة استئصـال دولـة الخلافـة، ذلـك أن القـوى الأوروبيـة الكـبرى كانـت قـد أدركـت أن وجـود الإمبراطوريـة العثمانيـة الواحـدة الموحـدة والـتي تضـم تحـت رايتـها كـل تلـك القـوى العربيـة الإسـلامية سيشـكل تهديـداً خطـيراً لمصـالحها ومكانتـها في العـالم، وكـان أشـد مـا تخشـاه تلـك القـوى أن يظهـر في تلـك البقـاع العربيـة الإسـلامية مـن يجـدد فكـر الأمـة ويحشـد طاقاتهـا ويسـتنهض عزائمهـا، لأن هـذا الأمـر يعـني ببسـاطة ضـياع أي هيبـة أو إحـترام لتلـك القـوى الأوروبيـة، ويعـني أيضـاً حكمـاً بالهزيمـة وبـالزوال المؤكـد لهيمنتـها علـى هـذا العـالم، لـذلك فقـد سـعت تلـك القـوى لضـرب العناصـر الإسـلامية في تلـك الدولـة العثمانيـة وإثارتهـا ضـد بعضـها الـبعض، متحالفـة مـع الأذرع اليهوديـة الـتي اجتهـدت لتحقيـق تلـك الغايـة في خطـوة أولى، فكانـت ثـورة العـرب ضـد الحكـم العثمـاني بدايـة لمزيـد مـن الآلام والمآسـي العربيـة، ذلـك أنـه لم يـتم اسـتبدال الحكـم العثمـاني بـاحتلال قـوات الحلفـاء مـن الإنجليـز والفرنسـيين الـذين خـانوا عهـودهم ووعـودهم للعـرب بالإسـتقلال فقـط، وإنمـا انتـهى أيضـاً

حلم قيام دولة عربية واحدة موحدة، التي تملك الحاضرة الواحدة والتي تملك خيوط السلطة كلها وتنبع منها سيادة سياسية وعسكرية وإقتصادية واحدة، ثم أتبعتها تلك القوى الأوروبية الإستعمارية بالخطوة الثانية، بعد نهاية الحرب العالمية الأولى والمتمثلة بتجزئة الأرض العربية وإصطناع كيانات جديدة، وخلق أقطار وعواصم لم تكن من قبل، وذلك لمنع قيام دولة عربية موحدة تقودها سلطة مركزية واحدة، تسيطر على أهم منطقة استراتيجية واقتصادية في العالم كله، تاركة العرب يقطفون ثمار التجزئة المرة، فهذه الأرض العربية قسمت كما لم يحدث في يوم منذ نشوء الدولة العربية الإسلامية، وظهرت حروب وخلافات الحدود بين كيانات عربية مصطنعة، مما أدى لاحقاً إلى تضارب المصالح العربية، وبالنتيجة إلى إرتباط تلك المصالح مع الأنظمة الغربية الصهيونية الإستعمارية، ولتحقيق هذه الغايات كانت حروب الإستنزاف الطويلة والتي أشعلتها دول اوروبية كثيرة كروسيا والنمسا وبلغاريا ورومانيا واليونان وايطاليا وفرنسا مع دولة الخلافة بتحريض من الصهيونية والتي عملت جاهدة باغراء الأوروبيين لاشعال الحرب مع السلطنة العثمانية وكل ذلك بانتظار اللحظة المناسبة لإقامة دولتهم على أرض فلسطين، ولهذا فقد عمدت الصهيونية من خلال الدونمه وحلفائهم على حمل السلطنة العثمانية للوقوف مع ألمانيا ضد انجلترا في الحرب العالمية الأولى، فلو أن الدولة العثمانية وقفت مع بريطانيا حينها لكان ذلك سيعرقل أهداف الصهيونية في فلسطين.

كما وعملت الصهيونية على السعي لتمكين اليهود من استعباد الشعوب الأخرى عن طريق تحطيم الأخلاق والفضائل ونشر الرذائل والفساد ومحاربة الأديان، فعملت الصهيونية على تقويض صرح العقائد والأديان وقامت بهدم الأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة واجتهدت لنشر الرذيلة والفساد في كل المجتمعات الانسانية، وهدم كل ما من شأنه أن يقيم نظام اجتماعي سليم يحض على الفضائل والأخلاق الحميدة، فبدأت بنشر الأفكار الإلحادية والسعي لترويجها بهدف إجتثاث الأديان وتحويل الشعوب إلى جماعات ملحدة، لا هم لها إلا المادة، فيسهل عليهم قيادة تلك

المجتمعات والسيطرة عليها، لذلك كان لليهود دوما الصدارة في السيطرة على تجارة الخمور والمخدرات والتي عمدت الصهيونية على نشرها في مجتمعاتنا العربية وإغراقها بها، بغية خلق أجيال مصابة بالخمول العقلي والبلادة الجسدية عاجزة عن القيام بأي عمل من شأنه أن يرتقي بهم وبواقعهم وأيضا بهدف ضرب المنظومة الأخلاقية في هذه المجتمعات والتي كانت تشكل أحد أهم وأقوى وسائل الدفاع ضد الصهيونية، كما عمدت على نشر الجنس وتشجيعه بين الرجال والنساء من خلال استخدامهم لمختلف وسائل الاعلام التي يسيطرون عليها وترويجه في العالم عموما ولدى العرب المسلمين خصوصا، واستخدام الجنس لاحقا كوسيلة استدراج وايقاع لمن يريدون الايقاع به من بعض الشخصيات التي تشغل المراكز الحساسة في دولها والضغط عليهم وابتزازهم ليكونوا أداة طيّعة بأيدي الصهيوينة.

ووضعت الصهيونية لنفسها واجهات براقة من شعارات الحرية والإخاء والمساواة لخديعة الشعوب، والسيطرة على أهم مكونات القوة وهي المال والإعلام والذي من خلالهما تستطيع أن تفتعل الأزمات الاقتصادية في العالم وتستفيد منها، ففي ما يتعلق بالمال اتبعت كل الوسائل التي تمكنها من السيطرة على أموال وثروات الشعوب فكانت مصالحها تقوم على الاحتكار في التجارة والمبادلات والسيطرة على النقد، واعتناقها منذ أزمنة بعيدة لهذا النهج، فهاهو (آمشل مايرباور) ١٧٤٣-١٨١٢ م يقول لشركائه شارحا لهم جوهر الدافع الذي حدا بالمرابين اليهود لتحقيق السيطرة على مصرف انجلترا عام ١٦٩٤ الآتي: " دعنا نتولى اصدار النقد في أمة من الأمم والاشراف عليه، ولا يهمنا بعد ذلك من الذي يسن القوانين لهذه الأمة ".

لذلك فقد سعت الصهيونية لخلق مجتمعات مادية أبعد ما تكون عن الأخلاق والإيمان، تتقطع فيها الأرحام ويأكل فيها القوي الضعيف، وتضيع فيها الحقوق، ويختلط فيها الحق بالباطل، وفيها يكون المال هو الهدف

والغايـة وفي سـبيله يهـون كـل شـيء، وبهـذا يمكـن لنـا أن نفهـم لمـاذا تحولـت مجتمعاتنـا العربيـة إلى مجتمعـات اسـتهلاكية بشـكل غـير مسـبوق ونزعـت الرحمة منها .

ولما كـان للمـال تلـك الأهميـة في السـيطرة علـى مقـدرات الشـعوب والـدول فقـد سـعت الصـهيونية لتقـديم القـروض ذات الفائـدة العاليـة لكـثير مـن دول العـالم، لنـهب ثرواتهـا وخيراتهـا وابقائهـا خاضـعة لشـروطها، كمـا عملـت بواسـطة الامـوال علـى شـراء الضـمائر والـذمم لـدى كـثير مـن أصـحاب القـرار في هـذا العـالم والمـتحكمين في امـوره، وكـذلك لتطويـع كـثير مـن المنظمـات والهيئـات العالميـة وحـرف مسـارها لتتوافـق مـع الرؤيـا اليهوديـة[1]، لـذلك فقـد عمـدت الصـهيونية علـى السـيطرة علـى معظـم البنـوك ومراكـز المـال في العـالم ليكـون لهـا اليـد الطـولى بـالتحكم بالاقتصـاد العـالمي، يقـول الحاخـام اليهـودي (رايخـون): " إن للـذهب قـوة لا تقـاوم في كـل زمـان، وسـيبقى العامـل الأول في هـذه الحيـاة، وإذا مـا أحسـنت الأيـدي الخـبيرة اسـتعماله فـإن فائدتـه سـتكون عظيمـة جـداً، فـالمحرومون يتلـهفون عليـه وبـه تشـترى الضـمائر والـذمم وبريقـه يثبـت القـيم، وهـو الـذي يحـدد سـعر الانتـاج، وعـن طريقـه نسـتطيع الـتحكم في الـدول الـتي تطلـب القـروض الماليـة "، ولقـد جـاء في بروتوكـولات صـهيون: (لقـد اعتـاد الرعـاع أن يصـغوا إلينـا نحـن الـذين نعطـيهم المـال لقـاء سمعهـم وطاعتـهم وبهـذه الوسـائل سـنخلق قـوة عميـاء إلى حـد أنهـا لـن تسـتطيع أبـداً أن تتخـذ أي قـرار دون إرشـاد وكلائنـا الـذين نصـبناهم لغـرض قيادتهـا . وسيخضـع الرعـاع لهـذا النظـام لأنهـم سـيعرفون أن هـؤلاء القـادة مصـدر أجـورهم وأربـاحهم وكـل منـافعهم الأخـرى)، وأيضـاً قـولهم: (لقـد ضـجت الشـعوب بضـرورة حـل المشـكلات الإجتماعيـة بوسـائل دوليـة، وأن الإختلافـات بـين الأحـزاب قـد أوقعتـها في أيـدينا، فـإن المـال ضـروري لمواصـلة النزاع، والمال تحت أيدينا).

---

(١) لقد كان لليهود دور أساسي في تأسيس منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م، وقد سيطروا فيها على أهم المراكز، وتبلغ نسبة اليهود العاملين في وظائفها ما لا يقل عن ٦٠% من موظفيها.

ومن هنا نستطيع الفهم لماذا عمل الكيان الصهيوني على ربط الاقتصاديات العربية باقتصاده وقيامه بمشروعات مشتركة مع بعض الحكومات العربية مما يتيح لليهود التدخل المباشر في اقتصاديات تلك الدول والتحكم بها واستغلال مواردها، وأيضا حتى يكسر ذلك الطوق العربي الشعبي والذي كان يؤثر تأثيرا سلبيا على اقتصاد الكيان الصهيوني، فكانت بوابة التطبيع والتي من خلالها استطاع ذلك الكيان، النفاذ إلى المنطقة العربية بمنتجاته المتطورة فينعش اقتصاده على حساب الاقتصاد العربي المتدهور، وفي إطار الدعم الصهيوني لهذا الكيان الغاصب على أرض فلسطين فقد عملت الصهيونية على ابتزاز العالم الغربي بادعائها المستمر بأنها تمثل خط الدفاع الاول عن المصالح الغربية في الشرق، وبمساعدة أزلامها هناك تمكنت من فتح أبواب المساعدات والهبات والمعونات الغربية للكيان الصهيوني، هذا عدا عن تلك الاتفاقيات التي عقدها الكيان الصهيوني مع بعض الدول الغربية للتكفير عن ذنوبها تجاه اليهود حسب زعمهم!!! كتلك الاتفاقية التي وقعت بين المانيا الاتحادية والكيان الصهيوني عام ١٩٥٢ حيث تعهدت بموجبها المانيا بدفع مبلغ وقدره (٨٢٠) مليون دولار على شكل أقساط للحكومة الصهيونية كتعويض عن القتلى اليهود من قبل النازية!!!، هذا عدا عن الدعم المباشر والمستمر من قبل الصهيونية العالمية والتي تقوم من خلال مؤسساتها بحملات مستمرة لجمع التبرعات من اليهود وحلفائهم في أنحاء العالم، لضخها في شريان هذا الكيان الغاصب وضمان استمراريته وديمومته، هذا فيما يتعلق بالمال والنقد.

أما الإعلام، فهو لا يقل خطورة عما سبقه، إذ أن الصهيونية قد عملت طويلا لتسيطر على معظم وأهم وسائل الإعلام والصحافة في العالم لما لها من تأثير خطير على صياغة أفكار الناس وقناعاتهم، ومن المعلوم أن من يسيطر على فكر شخص ما فأنة يسيطر علية، لذلك فقد كانت الدعاية دوما احد أهم وسائل الحرب الصهيونية قديما وحديثا، ويكفي الإشارة إلى تلك الأكاذيب المغرضة التي ألحقت بالدولة العثمانية

وبشخصية السلطان عبد الحميد الثاني تحديدا والتي روجتها الدعاية الصهيونية عندما ألصقت به كل النقائص والعيوب، فعلق اسمه في أذهان الناس كرمز للبطش والاستبداد لتسهيل عملية التخلص منه لاحقا وهذا ما كان.

فالصحف العالمية اليوم تنقل وجهة النظر الصهيونية وتتبناها بالكامل ومحطات التلفاز العالمية تستضيف اليهود ليتكلموا عن مآسيهم الوهمية وعن أمانيهم، فمن وافق سياستهم في العالم فتحوا له وسائل اعلامهم بالترحاب، ومن خالفهم اطلقوا عليه لعناتهم وحاربوه ولاحقوه وألصقوا به التهم حتى يسلّم لهم بالخضوع والموافقة، أو أن يختفي عن الأنظار والأسماع، يقول الحاخام اليهودي (راسورن) في أحد خطاباته في مدينة براغ عام ١٩٦٩م: " إذا كان الذهب هو قوتنا الأولى للسيطرة على العالم فإن الصحافة ينبغي أن تكون قوتنا الثانية"[(١)]، وهذا الرأي طبعاً يتطابق تطابق تام مع نهج بروتوكولات حكماء صهيون والذي يقول: (الأدب والصحافة هما أعظم قوتين تعليميتين خطيرتين. ولهذا السبب ستشتري حكومتنا العدد الأكبر من الدوريات. وبهذه الوسيلة سنعطل التأثير السيئ لكل صحيفة مستقلة، ونظفر بسلطان كبير جداً على العقل الإنساني).

وبهذا نفهم لماذا كانت الصهيونية دوما تسعى لاحتكار الخبر وصناعته ولماذا أصبحت كبرى المحطات التلفزيونية والصحف العالمية بأيدي اليهود، وقد بلغت سيطرة القوة اليهودية في الوسط الثقافي الامريكي درجة حفزت الكاتب الأمريكي المشهور (كابوت) مؤلف كتاب (في دم بارد) إلى وصف المسيطرين على هذه الصحافة بأنها مافيا يهودية، قالها بكلمات واضحة

---

(١) منذ أواخر عام ١٩٦٧ م بدأت الحكومة الإسرائيلية الحفر بطول ٨٠ — ٤٠٠ متر، في جوانب جدران الحرم القدسي الشريف، وبعمق ١٠ — ٢٠ متر، تحت الأرض فلم تعثر حتى اليوم إلا على آثار إسلامية أموية و رومانية ولم يعثر حتى اليوم على أي أثر من آثار الهيكل المزعوم، ولما سألت الباحثة الأمريكية (غريس هالسل) عام ١٩٨٣ م عالم الآثار الأمريكي (غوردن فرانز) الذي أمضى عامين في اعمال الحفر هناك عما عثروا عليه فقال: " لا توجد دلائل على أن الهيكل كان هناك، أو أنه لم يكن هناك "، وسالت غريس (إيغي يوناه): " أين مكان الهيكل على وجه التحديد قبل ٢٠٠٠ سنة؟ " فكان جوابه: " إنني لا أعرف، ولا أحد يعرف، الهدف تدمير المسجد، لقطع مشاعر المسلمين بمقدساقم "، فقالت غريس: " وهذا المجسم المزعوم؟! "، فأجابها : " إنه تصور يهودي افتراضي "!!!.

ودون خوف رغم العواصف التي أثارها، ويمكن لنا القول أن القوة اليهودية تمارس دوراً مهماً في قيادة الإعلام الأمريكي وهو امر لا خلاف عليه إلا في درجة هذه القوة، فهنالك من يعتقد بأن الإعلام الأمريكي هو صناعة يهودية تماماً، وهنالك من يعتقد بأن القوة اليهودية قائمة وطاغية ولكنها تلتزم بحدود، هذا عدى عن وسائل الثقافة الأخرى من إذاعة ومسرح ومجلات ومطابع وشركات توزيع تحت سيطرتهم بشكل كامل أو بشكل جزئي، هذا بالإضافة لسيطرتهم شبه الكاملة على السينما والتي من خلالها عملوا على إظهار العربي المسلم في المخيلة الشعبية الغربية بصورة سلبية قبيحة[1]، فهو يمثل الشر المطلق، عدو للحضارة والكرامة الانسانية وخصوصا بعد حرب عام ١٩٧٣م وازمة الطاقة في العالم، فهؤلاء العرب يأخذون الطاقة التي تمد العالم المتحضر رهينة بأيديهم لتحقيق مآربهم الشيطانية التدميرية في العالم ورسخت هذه الظاهرة بشكل واضح للجمهور الغربي، وتم الإيحاء بأن هؤلاء العرب هم الخصم والعدو وتم انتقال العداء على المستوى الشعبي بشكل لا شعوري من الخصم اليهودي إلى الخصم الجديد وهو العربي المسلم، وأتى التراث الاستشراقي الصهيوني أُكُله، فصار العربي المسلم في أفلام الغرب هو خليط من القبح والغدر، يسعى دائما إلى سفك الدماء وانتهاك الحرمات والتلذذ بالشهوات، يقف في خيمته وأمامه جمله ومن خلفه يتفجر بئرا للنفط، وعلى الغرب

---

(١) في يوم الأربعاء ٩ تشرين الثاني ٢٠٠٥م أغتيل المخرج السوري العالمي مصطفى العقاد جراء اصابته في التفجير الانتحاري الذي استهدف أحد الفنادق في العاصمة الأردنية عمّان، وكان العقاد يستقبل ابنته القادمة من بيروت في بهو الفندق لحظة وقوع الانفجار مما أدى إلى مقتلهم.

مصطفى العقاد ابن سورية العروبة مخرج فيلمي الرسالة وعمر المختار والذي أظهر بهما صورة العربي المسلم بشكل حقيقي مشرف مقاوم بعيدا عن التشويه والكذب والافتراء. إن من اغتال مصطفى العقاد أراد أن يغتال رسالته النهضوية في الأمة وأن يقتلوا مشروعه في مهده والذي سعى مصطفى العقاد طويلا لتحقيق حلمه بإخراج عمل عن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي والقدس، فمن صاحب المصلحة في ان لا يرى هذا المشروع النور وأن لا يخرج إلى العلن ليكون جامعا للأمة محرضا لها على السير على درب المحررين السابقين وصولا إلى القدس الشريف المحرر من دنس الاحتلال الصهيوني، والذي بخل أعراب المال عن تمويله، في الوقت الذين يصرفون المليارات على كل ما يسيء إلى الدين والتاريخ والحاضر والمستقبل.

كان رحمه الله صاحب مشروع يتجلى في اعماله الخالدة بفلمي الرسالة وعمر المختار والذي أراد أن يتوجه بفلم عن صلاح الدين وتحرير القدس، فهل العقاد كان موجودا بمحض الصدفة في المكان المستهدف بالانفجار أم أن الأمر قد دبّر إليه بليل لاسكات أي صوت يمكن له أن يخرج الأمة من غفلتها ويحيي أمل الجهاد والتحرير والعودة الى القدس، يحق لنا أن نسأل؟!.

المتصهين الذي يمثله دوما رجلا ينضح بالوسامة والشجاعة أن يواجه هذا الخطر الماثل أمامه، فيحاول إفشال المخططات الدموية لهذا العربي الفاسق وينقذ العالم في اللحظة الأخيرة!!!.

وسعت الصهيونية لتظهر العرب وكأنهم كيان همجي لا يشاركهم والغرب الصليبي تطلعاتهم بالديمقراطية والإنسانية في هذا العالم، وإن الكيان الصهيوني المغتصب لأرض فلسطين المحتلة هو واحة الديمقراطية الوحيدة في أرض هؤلاء العرب الهمجيين القتلة، وبذلك فإن الغرب لا يذرف الدموع على هؤلاء القتلى من العرب والتي تقتلهم آلة الحرب الصهيونية، فهم مجرد أرقام لا قيمة لها أمام صرح الحرية والكرامة والديمقراطية الصهيونية، وبذلك فإن الكيان الصهيوني يقوم بخدمة جليلة للغرب الإنساني الحضاري عندما يكافح هؤلاءالبدائيين الدمويين[1].

فلا أقل من أن يقدم الغرب سلاحه وأمواله ودعمه لليهود الذين يقفون في الصف الأول للدفاع عن الديمقراطية وحقوق الانسان.

وبهذا نجد أن اليهود يعملون على احكام سيطرتهم على العالم، فلهم يد مسيطرة موجهة من قبلهم تعمل لمصلحتهم في جل الأجهزة الحكومية في العالم، هذا عدا عن قيام الصهيونية العالمية بتمهيد الطريق أمام اليهود للتسلق والوصول إلى الوظائف العليا في كثير من الدول، في مجال السياسة والاقتصاد، وحمايتهم من أي خطر يتهددهم[2] ومن أهم الأمثلة الواضحة للغاية على ذلك، تغلغل اليهود على جميع الصعد في بريطانيا فهاهو (بنيامين دزرائيلي) الذي استطاع الوصول إلى منصب رئاسة الوزراء بعد أن ادعى بأنه قد دخل في النصرانية، مستغلا منصبه إلى أبعد الحدود لخدمة المصالح

---

(١) اتضح لكثير من دارسي وباحثي تاريخ الحروب الصليبية بان اليهود كانوا أحد أهم الأسباب الخفية لهذه الحروب، من خلال دفعهم الأوروبيين باتجاه الشرق العربي وأطماعهم به، وتصويره لقمة سائغة، فعملوا على تشجيع فكرة الغزو الصليبي لهذه الأرض، ليتسنى لليهود تحقيق مصالحهم الخبيثة مختفين خلف هذه الحملات الصليبية.

(٢) في عام ١٨٩٤ م تم القاء القبض على ضابط يهودي هو الكابتن (ألفريد دريفوس) بتهمة الخيانة العظمى للجيش الفرنسي، وتسليم أسرار فرنسا للألمان، إلا أن الصهيونية العالمية استطاعت بأساليبها المختلفة أن تعيد محاكمته أكثر من مرة، حتى تمت تبرأته وإعادته إلى قائمة الضباط ومنحه وسام شرف حلّي به في حفلة علانية في ساحة المدرسة الحربية للجيش الفرنسي .

الصهيونية، وكذلك وصول اليهودي الصهيوني (غولد شميد) ليكون رئيسا لأركان قيادة الجيش البريطاني في افريقيا وغيرهم من الشخصيات التي وصلت إلى مناصب غاية في الأهمية والخطورة في الدولة سواء على الصعيد السياسي أو النقابي[1]، وتاريخياً لعب اليهود في روسيا دوراً مهماً في الحياة السياسية قبل انتصار الثورة الشيوعية وبعدها، فقبل الثورة وفي بداية القرن العشرين ذكر (هيرتزل) اليهودي الصهيوني، أن عدد اليهود في حركة الثوريين الروس، بكل ألوانهم من البلشفيك إلى المنشفيك إلى غيرهم يشكل حوالي ٥٣٪، وبعد الثورة تولى اليهود مناصب مهمة وخطيرة خصوصاً في جهاز المخابرات، والمتابع في الواقع السياسي الأمريكي اليوم يدرك أن في مجال السياسة الداخلية يمكن القول أن الطبقة السياسية هناك تعبر عن إرادة الناخب الامريكي، فحين تتعلق المسألة بحياة الناس واحتياجاتهم اليومية، كالبطالة والأسعار أو مستوى الفائدة أو التضخم فإن السياسين الأمريكيين الذين وصلوا إلى مراكزهم بأصوات الناخبين، لا يمكن له أن يتجاهل هذه المصالح الحياتية للشعب الأمريكي، لأنه وببساطة إذا ماتجاهل تلك المصالح أو قصر عن تحقيق وعوده الإنتخابية، فإنه سيعاقب في الإنتخابات التالية، أما في السياسة الخارجية فالأمر مختلف تماماً، فالديمقراطية الأمريكية تكاد تتلاشى نهائياً، ذلك أن الناخب الأمريكي نفسه ينظر إلى تلك القضايا الخارجية من منظور أمنه ورفاهيته واقتصاده، لكنه لا يفهم فيها كثيراً سوى بعض المسلمات، ولهذا فإنه يميل إلى التسليم بما تقوله الطبقة السياسية في بلاده من كلا الحزبين الديمقراطي والجمهوري والذين لا يختلفان عادة في القضايا الخارجية، وهنا يأتي دور اللوبي اليهودي بنفوذه الطاغي في السياسة الأمريكية، والذي يعمل بتوجيه تلك السياسة بعيداً عن رأي الناخب الأمريكي وإرادته، بما يتناسب مع المصلحة اليهودية، وفي النتيجة نجد أنه في مجال القضايا الخارجية تتساقط الدعاوي الأمريكية في الديمقراطية والحرية، وأما الشعب الأمريكي الغافل، فإنه يعطي تأييده لزعمائه بناءً على

---

(١) زياد أبو غنيمة، السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية صفحة ١٤٥ — ١٥٦ — مرجع سابق.

حمـلات الخـداع والأكاذيـب الـتي يتعـرض لهـا مـن وسـائل الإعـلام الأمريكيـة الغربيـة بشـكل عـام، والمسـيطر عليهـا يهوديـاً، وربمـا كانـت وزيـرة الخارجيـة الامريكيـة اليهوديـة مـادلين أولبرايـت في حكومـة الـرئيس بيـل كلينتـون مثـالاً واضحاً عـن التغلغـل اليهـودي في مركـز القـرار الأمريكـي والـتي كانـت تـدعي بأنهـا مسـيحية ولكنـها كشـفت أخيراً القنـاع عـن يهوديتـها وعـن أصـلها اليهـودي بعـد أن أدت ما هو المطلوب منها.

كمـا وعملـت الصـهيونية علـى خلـق الزعامـات في العـالم مـن رجـال ملـوثي السـمعة والتـاريخ والمنشـأ وغـير مكشـوفين إلا مـن قبلـهم، فيكـون هـؤلاء أطـوع مـا يكونـوا بأيـديهم، مطـيعين طاعـة لا نقـاش فيهـا، خشـية الفضـيحة وضـياع كل شيء منهم.

ولقـد عملـت الصـهيونية مبكـراً علـى الـدخول في الأديـان بعـد التخفـي والتمويه[1]، ذلـك أنهـا أدركـت أهميـة العامـل الـديني في المجتمعـات فسـعت مـن أجـل التغلغـل في المؤسسـات الدينيـة، فهـاهو القسـيس والمنصـر (سـتيفن نيـل) صـاحب المكانـة الكـبيرة في التـاريخ الكنسـي التنصـيري قـد أقـر في كتابـه (تـاريخ البعثـات التبشـيرية) بـالآتي: " إن كنيسـة الجيـل الأول مـن النصـارى كانـت أصـلاً كنيسـة تنصـيرية " ويشـير في نفـس الكتـاب إلى أن مـن أنشـأها كـان: " بـولس، وإسمـه الحقيقـي شـاءول الطرطوسـي، الـذي نشـأ وتربـى يهوديـاً متشـدداً "، كمـا نشـطت الصـهيونية علـى أختـراق المجـال الكنسـي في عواصـم اتخـاذ القـرار العـالمي، لـذلك فقـد لجـأ حكمـاء الصـهيونية إلى الكنـائس يعملـون مـن خلالهـا علـى خلـق لجـان يهوديـة – مسـيحية مشـتركة خصوصـا في الولايـات الأمريكيـة واتخـذت طـابع حمـلات تثقيفيـة دينيـة مسـتمرة، وكـان الهـدف الحقيقـي مـن ايجـاد هـذه اللجـان هـو أن تكـون قواعـد سياسـية للدعايـة الصـهيونية في قلـب المجتمـع الأمريكـي الـديني وقـد انتشـرت

(١) جاء في بروتوكولات حكماء صهيون ما نصه: (عليكم ألا تظهروا.. وألا تعرفوا الناس علينا.. عليكم ألا تستخدموا كلمة يهودي). هناك قانون فرنسي صادر عن مجلس الشيوخ، والذي كان برآسة يهودي يمنع الشك في أفران الغاز ويحظر مناقشة الموضوع على كل فرنسي، وإلا يتهم باللاسامية، ويسجن، وهذا ما جرى من روجيه غارودي حينما قدم كتابه (الأساطير المؤسّسة للسياسة الإسرائيلية).

المؤتمرات المسيحية اليهودية في كافة أرجاء الولايات المتحدة وقامت على بث السموم الصهيونية على موجة دينية وعملوا على ايجاد شخصيات لائقة من رجال الدين ليكونوا ألسنتهم في هذه المؤتمرات يكلفونهم بالقاء المحاضرات في الجامعات والكنائس، ومع مرور الوقت تحول هؤلاء إلى رسل للصهيونية في قلب الكنيسة المسيحية هناك وأخذ الكيان الصهيوني يشكل قاعدة دينية كبيرة له في الأرض الأمريكية.

لقد عملت الحركة الصهيونية منذ أكثر من مائة عام من إقناع الرأي العام الأمريكي البسيط والساذج، أن إيجاد الكيان الصهيوني على أرض فلسطين هو إرادة إلهية، معتمدين في ترسيخ هذا الإعتقاد كما أشرنا سابقاً على رجال دين مسيحيين وعلى رؤساء كنائس، فاليهود يعتمدون على ادوات أمريكية لمخاطبة الأمريكيين، هذا وقد عمل اليهود على تكريس هذه الفكرة من خلال الصحافة التي يسيطرون عليها وعلى الكتّاب كأفراد لترسيخ هذه الفكرة في كل أمريكا، فكسبت الحركة الصهيونية دعماً دينياً سهل عليها أن تكسب بواسطته لاحقاً دعماً سياسياً ومن ثم عسكرياً واقتصادياً، ولما كان الراغبون في الوصول إلى مركز القرار الأمريكي في الكونغرس والبيت الأبيض، يعملون على كسب الأصوات الدينية في الانتخابات، فكان من الطبيعي أن يركبوا الموجة الدينية المسيحية المؤيدة للكيان الصهيوني، ومما أعطى لاحقا لهذا الكيان السيطرة على الرأي العام الأمريكي، ويجب التنويه الى أن هذا الأختراق قد طال أيضاً الإسلام والمسلمين.

لقد كان من أستراتيجية اليهود أن يتركوا ورائهم في كل مكان حلوا فيه شبكات خفيه تدير وتخطط النشاطات الثورية والأضطرابات لقوى خفيه يحركونها بتنظيم، مستغلين الظروف لتحقيق غاياتهم، وفي لحظات الإضطراب لقوى المجتمع تكون أذرع الصهيونية أشد وأقوى من أي قوة أخرى، لأنها تعمل بالخفاء فهي تكون مستورة حتى اللحظة التي تصل بها إلى درجة لا تستطيع أي قوة أخرى أن تواجهها، وطوال أكثر من عشرين

قرناً سعى اليهود إلى بث بذور الشقاق في كل مكان، كما عملوا على إيجاد التنافر بين مصالح الأمم المادية والقومية، وإشعال نار النعرات الدينية والعنصرية في تلك المجتمعات، حتى تكون الغلبة لهم ويستفيدوا من تلك المتناقضات لتحقيق غاياتهم ومصالحهم، وبذلك يكون من المستحيل عمليا أن يحدث إجماع ضدهم من قبل الأمم الأخرى، لقد جاء في بروتوكولات حكماء صهيون الآتي: (وحين نستحوذ على السلطة سيناقش خطباؤنا المشكلات الكبرى التي كانت تحير الإنسانية، لكي ينطوي النوع البشري في النهاية تحت حكمنا المبارك ومن الذي سيرتاب حينئذ في أننا الذين كنا نثير هذه المشكلات وفق خطة سياسية لم يفهمها إنسان طوال قرون كثيرة).

وعند قيام الكيان الصهيوني سعت القيادات اليهودية إلى تشكيل تنظيمات استخباراتية مهمتها تحليل كل المعلومات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية عن المجتمعات العربية ناهيك عن المعلومات العسكرية عن الجيوش العربية لتحقق لها النصر في أي حرب قادمة مع العرب، فمثلا قبل أن يشن الكيان الصهيوني عدوانه في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ تمكنت أجهزة استخباراته من تزويد سلاح الطيران لديه بخرائط عسكرية واضحة تبين الأهداف الحقيقية والأهداف التمويهية لجيوش دول الطوق العربية، وتوزيع الطائرات والممرات الجوية ومواقع الدفاعات الأرضية وتحرك القوات وعدد الدبابات والمدفعية ومواقع تجميع تلك القوات، بل حتى قدرة الطيران العربي بشكل دقيق من حيث كمية الوقود في الطائرات والارتفاع والمدى والسرعة والمقدرة على الدوران والتسليح مما مهد لتنفيذ الضربة الجوية للكيان والتي حسمت المعركة في أيامها الأولى، حيث بلغت خسائر سلاح الجو العربي ٣٨٥ طائرة أي ما نسبته من ٧٠ إلى ٨٠ بالمئة من القوة الجوية العربية، هذا عدا عن تدمير معظم المطارات العسكرية العربية، وملف دقيق وتفصيلي عن ٣٢ قاعدة جوية عربية، فكسب اليهود أرخص نصر عرف في تاريخ الحروب، واستطاع اليهود أن يدفعوا الناس إلى تصديق خرافاتهم ودفعوهم إلى رفض الحق والحقيقة من العرب، ذلك ان خرافة اليهود وجد حولها رجال

دهاة متحمسين، وساسة أذكياء يقدمون ما أوتوا من علم ومال وجهد لدعم قضيتهم، وأناس مؤمنون يمدونها بحرارة العناية والعاطفة، وكتبوا تاريخا مناسبا لهم يقوم على اوهامهم واكاذيبهم فيستطيعوا من خلاله ابتزاز العالم.

لقد عمل اليهود يحركهم حقدهم الدفين على العرب المسلمين لتحقيق انتقامهم من الحق متمثلاً بإنزال الفظائع بالعرب المسلمين رغبة من اليهود بالثأر من الأمة الربانية دونما شفقة أو رحمة يقول رئيس وزراء العدو الصهيوني موسى شاريت والذي يعتبر من أهم الشخصيات التي شاركت في الحركة الصهيونية الحديثة في مذكراته والتي نشرت بعد موته ليكشف الطبيعة العدوانية والاجرامية للقيادة الصهيونية التي يصفها بالكلمات التالية: " لقد ألغينا الكوابح العقلية والأخلاقية على عواطف الثأر وغريزة الانتقام... واعتبرنا الثأر قيمة خلقية ومبدأ مقدساً "

فماذا عن العرب المسلمين، كيف هي حالهم، وكيف تدار شؤونهم، وكيف تحولوا إلى أمة تائهة مشوشة الفكر ومعطوبة الفعل مع العلم أن الله عز وجل كان قد أعطانا في القرآن أسباب الصلاح والقوة في حياتنا من خلال اجتماع عناصر البقاء والنمو والازدهار نفسيا وجسديا، فكيف تحول التفكير العربي ليكون بهذه السذاجة والبساطة، ويصبح العربي مسلوب الإرادة يؤمن بالأموات والأضرحة أكثر مما يؤمن بحسن التوكل على الله والعلم والعمل.

كيف ضل الأعراب المسلمون طريق الإسلام العربي الذي أراده الله وسيلة لانتاج الإنسان الحر العادل، صاحب الكرامة والسيادة، سيف الحق المشهر في هذا العالم، كيف تحول هذا العربي الذي خلقه الله حراً، وتوّج حريته برسالة الإسلام، فامتلك زمام أمره والعالم وانطلق بكل قوة يفتح الدنيا لينشر فيها رسالة الله إلى البشرية، حراً لا يقيده شيء ولا يخشى شيئا إلا الله، فساس الشعوب والأمم مشعلاً شموس العدالة في ظلام

الممالـك والشـعوب في الأرض[1] حتـى دانـت لـه الـدنيا، فكانـت حريتـه مختلفـة عـن حريـة الـيمين الرأسمـالي الصـهيوني والـذي يقـول في شـعاره (إنـني أعطـي الحريـة لكـل فـرد .. ليمـوت)، ومختلفـة أيضـا عـن حريـة اليسـار الماركسـي الصـهيوني والـذي اتخـذ شـعارا يقـول فيـه (إنـني أسـلب الحريـة عـن كـل فـرد .. ليعيش).

فمـا الـذي حـدث حتـى تمـوت تلـك الحريـة الـتي كانـت عطيـة الله إلى العربـي[2] وتنضـب ينـابيع القـوة في هـذا الجسـد العربـي، ويتحـول كـأرض بـور لا حيـاة فيهـا، فيصـير عبـداً مقيـداً لا حـول لـه ولا قـوة مربوطـاً بـألف قيـد وقيد، ذليلاً كسيراً مستكين.

لقـد عمـل اليهـود ومـن لـف لفهـم منـذ زمـن مبكـر علـى خلـق إسـلام آخـر غـير عربـي، إسـلام يهـودي وصـليبي وحتـى مجوسـي، المهـم أن يكـون في الظـاهر إسـلام وفي البـاطن انحـراف وتشـويه وتغـيير عـن منـهج الحـق الربـاني، لقـد وصـل العـرب المسـلمون اليـوم الى الدرجـة الـتي بـات فيهـا أعـدائهم يفرضـون علـيهم إسـلاماً خاصـاً علـى طريقتـهم، يعملـون مـن خلالـه علـى هـدم الإسـلام العربـي مـن الـداخل وذلـك بتشـجيع البـدع والإنحرافـات الـتي تقـوم علـى تشـويه جـوهر الإسـلام ولصـق كـثير مـن العبـادات المضـلله بـه، وتم دفـع العـرب المسـلمين ليعتنقـوه، لـيس ذلـك فقـط، بـل صـار هـؤلاء يـدافعون عـن هـذا التخريـب والانحـراف ظنـاً منـهم بـأنهم يـدافعون عـن الـدين، يقـول تعـالى: (وَاقْتَـرَبَ الْوَعْـدُ الْحَـقُّ فَـإِذَا هِـيَ شَاخِصَـةٌ أَبْصَـارُ الَّـذِينَ كَفَـرُوا يَـا وَيْلَنَـا قَـدْ كُنَّـا فِـي غَفْلَـةٍ مِـنْ هَـذَا بَـلْ كُنَّـا ظَـالِمِينَ) [الأنبيـاء: ٩٧]، وتم تشـجيع ورعايـة ونشـر كـل مـا مـن شـأنه أن يزيـد الطـين بلـه في العـالم العربـي الإسـلامي، وهنـاك عشـرات الكتـب الـتي تمتلـيء بهـا دور النشـر الغربيـه عمومـاً والـتي تقـوم لاحقـاً

(١) لذلك كان غضب سيدنا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين شديداً على عمرو بنت العاص وولده يوم قال له: " يا عمرو إن الحر لا يستعبد، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ".

(٢) لقد عبر الصحابي (ربعي بن عامر) رضي الله عنه — عن تلك الحرية يوم قال لرستم قائد الفرس العسكري: " نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ".

بنشرها وترويجها في العالم الإسلامي بأسره خصوصاً وان كثيراً من تلك الكتب قد كتبت باللغه العربية أصلاً ونذكر منها مثلاً:

١- مقابلة قرآنية بين المسيح ومحمد.

٢- الروح القدس أم محمد.

٣- الإسلام دعوه نصرانيه.

٤- خرافة أمية محمد.

٥- الإتقان في تحريف القرآن.

٦- مسيحيون في سلاسل.

٧- أكذوبة الإعجاز في القرآن.

٨- الإرهاب في الإسلام.

٩- علاقة الشيطان بالنبي.

١٠- الدين الرابع.

١١- الذكر المحفوظ.

كما وقد استطاع اليهود على مر العقود من إبطال مفعول الآيات القرآنية واستطاعوا كذلك من حرف تفسيرها منذ وقت مبكر، فوقع العرب المسلمون بالفخ وسارت مراكبهم في تيارات الجهالة والفكر الأسود، حتى ابتعدوا عن شواطئ الأمان والحكمة وأصبحت عقولهم مطية لكل من هب ودب، يعبئها لهم بما شاء ويلعب بها كيفما شاء، فزيّن للعرب المسلمين الكسل العقلي والجسدي[1]، وانتقل هذا الانحراف والتشويه خلال القرون لديهم يحمله الأخلاف عن الأسلاف وتتواصى به الأفراد والجماعات حتى وصلنا إلى ما نحن عليه اليوم، وصار اسم العربي مسبة ومهانة، بعد أن

(١) حدث أني كنت امشي في أحد شوارع مدينة دمشق، وكان في هذا الشارع مجموعة من المقاهي المتلاصقة، فدهشت لما رأيت هذه المقاهي ممتلئة على آخرها ومكتظة بأناس يشربون السجائر والنرجيلة حتى وكأنه يوم الحشر، وسالت نفسي يومها، لو كان هؤلاء الناس الذين يقتلون وقتهم المهدور بالجلوس في المقاهي قد قرروا الجلوس في مكتباتنا المهجورة وقراءة ما فيها من كتب والتعلم منها فكيف سيكون حال مجتمعنا يومها، وهل سنبقى نرى طوابير شباب العرب في عواصم بلدانهم يتظرون بالساعات على أبواب السفارات الغربية لعلهم يحصلون منهم على موافقة لدخول تلك البلاد أمام شروط تعجيزية من تلك البلدان، أم أن الصورة حينها ستكون مختلفة.

كان وسام شرف وعز وكرامة، فجهّلت الأمة وكان هذا الجهل من أقوى أسلحة أعداء الأمة وعلى رأسهم الصهيونية فالجاهل عدو نفسه وعدو الحق، بل انتشر الجهّال في ميادين الدعوة بشكل يرضى عنه الأعداء ويفطر له قلب أنصار الحق، فانهارت المنظومة الأخلاقية في الأمة وضربت الهمم وعمّ العجز والتخلف في معظم الميادين، وصارت الصهيونية تصول وتجول وسط أمة نائمة تائهة تابعة للآخرين، وصارت خير أمم الأرض مجموعة من الغوغاء والحيارى مسلوبي الاراده والحرية والقرار فقلبت الحقائق وحقّرت الهامات ونكّست الرايات وسلبت الكرامات وفتت الأمة ومزقت تحت انظار الصهيونية المبتهجة بما تراه، فتراجعت أمة الأعراب المسلمين في كل المجالات وباتت تعتمد بشكل شبه كلي على القوى الغربية في حماية أمنها مما يؤكد على عجزها وبانها غير قادرة على حماية أمنها فصارت أراضيها وثرواتها مطمعا من قبل الآخرين، هذا في الوقت الذي تمتلك فيه كل الدول المعادية للعرب المسلمين أسلحة تكفي لتدمير العالم مئات المرات وخاصة دولة الكيان الصهيوني والتي ترفض حتى الآن الكشف عما لديها من أسلحة الدمار الشامل أو حتى الخضوع للتفتيش، يقول يوفيل نيئمان، زعيم حزب (هتحيا) اليميني السابق في فلسطين المحتلة:"أعتقد بأن هنالك أحتمالات كثيرة لكي يتعايش الذئب مع الحمل، لكنا نصر أن يكون الذئب يهودياً"، وفي ظل هذا الانكشاف العربي المخيف يبدو بأنه لا توجد رغبة عربية في السعي للحصول على تحقيق التوازن العربي مع محيطه من خلال إيجاد أسس صلبة لبناء القاعدة اللازمة لصناعة السلاح العربي في الأرض العربية بعقول عربية وتمويل عربي ليكون هناك قراراً عربياً حراً في اتخاذ قرار الحرب عند الضرورة، إذ أن من المؤكد أن الضعيف لا يملك قرار السلم أو الحرب[1]، وقد بلغ الأمر بوزير الزراعة الصهيوني السابق (رفائيل إيتان) في معرض رده على أسئلة الصحفي (آي يطهايم) في جريدة معاريف الصهيونية بتاريخ (١٩٩١/٨/٢)

(١) هناك حكمة قديمة تقول: إذا أردت السلم فاستعد للحرب — فأين هذه الأمة الغافلة من الأخذ بأسباب القوة والنهوض.

حول إمكانية توقيع معاهدة سلام مقابل أراضي مع العرب إلى القول: "أنا لاأعطي أية أراضي، إذا كان العرب بحاجة إلى سلام... فليعطوني أرضاً"، ولما أجابه الصحفي بأن هذه نكتة، أجاب إيتان وبكل جدية: "إذا كانوا يريدون السلام فليعطونا شيئاً في مقابله... أنا أدفع سلاماً مقابل سلام... هذا ثمن باهظ وهام جداً. إذا كان العرب لا يستطيعون صنع السلام، فعليهم أن لا يصنعوا الحرب... سلام مقابل سلام. أنا لا أخاف من السلام... الوضع الحالي من اللا حرب هو مريح أكثر لإسرائيل... العالم العربي يجب أن يحل المشكلة الفلسطينية في الأردن أو سيناء. بشكل عام لماذا يجب علينا أن نحل المشكلة الفلسطينية؟ هل نحن خلقناها؟"، ولما قال له الصحفي: "من الواضح لك أنه بشروطك لن يتحقق السلام مع العرب"، أجاب: "أنا بحاجة إلى الهدوء، والسلام مع العرب هو القدرة على الردع... وليس قطعة ورق لا تساوي شيئاً"، وهكذا يبدو السلام في منظور اليهود الصهاينة تنازلاً من قبلهم وعلى العرب بدورهم أن يدفعوا ثمن هذا التنازل!، أما (بن غوريون) فيقول: "السلام بالنسبة إلينا هو وسيلة، أما الهدف فهو التحقيق التام للصهيونية... ولأجل هذا نحتاج فقط إلى إتفاقية"، ويضيف عليه (يهوشفاط هركابي) الرئيس الأسبق للمخابرات الصهيونية: "إن إسرائيل نظراً إلى طبيعة وضعها تفضل الوجود في خطر على أن تقدم تنازلات تعرضها لخطر القضاء على وجودها"، وهنا يجب أن نطرح السؤال الآتي: هل يمكن للأعراب المسلمين من العودة مجدداً إلى الطريق الذي رسمه الله عز وجل لهم منذ فجر التاريخ ليعودوا مجددا عرباً أحراراً أسياداً أنجاداً يشقون طريقهم بين عمالقة العالم الظالم المستبد في الشرق والغرب، فيقطعون في ومضة زمن متجاوزين كل التخريب والتشويه والأفخاخ التي نصبها لهم أعدائهم وعلى رأسهم الصهيونية لتخريب صروحهم ومعالمهم في قرون؟!

أعدائهم يقولون، نعم، فهاهو المفكر الألماني (باول شمتز) يحذر بني جلدته قائلاً لهم:"سيعيد التاريخ نفسه مبتدئاً من الشرق، عوداً على بدء، من المنطقه التي قامت فيها القوة العالمية الإسلامية في الصدر الأول

للإسلام وستظهر هذه القوة التي تكمن في تماسك الإسلام ووحدته العسكرية، وستثبت هذه القوة وجودها، إذا ما أدرك المسلمون كيفية إستخراجها والإستفاده منها وستقلب موازين القوى لأنها قائمة على أسس لا تتوافر في غيرها من تيارات القوى العالمية".

وهذا (مرماديوك باكتول) يقول: "المسلمون يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الأن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقاً، بشرط أن يرجعوا الى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول، لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم".

وكذلك المفكر الإنجليزي (هيلد بيلوك) الذي يقول: "لا يساورني أدنى شك في أن الحضارة التي ترتبط أجزاؤها برباط متين وتتماسك أطرافها تماسكاً قوياً وتحمل في طياتها عقيده مثل الإسلام لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب بل ستكون أيضاً خطراً على أعدائه".

ويقول (لورانس براون) في كتاب أصدره عام ١٩٤٤م: " الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قوته على التوسع والإخضاع وفي حيويته. إنه الجدار الوحيد في وجه الإستعمار الاوروبي".

وأنا أقول، نعم، وسيسألني الكثيرون كيف؟ فأجيبهم باتباع تعاليم الله في القرآن وخطى نبيه ﷺ في التحضير والتهيئة لإنشاء بنيان العدل الرباني على هذه الأرض من خلال التحضير لثورة الحق، التي ستغير مجرى الإنسانية إلى قيام الساعة، والواجب اليوم على الأعراب المسلمين اتباع ذلك النهج حتى ينفضون عنهم غبار التخلف والركود والعجز، يعملون على تأهيل أوضاعهم ليكونوا في باكورة الأمم حيث يجب أن يكونوا، حاملين مشعل الحضارة الإنسانية من جديد ويسعون للحاق بالإسلام العربي الرباني الذي تجاوزهم منذ مدة طويلة، ويمارسون دورهم في قيادة البشرية إلى الحق والخير والحرية فتتحقق لهم وبهم السعادة المنشودة في الدنيا والآخرة، مدركين أن غيابهم عن ممارسة دورهم القيادي لهذا العالم

ليس خسارة لهم وحدهم بل خسارة لحلفائهم واعدائهم ولكل البشرية التي تتخبط في ضلالات الأنحراف والفساد والضياع.

لقد كانت معظم بلدان اوروبا حتى نهايات القرن الخامس عشر تعيش في حالة من البدائية والهمجية، وذلك في الوقت الذي كانت فية دولة العرب المسلمين في الأندلس تعيش ابهى واعز ايام مجدها الحضاري، يومها تسلم الخليفة الأموي هشام في العاصمة قرطبة رسالة من ملك انكلترا يلتمس فيها شيئاً من الحضارة العربية وهذا نص الرسالة:

من جورج الثاني ملك انكلترا والغال (فرنسا) والسويد والنرويج الى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث:

بعد التعظيم والتوقير فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء اثركم لنشر نور العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من اربعة اركان.

وقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة دوبانت على رأس بعثة من بنات اشراف انكلترا ارجو ان يكونوا موضع عناية عظمتكم وتحت حماية حاشيتكم الكريمة التي ستشرف على تعليمهن.

وقد ارفقت مع الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل ارجوا التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص.

من خادمكم المطيع جورج

فكان نص الرسالة الجوابية:

بسم الله الرحمن الرحيم... الحمد لله رب العالمين... الصلاة والسلام على نبيه سيد المرسلين وبعد:

الى ملك انكلترا وايكوسيا واسكندنافيا الأجل:

لقد اطلعت على التماسكم، فوافقت على طلبكم بعد استشارة من يعنيهم الأمر من ارباب الشأن وعليه فإننا نعلمكم بأنه سوف ينفق على

هـذه البعثـة مـن بيـت مـال المسـلمين دلالـة علـى مودتنـا لشخصـكم الملكـي. امـا هـديتكم فقـد تلقيتـها بسـرور وبالمقابـل ابعـث الـيكم بغـالي الطنـافس الأندلسـية وهـي مـن صـنع ابنائنـا هديـة لحضـرتكم وبهـا المغـزى لإلتفاتتنـا ومحبتنا والسلام.

خليفة رسول الله في ديار الأندلس هشام.

هكـذا كـان الحـال في ذلـك الزمـان فكيـف هـو اليـوم، كتـب السـيد هفـاف ميهـوب في جريـدة الثـورة ٧ نيسـان ٢٠١٢ العـدد رقـم ١٤٨١٢ الآتـي: يقـول الأديـب الامريكـي (هنـري ميلـر) الثـائر علـى أمريكـا ونهجهـا في الحيـاة "إن الأمـريكيين هـم انـاس عـاجزون عـن أن يقـدموا للعـالم أي شـيء إنسـاني... إنهـم شـعب مـدان لأنهـم لا يحسـنون الحـب، ولا سـبيل لأن تعـيش في أوروبـا والعـالم في سـلام إلا إذا ودعـا كـل مـا في أسـلوب الحيـاة الأمريكيـة... إن علـى العـالم أن يصـنع حياتـه بعيـدا عـن العقليـة الإميركيـة، كمـا يصـنع الإنسـان أحلامه الخاصة ".

فأمريكـا بالنسـبة لـه هـي (الكـابوس المخيـف) الروايـة الـتي كتبـها في النصـف الأول مـن أربعينيـات القـرن الماضـي والـتي حمّلـها مـن مفـردات جرأتـه ونقمتـه، مـا عـرّى بشـاعتها ليغادرهـا بعـدها قـائلا: " لقـد اسـتوفيت عقـوبتي هنـاك والآن لم تعـد لـدي احتياجـات... انـا رجـل بـلا ماضـي ولا مسـتقبل والآن أرى أميركا تنشر الدمار... أراها لعنة سوداء على العالم ".

ولا شـك أن الاحتضـار الروحـاني الـذي عاشـه (هنـري ميلـر) سـواء في بلـده أو في اوروبـا، هـو مـن دفعـه للتفكير بكـل مـن عـرفهم مـن نـبلاء وشـياطين، بـل هـو مـن جعلـه يعتبر أميركـا الـتي كانـت سـببا في غربتـه بانهـا هـراء كـوني وبأنـه حـين يفكـر: " حـين أفكـر في بعـض الفارسـيين والعـرب الـذي عرفتـهم... حـين أفكـر في الشخصـية الراقيـة الـتي كشـفوا عنـها بكياسـتهم ورقتـهم... بـذكائهم وقدسـيتهم، أبصـق علـى فـاتحي العـالم الأبـيض... علـى البريطـانيين المـنحطين وعلـى الألمـان برؤوسـهم الخنزيريـة والفرنسـيين الـواثقين مـن أنفسهم حد الغرور".

وبعد كل ما قيل، ما زالت أمة العرب المسلمين تمر بفترات تغيير مصيريه خطيره في النواحي السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه والاخلاقيه، وتتهاوى فيها قيمها القديمه الأصيله وتحل بدلاً منها قيم جديده سلبيه وانهزاميه غريبة عنها، تجعل من أمة العرب المسلمين مفتقده لذلك الدور الذاتي القادر على إحداث أختراق لكل تلك العوائق المحيطة بالعرب وكسر تلك القيود التي تقيدهم، فلماذا العرب وحدهم دون غيرهم، رغم أن هناك في العالم دولاً كالصين واليابان وكوريا والهند والبرازيل قد واجهوا ظروف مشابهه للوضع العربي، وبالرغم من ذلك استطاعت تلك الدول من ان تتجاوز كل تلك العوائق الموضوعه خارجياً لبناء دولهم الوطنية الحرة الحديثة، مما لاشك ان الرغبة الذاتية للنهوض وتنمية الشعور الوطني في تلك الدول، كان لها أثراً حاسماً في هذا الموضوع، أن الأوان لأمة العرب المسلمين أن تنهض وتسعى للمستقبل بدلاً من إنتظاره أن يأتي هو إليها، يقول تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى) [طه:١٢٤ - ١٢٦].

مفهوم الثورة الايجابية في القرآن والسنة

إذا كانت الثورة الإيجابية هي ذلك التغيير الشامل والكامل لوضع قائم في مجتمع ما، ونقله من حالته السيئة إلى حالة جديدة يكون فيها المجتمع بحالة سليمة ومعافاة، ينتصر فيه الحق على الباطل، فإن أنبياء الله ورسله هم أول وأعظم الثائرين في تاريخ الانسانية كلها، فلقد كانت ثوراتهم عليهم السلام تقوم على نبذ الشرك والجاهلية وإخلاص العبادة والتوحيد لله رب العالمين، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء:٢٥] فكانت ثوراتهم عليهم السلام تستهدف تلك المظالم السياسية والاقتصادية والاجتماعية الواقعة على العباد من قبل أصحاب الملك والسلطان، (طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) [القصص:١-٥].

فهاهو ابراهيم عليه الصلاة والسلام يعلن ثورته على أولئك الذين تركوا عبادة الله وعبدوا الحجارة، قال تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [النحل: ١٢٠-١٢١]، وكذلك فعل موسى عليه السلام لما ثار على الظلم المتمثل بفرعون، (وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) [الأعراف: ١٠٤ - ١٠٥]، فكانت ثورات الأنبياء على كل ما خالف فطرة الله التي فطر الخلق عليها، فكان مشعل ثورة الحق ينتقل من نبي إلى نبي حتى وصل إلى إمام الثائرين وسيد المجاهدين بالحق وللحق محمد ﷺ.

ومن يتتبع أثر الأنبياء في كتاب الله، سيجد أنهم كانوا دائما الثائرين في وجه الظلم والعدوان والطغيان، كيف لا، وهم عصبة الحق والعدل والنور، ونحن العرب المسلمون مأمورون من الله سبحانه وتعالى بأن نهتدي بهم ونتخذهم مثلا وقدوة، يقول تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [الممتحنة: ٦]، وربما كان كل الذي ذكرناه أوضح ما يكون في ثورة نبينا محمد ﷺ على الشرك وأهله، ولو درسنا كيفية إعداد رسولنا لثورة الحق والتمهيد لها ومن ثم القيام بها، لخرجنا بدروس عظيمة لو طبقت لوجدت الأمة نفسها في حال غير هذا الحال، فمن المعلوم تاريخيا أن دعوة نبينا محمد ﷺ قد مرت بأطوار مختلفة نستشف فيها كيفية الإعداد للثورة والقيام بها وانقسمت ثورته ﷺ إلى قسمين، أما القسم الأول، فهو الثورة العقلية، والقسم الثاني، هو الثورة الجسدية، وسنتناول القسم الأول بشيء من التفصيل الموجز لأهميته وخطورته حتى نستفيد من دروس تلك الثورة التي غيرت وجه الإنسانية وإلى قيام الساعة.

الطور الأول - الدعوة سرّا:

لقد كانت مكة دوما وعلى مر الأزمان مركز العالم الديني الأول وفيها جاء امر الله لرسوله بالدعوة لدين الله، وهنا تظهر أول ملامح الثائر العظيم محمد ﷺ عندما عمل بحكمة على عدم إظهار الدعوة بداية، قبل أن يعد ويأسس نواة الحق، والتي سيقوم عليها لاحقا بنيان عصبة الحق، تلك العصبة التي ستكون فيما بعد الحاضنة الآمنه لرسالة السماء والتي سيقع على مسؤليتها نشر رسالة الله إلى البشرية.

فقام رسول الله ﷺ بعرض الإسلام على أقرب الناس إليه، فعمد إلى من عرف عنهم نصرتهم للحق وحبهم للخير من أصحابة وأهل بيته، إذ لا بد لمن أراد أن يثور على الظلم والباطل أن يثور على نفسه ويسعى ليعدل

اعوجاجها بالحق أولا، حتى إذا ما أصلحها ثار على كل الانحرافات التي تمارس بمجتمعه، فكان أولئك النفر من السابقين الأولين والذين كان إسلامهم بشرى خير لدعوة الحق، وكان لهم نشاط عظيم بنشر الرسالة لمن يطمئنون إليه ويثقون به وكان رسول الله ﷺ يجتمع بهم سرًا فيعلمهم ما نزل عليه من آيات القرآن الكريم، واستمر ﷺ بالعمل سرا بالدعوة ما يقارب ثلاث سنوات، يعمل خلالها على بناء عصبة الحق والتي سيكون عليهم فيما بعد مواجهة أهل الشرك والانحراف.

الطور الثاني - الجهر بالدعوة:

لما جاء أمر الله سبحانه وتعالى لرسوله بالجهر بالدعوة وتبليغ رسالة السماء إلى الناس أجمعين قال تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) [الحجر: ٩٤-٩٦]، انطلق رسول الله يبلغ الدعوة معلنا نداءاً واضحا جليا في أرجاء الأرض، بأن الحق أحق أن يتبع وأن الوحدانية لله عز وجل وأن التعصب لا يكون للدم بل للحق والعدل والحرية، ومضى في طريق الدعوة عارضا إياها على العباد بالرغم من العداوة والمُمانعة التي قابله المشركون بها والذي أعلن البعض منهم تعصبهم لما كانوا قد وجدوا علية أبائهم من قبل، رافضين أن يشرعوا نوافذ قلوبهم للحق، مصرين على تكبيل عقولهم بقيود من سبقوهم ولو كانوا على إنحراف وضلال، قال تعالى: (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) [الزخرف:٢٢-٢٤]، وخوف البعض الأخر من هذا الاسلام ظناً منهم أنه قد يشكل خطراً على إمتيازات قريش ومكانتها بين القبائل، فمكث رسول الله ﷺ ثلاثة عشرة عاماً يعمل على بناء عصبة الحق بمكة دون كلل أو ملل يدعو إلى الله

متمنيا من أهلها القبول بالحق، فهناك فرق شاسع بين أن يعرف الإنسان الحق ويتجاهله وبين أن يعرف الحق ويسعى لتحقيقه، وهذا يظهر جلياً في دعاء النبي (اللهم أرنا الحق حقاً وأرزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه)، لذلك ثار عليه الصلاة والسلام على هذا النظام الجاهلي برمته مصرا على تحقيق ثورة السماء على الأرض، بصبر وحزم واجتهاد متخذاً من ارشادات الله عز وجل وتوجيهاته عوناً ومدداً، قال تعالى: (يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) [المدثر: ١-٧]، رافضا كل الإغراءات الدنيوية والتي حاول المشركون من خلالها اجهاض ثورة الحق وثنيه عنها، فعرضوا على رسول الله ﷺ أن يكون أكثرهم مالاً، ويجعلونه ملكاً عليهم، ويزوجونه أجمل نساء العرب، شرط أن يترك دينه فأجاب عمه أبي طالب " والله يا عم لو وضعوا القمر في يميني والشمس في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يظهره الله، أو أهلك دونه "، لفهمه ﷺ من أن رسالة الله للخلق لا تنتصر إلا بالتضحيات العظيمة، فالثورة عند العرب المسلمين لا تكون لأطماع شخصية أو لمصالح خاصة، وإنما تكون لتحرير العباد من سيطرة العباد وتمهيد الطريق لهم باتجاه رب العباد، يقول تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [يوسف: ١٠٨].

الطور الثالث - الهجرة:

ما أن أعلن رسول الله ﷺ الدعوة، حتى انطلق ليبلغ دعوة الله في كل اتجاه، وكان يستغل كل المواسم والأحداث والظروف لبث دعوة الحق، وهو لم يوفر أحدا من هذه الدعوة، وكان يسعى لإيجاد فئة من ذوي القوة لاحتضان الدعوة، فتقوى تلك الفئة بالإسلام ويقوى الإسلام بها، وكان لأهل المدينة ذلك الشرف السماوي الرفيع، فلما اطمأن رسول الله لدخول أهل المدينة في عصبة الحق وكان ذلك مترافقاً باشتداد أذى المشركين على

المسلمين، فأمر أصحابه بالهجرة إليها ولن أدخل في تفاصيل تلك الأحداث ولكني فقط أرغب بالاضاءة على حدث الهجرة المحمدية تحديداً، والاستفادة من دروس العبقرية والاستعداد والتخطيط واتخاذ أسباب النجاح والشجاعة والثبات في مواجهة الأخطار والمحن، فالرسول كان آخر من خرج من مكة مهاجراً ولم يكن أولهم، فبعد أن أطمئن على جميع أصحابة، قرر الخروج من قلب الخطر والهجرة أخيراً مع صاحبة أبو بكر، ولم يهرب منذ البداية ليترك أصحابة في مواجهة العاصفة وحدهم، فكان مثالاً رائعاً لما يجب أن يكون علية قائد الثورة الحقيقية، ذلك الذي يجب أن يكون أول المتقدمين في المواجهة، وأخر الخارجين منها، وليس كما نرى اليوم ونسمع من أناس يزعمون أنهم قادة ثورات، يعيشون خارجاً بعيداً عن الخطر والمواجهة والموت متمتعين بأمتيازات الأمن والأمان ورغد الغيش، ثم نراهم يطالبون من في الداخل من الصبر والمصابرة ومواجهة الموت لتحقيق النصر المزعوم، ومع أن رسول الله كان واثقا من نصر ربه له متوكلا عليه إلا أنه لم يترك للتواكل مكاناً في عمله، وإنما أخذ بالأسباب وأعد خطة محكمة لتنفيذها بإتقان وكتمان بعيدا عن التهاون والاستعجال، والمجاهره لما يخطط له، فهو ﷺ لم يترك أمرا واحدا دون تهيئة له، فأعد موعد الانطلاق للمدينة بعد ثلاثة أيام ودرس خط السير واختار الخط الساحلي وكذلك مكان الانتظار المؤقت في غار ثور كما هيأ مساعداً له في هجرته سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه والشخص الذي سيحل محله للتمويه على المشركين في مكة وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانت أسماء بنت أبي بكر رضوان الله عليها تؤمن المؤونة له ولصاحبه، كما كان سيدنا عبد الله بن أبي بكر الصديق يأتيه بأخبار المشركين وبالذي يخططون له ويعدونه، كما قام عامر بن فهيرة مولى أبوبكر وراعي غنمه بالتغطية على رسول الله وصاحبه والتمويه على المشركين لابعادهم عنهم عندما كان يروح بالأغنام على الغار ليقوم بتغطية آثار الأقدام حتى لا يتتبعها المشركون وتوصلهم الى الغار، وبنفس الوقت الإستفادة من ألبانها

ولحمها، وكان عبد الله بن أريقط دليل رحلتهم للمدينة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عبقريته ﷺ رسول السماء ثائر الأرض وحكمته واعتماده أفضل أسباب النجاح بعد التوكل على الله.

الطور الرابع - دولة الحق وما تلاها:

لما اطمئن رسول الله ﷺ إلى أرض ستزرع فيها شجرة الإسلام، وستكون قاعدة حاضنة للحق وأنصاره، واختبر صدق أهلها وتأكد من ولائهم للحق، أمر أصحابه بالهجرة إليها وتبعهم مع صاحبه لاحقاً ليعلمنا طوراً آخر من أطوار الثورة الكاملة، فبعد ثلاثة عشرة عاما من ثورته العقلية والتي عمل خلالها من أجل تغيير المنكر إلى معروف وتغيير الباطل إلى الحق وتغيير الجاهلية إلى الإسلام، مستنهضاً عقول العقلاء مخاطبا حكمة الحكماء، مستخدما كل الوسائل السلمية تجاه الطرف الآخر والتي من شأنها أن تقنعهم لو أرادوا الحق فعلاً، أدرك أن الوقت قد حان للقيام بثورته الجسدية الجهادية مع أصحابه، ضد من بقي من أناس كانوا قد تحيزوا للباطل واتخذوا الشيطان إماماً ولم يكتفوا بذلك بل سعوا إلى إطفاء نور الله في الأرض بقوة السلاح والبطش، ولما كان رسول الله يعلم بأن الحق لا ينتصر إلا بمواجهة الباطل وأزلامه، وانه لا بد من نشوء الصدام بين القديم المستحكم والذي انحرف مع مرور الزمن وتحول هذا الإنحراف الى دين متبع، وبين الدعوة الجديده والتي تعمل لتقويم الإنحراف والرجوع الى الحق والفطرة، فاستعد لهذه المواجهة لصون حمى الإسلام ورد المعتدين، وشمر عن ساعديه مع أنصاره من عصبة الحق، يقول تعالى: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) [النساء: ٧٥-٧٦]، فكانت مواجهات

أدت في نهايتها إلى انتصار الحق على الباطل وكسر راية الشرك والكفر وفتح مكة وتطهيرها من الأصنام وإعلاء نداء الوحدانية لله وحده ودخول الناس في الإسلام أفواجا وبناء دولة العرب المسلمين دولة الحق والعدل والخير، وتصحيح مسار البشرية كلها بثورة الحق التي قادها خير الخلق جميعا وأعظم الثائرين على مر التاريخ محمداً ﷺ، فجاءت ثورته الجسدية مكملة ومتممة لثورته العقلية ولم تسبقها، وأعرف أني قد مررت سريعا على محطات لو أردت الاستفاضة فيها فلن تكفيني آلاف الصفحات، ولكني أحببت أن أرى ثورة محمد ﷺ من زاوية مختلفة، وأن أسلط الأضواء على هذا العمل النبوي المتقن ليكون لكل عربي مسلم مثلا يحتذى، فأين هذا التخطيط والتهيئة والاستعداد والكتمان من دعوات خرجت في بداية القرن العشرين من بعض كبار مشايخ المسلمين[1]، والذين كانوا يبدأون خطبهم ودروسهم ومحاضراتهم بعناوين غريبة ما زالت قائمة حتى اليوم وهي أبعد ما تكون عن نهج النبي الأعظم، فمثلاً، هناك من كان يبدأ قوله بهذه الكلمات: إن على المسلمين أن يكون تفكيرهم وعملهم وسلوكهم جهرياً لا سريّاً وفردياً لا جماعياً وسلمياً لا عنفياً ورسّخت هذه المفاهيم مع غيرها في عقول أبناء هذه الأمة المنكوبة والتي تهدف إلى تعجيز الناس وتعطيل العقول.

وإني أسألكم بالله، كيف يمكن لأحد أن يتبع هذه النصائح المهلكة وينجح في بناء ذاته وأمته، يقول تعالى: (قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) [يوسف: ٥] وقوله ﷺ: " واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان ".

فالسر عند العرب دعوه الى الحفظ والكتمان من اجل اعطاء اكبر قدر من المناوره والوقت لاتمام العمل ولتهيئة الظروف المناسبه بعيداً عن

(١) أخرج أحمد في مسنده من حديث رسول الله ﷺ : " أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان ".
فلا يستوي من طلب الحق فأخطأه مع من طلب الباطل فأدركه.

ضغوط الاطراف المعاديه، التي ربما تقوم بضرب أي مشروع عربي اسلامي للنهوض قبل اكتماله وانجازه، وبالتالي تضييع عامل المفاجأه والذي قد يكون امراً حاسماً في اي عمل يراد انجازه، هذا في الكتمان والسرّية، أما في العمل فقد حض الله عباده المؤمنين على التعاون والتكاتف إذ يقول عز وجل: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [آل عمران: ١٠٣]، ، ولا شك أن كثيراً من الناس قد وقع لديهم لبس في فهم هذه الآية القرآنية، إذ حسبوا أن هذا الإعتصام والإحتشاد يجب أن يكون بين كل الناس بدون استثناء، وهذا كلام غير صحيح إذ كيف يمكن للمؤمن أن يعتصم مع المنافق، وللصادق أن يكون مع الكاذب، والتقي النقي الالتقاء مع الفاسد الفاجر، فهذا عمليا لا يمكن أن يحدث، فالاعتصام هنا مقصود به فئة معينة هم المؤمنين الصادقين الأتقياء الأنقياء المخلصين لله ولرسوله، ومن هنا نفهم قوله ﷺ " المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ".

وأما في مسألة القوة والسلمية يقول الله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) [الأنفال: ٦٠]، وقوله ﷺ: " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير "، فكيف للضعيف الممتهن أن يقوى على القيام بأي شكل من أشكال العنف[١]، فنحن

---

(١) تحادثت مع أحد الأصدقاء قبل فترة من الزمن، والذي كان يعد نفسه للسفر إلى أمريكا لنيل شهادة الماجستير في أطروحته والتي تدور حول (حوار الحضارات)، وفي اتصال هاتفي معه كان قد أخذ رأيي بموضوع الأطروحة وألح علي بالسؤال لمعرفة رأيي، فقلت له سأجيبك بكل صراحة، ولو أني أعلم بأنك ستنزعج من رأيي، فأجابني متلهفاً، لن أنزعج ولكن قل ما لديك، فاجبته، إن مكان هذه الأطروحة من وجهة نظري هي سلة القمامة، ولما سأل عن السبب، أخبرته بالآتي: عن أي حوار حضارات تتكلم فالحوار إنما يكون بين الأنداد الأقوياء المتكافئين والذين يلجؤن الى الحوار وذلك حتى لا تتصاعد الأحداث بينهما مما يؤدي لاحقاً إلى نشوء حرب تودي بهما معاً، أما في حالتنا نحن فكيف للمهزوم أن يتحاور مع المنتصر، وكيف للضعيف أن يجادل القوي، وكيف للعاجز أن يقنع القادر المتمكن، وما قيمة أن نخبر الطرف الآخر بأننا أناس رائعون وطيبون ومسالمون، وإننا أصحاب حضارة إنسانية رائعة، خصوصاً وأن الطرف الآخر يعرف كل هذا-

مأمورون من الله دوما ببناء قوتنا والاستعداد للدفاع عن ديننا وكرامتنا وأعراضنا بالحق من أي معتد ظالم، والقوة لا تكون وليدة الموقف الذي قد يتطلبها، وإنما تكون نتيجة إعداد سابق بمراحل عن لحظة استعمالها واستخدامها، وإلا ستكون طاقة مهدورة وحركة هوجاء تؤدي إلى مزيد من التخبط والضياع، فقوة الحق هي قوة رادعة للباطل وأهله وليست قوة عدائية غاشمة فهي ترهب عدو الله والأمة ولا تبغي على أحد، تحمي كيان الأمة من أي عدوان غادر من أي جهة كانت وتمنح أهل الحق القدرة للرد على من يتجرأ على عقيدتهم ووجودهم ومصالحهم، إذاً فثورة الحق تحتاج إلى القوة الداعمة والحامية لها، وهي ليست قوة غاشمة عدائية بلا مبادئ تستخدم جميع الوسائل المتاحة لتحقيق الهدف المطلوب، فالقوة محددة بقواعد أخلاقية لأنها قوة حق وعدل تنبع من لدن الله عز وجل، يقول عز من قائل: (أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّه جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَاب) [البقرة: ١٦٥]، فهي قوة تعمل على إعمار الأرض وجلب النفع للبشرية جمعاء.

وبناء القوة الحقيقية يجب أن تكون في جميع جوانب الحياة الفكرية والأخلاقية والعلمية والسياسية والعسكرية والاقتصادية لتتحقق الآية القرآنية: (وَلِلَّه الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِه وَلِلْمُؤْمِنِينَ) [المنافقون: ٨]، فأين هذه الأوامر الإلهية وأين هذا الفكر الثوري النبوي من بعض أفكار الصوفية التي تدعو إلى الخمول والاستسلام للاستبداد والعدوان والاضطهاد، والقبول بالأمر الواقع باعتباره من إرادة الله التي لا يصح الاعتراض عليها.

إن هذه الأفكار وغيرها هي التي لجمت حماسة الأمة وقيدت عزيمتها وأغرقت عقلها في أعماق سحيقة من الجهالة والسطحية والتسخيف حتى

=ولكنه لا يهتم، فمن ذا الذي يهتم للضعيف المستكين.

وهنا سألني صديقي العزيز ماذا أقترح، وأخبرته أنه بدلاً من الذهاب إلى الطرف الآخر نستجدي منه الحوار والسلام والأمان، علينا أن نعمل جميعا لمعالجة مشاكلنا الداخلية وحبذا لو كانت تلك الأطروحات تتناول تلك القضايا المصيرية للأمة وتسعى لإيجاد الحلول لمشاكلها، وبهذا سيكون لتلك الأطروحات قيمة، فإذا ما استطعنا من معالجة الأخطاء وتجاوز العثرات وبناء الذات وتقويتها عندها فقط ستجد العالم بأسره يسعى إلينا يطلب ودنا و يحاورنا بغية التفاهم، وعندها فقط سيكون لذلك الحوار نتيجة مثمرة للطرفين، خصوصاً وأن المنطق الغربي يعتبر أنه إذا كان هو المنتصر فليس على المهزوم سوى القبول بما يعطى له من فتات الموائد، استمع صديقي لرأيي مشكوراً لكنه أعلمني بأنه يرى فيما يقوم به الصواب فتمنيت له التوفيق والنجاح.

صارت أمة الحق التي كانت منطلقة تفتح الدنيا بأمر ربها وتنشر نور الله في الأصقاع يتحدد مصيرها من قبل المنجمين والدجالين، والذين تراهم على معظم الفضائيات والإذاعات العربية يعطوننا تنبؤات محيرة بعضها سياسي وبعضها الآخر جيولوجي والبعض الآخر اقتصادي، يتوقعون موت فلان ونجاة فلان، هذا عدا عن قراءة الأبراج والذي قد لا يخرج البعض منا من بيته قبل قراءة برجه، فهي التي تتوقع لكل فرد منا بما سيحصل له ومعه، وقد عملت مع كل أسف الصحافة المرئية والمسموعة والمكتوبة في أنحاء عالمنا العربي على تشجيع هذا الدجل والترويج له بين الناس، وغيرها من الأشياء التي تسعى بشكل دؤوب لترسيخ مفهوم التجهيل والدجل والتنجيم في عقول أبناء الامة الذين صاروا يرون مستقبلهم من خلال هؤلاء الكذابين.

لذلك أقول لن ينصلح عالمنا العربي الإسلامي إلا بثورة جديدة عقلية وجسدية قوامها الحق والعدل والحرية ترجع الحقوق السليبة، فالحق لا يرجع لصاحبه إلا يوم يثور على من سرقه حقه، فالحقوق تنتزع ولا تعطى، يقول الله عز وجل: (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) [الإسراء: ٨١].

ولكن ثورة الحق لا يقوم بها الجهلاء ولا البلهاء ولا الأغبياء ولا الدراويش من الناس، ولا الغوغاء الفوضويين، فهناك حكمة تقول (الحكماء هم من يخططون للثورة والشرفاء هم من يقومون بالثورة والجبناء هم من يقطفون ثمار الثورة)، ولو كان هؤلاء الشرفاء الذين قاموا بالثورة هم من العقلاء والفطنين لما سرقت ثورتهم من قبل الجبناء والمخربين والذين هم في نفس الوقت منظمين ومستعدين للقضاء على الثورة من داخلها وتسخيرها لمصالحهم لاحقاً، وإنما يقوم بثورة الحق، المؤمنين العقلاء والشجعان والفطنين الذين يعرفون ماذا يريدون وكيف يحققون أهدافهم معتمدين على أنفسهم لا على الآخرين متجمعين في عصبة الحق الواحدة والتي يشد بعضها بعضا، مخلصي النيه لله عز وجل، آخذين في اعتبارهم

كـل الاحتمـالات، متـوقعين مـا لـيس بمتوقـع، مسـتعدين بـالأدوات، رافضـين الاستسـلام في وجـه العثـرات والمشـكلات، صـابرين علـى الشـدائد، متعـاونين متراحمـين، يحملـون خارطـة طريـق واضـحة المعـالم للوصـول إلى لحظـة الحقيقـة والمتمثلـة بانتصـار ثـورة الحـق، ومـدركين أن المعـارك الكـبرى والمصـيرية في حيـاة الأمـم لاتكسـب فقـط بحجـم البشـر وحجـم المشـاعر فيهـا والتمنيـات، وإنمـا تكسـب بحجـم التنظـيم والإعـداد والسـلاح والمـال المبـذول فيهـا، ماشـين علـى خطـى أعظـم الثـائرين محمـد ﷺ والـذي كـان مـن أروع مظـاهره، ذلـك العمـل الرائـع المتكامـل في كـل الاتجاهـات، فهـو لم يهـتم بجانـب علـى حسـاب آخـر، فقـام بثـورة أرجعـت الحـق إلى نصـابه ونـبش تربـة الظلـم والانحـراف وزرع فيهـا شـتلات الحـق والخـير والنـور والصـلاح والـتي كـبرت في هـذه الأمـة الربانيـة حتـى مكنتـها مـن حكـم العـالم بالمنـهج الربـاني، ومـا تلـك الثـورات الـتي يقـوم فيهـا ابنائهـا بأسـتجداء أعـدائهم أن يعينـوهم فيهـا وأن يعطـوهم السـلاح الـذي يقـاتلون فيـه وان يمـدوهم بـالخبره ويشـملوهم بالرعايـة والـدعم في النـواحي العسـكريه والاقتصـاديه والسياسـيه والدبلوماسـيه والانسـانيه، بـل ومنـهم مـن يرجـوا مـن عـدو الله والأمـه التـدخل لاحـتلال أرض العـرب والإسـلام بشـكل مباشـر، لتخليصـهم مـن طواغيـت صـنعها لهـم الغـرب نفسـه وسـلمهم رقـاب العبـاد ومقـدرات الـبلاد العربيـة، ناسـين قـول رسـول الله ﷺ:(مـا غُـزِيَ قـوم في عقـر دارهـم إلا ذلّـوا)، ولكـل ابنـاء تلـك الثـورات الـذين يحـاولون ان يسـتثيروا العـالم مـن خـلال كـم الـدم المسـفوك مـن الأبريـاء العـزل، بتحميـل الأمـم القويـة المسـيطرة مسـؤولية هـدر تلـك الارواح الطـاهرة البريئـة، لعـدم التـدخل المباشـر والمسـاعدة والـدعم، ناسـين أن تلـك الأمـم لاتهـتم إلا لمصـالحها ولكـل مـا يحقـق لهـا تلـك المصـالح، وان أخـر همهـا حيـاة الضـعفاء والمسـاكين والأبريـاء مـن ابنـاء الشـعوب المقهـوره، أقـول لهـم ان ثـوراتهم هـذه سـتؤدي الى تغـيير شـكلي ولـيس الى تغـيير فعلـي علـى أرض الواقـع، تـتغير فيهـا الوجـوه والأسمـاء وتبقـى السياسـات نفسـها، وتبقـى امـة العـرب تـدور في تلـك الحلقـه المفرغـه، فمـن ثـوره الى ثـوره، نجـد

انفسنا في حالة تأخر وتراجع على كل المستويات، وفي كل المجالات، إذاً، فالثورة الحقيقية هي ثورة الروح التي تكون وليدة القناعة العقلية بضرورة التغيير، والثورة التي تهدف فقط الى تغيير المؤسسات الرسمية والسياسات بغية تحسين ظروف الحياة المادية لا يمكن لها أبداً أن تصل الى النجاح الحقيقي والأصيل، والأمة التي تريد أن تثور على واقعها المظلم والفاسد عليها أن تتعلم أولاً كيف تحرر عقول أبناءها من العبودية والخوف والجهل.

فما الذي جرى ليستبدل بني جلدتنا منهج الحق القويم الموجود في القرآن والمتفجر ثورة على الانحراف والاستبداد والطغيان، بمناهج بشرية وضعية دونه بكثير، فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير يقول تعالى: (قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) [البقرة: ٦١].

فضاعوا في دهاليز القومية والعلمانية والاشتراكية والليبرالية وغيرها، فانحرفوا وانجرفوا بعيدا عن جادة الحق والصواب، قال بن غوريون رئيس الوزراء اليهودي الأسبق: " نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا الثوريات ولا الديمقراطيات في المنطقة. نحن فقط نخشى الإسلام. هذا المارد الذي نام طويلا وبدأ يتململ من جديد "[1]، ويقول (غابرائيل هانوتو) وزير الخارجية الفرنسي الأسبق:"على الرغم من انتصارنا على أمة الإسلام وقهرها، فإن الخطر ما يزال موجوداً، من انتفاض المقهوريين الذين أتعبتهم النكبات، التي أنزلناها بهم، لأن همتهم لم تخمد بعد "، يقول تعالى: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [البقرة: ٢٥٧].

فإذا كانت السنة في اللسان العربي المبين تعني الطريق، وسنة الله بمعنى أوامره ونواهيه وأحكامه، والسنة في الشرع بمعنى نهج محمد ﷺ

---

(١) قال شمعون بيريز عام ١٩٧٨: " إنه لا يمكن أن يتحقق السلام في المنطقة ما دام الإسلام شاهرا سيفه، ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يغمد الإسلام سيفه إلى الأبد " (السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية — زياد أبو غنيمة — ص ٤٦-٤٧).

بما امر به ونهى عنه، فلا أقل من أن نتبع سنة نبينا ونمشي على طريقه ونتعلم منه منهجه القرآني الثوري والذي استمد من خلاله فكره وحكمته وتخطيطه وتهيئته، ولا نكتفي بالأشياء الشكلية، بل علينا أن ندخل في العمق لنأخذ كنوزا عظيمة متروكة لنا نحن العرب المسلمون، فنتعلم منه كيف علينا أن نكون دائما، في حالة من الجاهزية والأستعداد لبناء ذواتنا والدفاع عن أوطاننا وصون حريتنا بشرف وقوه وعزة وكرامة كالأحرار لا بالذل والاستجداء والمهانة كالعبيد، يقول رسول الله:(إن الجّنه تحت ظلال السيوف).

وإذا كان تعريف الدين باللغة هو الطريق أو المنهج، فالدين الإسلامي هو منهج الحق والطريق الإلهي الذي نصل من خلاله إلى السعادة والخير والرضى، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) [التوبة: ٣٣] وهو الذي ارتضاه الله للخلق (الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة:٣].

فالإسلام العربي كان وسيلة وليس هدفاً، فهو وسيلة لإحقاق الحق وبسط العدل ونشر الخير في البشرية جمعاء، فما قيمة أن يكون الإنسان متديناً ولكنه ظالم وخائن ومستبد وسارق وقاطع رحم وقاتل وأكل حق إلخ ...

إن دين الله الحق، هو دين ثورة على كل باطل، وهو دين لا يقبل الوصاية من أحد فإذا كان الله قد أعلنها صريحة في القرآن الكريم بأن العلاقة بين الإنسان وربه، علاقة مباشرة لا تحتاج إلى وسيط أو غيره، يقول تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) [البقرة: ١٨٦]، فكيف حرفت الأمور في عقول العرب المسلمين ليفهموا أن التدين يعني أن يتخلوا عن أعظم عطاءات الله إلى عباده وهي الحرية والمسؤولية النابعتين من العقل والذي كرم الله به الإنسان عن غيره من المخلوقات، ويتصرفون دون تفكير أو فهم أو تدبر معتمدين على فتاوى الآخرين الجاهزة ومقولاتهم في مناحي حياتهم.

إذا كان (العلماء ورثة الأنبياء) كما جاء في الحديث فليس كل من اطال لحيته وقصر ثوبه ووضع العمامة على رأسه صار عالماً يملك حق الوصاية على عقول الآخرين، فكم وكم من رجال ادعوا أنهم رجال دين باعوا آخرتهم بعرض من الدنيا واتخذوا الدين مطية وداهنوا صاحب السلطان وجعلوا من انفسهم مدخلاً للاستعمار يذل الأمة ويستعبدها باسمهم وأمسكوا بنواصي الدين بأيديهم وحدهم وأحاطوا أنفسهم بهالة من القدسية، وجعل البعض من ذواتهم وسطاء بين العبد وربه، هذا لا يصح ولايجب أن يكون.

كتب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والذي كان علماً من أعلام النهضة العربية الحديثة وواحداً من الذين دافعوا وحموا الثقافة العربية الإسلامية ووقفوا في وجه الإستعمار الفرنسي وأعوانه للجزائر في مقالته التي كتبها تعريفاً بنفسه بمناسبة تعيينه عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة مايلي: (كان من نتائج الدراسات المتكررة للمجتمع الجزائري بيني وبين ابن باديس منذ اجتماعنا في المدينة المنورة أن البلاء المنصب على هذا الشعب المسكين آتٍ من جهتين متعاونتين عليه، وبعبارة أوضح من استعمارين مشتركين يمتصان دمه ويتعرقان لحمه ويفسدان عليه دينه ودنياه: استعمار مادي هو الاستعمار الفرنسي يعتمد على الحديد والنار، واستعمار روحاني يمثله مشائخ الطرق المؤثرون في الشعب والمتغلغلون في جميع أوساطه، المتجرون باسم الدين، المتعاونون مع الاستعمار عن رضا وطواعية، وقد طال أمد هذا الاستعمار الأخير وثقلت وطأته على الشعب حتى أصبح يتألم ولا يبوح بالشكوى أو الانتقاد، خوفا من الله بزعمه، والاستعماران متعاضدان يؤيد أحدهما الآخر بكل قوته، ومظهرهما معاً تجهيل الأمة لئلا تفيق بالعلم فتسعى في الانفلات، وتفقيرها لئلا تستعين بالمال على الثورة.

فكان من سداد الرأي واحكام التدبير بيني وبين ابن باديس أن تبدأ الجمعية (جمعية العلماء الذي كان ابن باديس رئيساً لها) بمحاربة هذا الاستعمار الثاني لأنه أهون، وكذلك فعلنا ووجد المجلس الإداري نظاماً

محكماً فاتبعه، لذلك كانت أعمال الجمعية متشعبة وكان الطريق أمام المجلس الإداري شاقاً ولكنه يرجع إلى الأصول الآتية:

١- تنظيم حملة جارفة على البدع والخرافات والضلال في الدين.

٢- الشروع العاجل في التعليم العربي للصغار.

٣- تجنيد المئات من تلامذتنا المتخرجين، ودعوة الشبان المتخرجين من جامع الزيتونة للعمل في تعليم أبناء الشعب.

٤- العمل على تعميم التعليم العربي للشبان على النمط الذي بدأ به ابن باديس.

٦-مطالبة الحكومة برفع يدها على مساجدنا ومعاهدنا التي استولت عليها .

٧-مطالبة الحكومة بتسليم أوقاف الإسلام التي احتجزتها ووزعتها على معمريها .

٨-مطالبة الحكومة باستقلال القضاء الاسلامي في الأحوال الشخصية مبدأيا .

٩-مطالبة الحكومة بعدم تدخلها في تعيين الموظفين الدينيين.) من كلام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.

لذلك فلقد كان لعلماء الحق المجاهدين تاريخ ناصع مجيد في إحياء الروح المعنويه والتحريض على جهاد المستعمرين، كثورة المجاهدين الصادقين الصابرين في ليبيا ضد الاستعمار الايطالي، وثورة عام ١٩١٩م في مصر والتي كان الازهر يتزعمها، وثورة عام ١٩٢١م في العراق والتي قادها العلماء وأججوها، وثورة الأحرار في الجزائر، وغيرها من الثورات التي قامت في أرجاء العالم العربي والإسلامي، فالعلماء المؤمنين العاملين هم من يكونوا في الصف الأول مجاهدين بأنفسهم وأموالهم وأبنائهم في سبيل الله بعيدين عن أي مكاسب أو مصالح خاصة أولئك من يستحقوا أن يكونوا قدوه للآخرين، لقد كان وراء الملك المجاهد صلاح الدين الأيوبي الشيخ ابن شداد وأمثاله،

وكان وراء قطز وبيبرس قاهري التتار الشيخ العز بن عبد السلام وأمثاله، وكان وراء السلطان محمد الفاتح (فاتح القسطنطينيه) الشيخ (آق شمس الدين) والشيخ (الكوراني) وأمثالهما، لقد كان القادة المجاهدين الفاتحين المحررين يستعينون برجال الحق الذين يحملون المصحف بيد ويعملون وفق نهجه، ويحملون باليد الاخرى سيف الجهاد على كل معتدي يحاول التجرؤ على العرب المسلمين، على أرضهم وعرضهم وعقلهم وحقهم، وكم وكم من العلماء الذين خاضوا ميدان الجهاد، فمنهم من أستشهد في ساحته (كأسد بن الفرات) ومنهم من نال شرف الجهاد ولم ينل شرف الاستشهاد (كأبن تيميه) وغيرهم الكثير.

إن الثورة هي أساس الإصلاح والتغيير والنصر والتحول من الضعف إلى القوة، وذلك كله لا يكون إن لم تتوافر إرادة التغيير لدى العرب المسلمين والذين كانوا أصحاب رسالة ربانية الإتجاه، إنسانية الطابع، متكاملة جامعة ترعى حدود الله ومصالح الخلق التي فطرقم الله عليها يقول تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) [آل عمران: ١١٠]، لقد كانت هذه الأمة خير الأمم، يوم كانت تتحرك وفق منهج الله عز وجل، متسلحة بالإيمان الحق، فكانت امة الثورة التي غيرت وجه الدنيا وأسقطت طواغيت البشر ودكّت أركان الباطل في الأرض وهزمت الشيطان وجنده وطبقت امر السماء على الأرض، فكانت في سعي دائم لمواجهة المنكر والانحراف عن فطرة الحق، يقول رسول الله ﷺ: "من رآى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"، لقد كانت ثورة العرب المسلمين ثورة حق، ثورة أنطلقت من داخلهم بإتجاه الخارج وليس العكس، ثورة نظيفه، لم يكن الهدف منها مغنم دنيوي ولا مصلحه خاصة، بل ثوره للهدى والهدايه أنارت العالم بنور العلم والخير والحكمه، كانت رياحها رياح البشرى والفرح لشعوب مفجوعه في عقائدها، معذبه في حياتها، تائهه في سلوكها، فكانت ثورتهم التي صححت مسار البشرية وعدلت ميزانها.

أمـا العـرب المسـلمون اليـوم فهـم بـلا قضـية تجمعهـم، وهـم متفرقـون ضـائعون جهـودهم مبعثـرة وعملـهم نـاقص وولائهـم مشـتت، كمـا وقـد عمـل الغـرب علـى ضـرب تلـك الـروح الوحدويـة العربيـة، لعلمـه بأنـه سـيجد صـعوبة في نـزع الموافقـة علـى حضـوره وهيمنتـه علـى هـذه المنطقـة ضـمن الإطـار المنسـجم أكثـر ممـا سـيجدها في وضـع مشـتت ومتفـرق، بينمـا الأطـراف الأخـرى جميعـا لـديهم قضـاياهم الـتي تـؤدي إلى تكتلـهم وتوحـدهم معـاً في جماعـات تسـعى بكـل مـا أوتيـت مـن قـوة وعـزم علـى نصـرة قضـيتهم وتحقيـق مـآربهم، ولهـذا فـإن أعـداء هـذه الأمـة لا يغفلـون عنـها ولكنـهم أيضـاً لا يـرون سـبباً مسـوغاً للقلـق مـن هـذه الأمـة المشوشـة الفاقـدة لبوصـلة الحـق ممـا جـرأ عليهـا الآخـرين الـذين عملـوا علـى إمتـهان مقدسـاتها مسـتهترين بمشـاعر العـرب المسـلمين في ظـل غيـاب وحـدة الفكـر أو الهـدف الجـامع لأرادة وإمكانيـات الأمـة، فهـا هـو الكيـان الصـهيوني الـذي يقـوم يوميـاً بقتـل واعتقـال الفلسـطينيين وبمصـادرة الأراضـي والمنـازل والأمـلاك الوقفيـة والمسـاجد وتحويلـها إلى ملاهـي ليليـة ومتـاجر ومتـاحف منتـهكاً كـل المقدسـات، وقـد وصـل حـد الإسـتهتار بمشـاعر المسـلمين إلى أقـدس مقدسـاتهم في فلسـطين بحـرق المسـجد الأقصـى في ٢١ آب ١٩٦٩ وقـد أدى هـذا الإعتـداء السـافر إلى حـرق الكـثير مـن التحـف النـادرة ومنـها منـبر الملـك نـور الـدين زنكـي والمعـروف بمنـبر صـلاح الـدين والـذي يعـد تحفـة فريـدة في العـالم وهـو أيضـا يعـد رمـزا مهمـا لـدى العـرب المسـلمين لأنـه كـان يـذكرهم دائمـا بلحظـة تحريـر بيـت المقـدس مـن أيـدي الغـزاة الفرنجـة، كمـا قـام اليهـود بالاعتـداء علـى قبـة الصـخرة المشـرفة بتـاريخ ١١ نيسـان ١٩٨٢ ممـا أدى إلى استشـهاد اثـنين مـن المصـلين وجـرح ٤٤ آخـرين علـى يـد أحـد الجنـود الصـهاينة وغيرهـا مـن الاعتداءات الـتي لا تعـد ولا تحصـى، فحتـى مقـابر العـرب قـد نالهـا نصـيب مـن التخريـب والتـدمير الصـهيوني في اسـتفزاز واضـح لمشـاعر العـرب والمسـلمين وهـا هـي امريكـا والـتي تنصـب نفسـها المدافعـة الأولى عـن العـالم الحـر، نراهـا في كـل مـرة تسـتخدم العـدوان العسـكري أو العـدوان السـري لتـدمير دول وخلـع حكومـات انتخبـت ديمقراطيـاً كمـا حـدث في السـابق في نيكـاراغوا وتشـيلي

وغواتيمالا والدومينيكان، وفي نفس الوقت تقوم بدعم حكومات عسكرية كما حدث قبلاً في الباكستان والأرجنتين وأرغواي والبرازيل وتركيا واليونان وأندونيسيا وغيرها، ورعايتها لأنظمة مستبدة تجلب الخزي والعار كنظام ماركوس وباتيستا، ومن على شاكلتهم، فأمريكا اليوم والتي تسعى لفرض نموذجها وفكرها على الآخرين مستخدمة كل الامكانيات المتاحة لاخضاع الآخرين سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية أو حتى العسكرية، وخاصة المنطقة العربية والإسلامية، مستخدمة قوتها الغاشمة في هلاك ودمار وإخضاع الآخرين وسلب خيراتهم ونهب مواردهم، وكذلك قوى كثيرة في العالم لا تملك الأخلاق ولا المبادئ ولكنها تفهم لغة القوة وحدها، ومن خلالها تسعى لإخضاع الآخرين والسيطرة عليهم وعلى رأسهم العرب المسلمين.

في كل مرة رجع فيها العرب المسلمون الى القرآن وتمسكوا بنهج القرآن وتعليماته كانوا يستطيعون احداث التغييروقلب الامور لصالحهم، في الماضي كان أو في الحاضر، شرط أن يبتعدوا عن تفسيره بالفكر الباطني، أو بفكر الصوفية الرمزية، او بالتفسير إعتماداً على الإسرائيليات، أو بتفسير التأويل، أو بتفسير الرواية، وأن يفهموه ويفسروه باللسان العربي المبين والعقل العربي الرزين، وهذا ما دفع الحاكم الفرنسي في الجزائر بعد مرورمائة عام على احتلالها ليقول:"يجب ان نزيل القرآن العربي من وجودهم ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم، حتى ننتصر عليهم".

وايضاً قول وزير المستعمرات الفرنسي (لاكوست) عام ١٩٦٢م:"وماذا أصنع اذا كان القرآن اقوى من فرنسا".

يقول تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [الرعد: ١١] فالتغير الحقيقي والصحيح يبدأ من ذوات أنفسنا ولا يأتينا من الخارج، إلا أن هذه الآيه قد فهمت خطئاً في عقول كثيرين من الناس عندما ظنوا ان التغيير سيحدث عندما يتحول كل المجتمع الى أناس مؤمنين فضلاء أتقياء أنقياء أشراف، يسيرون على النهج القويم، يرفضون الباطل

ويعملون على مجابهة الفساد والأنحراف، إن هذا الكلام لهو كلام جميل ولكنه كلام طوباوي لا يمكن ان يحدث، فلم نسمع يوماً في زمن من الأزمان ان كل الناس في مجتمع ما قد أنصلح حالهم، وفقد بينهم المنافق والكاذب واللص والفاسد أوالمنحرف والخائن، حتى في زمن الأنبياء لم يحدث هذا، فالخطاب في هذه الآيه موجه الى فئه من الناس قد يكونوا قله في مجتمعاتهم، ولكنهم ذات تأثير خطير اذا ما أتحدوا ونسقوا فيما بينهم، هذه الفئة، هي النخبه هي فئة الحق، والمطالبه بالتعاضد والتكاتف والعمل، من خلال أستقطاب أهل الحق المؤمنين الشرفاء في مجتمعاتهم، مستعينين بالكتمان، لإحداث التغيير الإيجابي في دولهم، هذا التغيير الذي سيملكهم أسباب القوه والسلطه والتي من خلالها، سيكونون قادرين على الأفلات من أي وصايه أو تحكم خارجي، ويعطيهم الفرصه لتصويب مسار مجتمعاتهم المنحرفة من خلال أحقاق الحق والعدل بين الناس ومحاربة الفساد والإفساد والباطل من خلال إقصاء أنصاره ورجاله، وملاحقتهم ومحاربتهم، يقول رسول الله ﷺ:"أن الله ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن"، ويعملون على إحياء الأخلاق والمكارم والفضائل في المجتمع، وتنمية الشعور الوطني المفقود بين الناس وإعادة صهر جميع مكونات الوطن الواحد في بوتقة الأمه الواحده القويه القادره على حماية الجميع وإنصاف الجميع دون جور أو ظلم، الأمه التي تكون قادره على رد أي إعتداء أو تهديد خارجي عليها من أي جهة كانت، والضرب بيد من حديد ضد كل العوامل المنحرفة في المجتمع، والتي ستحاول اعاقتهم ومحاربتهم من الداخل، وإقامة دولة الحق الذي يعلو ولا يعلى عليه، امة العرب المسلمين الربانيين، وعدم الركون إلى الدعاء دون العمل بل جعله أحد أسباب التأييد والنصر من رب السماء وذلك مصداقاً لقول الله عز وجل والذي يدعونا إلى أخذ الأسباب بالعمل والتهيئة والتخطيط، يقول تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) [التوبة: ١٠٥].

إذاً فقد آن الأوان لأن نجعل قضيتنا تجديد ثورة خاتم الأنبياء، وأن نلحق جميعاً بالإسلام العربي الرباني متسلحين بفهم عميق لإرشادات الله لنا في قرآنه، لإعادة بناء كل ما هو عظيم ومنيع في حياض المسلمين، وأن نقف عن تقليد من سبقونا من الآباء والأجداد والذين مشوا في طريق رسمه لهم اليهود والغرب الصليبي والشعوبيون الحاقدون علينا والكارهين لنا وللحق، إذ لا يجب التمسك بكل قديم على اعتبار أن يشكل الحقيقة، كما أنه لا يجب أن نتعصب لكل جديد باعتباره هو الحق، فالميزان بين القديم والجديد هو منهج القرآن، ولا يجوز لنا الركون على ما كان دون التفكير والتجديد والتطوير لأن في ذلك معارضة للزمن، وحتى يتمكن العرب المسلمون من ان يتحرروا ويستعيدوا سيادتهم على انفسهم ومصائرهم وأرضهم، ويخرجوا من تلك الدائرة المغلقة التي وضعوا فيها، وليستطيعوا أن يختاروا بحرية بين الجيد والسيء بدلاًمن ذلك الاختيار الذي فرض عليهم والذي يخيرهم دائماً بين السيء والأسوء، فطريق ثورة الحق والعدل والحرية مليئة بالصعاب والعقبات في بدايتها إلا أنها ذات نهاية سعيدة وجميلة، أما طريق العبودية والاستسلام فهي سهلة في بدايتها ولكنها ذات نهاية حزينة وبائسة ومؤلمة، يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال: ٤٥-٤٦].

محور الشر القديم الجديد

قد يعتقد البعض أن نظرية المؤامرة على العرب المسلمين لم تعد مقبولة في هذا الزمن، وإن مسألة الصراع السياسي والعسكري والثقافي بين معسكر الحضارة العربية الإسلامية بكل ما تمثله من قيم الخير والحق والعدالة، وبين المعسكر الغربي اليهودي الشعوبي البربري هي غير موجودة إلا في أذهان بعض الناس الذين يعيشون خارج دائرة الزمن الحاضر، وأن لا وجود لهذا الصراع إلا في خيال أناس ينغلقون على انفسهم ضمن أجواء من الشك والخوف والريبة من كل آخر، لكن الملفت للنظر أنه منذ سنوات قليلة ظهر إلى العلن مصطلح (محور الشر) الذي اطلقته الولايات المتحدة على بعض الدول المارقة في العالم بحسب تعبير الدوائر الأمريكية، فهل هناك محور للشر حقاً؟ وإذا كان فمما يتألف؟ وضد من؟.

من يقرأ التاريخ بتمعن وتأني متعمقاً فيه، سيجد بأن هناك فعلاً محوراً للشر، ومؤامرة مستمرة غير منقطعة على العرب والإسلام بدأت مبكراً وما زالت ولسوف تبقى إلى أن يقضي الله امراً كان مفعولا، وربما كانت بغداد مثالا رائعاً واضحاً يظهر لنا بجلاء عن محور الشر القديم الجديد، فبغداد اليوم في نكبتها وأوجاعها وآلامها تشبه بغداد الأمس، فهاهو المحتل وقد دخلها ودمرها وسلبها وقتل أهلها وشردهم، وهاهي جيوش الاحتلال الأمريكي الغربي اليهودي المجوسي تعيث فيها وفي أرض الرافدين فساداً وخراباً.

وحتى لا يتهمني البعض بعدم الحيادية وعدم الموضوعية وبأني أرمي التهم جزافاً، فإني سأذكر ما حدث ببغداد زمن المغول وليجري القارئ مقارنة بنفسه بين الأمس واليوم، وليتوصل بنفسه إلى النتائج.

ففي عهد (منكو خان) قوي الاتصال والتعاون بين المسيحيين في أوروبا والمغول في آسيا ولم يكن لدى الاوروبيين أي غضاضة في التغاضي عن جرائم المغول ضد أبناء دينهم في روسيا، وبولندا، وهنغاريا، طالما أن

هدفهم واحد، وهو القضاء على العرب والإسلام، خصوصاً بعد الضربات المتلاحقة التي تعرضت لها جيوش الصليب في الشام ومصر على يد الملك الناصر صلاح الدين وخلفائه.

فبدأ تبادل البعثات بين الطرفين والرسل، فبعث البابا (أنوسنت الرابع) ثلاث بعثات في عام ١٢٤٧م ثم قام لويس التاسع بإرسال بعثتين، الأولى عام ١٢٤٧ م والثانية عام ١٢٥٢م كما قام الملك (هيتوم السادس) بزيارة المغول في عام ١٢٥٢م، والواقع أن كل من الطرفين المسيحيين والمغول كان يعمل على إستغلال الآخر لمصلحته، وكان يجمعهما هدف واحد وهو العمل على إفناء العرب المسلمين وإبادتهم.

وقد بادر ملك أرمينية، وبوهمنت السادس أمير طرابلس، وأمراء الإفرنج في صور وعكا وقبرص إلى عقد حلف مع التتار يقوم على أساس القضاء على العرب المسلمين.

وقد عملت أوروبا جاهدة على إستمالة المغول لاعتناق المسيحية والدخول في حظيرة الكنيسة الكاثوليكية، ليكسبوا نصراً عظيماً لأوروبا المسيحية الغربية، ولإبعاد خطر المغول عن الغرب، لذلك فقد عمدت أوروبا إلى إرسال البعثات والإرساليات التبشيرية.

كما اشترك المغول مع اللاتين في القيام بحملة صليبية عامة لانتزاع الأراضي المقدسة من أيدي العرب المسلمين، إلا أن كل هذا لم يفلح بسبب ظهور الإختلافات الدينية بين المذاهب المختلفة لكل من اللاتين والنساطرة والأرمن وإنقسامهم في العقيدة أو طريقة التبشير، مما أضعف نفوذهم وجعل مجهوداتهم قليلة الأثر في نشر دينهم بين المغول.

ولم يلبث أن تلاشى أمل اعتناق المغول للمسيحية عندما اعتنق إيلخانات المغول في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي الدين الإسلامي وصار الإسلام الدين الرسمي لإمبراطوريتهم، وفي ذلك يقول الأسقف (دي ميسنيل) واصفاً هذه الخاتمة: " وهكذا نرى الإسلام الذي كان قد أشرفت قوته على الزوال، يسترد مكانته، ويستعيد قوته، ويصبح أشد خطراً من ذي قبل".

وبعد أن أظهرنا طبيعة ذلك التحالف بين قوى الشر في العالم في حينها للتخلص من العرب المسلمين سنعود الآن إلى لحظة زحف جيوش المغول على عاصمة الخلافة العباسية بغداد لاحتلالها، وإلى ردة فعل آخر خلفاء بني العباس المستعصم بالله لما علم بأن المغول يقتربون من حاضرة الخلافة والذي قال مقولته الشهيرة: " إن بغداد تكفيني، ولا يستكثرونها لي إذا نزلت لهم عن باقي البلاد، ولا أيضاً. يهجمون عليّ وأنا بها، وهي بيتي، ودار مقامي ".

إلا أن المغول لم يكونوا في هذا الوارد على الإطلاق فهدفهم كان واضحاً وهو تحطيم العرب والإسلام وإفنائهم لإتمام مشروعهم المتمثل بإقامة إمبراطوريتهم التي لا يقف في وجهها شيء وفي سبيل ذلك عمد هولاكو إلى التواصل مع كل الأطراف أصحاب المصلحة في تحقيق هذا المشروع، وكان من بينهم وزير المستعصم بالله نفسه، فلقد كان مؤيد الدين أبو طالب بن محمد بن العلقمي، آخر وزراء بني العباس وأول وزراء المغول والغريب أن ابن العلقمي استمر في وزارة العباسيين ١٤ سنة من (٦٤٢ - ٦٥٦ هـ).

وكان اشتغل أول أمره في الحلة مع رجل يعرف بإسم (عميد الرؤساء أيوب)، مغمور الأصل مجهول النسب ادعى انتسابه إلى بني أسد، ولما عاد إلى بغداد أقام عند خاله عضد الدين أبي نصر المبارك ابن الضحّاك، الذي كان من عائلة فارسية، وأتفق على أن ابن العلقمي ذا حقد وغل على أهل بغداد، قرر مع التتار أموراً انعكست عليه، كما كان وزير هولاكو الأول هو فضل الله رشيد الدين بن عماد الدولة أبي الخير الهمذاني والذي كان يهودياً ولد في همذان، احترف الطب وأتقن عدة لغات، ورافق هولاكو في رحلته الغازية نحو الغرب بعد أن اختاره وزيراً له.

يتفق جل المؤرخين على أنه قد حدثت مكاتبات ومراسلات ووفود بين ابن العلقمي وهولاكو، وكان يحرر الرسائل من هولاكو إلى الخليفة المستعصم بالله، وزير هولاكو الفارسي الأصل (نصير الدين الطوسي)، فكان يطرز تلك الرسائل بالآيات القرآنية والأبيات الشعرية التي تتضمن التهديد والوعيد.

ويقول الكتبي (محمد بن شاكر): " وأخذ ابن العلقمي بكتاب التتار إلى أن جرّ هولاكو وجرأه على أخذ بغداد، وقرر مع هولاكو أموراً انعكست عليه، وندم حيث لا ينفعه الندم"، "وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال، وذلك كله طمعاً منه... وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبيد العلماء والمفتين"، "وأرسل أخاه ومملوكه إلى هولاكو، وسهل عليه أخذ بغداد، وطلب أن يكون نائباً، فوعده بالأماني"(1).

كما عمل ابن العلقمي إلى انتهاج كل الوسائل لتدمير الخلافة العباسية بعد مراسلاته مع هولاكو والذي كان قد وعده بجعله نائباً له على بغداد، فقام ابن العلقمي:

١ - بإخفاء كل المكاتبات التي تحذر من خطر المغول أو الإستهانة بهم وعدم إطلاع الخليفة المستعصم بالله عليها، والمشورة عليه بمصانعة هولاكو بهدايا بسيطة.

٢ - كان ابن العلقمي قد عمل على إقناع الخليفة المستعصم بتقليص عدد الجند من (مائة ألف) إلى (عشرين ألف)، وإخراجهم خارج بغداد وذلك لتسهيل ضرب القوة البشرية التي يمكن لها أن تواجه عدوان المغول وخوفاً من غضبة شعبية يقوم بها أهل بغداد ضده.

٣ - بث روح الإستسلام في جند بغداد، من خلال بث الإشاعات التي أطلقها ابن العلقمي مع رجاله في سعي منه لضرب أي روح للجهاد أو المقاومة، فأشاع أن حصار بغداد سينتهي بالمفاوضات، إذ أنه لما كان ثاني يوم الرابع عشر من محرم نزل إليه إلى هولاكو الوزير مؤيد الدين بن العلقمي في جماعة من مماليكه وأتباعه، وكانوا ينهون أهل بغداد عن رمي النشاب، ويقولون سوف يقع الصلح، إن شاء الله تعالى، فلا تحاربوا (2).

---

(١) كتاب (ابن العلقمي أمام التاريخ)، سلمان التكريتي، صفحة ٣٤ - ٣٦.

(٢) نفس المصدر صفحة ٤٦ - ٤٨.

وعندما سقطت بغداد على يد المغول وقتل الخليفة المستعصم بالله، دام القتل والنهب في بغداد أربعين يوماً، ونقلوا النفائس الثمينة من المسروقات من المدينة، وأحرقت مقابر الخلفاء وتحول قصر المستعصم والمساجد الرئيسية إلى أكوام من الأنقاض ولم ينجو من المدينة سوى النصارى وكنائسهم!!!، والسبب في هذا أن زوجة هولاكو كانت نصرانية، والسبب الآخر هو أنه كان قد اتفق مع ملك أرمينية المسيحي على الإبقاء على النصارى ومعابدهم، وعلى أن يساعدهم في استرجاع بيت المقدس، مقابل أن يساعدوه على تحطيم الإسلام، ولهذا خاطب البابا بعبارة (صاحب الصّفو)، ودعيا إلى اعتناق المسيحية هو وجموعه [1].

ولقد اختلف المؤرخون في عدد القتلى الذين قتلهم المغول، سواء في القتال، أو في اقتحامهم بغداد، فذهب المعتدلون منهم إلى أنها بلغت ثمانمائة ألف، وقدرها (السبّكي) بتسعمائة ألف عدى من ألقى من الأطفال في الأوحال، ومن هلك في القنى والآبار والسراديب، فمات جوعاً وخوفاً، وبهذا العدد الكبير من القتلى، أصبح القتلى كالتلال في بغداد، فسد الهواء في من تخلف بعد القتل من رائحة الجيف وشرب الماء الممتزج بالجيف والعفونات الأخرى.

وكان الناس يكثرون من شم رائحة البصل، لكثرة الروائح الكريهة، وكثرة الذباب الذي كان يفسد المأكولات [2].

ولما فرغ هولاكو من بغداد وأمر الخلافة، انطلق مع جيوشه لاحقاً باتجاه حلب وهناك أيضاً حدثت بعض الأشياء التي لا بد لنا من أن نتوقف حيالها متأملين.

كان رئيس أساقفة حلب هو المؤرخ (غريغوريوس المطلي) المعروف (بابن العبري)، والذي سارع إلى المغول، وقدم طاعته لهولاكو ولما دخلت

(١) العرب، انتصارات وأمجاد الإسلام – أنتوني نتنج ترجمة الدكتور راشد البراوي صفحة ٢٧٠.

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين – عباس العزاوي.

جيوش المغول حلب، أمر هولاكو بتخريب أسوار قلعة حلب وسور المدينة، وقد استغل (هيتوم) ملك أرمينيا تلك الفرصة، فأحرق الجامع الكبير[1]، ومن الجدير بالذكر أن كنيس اليهود في حلب كان من الاماكن القليلة التي سلمت من السلب والنهب والتخريب وسلم من فيه من القتل والاعتداء المغولي!!!.

لن أكمل وسأكتفي بهذا القدر وساترك لمن أراد أن يعرف أكثر، عن الحقيقة أن يبحث بنفسه ليفهم ما الذي جرى في كل مكان دخلته جيوش المغول الغازية وما هي التحضيرات والتجهيزات والاتصالات التي كانت تجري قبل الغزو وأثناءه وبعده، وبين من ومن، وما هو الجامع الذي كان يجمع بين المغول والصليبيين واليهود والأعاجم، ومن كان الضحيه والمستهدف دوماً، وليجري مقارنة بإسقاط الماضي على الحاضر، مذكراً إياهم بقول الأسقف (دي ميسنيل) نائب مدير البعثات التبشيرية في روما والذي قال في كتابه عن الكنيسة والحملات الصليبية واصفاً حملة التتار على الشرق العربي بما يلي: " لقد كانت الحملة التتارية على الإسلام والعرب حملة صليبية بالمعنى الكامل لها، حملة مسيحية نسطورية. وقد هلل لها الغرب وارتقب الخلاص على يد هولاكو وقائده المسيحي (كتبغا)، الذي تعلق أمل الغرب في جيشهما، ليحقق له القضاء على المسلمين، وهو الهدف الذي أخفقت في تحقيقه الجيوش الصليبية، ولم يعد للغرب أمل في بلوغه إلا على أيدي التتار خصوم العرب والمسلمين".

والآن يمكن لنا أن نسأل السؤال الآتي، هل هناك حقاً محوراً للشر؟ فإن كان موجوداً فعلاً فمما يتألف، وضد من، وهل حقاً ان العرب المسلمين يعيشون في أوهامهم وتخيلاتهم أم أن هناك حلفاً عالمياً قد تحالف ضدهم وضد كل ما هو عربي في هذا العالم، وان هناك مخططاً شيطانياً قديماً حديثاً لصهر العرب المسلمين في بوتقة ما اصطلح عليه لاحقاً، الثقافة

(١) تتمة المختصر في أخبار البشر — ابن الوردي.

العالمية أو الفكر الأممي، والذي في حقيقته فكر ساقط أريد لهذه الأمة أن تكون فيه تابعاً لا حول له ولا قوة فتذوب وتتلاشى ويتلاشى معهم آخر أمل للعالم بإقامة نظام رباني على هذه الأرض.

إن تلك الحرب الهمجية والبربرية المفتوحة على كل ما هو عربي مسلم في هذا العالم والذي يقودها محور الشر الغربي الصهيوني الشعوبي لم تكتفي فقط بالقتل والتدمير والتخريب داخل أرض العرب المسلمين ومحاصرتهم واحتلال أراضيهم، بل لاحقتهم في كل أصقاع الأرض في محاولة منهم لمحو كل أثر تركه العرب المسلمون في هذا العالم وسنعطي أمثلة سريعة تثبت أن ملة الكفر سرعان ما تتوحد في محور واحد ضد كل ما هو عربي واسلامي.

فالأحواز أرض عربية وسكانها من العرب الخلص ومعاناة شعبها لا تقل عن معاناة شعب فلسطين المحتلة فالهجمة عليهم شديدة لا ترحم، تستهدف أرضهم ووجودهم وتاريخهم وثقافتهم، وقد عملت ايران بعد احتلالها للأحواز بمحو الهوية العربية وإزالة كل معالمها وخطوطها الواضحة في محاولة منها لدمجها بشكل كامل في المجتمع الفارسي، فعانى عرب الأحواز من الظلم والقهر والضغوط المختلفة لكي يتخلوا عن أصلهم وجذورهم وماضيهم وانتمائهم، ونصبت أعواد المشانق لكل الثائرين العرب هناك ضد الاحتلال الفارسي، وقد وصل الاضطهاد إلى درجة تهجير العرب من أرضهم وجلب الفرس واحلالهم مكانهم بغية تغليب العنصر الفارسي على العربي، ومنع العرب حتى من أن يتسموا بأسماء عربية، وقامت السلطات المحتلة بمنعهم من استعمال اللغة العربية، وارتداء الزي العربي وأعلنت حصارا اقتصاديا وثقافيا وسياسيا مما أدى إلى تدهور أوضاع العرب هناك إلى درجة لا مثيل لها في العصر الحديث، هذا إلى جانب حرب الإبادة التي تشنها عليهم السلطات هناك، ورغم أن الفرس هم أقلية من مجموع سكان الأحواز إلا أنهم يسيطرون على كافة مجالات العمل، إذ أن الأفضلية تعطى دائما للفرس، فقد أصدر مجلس الوزراء

الإيراني قرارا عام ١٩٦٤ م وما زال يعمل به حتى الآن يحرم على العرب إشغال الوظائف الحكومية الهامة، والإنتماء إلى كليتي الشرطة والحربية وكذلك بالنسبة للأعمال التجارية، كما ألغت الحكومات الإيرانية حق التنقل والإقامة ومنع إعطاء جوازات سفر لأي عربي يرغب بالسفر إلى الأقطار العربية وبهدف قمع نشاط العرب جعلت الحكومة الإيرانية من الأحواز منطقة عسكرية.

ولو انتقلنا إلى أوروبا فسنرى كم الفظائع الكثيرة التي ارتكبت بحق المسلمين ففي البوسنة والهرسك والتي قتل فيها مئات الآلآف من المسلمين، لأكبر دليل وأوضح برهان على ما تعرض له المسلمون في قارة حقوق الإنسان والحضارة، وما مذبحة سريرنيتشا والتي تمت عام ١٩٩٥م على أيدي القوات الصربية وراح ضحيتها حوالي ثمانية آلاف شخص ونزوح عشرات الآلاف من المدنيين المسلمين من المنطقة إلا مثالاً على تلك الفظائع والمجازر الجماعية وعمليات الإغتصاب وانتهاك الأعراض بحق المسلمين في تلك القارة، تحت أنظار القوات الدولية التي كان من المفترض أن تكون هناك لحماية المدنيين وإذ بها تشارك المجرمين جرائمهم من خلال مساعدتهم أو السكوت عن أفعالهم والتغطية عليها، وما تلك الإتهامات التي قدمها اهالي الضحايا ضد القوات الهولندية العاملة في نطاق الأمم المتحدة بعدم الدفاع عن أهالي المدينة وتسليم من التجأ لثكنة هذه القوات لميليشيا صرب البوسنة التي قتلتهم جميعا لاحقا، وقيام القوات الدولية الفرنسية والأوكرانية ببيع طعام المساعدات المجانية للبوسنيات بالنقود، والتي لا تملك النقود فالإغتصاب مقابل الطعام إلا أوضح دليل على توافق العالم وتعاونه في الجريمة ضد المسلمين كما اتهم بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة زمن تلك الحرب بالتستر والانحياز إلى الصرب ضد المسلمين، كما تم إدانة الجنرال ماكنزي قائد القوات الدولية في البوسنة بالتعاون الوثيق مع القوات الصربية وكذلك اتهم الجنرال فيليب موريو، الذي استلم قيادة القوات الدولية لاحقاً بالتستر على المذابح الجماعية وعمليات التطهير العرقي، بالإضافة إلى دوره في

إعاقة التدخل الإنساني بتوصيل المواد الإغاثية إلى المناطق المسلمة المحاصرة، وأيضاً استخدام المفوضية العليا للاجئين سلاح الطعام وسيلة للضغط على المسلمين أثناء فترة المفاوضات التي شهدت أقل نسبة لتوزيع المساعدات الغذائية وألزمت المفوضية، المسلمين المفرج عنهم من معسكرات الاعتقال الصربي بمغادرة البوسنة إلى أي جهة كانت، كما شاركت القوات الدولية وتورطت في جرائم أخلاقية كما ثبت تورط عدد من المسؤولين والدول والهيئات في الحرب ضد البوسنة والهرسك.

أما في آخر المآسي بحق العرب والمسلمين وليس آخرها والتي تحدث في هذه الأيام، فكانت تلك المجازر التي أقيمت بحق المسلمين في ميانماروالتي راح ضحيتها الآف القتلى من المسلمين غير الآف المعتقلين والمهجرين، والذين يعتبروا من الأقليات العرقية التي لا تعترف بها السلطات البوذية هناك، إذ تعتبرهم مواطنين مهاجرين غير شرعيين، رغم أن الحقائق التاريخية تؤكد أن المسلمين الروهينغا كانوا موجودين خلال القرون الماضية في هذه الأرض وقد أسس المسلمون هناك مملكة دام حكمها ٣٥٠ عام من ١٤٣٠ إلى ١٧٤٨، وشكلوا أول دولة إسلامية عام ١٤٣٠ م بقيادة الملك سليمان شاه، وحكم بعده ٤٨ ملك مسلم على التوالي وكان لهم عملات نقدية تتضمن شعارات اسلامية مثل كلمة التوحيد.

كما وتصنفهم الأمم المتحدة بانهم إحدى أكثر الأقليات تعرضا للاضطهاد في العالم، وقد فرضت سلطات ميانمار المتعاقبة شتى أنواع الاضطهاد على المسلمين هناك، من فرض الضرائب الباهظة عليهم ومنعهم من مواصلة التعليم، إلى التهجير الجماعي والتطهير العرقي، وحرق المنازل والمساجد وإجبارهم على مغادرة وطنهم والتشريد القسري والإغتصاب من قبل قوات الأمن في ميانمار، كما عملت السلطات هناك على التمييز ضد المسلمين فيما يتعلق بقانون الجنسية الصادر عام ١٩٨٢م الذي ينتهك المبادئ المتعارف عليها دولياً بنصه على تجريدهم ظلماً من حقوقهم في المواطنة، ولا يرى رئيس ميانمار حلاً لمسألتهم إلا من خلال

تهجيرهم خارج بلادهم أو وضعهم في مخيمات خاصة للاجئين والحجر عليهم وما زالت الجرائم بحقهم مستمره أمام غياب الضمير العالمي.

كل تلك المآسي والجرائم التي حدثت وما زالت تحدث بهولاء، حدثت فقط لأنهم عرب ومسلمون، تلك كانت جريمتهم التي يستحقون عليها العقاب، والعالم المتحضر الذي يتنطع بالديمقراطيه وحقوق الإنسان يتفرج بصمت مريب!.

صرح (راندولف تشرشل) بعد سقوط القدس في أيدي اليهود في عام ١٩٦٧م قائلاً: " لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام والمسلمين، حلم المسيحيين واليهود على السواء، إن سرور المسيحيين، لا يقل عن سرور اليهود".!!!

كما وقد عمل الغرب المستعمر لبلاد العرب والإسلام بعد خروجه منها، من تسليم مقاليد الأمور إلى أصحاب الولاءات لهم وإلى أكثر الفئات الحاقدة على كل ما هو عربي وإسلامي، فعند خروجهم من الهند والتي كان المسلمون قد حكموها لمدة عشرة قرون، وجاهدوا طويلاً لطرد المستعمر الإنجليزي منها وبذلوا في سبيل ذلك الغالي والنفيس، فعندما تم الإستقلال عام ١٩٤٧م قام الإنجليز بتسليم مقاليد الأمور هناك، من سياسة وتعليم وجيش إلى الهندوس، والذين عملوا فورا على متابعة نهج المستعمر في قتل وقمع واضطهاد المسلمين، كما الحقت جزيرة زنجبار المسلمة بدولة تنزانيا المسيحية، وأخيراً قامت على أرض فلسطين العربية المسلمة في عام ١٩٤٨م دولة الكيان الصهيوني بالتخطيط والاتفاق المسبق بين الصهيونية وبريطانيا وفرنسا الذين سلموا تلك الأرض للعصابات اليهودية.

يقول القس جسب: " يجب أن لا يكون ثمة نعوت مثل هذه: أمريكي، أنجليزي، اسكتلندي او ألماني، تنعت اعمالنا التي نقوم بها في سبيل (المسيح). إن الخصم المشترك متحد في مقاومتنا ... فليكن اسمنا (نصارى)".

فهل يعيد العرب المسلمون تفعيل فكرهم وقدرتهم على العطاء وتحرير عقولهم من هيمنة محور الشر ليكشفوا الزيف والخداع ويردوا الحق إلى نصابه، أم سيبقى العرب المسلمون مكتفين بتقديم الحجج والبراهين والأدلة والاثباتات على عدالة حقوقهم وقضاياهم أمام العالم، وبأنهم هم المظلومون والمعتدى عليهم من الغير، يفندون إدعاءات أعدائهم الكاذبة، ألم يأن لهم أن يفهموا أن كل هذا الهراء مع العالم ومع أنفسهم لن ينفعهم شيء، أما آن لهم أن يدركوا أن العالم قد يتعاطف معهم ولكنه أعجز من أن يرجع لهم حقوقهم أو يحميهم، ألم يتعلموا من كل تلك الدروس الماضية والتي خرجوا فيها صفر اليدين، لأنهم اتبعوا طريق العويل والصراخ والندب والبكاء، أما آن لسياساتهم الخرقاء تلك والمتمثلة بوضع بيضهم في سلة أعدائهم أن تنتهي، ألم يتعلموا بعد بأن عليهم أن يقفوا مع أنفسهم قبل أن يطلبوا من الآخرين أن يقفوا معهم، ألم يفهموا أن قضية النصر تصنع قبل النصر بزمن، ألم يدركوا حتى الأن أن أحتلال الأراضي لا يقضي على الأمم ولكن الذي يقضي عليها هو أحتلال أرادتها، ربما لايكون العرب معنين بالحرب، ولكن الحرب معنيه بهم، وهناك مقولة شهيرة في التاريخ تقول: (إن الحق وحده وبشكله المجرد لا يكفي، لابد من السلاح المادي بجواره كي يتحقق).

ويقول سيدنا أبو بكر الصديق: (اطلبوا الموت توهب لكم الحياة).

لقد كان احتقار الموت في سبيل الله لدى العرب المسلمين شعاراً ومنهجاً فخضعت لهم الأمم، ولما كان الجهاد عنوانهم وسلوكهم دانت لهم الدنيا، فكيف انقلب الحال بهم وأصبحوا كارهين للجهاد في سبيل الله وامتلئت قلوبهم بحب الحياة وملذاتها، وكيف يمكن للخوف والطمع أن يجتمع مع الجهاد والتضحية، ألم يعلموا ان الجهاد سنام العمل.

فالإسلام الحقيقي ليس مجرد صلاة وصيام وزكاة بل هو أكثر من ذلك بكثير، بل إن الإسلام العربي لا يصح بحالة أمة كأمتنا اليوم، مالم يكن مرتبطاً بجهاد المال والنفس في سبيل الله، وإحقاق الحق بين الناس، وبعث

الفضائل والعزائم في الأمة، لكسر كل محاور الشر في العالم والتي تستهدف العرب المسلمين وإفنائهم في هذا العالم، إذاً، فقد بات من الملح إعادة بث الروح العربية الأصيلة وتقويتها في نفوس العرب وأصبح واجباً لا مناص منه، وذلك لإستنهاض عزائمهم ولم شتات أنفسهم، فبقدر ما تدعم هذه الروح فيهم، بقدر ما تنهض هذه الأمة وتحقق أهدافها ومشروعاتها، وصار ضرورياً إعادة ضخ فكر عربي يقوم على الحق يصنعه رجال مخلصون، فهؤلاء فقط يمكن لهم أن يقفوا في مواجهة الأفكار الفاسدة والمنتشرة في مجتمعاتهم ويغيرونها، وينهضون بها نحو الأفضل، فالأفكار السليمة التي يمكن لها أن تسموا بالمجتمع لا تضيع، رغم أنها قد تختفي تحت السطح لمدة طويلة من الزمن.

هذا إذا أراد العرب المسلمون حقاً أن يطووا سواد ليلهم الطويل، وتشرق شمسهم في هذا العالم من جديد، ومن آثر مغنم الدنيا عن مغنم الآخره خسرهما معاً، ومن آثر مغنم الآخره عن مغنم الدنيا ظفر بهما معاً، ومن عصى الله لابد خاسر، ومن اتبع نهجه فهو الرابح في الدنيا والآخره، وان نصل متأخرين خيرلنا من أن لانصل ابدا، يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد : ٧].

الكتمان والسرعة واقتناص الفرص
ضروره للبناء والنهوض

في عام ١٨٤٠م أنتهى حلم بناء الدولة العربية عندما أجتمعت أوروبا، متناسية ما بينها من خلافات لتتوحد معاً على منع محمد علي باشا من إقامة دولته المستقلة القوية الغنية عن الدولة العثمانية، والتي كانت تضم مصر والشام والسودان والحجاز واليمن، لعلمها أن هذه الدولة إذا ما قامت ستنهي السيطرة الأوروبية على هذه المنطقة من العالم، فضاعت فرصة ذهبية لبناء الدولة العربية العصرية القوية، عندما توحدت جهود انجلترا وروسيا والنمسا للضغط على محمد علي قبل أن يفلت زمام الأمور من أيديهم.

فمنذ بدأ العرب يعودون إلى التاريخ بعد غياب طويل فرضته أزمان من الهيمنة والاستبداد، والقصة لم يتغير جوهرها وإن تغيرت تفاصيلها فالإرادات الخارجية ترفض هذه العودة للعرب وتحول دونها وتضع في سبيل ذلك كل العوائق والحواجز والموانع، من التدخل والاحتلال الخارجي المباشر، إلى إحياء كثير من العناصر الداخلية في قلب الجسد العربي والتي تتصف بالسلبية والعطب الذاتي والتي تنوب عنها في أداء المهمة، فمنذ القرن الماضي أي قبل حوالي ١٥٠ سنة عندما ظهر محمد علي في مصر وعمل على الإستقلال عن الدولة العثمانية وإنشاء أول دولة عربية حديثه مستقلة على أسس سليمة محاولاً إحياء فكرة الدولة العربية العصرية الواحدة الموحدة منذ إنهيارها وتلاشيها، وبعد أن وصلت جيوش إبراهيم باشا ابن محمد علي إلى أضنا في تركيا تكالبت الدول الكبرى على العرب وعلى مصر وعلى مشروع محمد علي وتحالفت وتآمرت لوأد هذا المشروع ولإعادة مصر إلى حدودها قبل أن تعمل لاحقاً على تجاوز هذه الحدود واحتلال مصر بالشكل العسكري المباشر.

لقد كان مشروع محمد علي في المنطقة العربية مشروعاً رائداً وشجاعاً إذ ان مصر في أيامه كانت أول دولة خارج حدود أوروبا قد بدأت بتحديث نفسها وعصرنة أجهزتها وخاصة القطاع العسكري فيها فكان الغرب الاستعماري لها بالمرصاد وكان الهدف الأول للاستعمار البريطاني لاحقاً إلى مصر هو إيقاف عجلة هذا النهوض والتحديث والعصرنة فما أن دخلت قوات الاحتلال البريطاني إلى أرض الكنانة حتى عمدت إلى كل تلك المصانع الحديثة والمنشآت التي أسسها وأقامها محمد علي وعملت على إيقافها وتفكيكها وخاصة مصانع السلاح العسكري والذخيرة كما قامت تلك القوات لاحقاً بتدمير صناعة بناء السفن الجديدة والتي كانت جزءاً مهماً من الترسانة البحرية المصرية، وحولت مصر إلى مزرعة قطن تزود المصانع البريطانية بموادها الخام مما أدى بالضرورة إلى إرجاع مصر إلى عصر التخلف والتأخر والإنحطاط، فكلما حاول العرب أن يخطوا لأنفسهم طريقاً مستقلاً، فكرياً كان أو سياسياً أو اجتماعياً أو عسكرياً، تفاجؤا بقوة تأتيهم من الداخل أو الخارج، لكي تضرب محاولاتهم تلك وتحبطها، وحتى اليوم يعتبر بناء الدولة العربية العصرية التي تقوم على أسس الصناعة الحديثة وخاصة الصناعة الثقيلة المتطورة خطاً أحمر بالنسبة للغرب.

فمن المعلوم إن أي اتجاه لبناء الدولة العربية الحديثة عليه أن يحقق في وقت واحد إقامة البناء الصناعي والبناء التكنولوجي العلمي، لكن المشكله الدائمه التي تواجه العرب، أن عملهم مكشوف، وتحركاتهم مفضوحة، مما يعطي الفرصه لأعدائهم لضرب مشروعاتهم قبل أن تكتمل، وتؤتي ثمارها، لقد كانت الخطوة العراقيه في بناء المفاعل النووي ضروره لإمتلاك أسرار الطاقة والقوة، لكنها كانت خطوة ناقصة لأنها مكشوفة، إذ جاء الرد الصهيوني بتنسيق مع القوى الغربية مترجماً تلك الأراده العدوانيه لأبقاء العرب خارج دائرة القوة، من خلال الغاره العدوانيه التي قام بها الصهاينه على المفاعل وتدميره، تحت سمع العالم وبصره والذي أكتفى كالعاده بالأستنكار والأدانه، مما أدى الى إيقاف المشروع

النووي العراقي، قبل أن يحتل العراق لاحقاً ويدمر ويجزء من قبل تلك القوى.

لقد جاء في بروتوكولات حكماء صهيون الآتي: "من ذا الذي يستطيع أن يخلع قوة خفية عن عرشها؟ هذا هو بالضبط ما عليه حكومتنا الآن (حكومتهم الخفية التي تسعى لإقامة حكم ملكهم المزعوم من دم صهيون على العالم). إن المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم ليعمل في غفلة كقناع لأغراضنا. ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة في خطة عملنا وفي مركز قيادتنا ما تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيراً".

وجاء أيضاً: " إن النجاح الأكبر في السياسة يقوم على درجة السرية المستخدمة في اتباعها، واعمال الدبلوماسي لا يجب أن تطابق كلماته".

كما وقد استطاعت المانيا مستعينة بالسرية، مستغلة ظروف الإنهاك والترهل التي عانته الدول الإستعماريه الكبرى في اوروبا، من الالتفاف حول اتفاقية الصلح التي وقعتها بالحرب العالمية الأولى والتي منعت بموجبها من إقامة المعاهد العسكرية ونصت على أشد الضوابط والقيود على الآلة العسكرية الألمانية، ومنع المانيا من إنشاء قوه جوية وغيرها من الأمور، عن طريق الإتفاقية الألمانية - الروسية التي عقدتها المانيا مع روسيا، والتي تسمح روسيا بموجبها للدولة الألمانية أن تنشئ فيها معاهد عسكرية لتعليم الضباط ليكونوا نواة الجيش الألماني في الأراضي الروسية.

هذا وقد نشرت مجلة (هاربر) في العام ١٩٨٧ م وهي من كبرى المجلات الامريكية، أن الميزانية الأمريكية تشمل بنداً يسمونه (البرامج السوداء) وهي كناية عن البرامج السرية التي لا تخضع للمناقشة أو التحليل في الكونغرس الأمريكي، وأن البرنامج الأسود لسنة ١٩٨٧ م يبلغ اثنين وعشرين ألف مليون وأربعمائة مليون دولار (٢٢، ٤ بليون دولار)، وأن عشرة بلايين منها تتصرف بها وكالة المخابرات المركزية، وبكلمات أخرى هنالك حكومتان في أمريكا، واحدة نعرف عنها ونراها في الصور والأفلام

واخـرى لا نعـرف عنـها شـيئاً وتعمـل في الخفـاء ودون رقابـة، يسـمونها الحكومـة السـرية وهـي في الحقيقـة الحكومـة الفعليـة، ثـم يقـال لنـا حريـة وديمقراطية وعالم حرا.

اذاً فقـد صـار لزامـاً علـى العـرب ان يتعلمـوا العمـل بسـرية وكتمـان وبالسـرعة القصـوى للبنـاء والأسـتعداد لمواجهـة أعـدائهم، مسـتغلين الفـرص المتاحـه فـالريح المؤاتيـة أفضـل مـن المجـاذيف القويـه، وأذا لم توجـد تلـك الفـرص خلقوهـا مسـتغلين التناقضـات الدوليـه لصـالحهم، حتـى يمتلكـوا أسباب القوة والنهوض، متسلحين باالإيمان والعلم والعمل.

فمـن المؤكـد أن الأقويـاء دومـاً، لايرغبـون بروئيـة منافسـين أقويـاء جـدد يشـاركونهم أمتيـازاتهم وينافسـونهم مكانتـهم، لـذلك فتراهـم يتوحـدون جميعـاً رغـم مـا بينـهم مـن صـراع وصـدام أذا مـا بـزغ نجـم منـافس جديـد يمكـن أن يشـكل خطـراً علـيهم، فيجهضـون مشـروع القـوة البازغـة وهـي في أول أمرهـا قبـل أن يشـتد عودهـا وتخـرج عـن نطـاق سـيطرتهم، فكيـف والحـال مـع العـرب المسـلمين والـتي تعلـم القـوى الكـبرى معنـى أن ينهضـوا ويسـتعيدوا دورهـم ويأخـذوا مكانتـهم وهـم أكثـر الأمـم معرفـة بقـدراتهم الخطـيرة الـتي لا حـد لهـا اذا ما أستثمرت بالشكل الصحيح والملائم.

هنـاك حكمـة صـينية قديمـة تقـول، "دع النمـران يتقـاتلان ثـم أقضـي عليهمـا معـاً"، فمـن الواجـب علـى تلـك الفئـة مـن أهـل الحـق المؤمنين مـن العـرب المسـلمين، والـتي علـى عاتقهـا سـيكون الإسـتعداد لمعركـة الظهـور الى العلـن والسـيطره علـى مقاليـد الأمـور، العمـل بكـثير مـن الحـذر والتخفـي والشـجاعة والإقـدام، مسـتغلين ذلـك التنـاطح بـين قـوى الإسـتبداد والعـدوان في سـعيها للسـيطرة علـى خـيرات وثـروات العـالم، بالعمـل علـى بنـاء دولـة الإسـلام العربـي، والـتخلص مـن أي إمكانيـة لأجهـاض مشـروعهم الإنسـاني الربـاني، وأخـذ أسـباب القـوه الـتي تمكنـهم لاحقـاً مـن القضـاء علـى تلـك القـوى الداخليـة والخارجيـة ودحرهـا بعـد أن يكـون الصـراع قـد وصـل بـين تلـك القـوى الى ذروتـه وأفقـدها الكـثير مـن قوتهـا ومرونتـها، وأيضـاً أفقـدها قـدرتها علـى التنبـه

الى بـزوغ قـوة جديـده، هـي قـوة العـرب المسلمين، الـذين يعلمـون أن خـير وسـيله لـدحر الصـعاب هـو أختراقهـا، فمـن لا يتأهـب مسبقاً للصـراع ويسـتعد للقتـال عنـدما يهـم في خـوض معركـة مصـيرية، قـد يجـد نفسـه نتيجـه لـذلك، يواجـه أحـد ثـلاث خيـارات، أولهـا الرضـوخ لتسـويه تقـوم علـى أسـس غـير مرضـيه وغـير عادلـه، وثانيهـا فشـل المبـادرات السياسـيه وإبقـاء الوضـع علـى مـا هـو عليـه وتجميـده لمـده طويلـه، وثالثهـا الأضـطرار للقتـال وخـوض غمـار الحـرب دون التأهـب والأسـتعداد الـلازم لهـا مـع مـا يحملـه ذلـك مـن تبعـات، والحكيـم من قدر الأمور قبل وقوعها .

قـد تكـون الأزمـات أحيانـاً ضـرورية لـتفجير الطاقـات الكامنـه في الأنسـان والأمــة، وأكتشــاف الــذات والقــدرات، وعلــى هــذا الأســاس فعلــى العــرب المســلمين أن ينطلقــوا لتحريــر حاضــرهم وبنــاء مســتقبلهم، كاســرين كــل القيــود، ومحطمــين كــل الســدود، ومتجــاوزين كــل الحــدود، ويقــودوا زمــام أنفســهم كــالأحرار، فالعبــد المســتعبد مســلوب الإرادة والجاهــل والمتخلــف والأحمـق، لـن يسـتطيع النـهوض أو البنـاء أو الـدفاع عـن القـيم العظيمـة والمثـل والمبـادئ العليـا، لأنـه أساسـاً لا يتحسسـها ولا يفهمهـا ولا يسـتطيع تمييزهـا، لـذلك فهـو يهـاجم لأنــه طلـب منـه أن يهـاجم ويتحـرك لأنـه طلـب منـه أن يتحـرك، ويسـكت لأنـه طلـب منـه أن يسـكت، فهـو بعيـد عـن الحـق والحقيقـة، غوغـائي يحركـه الآخـرون كيفمـا شـاؤوا، أمـا العربـي المـؤمن الحـر فهـو إرادة الله علـى الأرض وفيـه تظهـر تجليـات قـوة الله عـز وجـل وقدرتـه، يقـول تعـالى: (مِـنَ الْمُـؤْمِنِينَ رِجَـالٌ صَـدَقُوا مَـا عَاهَـدُوا اللَّـهَ عَلَيْـهِ فَمِـنْهُمْ مَـنْ قَضَـى نَحْبَـهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) [الأحزاب: ٢٣].

انقطاع العمل وفقدان التعاون وتضييع الأخلاق

لا شك أن العمل قيمة انسانية حضارية، فبفضله أنشأت الحضارات وشيّدت المجتمعات البشرية فالعمل هو الذي يعطي للفرد قيمته. فالذي لا يعمل ولا ينتج هو فرد ملغى، والشعب الذي لا يعمل هو شعب في طريقه إلى الزوال والإندثار.

وكان العمل دوماً في الإسلام عبادة، وجوهر العمل هو السعي الدؤوب لإقامة أسباب العيش الكريم للفرد وتعمير المجتمع بالحق، فالعمل مقدس في الإسلام لأن الحركه كلها لله، وفي سبيل الله، ومن أجل تحقيق رسالته في تعمير الأرض بالحق، وإقامة المجتمع الأنساني بالطبعه الربانيه الذي يقوم على الحق والخلق والعدل بعيداً عن الظلم والخيانه والأنانيه بإعتبار أن الأنسان هو المستخلف في الأرض، وكان التكتل والتعاضد صفة لازمة في المجتمع الإسلامي يقول الحق عز وجل: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [آل عمران: ١٠٣] كما يقول رسول الله ﷺ: (المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص).

وفي كتاب الله آيات كثيرة تحض المسلمين على التكاتف والتعاون على البر والتقوى يقول تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) [المائدة: ٢]، فللتعاون والتعاضد في البناء أهمية بالغة في حياة البشر عموماً وفي حياة المسلمين خصوصاً، إذ أن دينهم يحضهم على ذلك ويدفعهم باتجاهه، وكان العرب المسلمون واعون جيداً لهذا الأمر، ويعملون بمقتضاه، وكان ذلك ديدنهم لفترة طويلة من الزمن، استطاع خلالها العرب من تحقيق انجازات عظيمة واعمال جليلة باقية آثارها خالدة إلى يومنا هذا.

ومن الغريب حقا أن ينقلب العرب فجأة على هذا المبدأ القرآني المهم والأساس في بناء مجتمعهم السليم والقوي والمعافى، في الوقت الذي أخذ الآخرون عنهم هذا المبدأ وبدأوا بتطبيقه على أنفسهم ومجتمعاتهم[1]، بل إن هذا المبدأ قد صار هدفاً عالميا لكل الأمم والشعوب، والتي نراها اليوم تحتشد وتتجمع في تكتلات اقتصادية وسياسية وثقافية وعسكرية لتتساعد وتتعاون فيما بينها على تحقيق انجازات عملاقة خلاقة توفر الراحة والرفاهية لأصحاب هذه التكتلات، وتستطيع هذه الدول أن تضمن من خلالها سلامتها وأمنها وحماية مصالحها كالاتحاد الأوروبي وحلف الناتو ومجموعة الثماني واتحاد دول جنوب آسيا (آسيان) ومنظومة بريك ومجموعة العشرين وغيرها.

فهل الفردية لدى العربي هي طبع كما تقول فئة من المستشرقين وفي مقدمة هؤلاء (دومامبين) الأستاذ في السوربون والذي أعتبر أن من صفات العربي، الفردية، واطلق عليه تعبير (الصعلوك الفائق)، الذي يتميز بصفات منها الفردية والاقدام والصبر معاً، وأما زميله (لامنس) فإنه يرى العربي ميالاً إلى الانزواء بطبيعته ويعتبره حيوان مستأنس، لا سبيل إلى أن يؤثر

---

(١) من الملاحظ حقاً قيام الكثير من الجماعات والجهات المعادية للعرب وعلى رأسهم اليهود من الإستفادة من التعليمات القرآنية والمتمثلة بوجوب التعاون والإتحاد والتكتل والتعاضد، وذلك في الوقت الذي إتخذ العرب المسلمون هذا القرآن مهجورا وتركوا ما فيه ورموه وراء ظهورهم، فلقد أدركت الصهيونية مبكراً أن المهاجرين اليهود إلى فلسطين القابعة آنذاك تحت الإحتلال البريطاني لن يستطيعوا بمفردهم من إقامة وطن قومي لهم هناك، طالما هم في حالة من التمزق والإنقسام بين اليهود السفارديم، والإشكنازيم، واليهود القرائين، فهم بحاجة إلى دعم مكثف من يهود العالم يقف ورائهم ويشد من أزرهم خصوصاً من الطوائف اليهودية التي تعيش في الشرق العربي، لذلك فقد عمدت الصحافة اليهودية في المنطقة العربية وبشكل خاص في مصر إلى الدعوة لتحقيق وحدة الطوائف اليهودية وتنظيمها استعداداً لتحقيق الحلم الصهيوني على أرض فلسطين.

فقامت مجلة (الإتحاد الإسرائيلي) والتي كانت تصدر في مصر بالإيضاح لقرائها أن (اليهود هم أحوج الناس إلى الإتحاد لأنه الدعامة القوية التي يرتكز عليها مستقبلهم، وهو الأساس المكين الذي يشيد صرح حياتهم.. فبالإتحاد تدرك الطوائف اليهودية كيف تعمل وتكد في سبيل النهوض للوصول إلى مركز يليق بها، وبالإتحاد تعرف كيف تدفع عن نفسها كوارث الحوادث ومدلهمات الخطوب).

وكانت صحيفتي (الشمس) و (إسرائيل) المصريتين الصهيونيتين تدعوان إلى الإتحاد من أجل الوطن اليهودي فهاهي صحيفة الشمس في ٢١/٧/ ١٩٤٤ تقول: "فاليهود بحاجة إلى وطن، والوطن بحاجة إليهم، فليتحدوا ليكونوا قوة واحدة يفهمون بها العالم أجمع أنهم عازمون على أخذ حقهم الكامل في الحياة بأيديهم".

كما كانت مجلة (التهذيب) من أوائل الصحف اليهودية التي دعت اليهود إلى الإتحاد لأن: (الإتحاد قوة والقوة أداة النوال.. فالإنسان لا يستغني في الدنيا عن القوة وهي سلاحه ولولاها ما بقي لأمة ملك ولا لدولة سلطان.. وما الغالب ولا الفائز في أي معترك إلا صحاب القوة) ومن المعلوم أن دعوة الإتحاد والتكاتف والإستعداد هي من بديهيات الإسلام العربي.

غيره على نفسه في سبيل منفعة الجماعة، فهل هذا الكلام عن فردية العربي وتطبعه بها صحيح؟

لو أننا رجعنا إلى طبيعة علاقات الإنسان العربي ومنذ القدم في إطار قبيلته ومحيطه لوجدنا أدلة تدحض هذه النظريات والترهات الغربيه السخيفة، وربما كان الشعر العربي من بين أكثر الأشياء الذي ميز وأظهر قيمة ذلك التعاون والتماسك الاجتماعي المتقدم بين العربي ومحيطه في السابق كقيمة أساسية في حياتهم الاجتماعية، يقول (دريد بن الصمه):

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشدُ

وقول المتلمس:

ألا إنني منهم وعرضي عرضهم كذا الأنف يحمي أنفه ان يكشما

ونلمس تعاون وتماسك العرب قديما في الحرب والجوار والنجدة، فأما الحرب فكان قرارها يتخذ ضمن موقف الجماعة، وكان المستجير إذا استجار برجل واحد من أي حي أعانه الحي كله، وكانت العرب كلها يداً واحدة في النجدة، يقول ابن محفض المازني:

ألم ترى قومي إن دعاهم أخوهم أجابوا وان يغضب على القوم يغضبوا

فالقول بفردية العربي وأنانيته يدحضه حرص العربي وافتخاره بأنه واحد من قومه وليس فرداً من دونهم منفصلاً عنهم، هذا في الجاهلية فلما جاء الإسلام العربي، منع الفرقة والتشرذم ووقف في وجه البغض والاختلاف وعارض الإنغلاق والتحزب بين أبناء الامة، وحذر من كل الأسباب والوسائل التي قد تؤدي إلى ذلك، من تعدد الولاءات، وتفرق الأمة إلى طوائف وجماعات، وسوء الظن بالمخالف، فتكون بداية التشتت والضياع، وها هو فاروق الحق عمر بن الخطاب يقول لأناس من قريش: "بلغني أنكم تتخذون مجالس، لا يجلس اثنان معاً، حتى لا يقال: مَنْ صَحَابة فلان؟ مَنْ جلساء فلان؟ حتى تحوميت المجالس، وأيم الله إن هذا لسريع في دينكم، سريع في شرفكم، سريع في ذات بينكم، ولكأني لمن يأتي

بعدكم يقول: هذا رأي فلان، قد قسموا الإسلام أقساماً، أفيضوا مجالسكم، وتجالسوا معاً، فإنه أدوم لإلفتكم ، وأهيب لكم في الناس" .

ويطرح السؤال نفسه، اذاً من المسؤول عن تقوية جانب الأنانية والفردية والطمع لدى العرب وسياسة اللا مسؤولية؟!.

فمن الملاحظ في الزمن الحديث أن معظم الأعمال التي تقام في الأرض العربية وبعد أن يبذل فيها الكثير من التعب والجهد والمثابرة وعندما يونع الثمر ويقترب قطافه، يحدث الخلاف والقطيعة، وتتحرك الأطماع ويبدأ الزيغ والانحراف، يقول عز وجل: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا) [الحجر: ٩٢].

ولماذا كلما أراد أحد في عالمنا العربي أن يبدأ العمل في أي مجال من المجالات الاقتصادية او الثقافية أو السياسية أو العسكرية عليه أن يبدأ من البداية من نقطة الصفر، ولماذا لا يكون هناك استمرارية المتابعة، جيل بعد جيل ليحملوا الأمانة ويطوروها ويحسنوها ويكبروها، ومن ثم يعطوها لمن سيأتي من بعدهم جاهزة، فيكمل اللاحقون ما بدأه السابقون، وكيف نسمح بذلك رغم أن الله قد امرنا صراحة على المشاركة والتعاضد في هذه الحياة وأن نتجاوز مفهوم الفردية في حياتنا بل والاستمرارية في عملنا والمتابعة حتى نصل إلى أكمل المراتب فقيمة العمل بديمومته دون أن ننسى أن بوصلتنا في عملنا هو الحق الذي لا يداخله باطل فالعمل الذي يستنير بالحق هو عمل جاد ومخلص لا بد وأن يثمر ويرتقي بصاحبه والمجتمع.

فقد تجد في كثير من دول العالم شركة ما، رائدة في مجالها، وعمرها يتجاوز المائتي عام وربما أكثر، ولو تعمقت اكثر ستجد أن من يقوم بإدارتها هم أحفاد أحفاد المؤسسين الأوائل والذين لديهم هاجس دائم بأن يتركوا لأولادهم وأحفادهم هذا الإرث العائلي وهو في أحسن حالاته بعد ان طوروه وحسنوه بشكل يفخرون به أمام الجيل الجديد من العائلة، والتي سيحمل على عاتقه حماية هذا الإرث وتطويره لأجيال العائلة القادمة وهذا لا ينطبق فقط في مجال العائلة والمال والأعمال، بل حتى في مراكز

البحـوث والدراسـات والتطـوير والـوزارات والمؤسسـات والحكومـات وغيرهـا مـن المجـالات هنـاك دائمـا رصـيد كـبير لمـن يريـد أن يـتم العمـل، فهـو لـيس مضـطرا لأن يبـدأ مـن المربـع الأول ويـدخل في دائـرة التجريـب فيصـيب ويخطـئ، فهـو يختصـر الوقـت والمـال اعتمـادا علـى رصـيد تجـارب مـن سـبقوه، ويـترك لاحقـا رصـيده الخـاص وخلاصـة تجربتـه والـذي مـن خلالهـا يمكـن لمـن سيأتي من بعده الاستفادة منها.

أمّـا لـدينا فتجـد الصـورة مختلفـة تمامـاً، فـدائما هنـاك رغبـة لـدى الجميـع في تجزئـة الموحـد واقتسـامه رامـين وراء ظهـورهم تعـب السـابقين وجهـدهم، فلـيس لـديهم رغبـة بتطـوير الموجـود بـل بالعمـل بشـكل فـردي مـن البدايـة لايجـاد شـيء خـاص بهـم لا يشـاركهم بـه الآخـرون، والتقليـل مـن انجـازات مـن سـبقوهم واعتبارهـا تحصـيل حاصـل وامـر لاقيمـه لـه، والبـارع لـديهم هـو ذلـك الـذي يأكـل في طريـق تحقيـق أحلامـه حقـوق الآخـرين والأغلـب بـأنهم يكونـون مـن ذوي الـرحم الـذي يسـهل اقتناصـهم والاحتيـال علـيهم، فيبـدأ الانحـراف وتنشـط السـرقه طمعـاً بـالربح الآنـي السـريع، فالمشـروع النـاجح لـدينا يتحـول بقـدرة قـادر إلى مشـروع فاشـل وبعـد أن كـان يـأتي بالأربـاح صـار يـاتي بالخسـائر والـديون، وأيضـا هـذا ينطبـق عنـدنا في معظـم المجـالات إن لم يكـن في جميعهـا، فـأي مشـروع فكريـاً كـان أم مـادي، علـى صـاحبه أن يبـدأ مـن المربـع الأول فـلا تعـاون ولا رصـيد ولا اسـتمرارية ولا ألفـة ولا محبـة ولا رغبـة أساسـاً بكـل هـذا، ثـم يـأتي مـن يسـتغرب واقـع العرب وحالهم.

فلمـاذا ضـيع العـرب المسـلمون قيمـة الجماعـة والعمـل معهـا، ولمـاذا انغلقـوا علـى أنفسـهم فالكـل يحـاول أن يسـتأثر بـالخير كلـه رافضـا مشـاركة الآخـرين بـذلك الخـير، ولمـاذا قتلنـا تلـك الأخـلاق النبيلـة في أنفسـنا ولمـاذا تغلبـت علينـا انانيتنـا وصـار الكـل يتحـرك وفـق مقولـة (أنـا ومـن بعـدي الطوفـان) أو (ألـف عـين تبكـي ولا عـين أمـي تبكـي) ومـن الـذي رسّـخ في أذهـان العـرب المسـلمين هـذه المقـولات المغلوطـة والـتي تعـاكس تمامـا الأوامـر الإلهيـة

لنا بضرورة الاحتشاد والتكتل والعمل الجماعي[1] ونشر الخير أينما كنا وحللنا وكلما استطعنا، يقول رسول الله ﷺ: (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها)، ولماذا فقد المعروف والإحسان بيننا في مجتمعاتنا وصار من الماضي، يقول ابن عباس: (صاحب المعروف لا يقع، فإن وقع وجد متكأ)، ويقول الأحنف بن قيس (ما ادخرت الآباء للأبناء، ولا أبقت الموتى للأحياء أفضل من اصطناع المعروف عند ذوي الأحساب والآداب)، فالإحسان مهما صغر لا يضيع عند من يعرف المعروف، ويشعر بقيمته.

فلماذا افتقدنا هذه المعاني العظيمة، ولماذا فرطنا بتلك القيم السامية، ولماذا قلبت في هذه الأمة كل المفاهيم واستبدلت ايجابية العربي بالسلبية، والتعاون والتكاتف، بالأنانية والفردية، والمعروف والإحسان بالجحود والنكران، وصلة الأرحام بقطعها، والثقة والأمان بالشك والريبة، والصدق والأمانة بالكذب والخيانة، ولماذا فصلت الأخلاق عن التربية والدين عن الأدب، يقول رسول الله ﷺ: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان)، فالوفاء والصدق من شيم النفوس الشريفة، فمن لا وفاء له لادين له، والمعروف أساس الخلال الحميدة يقول تعالى: (وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [البقرة: ٢٣٧] ويقول رسول الله ﷺ: (من مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله) وقوله أيضا (خير الناس أنفعهم للناس)،

---

(١) من ينظر في موروثنا الشعبي من الأمثال سيجد فيها كثير من الأشياء التي أصبحت في أذهان الناس من المسلمات مع الها تخالف نهج الحق، يتشدق بها الناس بشكل ببغائي دون أن يعلموا الهم يخدمون اعداء الله وأعداء انفسهم، فمثلا عندما يقول أحدهم مردداً أحد الأمثال الشعبية المتداولة كثيراً بين الناس (أن وأخي على ابن عمي، وأنا وابن عمي على الغريب) أفلا يخالف هذا نهج رسول الحق ﷺ عندما يقول: ("أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً " فقال رجل: أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره، قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره)، بمعنى أن النصرة هنا للحق لا للقرابة ولا للدم، ولا يصح أن أنصر أخي أو ابن عمي إن كان ظالماً باغياً مستبداً بأن أعينه على ظلمه وبغيه والاستمرار فيه ولو إننا دققنا النظر فيما يقال لأدركنا حجم الكارثة التي أبتليت الأمة بها من دون أن تدري ونورثها لأجيالنا منذ نعومة أظفارهم، ثم نستغرب سبب تردي أحوال مجتمعاتنا وانقسامها وضياع الحق وتقطيع الأرحام وانعدام الرحمة فيها، فمن صاحب المصلحة في دس هذه السموم في أذهان وعقول الأمة.

والاحسان أصل الأخلاق الكريمه يقول تعالى: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) [الرحمن: ٦٠] وقد قيل (لا تسئ إلى من أحسن إليك، ولا تعن على من أنعم عليك).

ولماذا تم الاستعاضة عن كل هذه الاصول الأخلاقية الربانية بأمور جديدة أصبحت من المسلمات في مجتمعاتنا المريضة كالعداوة والبغضاء والخديعة والمكر والنكران لا هي من ديننا ولا من أخلاقنا وتخالف نهج الحق، فصدق الله تعالى إذ يقول: (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) [فاطر: ٤٣] وصدق رسوله إذ قال: (المكر والخديعة والخيانة في النار).

يروى انة خرج قوم للصيد فطاردوا ضبعة حتى ألجؤها الي خباء بدوي فأجارها وجعل يطعمها ويسقيها فبينما هو نائم ذات يوم اذ وثبت عليه فبقرت بطنه وهربت فجاء ابن عمه يطلبه فوجده ملقى فتبعها حتى قتلها وأنشد يقول:

ومن يصنع المعروف مع غير أهله ... يلاقي كما لاقى مجير أم عامرِ
أعد لها لما استجارت ببيت ... أحاليب ألبان اللقاح الدوائرِ
وأسمنها حتى إذا ما تمكنت ... فرته بأنياب لها وأظافرِ
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من ... يجود بمعروف على غير شاكرِ

إن قيمة الجماعة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر والتي يخلص كلٍ فيها لأخيه فيعينه على الحق والخير ويرده عن الظلم والشر، تأتي في أول أولويات الإسلام العربي، يقول رسول الله ﷺ:(ثلاث من كن فيه، فقد استكمل الإيمان، من إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، ومن إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له).

ويقول المستشرق الألماني (ليونارد راولف) الذي زار المشرق العربي في القرن السادس عشر والذي أظهر أعجابه بإيمان العرب المسلمين الذين يحبون الأحسان، فيسعفون الغريب بالطعام والشراب، ويتصدقون

بـالخيرات علـى المحتـاجين، فيسـجل أن هـذا الأيمـان سـبب عـدم وجـود المتسولين (الذين يكثرون في أوروبا).

فما تلـك الـدعوات الـتي تقـوم علـى جعـل كـل عربـي مسـلم كياناً خاصـاً في فكـره وتصـرفه وعملـه منفصـلاً عـن كـل تلـك القـيم الأساسـية الأجتماعيـة الجامعـة، إلا محـاولات يهوديـة غربيـة تهـدف الى تمزيـق وحـدة الصـف العربـي الإسـلامي وتحطـيم الكيـان الجـامع للأمـة، وخلـق أنـاس مختلفـي النـهج يمضـون كـل في طريـق مختلـف عـن الأخـر، فتنحـل عقـدة الفكـر الجـامع للأمـه والجماعـه وتنـهار مقومـات الأسـرة والمجتمـع والقـيم الأخلاقيـة الضـابطة لهمـا، وقـد جهـدت الصـهيونية علـى تشـجيع الانحـلال في المجتمعـات العربيـة لإضـعاف الـروابط المتينـة والـتي كانـت تعتـبر مـن أهـم مقومـات الأمـة فانتشـر الفساد وضغت الأطماع وعم البلاء.

فـلا شـك إن أعـداء الحـق في الخـارج والـداخل قـد فعلـوا فعلـهم في هـذه الأمـة، ولا شـك أيضـا أننـا نحـن أنفسـنا كنـا مشـاركين بهـذه الجريمـة بسـلبيتنا وسـكوتنا عـن الحـق ووأده في أنفسـنا، ولكـن الاعـتراف بالأخطـاء مقـدمات لبنـاء يقـوم علـى أسـس قويـة وسـليمة، وإنـي أخاطـب كـل مـن جـاد عـن الحـق فـأقول لـه، إن تـرك الباطـل والتراجـع عـن الخطـأ خـير مـن الاسـتمرار بـه فصدق الله تعـالى إذ يقـول: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) [إبـراهيم:٤٢]، فقيـام اهـل الباطـل بـالتراجع، ليبـدأوا مسـيرة جديـدة تقـوم علـى الحـق خـير لهـم مـن الاسـتمرار بطريـق ظلمهـم وغـيّهم والـذي سـينحدر بهـم إلى هاويـة الـذل والعـار والهـوان والعذاب في الدنيا والآخرة.

إن تنـافر القلـوب في البيـت الواحـد يعـني ضـياعه وانهيـاره، فكيـف سـيكون الحـال إذا كـان هـذا التنـافر قـد عـم في المجتمـع وفي الأمـة، فمـا هـو مصـير هـذه الامـة الـتي لا يتفـق أبناءهـا في شـيء، فاختلفـت أهـوائهم وتنـافرت قلـوبهم، وتعارضـت مصـالحهم، وتشـتت آرائهـم وصـار الحـق لـدى بعضـهم باطـل والباطـل عنـد الـبعض حـق، كيـف يمكـن لهكـذا أمـة أن تنـهض في مواجهـة

الأخطار المحدقة بها، وكيف يمكن لها أن تنجز وسط كل هذه الخلافات والصراعات يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) [الصف: ٢-٤]، من المؤكد إن لله نواميس وسنن وضعها في الخلق، وهذه النواميس والسنن لا بد أن تتحقق كلما آن أوانها، شاء من شاء وأبى من أبى، واليوم تمر مجتمعاتنا العربية والإسلامية في أسوأ مراحلها وصار الناس فيها يطرقون كل الأبواب البشرية التي اختاروها لأنفسهم إلا باب واحد، وهو باب الحق عز وجل، ظنا منهم أنهم قادرون على الاستمرار بنواميسهم وسننهم هم في هذه الأرض متجاهلين طريق الحق، ولكن وبعد أن يفقدوا الأمل تماما من كل تلك الطرق البشرية القاصرة وتتعب أيديهم من طرق أبواب الباطل ويدفعون أثماناً باهظة، من دمائهم وأرواحهم وأموالهم وأبنائهم وأعراضهم، سيلجأون أخيرا إلى باب الحق الذي تجاهلوه طويلا، فمن يأبى الحق باللين سيقبل به بالشدة ولو بعد حين، يقول تعالى: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) [فاطر: ٤٢-٤٣].

يقول الحكيم الترمذي: إنا وجدنا دين الله مبنياً على ثلاثة أركان، على الحق والعدل والصدق، فالحق على الجوارح، والعدل على القلوب، والصدق على العقول، فإذا افتقد الحق من عمل، خلفه الباطل، وإذا افتقد العدل خلفه الجور، وإذا افتقد الصدق، خلفه الكذب، فعلى ضوء منهج الإسلام في المعرفة نستطيع أن نصل الى أعماق الفهم، ومن ثم نكون قادرين على بيانها للناس.

فالله عز وجل أعطى عباده عقولا راشدة لتميز بين الخير والشر بين النور والظلام بين الحق والباطل، والحق واضح بيّن لا يخفي نفسه، فمن

أراده سيلاقيه ومن أراد تجاوزه سيفعل أشياء كثيرة، وسيتعذب كثيرا، ليخضع أخيرا للحق ولو كارها في هذه الحياة الدنيا، وأما من ترك هذه الحياة مجاهرا بالباطل محاربا الحق وأهله فأولئك ممن صح فيهم قول الله عز وجل: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) [البقرة: ١٧٥] وقوله عز من قائل: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [البقرة: ٢٥٧] وأيضا قوله: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [آل عمران: ٧٧].

عندما احتلت جيوش المغول بلاد الشام أرسل هولاكو رسالة إلى الملك قطز في مصر يتهدده فيها ويتوعده وكان نص الرسالة كالآتي:

(من ملك الملوك شرقًا وغربًا القان الأعظم، باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء يعلم الملك المظفر قطز، الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم، يتنعمون بأنعامه، ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك، يعلم الملك المظفر قطز، وسائر أمراء دولته وأهل مملكته، بالديار المصرية وما حولها من الأعمال، أنا نحن جند الله في أرضه ، خلقنا من سخطه، وسلطنا على من حل به غضبه. فلكم بجميع البلاد معتبر، وعن عزمنا مزدجر، فاتعظوا بغيركم وأسلموا لنا أمركم، قبل أن ينكشف الغطاء، فتندموا ويعود عليكم الخطأ، فنحن لا نرحم من بكى، ولا نرقّ لمن اشتكى، وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد، وطهرنا الأرض من الفساد، وقتلنا معظم العباد ، فعليكم بالهرب، وعلينا بالطلب، فأي أرض تأويكم، وأي طريق تنجيكم، وأي بلاد تحميكم؟ فما لكم من سيوفنا خلاص، ولا من مهابتنا مناص، فخيولنا سوابق، وسهامنا خوارق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال، فالحصون لدينا لا تمنع، والعساكر لقتالنا لا تنفع، ودعاؤكم علينا لا يُسمع، فإنكم أكلتم الحرام، ولا

تعفـون عـن الكـلام، وخنـتم العهـود والأيمـان، وفشـا فـيكم العقـوق والعصـيان، فأبشـروا بالمذلـة والهـوان،(فـاليوم تجـزون عـذاب الهـون بمـا كنـتم تسـتكبرون في الأرض بغـير الحـق وبمـا كنـتم تفسـقون) (وسـيعلم الـذين ظلمـوا أي منقلـب ينقلبـون) فمـن طلـب حربنـا نـدم، ومـن قصـد أماننـا سـلم. فـإن أنـتم لشـرطنا وأمرنـا أطعـتم، فلكـم مـا لنـا وعلـيكم مـا علينـا، وإن خـالفتم هلكـتم، فـلا تهلكـوا نفوسـكم بأيـديكم، فقـد حَـذَّر مـن أنـذر، وقـد ثبـت عنـدكم أنّـا نحـن الكفـرة، وقـد ثبـت عنـدنا أنكـم الفجـرة، وقـد سـلطنا علـيكم مـن لـه الأمـور المقـدّرة والأحكـام المـدبرة، فكـثيركم عنـدنا قليـل، وعزيـزكم عنـدنا ذليـل، وبغـير الأهنـة مـا لملـوككم عنـدنا سـبيل. فـلا تطيلـوا الخطـاب، وأسـرعوا بـرد الجـواب، قبـل أن تضـرم الحـرب نارهـا، وترمـي نحـوكم شـرارها، فـلا تجـدون منـا جاهـاً ولا عـزًّا، لا كافيًـا ولا حـرزًا، وتـدهون منـا بـأعظم داهيـة، وتصـبح بلادكـم مـنكم خاليـة، فقـد أنصـفناكم إذ راسـلناكم، وأيقظنـاكم إذ حـذرناكم، فمـا بقـي لنـا مقصـد سـواكم، والسـلام علينـا وعلـيكم، وعلـى مـن أطـاع الهـدى، وخشـي عواقب الردى، وأطاع الملك الأعلى)[1]

ومـا يهمـني في هـذه الرسـالة هـو جـزء مهـم لا بـد مـن الإشـارة إليـه والتوقـف عنـده مليّـاً، يقـول هولاكـو (فالحصـون لـدينا لا تمنـع، والعسـاكر لقتالنـا لا تنفـع، ودعـاؤكم علينـا لايُسـمع، فـإنكم أكلـتم الحـرام، ولا تعفـون عـن الكـلام، وخنـتم العهـود والأيمـان، وفشـا فـيكم العقـوق والعصـيان، فأبشـروا بالمذلـة والهـوان، فـاليوم تجـزون عـذاب الهـون بمـا كنـتم تسـتكبرون في الأرض بغـير الحـق وبمـا كنـتم تفسـقون، وسـيعلم الـذين ظلمـوا أي منقلـب ينقلبـون)، ربمـا كـان علـى الجميـع أن يجـروا مقارنـة سـريعة بـين هـذا المقطـع مـن الرسـالة وبـين حـال مجتمعاتنـا اليـوم لعلـهم يصـلون إلى الأسـباب الـتي جعلتنـا في أسـوء أحوالنـا الأخلاقيـة والاجتماعيـة والاقتصـادية والسياسـية، ولعلنـا نفهـم بعـض الأسـباب الـتي دفعـت الآخرين للطمع بهذه الأمة والتجرؤ عليها، والإستبداد بها!!.

(١) (المغول في التاريخ — ج ١ — د. فؤاد عبد المعطي الصياد).

ان تــرك زمــام الــنفس الأمــاره بالســوء لتقــود صــاحبها إنمــا هــو الجهــل والحماقــة بعينــها، يقــول رســول الله ﷺ:(أعــدى عــدوك نفســك الــتي بــين جنبيــك) ويقــول أمــير المــؤمنين عمــر بــن الخطــاب: (العــاجز مــن عجــز عــن سياســة نفســه)، فمــن يســعى لأكــل الحقــوق وتضــييع الأمانــه وتقطيــع الأرحــام والكــذب والأفــتراء علــى خلــق الله وجحــود المعــروف ونكــران الإحســان[1] محلــلاً

(١) حدث اني كنت متابعاً وشاهداً على أحداث قصة بتفاصيلها، من أغرب وأعجب القضايا التي تتعلق بتقطيع الأرحام وأكل الحقوق وتضييع الأمانة ونكث العهود والفجور في الخلاف بين الأخوة، ذلك أن تاجراً فاضلاً كان قد أمضى سني عمره الطويلة في الغربة، والتي انطلق فيها عندما كان في الثامنة عشرة من عمره في ظروف قاسية متوكلاً على الله، معتمداً على نفسه، واستطاع أن يؤسس له ولأبناءه خيراً كثيراً، وخلال تلك السنين الطويلة وبحكم تواجده خارج بلاده سوريا، كان قد اوكل تسيير أموره إلى اخوته الأصغر منه والمقيمين في بلده، مؤتمنهم على ماله وأملاكه، وجعلهم وكلاء عنه في شراء عقارات كان قد اشتراها وهو في بلاد الغربة، ولم يبخل هذا التاجر طوال تلك السنين على اهله بشيء من الخير، وبعد ما يقارب الخمسين عاما من الغربة قرر هذا التاجر أن يعود إلى بلاده مع أبناءه ليستقر فيها ويكون قريباً من الأهل والديار، فلما عاد الرجل وارتاح وقرر مع أبناءه المباشرة في حياتهم الجديدة، والبدء بتأسيس عمل جديد، مستثمرين ما أنعم الله عليهم من عقارات كان قد اشتراها هذا التاجر في الماضي وأعدها للحاضر، تفاجأ من أخوته والذين من المفروض أن يكونوا عوناً له، ينكرونه حقه وماله، مستغلين قيامهم بتسجيل تلك العقارات بأسمائهم مستفيدين من ثقة شقيقهم بهم.
لم يصدق الرجل أول أمره ما رأى وسمع، خاصة وان اخوته كانوا يظهرون التدين والاستقامة والصلاح، فما كان من هذا التاجر إلا أن لجأ إلى شقيقه الأكبر الممتلئ مادياً والذي كان مغترباً في الخارج أيضا، عله يجد عنده الحل لهذه المصيبة، وإذ به يفاجأ أن هذا الشقيق الأكبر والذي من المفروض أن يكون صوتاً للحق و سبباً من أسباب إصلاح ذات البين بين أشقاءه، باعتباره يعرف الحقيقة، كل الحقيقة، قد اتفق مسبقاً مع أشقاءه اللصوص المنافقين على سرقة مال اخيهم التاجر، وبالهم كانوا قد أعدوا العدة منذ زمن مبكر للاستيلاء على أملاك هذا التاجر واقتسامها فيما بينهم، مستغلين ثقته العمياء بهم، ومتذرعين بان بينهم وبين شقيقهم التاجر أعمال تجارية كانت في الماضي وأن هذه الأملاك هي جزئ بسيط من حقهم المشروع، رغم أن هذا الشقيق الأكبر كان قد اعترف لي شخصياً بلحظة غضب أن أخوته اللصوص لا يحق لهم شيء من مال شقيقهم ولكنه ادعى ذلك ليخلصهم من مأزقهم.
وامام محاولات هذا التاجر الفاضل والذي لم يترك وسيلة سلمية في التفاهم مع أشقاءه، حفاظاً على صلة الرحم وسمعة العائلة، عارضاً عليهم التنازل عن جزئ من حقه لحل الخلاف، إلا أنه كان يقابل بعدوانية وكذب وفجور وتعنت أشقاءه، الذين رفضوا مجرد التفكير بإرجاع ولو جزئ بسيط من حقه، وليس هذا فقط، بل إنهم خرجوا بين الناس يشيعون أن شقيقهم التاجر هذا يريد سلبهم أموالهم وأرزاقهم، مشنعين عليه بين أهله ومعارفه وأصحابه، فما كان من هذا التاجر إلا أن أوكل امره وأمرهم لله رب العالمين، ولجأ إلى القضاء وهناك لم يتردد أخوته اللصوص الثلاثة من حلف أيمان الكذب على كتاب الله أمام القضاء زوراً وبهتاناً لسرقة حق شقيقهم وماله، لقد كان حزن التاجر على أخوته أكبر من حزنه منهم، لأنه أدرك أن كل عبادتهم واستقامتهم لم تكن خالصة لله رب العالمين، وإنما كانت نفاقاً وكذباً ورياء للناس وفخاً لإقتناص أخيهم، وكذلك كانت صدمته بأناس يعلمون كل الحقيقة وخفايا الأمور، ولكنهم مع ذلك هربوا من قول كلمة حق، مفضلين أن يمسكوا العصا بين التاجر و أخوته من منتصفها، معتقدين أنهم يتذاكون على الله رب العالمين، فصح فيهم قول رب العالمين: (لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) [الزخرف: ٧٨ — ٨٠]مرت الأيام وتعنت الأشقاء في الباطل يزداد حتى توفي الشقيق الأكبر والذي كان قد حالف وتوافق مع أخوته على شقيقهم التاجر، بطريقة كانت يجب أن تكون عبرة للآخرين على أن طريق الحرام يودي إلى التهلكة، والذي يصح فيه قول عمر رضي الله عنه للأحنف ابن قيس: "من أجهل الناس؟ فقال الأحنف من باع آخرته بدنياه. فقال عمر بن الخطاب ألا أنبئك بأجهل من هذا؟ قال بلى يا أمير المؤمنين: قال من باع آخرته بدنيا غيره "، فرفض الأخوة الإتعاض ولم يرجعوا إلى الحق بل استمروا في طغيانهم وعدوانهم وباطلهم، فكانت هذه الحادثة دليلاً على حجم الكارثة التي أبتليت بها الأمة والتي انحرف كثير من أبنائها ليمشوا في درب النفاق والكذب وتقطيع الأرحام والخيانة ليصح فيهم قول رسول الله ﷺ: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا=

ذلك بينه وبين نفسه بأنه مضطر من أجل زوجته المسكينه، أو من أجل أولاده والذي يرغب بأن يربيهم على أحسن مستوى وان كان بالحرام، إنما يخدع نفسه متناسيا قول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [التغابن: ١٤] وقوله: (لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [الممتحنة: ٣]، فلنعمل جميعا على محاربة التشرذم والفرقة وزرع الوحدة والموده، وإحياء الحق في ذواتنا، لنرجع تلك الأمة التي كرمها الله إلى سابق عهدها من الألفة والتعاون والقوة والمنعة مدركين أننا سنقف بين يدي الله لنحاسب، فلنعد العدة ليوم السؤال ذاك (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) [البقرة: ٢٨١]، رافضين تكريس الأخطاء وغير مستسلمين لقسوة الظروف، معلنين حرباً شاملة كاملة على كل المستويات على الباطل وأهله، ناصرين الحق قولا وفعلا في أنفسنا أولاً وفي سلوكنا وتعاملنا مع الآخرين ثانياً، عاملين على إعادة تشييد المنظومة الأخلاقية الربانية فينا والتي أمرنا الله بها وحضنا عليها، لنغير هذا الواقع السيئ إلى واقع جديد نكون فيه أصحاب الكلمة في مصيرنا ومجتمعنا فنقود الأمة إلى الخير والصلاح، ذكر ابن كثير في تاريخه " البداية والنهاية" أن هرقل امبراطور الروم قال لمن هُزِمَ من الروم أمام العرب المسلمون وجاؤوه إلى إنطاكية: ويلكم! أخبروني عن هؤلاء الذين غلبوكم، أليسوا بشراً مثلكم؟ قالوا: بلى .قال: ألستم أكثر منهم عدداً وعدة؟ قالوا: بلى. قال: فما بالكم تنهزمون امامهم؟! فقال أحدهم، وقد سكت الجميع: لأنهم يطيعون الله

=وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان)، وبقي أن أشير إلى أن أطرف ماني الموضوع، أن هذا التاجر كان قد تحدث مع ولده الأكبر قبل اكتشافه لحقيقة أشقاءه اللصوص وقبل حدوث الخلاف بينه وبينهم قائلاً له أنه يود أن يعطي أشقاءه بعضاً من أملاكه، ومن الغريب حقاً أن ما استطاع هؤلاء الأشقاء من أخذه بالاحتيال والتآمر والسرقة والحرام، كانوا سيأخذونه بالحلال لو أنهم كانوا شرفاء وصادقين مع الله، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يقول تعالى: (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) [يوسف: ١٠٣]، ويقول رسوله ﷺ: " من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر عمل مظلمته، وإن لم يكن له عمل أخذ من سيئاته فحملت عليه".

ويعبدونه، ويصومون ويوفون الوعد والعهد، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويحكمون بالعدل والإنصاف، ونحن نشرب الخمور ونفعل الفواحش ونرتكب الموبقات، وننقض العهد ولا نفي بالوعد، ونغضب في غير حق، ونأمر بالسخط، ويظلم بعضنا بعضا، وننهى عما يرضي الله، ونفسد في الأرض، فقال له هرقل: أنت الذي صدقت ونصحت.

وكذلك يروى عن (يزدجر) كسرى الفرس أنه بعد هزيمة جيوشه في معركة القادسية أمام العرب المسلمين، بعث برسول إلى ملك الصين يطلب منه النجدة والمدد، فلما استقبل ملك الصين رسول كسرى جرى بينهما الحوار التالي:

الملك: إن للملوك على الملوك حق النجدة غير أني بحاجة إلى أن تصف لي هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم، فإني أراك تذكر قلة منهم وكثرة منكم، ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل من كثرتكم إلا بخير عندهم وشر فيكم. قال الرسول: إسأل عما أحببت. الملك: أيوفون بالعهد؟. الرسول: نعم. الملك: ما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم؟. الرسول: يدعوننا إلى واحدة من ثلاث، إما دينهم، فإن أجبناهم أجرونا مجراهم، أو الجزية، أو المنابذة. الملك: كيف طاعتهم أمرائهم؟. الرسول: أطوع قوم لمرشدهم. الملك: أيحرمون ما حلل لهم أو يحللون ما حرم عليهم؟. الرسول: لا. قال الملك: إن هؤلاء القوم لا يهلكون أبداً حتى يحلوا حرامهم ويحرموا حلالهم.

وفي ختام اللقاء نصح امبراطور الصين كسرى أن يصالح العرب واعتذر عن نجدته لأن العرب حسب ما وصفهم رسول كسرى قوم لو يحاولون هد الجبال لهدوها.

يقول تعالى: (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٥١) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٢) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الأنفال: ٥١-٥٣].

فالمودة والمحبة سببٌ للتآلف، والتآلف سببُ للقوة والمنعة، والقوه والمنعه يجب أن تكون في الحق وللحق، يقول تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [آل عمران: ١٠٣].

ويقول رسول الله ﷺ: (إن لله ناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانهم من الله)، قيل (ومن هم يا رسول الله؟)، قال (قوم تحابوا بروح من الله على غير أرحام تربطهم، ولا أموال يتعاطونها، والله إنهم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس) ثم تلا قوله تعالى: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [يونس: ٦٢].

لقد مضى الأمس وانتهى وعلينا أن نستغل اليوم بالتفكير ببناء الغد وذلك كي نعيد بناء ذلك المجتمع العربي الأصيل والحقيقي والذي هو بمثابة العائلة بالنسبة للفرد والذي يعتبر أن على أعضاء هذه العائلة أن يهتم أحدهم بالآخر، فإذا كنت اليوم في مأزق؟ فليساعدك أحدهم، وغداً تصبح في وضع جيد وتستطيع مساعدة غيرك، عندها فقط يمكن لهذا المجتمع أن يتحول إلى مؤسسة جماعية ناجحة جداً، لأن كل عضو فيها يهتم بأداءها الناجح، فكلهم شركاء يستفيدون من أرباح هذه المؤسسة، يقول تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [الرعد: ١١]

يزعمون أن العلمانية هي الحل

كثر مؤخراً الكلام عن قضايا مثل العلمانية، والدولة، والدين، وعلاقة السلطة الدينية بالعلم، وعلاقة السلطة الدينية بالدولة، وكثيراً ما تظهر بعض الكتابات وبعض الأقوال، خلاصتها: إن الإسلام لا يصلح اليوم ليكون مصدراً للتشريع، ولا أن يكون منهجاً لحكم أهل الأرض، ويساق في ذلك مبررات كثيرة، ومنها أنه نزل في عصر معين انتهى، وانتهى معه دوره، وبالتالي فإن الإسلام اليوم لا يصلح لقيادة المجتمع الحضاري والدولة المدنية، وهنا لا بد لنا من أن نسأل عن أي إسلام يتكلمون.

فكما بينت سابقاً في مواضع عدة، إنه اليوم قد أصبح في العالم أنواع مختلفة من الإسلام، فهناك إسلام صوفي وإسلام سلفي وإسلام شيعي وإسلام غربي وآخر يهودي، ومنه المتشدد والمعتدل ومنه الإسلام السياسي والراديكالي إلخ.

وكل يتبع ما طاب له، فمجال الاختيار واسع، فبعد أن انغلق العقل الإسلامي على نفسه، وانكفئ المسلمون على ذواتهم أمام تحديات الخارج وأخطاره، وتحولت البدع والخرافات والإضافات إلى موروث، بغض النظر عن قيمة هذا الموروث، وتحوله لاحقاً ليصير مع الوقت ديناً متبع، مترافقاً مع توقف الاجتهاد والتجديد، فتداخلت المفاهيم واختلطت الأشياء في العقول، فصار كل واحد من المسلمين يفصل إسلاماً خاصاً به على مقاسه يلبي له رغباته واحتياجاته.

وأما أنا عندما سأتكلم عن الإسلام فإنما أقصد به الإسلام العربي الرباني الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيّه محمد ﷺ، هذا الإسلام الحق الذي (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) [فصلت: ٤٢]، هذا الإسلام الذي لم يتشوه ولم يتغير ولم ينحرف عن النهج الإلهي الرباني، والذي جاء ليخلص الإنسانية من أوجاعها

ومشاكلها، والذي يعمل على إنهاض العقل البشري وينتشله من ضلالاته وانحرافاته ويدفعه للتفكر والفهم ويبعده عن أي غلو أو تشدد، فإذا كان الإسلام البشري المصطنع والمشوه والذي تمسك بالقشور والذي أتخذ البطش والقتل مسلكاً والتخلف والتعنت مرجعاً، هو المقصود من هؤلاء فأنا مع من يقول أنه لايصح ولا يجوز أن يكون هذا الإسلام الملوث مصدراً للتشريع ولا يجب أن يقبل أي عاقل أن يكون هذا الإسلام منهجاً لحكم أهل الأرض، أما ان كان المقصود من قولهم هو الإسلام العربي الرباني، والذي ضمن الحقوق الدينيه للجميع بإعتبارهم أهل الذمة، ومنع الأضطهاد الديني، وأعطى حرية التعبير الديني المشروط بشروط الدولة العربية الاسلامية، والذى أبدى تجاه الآخر روح التسامح، والذي كنت قد أوردت كثير من الأمثله التي تؤكد على عدالة ورحمة وإنسانية العرب المسلمين سواءٍ في مرحلة الفتح أو لاحقاً في أدارة البلدان التي حرروها من جور الكفر والظلم والطغيان، هذا الإسلام العربي الذي نشر العدل والخير والرحمة والحرية والعلم والأخلاق في العالم، والذي يتميز عن غيره بأنه يتفق مع مبادئ العقل العلمي، فالإسلام العربي والذي جاء ليحرر العقل البشري من الأوهام والخرافات، وليحرر الروح البشرية من العبودية لغير الله، يتوافق جوهره مع جوهر العقلانية الحديثة، فبتأكيد أنا ضدهم وأرفض هذا القول جملة وتفصيلا، بل أزيد فأقول لهؤلاء إن كنتم تتخوفون من التطرف والتشدد والتخلف والظلم وعدم التسامح فعليكم أن تتخوفوا من أي شئ إلا من الإسلام العربي الرباني.

ولا بد لي أولاً من أن أبين معنى العلمانية والذي يعتبر مصطلح أوروبي وتعني الدنيوية في مقابل كل ما هو ديني، وتعني الاحتكام في شؤون الدنيا كلها إلى العقل الإنساني والعلم الوضعي دون النظر أو الأخذ من الدين أو المأثورات، كما تعني كل متجدد ومتطور في مواجهة الجمود، فمدلول العلمانيه المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدوله وحياة المجتمع وإبقاءه حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه، وقد عرف هذا المصطلح في بلادنا العربية الإسلامية خلال هيمنة الفكر

الغربي فترة الحملات الاستعمارية الحديثة، ولا بد أن نشير الى كيفية ظهورهذا المفهوم وأسبابه، ذلك انه خلال فترة الاستبداد والجمود الكنسي والكهانة في أوروبا سدت كل الطرق ولم يبقى امام أي مصلح في الغرب يسعى ليسلك طريق النهضة إلا أن يرفض سلطة الكنيسة وهيمنتها، وكافة انواع القهر الديني الذي فرضته على مختلف مجالات النشاط الإنساني، فنشأت العلمانية وفصل الدين عن الدولة وصار يتم النظر إلى الدين على انه علاقة شخصية بين الإنسان وخالقه، ولا علاقة له بشؤون المجتمع كافة، قبل أن يأتي طور جديد للعلمانية وهي الطور الثوري على يد الماركسية والذي كان لا يستهدف فقط فصل الدين عن الدولة وإنما العمل بشكل تدريجي لفصل العقل الإنساني عن الدين والتدين، فجاءت العلمانية كرد فعل من أوروبا لمواجهة الهيمنة الكهنوتية الكنسية الكاثوليكية الوحشيه، هذه الهيمنة التي كانت تحول دون المجتمع الأوروبي ودون ان يتطور في كافة المجالات المتعلقة بالنشاط الإنساني ما أدى إلى جمود العقل وجمود المؤسسات السياسية والاجتماعية والبحث العلمي وارتكاب الفظائع مع كل من يحاول مواجهة هذا التسلط الكنسي، ولنعطي مثالا على ذلك، فيكفي أن نشير إلى حادثة من أفظع حالات الإعدام بالحرق ضد أسقف غلوسستر الدكتور جون هوبر، حين اتهم سنة ١٥٥٥م بأنه عادى البابوية، كما وصفها هنري مور فيما يلي:

(ولكي يخفف الأسقف عذابه وضع رزمتين من عيدان القصب مليئتين بالبارود بين ساقيه المقيدتين والمرفوعتين عالياً... ثم اعطي الامر باشعال النار ولكن بسبب وجود بعض العيدان الخضراء مرّ بعض الوقت قبل أن تصل النار إلى عيدان القصب. ولأن الريح كانت معاكسة والصباح شديد البرودة فقد ابتعد عنه اللهب فلم تمسه إلا قليلاً. وأشعلت نار أخرى أشد قوة. وهنا انفجر كيسا البارود غير انهما لم يقضيا عليه... صار وجهه أسود تماماً وتورم لسانه حتى لم يعد قادراً على الكلام. ظلت شفتاه تتحركان حتى انفرجتا عن اللثة. وظل يضرب صدره بيديه حتى سقطت

احداهما. وظل يضرب بالاخرى فيما كان الشحم والماء والدم تقطر من نهايات أصابعه.

وأخيراً وبعد تجديد النار تلاشت قواه وثبتت يده في الحديد الذي يطوقه. ومباشرة بعد ذلك وبعد أن كان النصف السفلي من جسده قد التهم تماماً سقط على الحديد الذي يحيط به وسط النيران وبين الصرخات والزعقات المرعبة التي كانت تنطلق من زمرة السفاكين الملتفة حوله. ظل هذا الشهيد المقدس عند البروتستانت أكثر من ثلاثة أرباع الساعة وهو يحترق، والألم الذي لا يوصف كان يتحمله كحملٍ دون أن يتحرك إلى الأمام أو إلى الوراء أو إلى أي من الجانبين. التهمت النيران نصفه السفلي وتدفقت أحشاؤه منه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة وهكذا قضى بطريقة تشبه أشنع أنواع العذاب التي يمكن أن تقدمها جهنم..).

فلقد كان واضحاً أن صراع العقل مع الدين في أوروبا هو صراع أصحاب الفكر التنويري الذي ظهر هناك مع أصحاب الكنيسة الكاثوليكية، وإن دوافع هذا الصراع هي الظروف التي أقامتها الكنيسة في الحياة الغربية، سواء في مجال السياسة، أو في مجال العقيدة والإيمان، أو في مجال التوجيه والبحث.

بينما الإسلام العربي والذي جاء أساساً لينكر الكهانة فلا واسطة بين العبد وربه، والذي لم يوجد فيه وظيفة رجل الدين، فالمسلمون سواسية يسعى بذمتهم أدناهم كما قال رسول الله ﷺ، فالإسلام العربي جاء ليمنع أي وصاية على العقل البشري، فإذا كانت العلمانية ثمرة للكهانة في أوروبا، فإن الإسلام العربي جاء ليقضي على تسلط السلطة الدينية، وهو أيضاً لم يدر ظهره لشؤون الدنيا فليس في الإسلام ما لقيصر لقيصر وما لله لله، فالإسلام العربي حدد ووضع قوانين عامة وكلية تحكم شؤون الدنيا، فهو ينكر العلمانية ويتصادم معها، ولكنه أيضاً لم يوجد وظيفة رجل الدين المتسلط على مؤسسات الحياة الدنيا، فكان للإسلام العربي تصور متميز في علاقة الدين بالدولة، فهو لا يفصل بينهما ولا بين ما هو روحي وما هو

دنيوي، وإنما يقيم بينهما علاقة لا تصل إلى درجة الوحدة والإندماج، بمعنى أنه لا بد ان تشكل الشريعة السماوية الإطار العام للشؤون الدنيوية للعرب المسلمين، ويبقى لهؤلاء الحرية وحق الشورى والتي يجب أن تكون مصدر السلطات التشريعية والتنفيذية، لكن ضمن هذا الإطار الإلهي.

فالإسلام العربي إذاً لم ينكر حق الامة في أن تكون مصدر السلطات في شؤونها الدنيوية، كما قال رسول الله ﷺ: " ما كان من امر دينكم فإلي، وما كان من امر دنياكم فانت أعلم به "، فكان التمييز بين ما هو دين مصدره الله عز وجل فهو ثابت ولا يجوز فيه الاعتراض أو المعارضة، وبين ما هو دنيا من فروع وتفاصيل قابلة للتبديل والتغيير وفق متطلبات الزمان والمكان، فأوجد الإسلام العربي شريعته التي تعطي للأمة الحق أن تكون مصدراً للسلطات بما امر الله دون أن يبيحوا حراماً أو يحرموا حلالاً ضمن الإطار السماوي العام، فكانت هذه العلاقة بين الدين والدولة والتي لم تصل إلى مرحلة الاندماج ولكنها أيضا لم تصل إلى مرحلة الإنفصال، فكان موقف الإسلام العربي العادل المتزن.

لقد وهبت حضارة القرآن لأوروبا والعالم أصول العلوم والمعارف في الطب والفلك والأدب والفن والقانون وحقوق الانسان والحيوان، فكان الدين الذي اختاره الله لعبادة والذي كان قائدا للعلم وجعله في خدمة الحياة الانسانية والذي شكل ذلك العقل العربي المسلم الحافظ لأهداف الدين والقائد لقوى العلم بحكمة الايمان هو دين الحق، فكانت تلك المفارقة، فنهوض العرب المسلمين كانت بالتمسك بدينهم الحق وتطبيقه التطبيق الصحيح وكان نهوض اوروبا بترك دينهم والتخلص من كل قيد للكنيسة عليهم وأخذهم تلك العلوم والمعارف من العرب المسلمين، فكانت تلك مشيئة الله وحكمته، على أن اوروبا التي تقبلت حقائق العلم العربي الاسلامي لم تستطع أن تتقبل حقائق الايمان عن العرب المسلمين وذلك يرجع للغاتها القاصرة وتراكمات الخرافة والأسطورة لديها وطبيعتها العدوانية، فعجزت عن اقامة حضارة انسانية ايمانية عادلة، ولا بد من

الأشاره الى أن المساجد عند العرب المسلمين لم تكن مجرد مكان للعباده، وإنما كانت كذلك مكان لإجتماع العرب المسلمين يتداولون فيها وجهات النظر في القضايا التي تهم الأمه في كل قطاعاتها وفيها أيضاً كانت تناقش كل الأمور المصيريه للأمه من النواحي السياسيه والأقتصاديه والأجتماعيه والعسكريه وتوضع الخطط اللازمه لذلك، وهذا ما كان يخالف دور الكنيسه والتي كان أربابها يختصون أنفسهم بالسياده والقياده والأمتيازات والتخطيط بينما الآخرون مجرد رعايا لاحول لهم ولا قوه، يؤمرون فيطيعون، وليس لهم الأعتراض أو المناقشه أو حتى إبداء الرأي، هكذا كان الوضع قبل أن يتم حجب الكنيسه في الغرب ومنعها من قيادة مجتمعاتها في الوقت الذي تم فيه تحويل مساجد العرب المسلمين لتكون على النمط الكنسي الغربي البائد زمن الأحتلال الشعوبي ولاحقاً الغربي فترة الأنغلاق والتراجع والهزيمه، ومن هنا نجد ان العلمانية والتي كانت حلاً لمشكلة أوروبا الغارقة في ظلام الجهل والاستبداد لا يمكن أن تكون حلاً لنا، وإنما الحل يكمن بالرجوع إلى الإسلام العربي الرباني، هذا الإسلام الذي لا كهانة فيه، والذي لم يقيد أتباعه بقيود الجمود والركود وإنما وضع لهم إطاراً عاماً وترك لهم حرية التشريع والتنظيم والتقنين، وأن يكونوا مصدراً للسلطات طالما أنهم لا يخلطون بين الحق والباطل، فكان هذا الإختلاف الجذري بين ديمقراطية السماء وبين ديمقراطيات الغرب المتفلتة من أي أطر أخلاقية ربانية، فشرعت الربا والبغاء والشذوذ الجنسي فأنشأت مجتمعات تقوم على استعباد الأرواح والأجساد وغيرها من الأشياء التي كانت وما زالت سبباً في تدمير تلك المجتمعات وتآكلها من الداخل مع ما يجلبه لها ذلك من عذابات ومرارات.

لا لدولة القانون
نعم لدولة الحق

يتردد كثيراً على ألسنة الناس تعبير دولة القانون، معتبرين أن دولة القانون هي الهدف وهي المنجا والخلاص للمجتمعات الانسانية، وأن بوجودها ستنتهي المشاكل والمظالم والخلافات، وهنا سأسمح لنفسي أن أعترض على هذا القول لكونه خاطئاً من وجهة نظري، فعندما نشجع الناس ونحملهم على ان ينظروا إلى الحياة في المجتمع بنظرة قانونية محضة، فإننا نجرد هذه الحياة من قيمتها الإنسانية، ونجعلها باردة قاسية مجردة من كل مبادئ الرحمة والشفقة، فكثيراً ما يكون القانون نفسه بعيداً عن العدل والإنصاف بل وحتى ظالماً في كثير من الأحيان، فكم وكم من القوانين التي صدرت في كثير من دول العالم وأدت إلى ثورت شعبية عارمة احتجاجاً على الظلم والإضطهاد بتلك القوانين، وبالقانون نفسه يمكن لمحامي أن يجادل للحصول على براءة لشخص مذنب مستعيناً بطرق احتيالية وثغرات كثيرة في هذا القانون، ويمكن بالقانون أيضاً أن يحصل متنفذون على ثروات طائلة هي من حق شعوب جائعة وفقيرة وكل هذا بفضل قوانين توضع على مقاس هؤلاء، ثم يأتي أحدهم ليقول لك، إن القانون لا يحمي الأغبياء، فإذا كان هذا القانون لا يحمي الضعفاء والبسطاء والمساكين وأصحاب النوايا الحسنة من الناس فما قيمته وما نفعه، وهل من المفروض لهذا القانون أن يكون حامياً للمحتالين واللصوص والأفاقين والظالمين والمستبدين!!.

وهنا قد يسألني أحدهم السؤال الآتي: إذا كنت ترفض ان يكون القانون هو من يقود دولنا ومجتمعاتنا فمن إذا سيقودها؟! وسأجيبه: إن من يجب أن يقود دولنا ومجتمعاتنا، هو الحق، ويجب أن نتعلم ونعلم الآخرين تعبير (دولة الحق)، هذا الحق الذي ينصف المظلوم من الظالم، والذي لا يسمح للمتذاكين والمتحاذقين أن يستغلوه لصالحهم كما هو الحال

في كثير من القوانين، هذا الحق الذي لا يمكن أن يكون في المنطقة الرمادية كما في بعض القوانين، فالحق لا يحابي أحداً، وهو كذلك لا يكون على مقاس أشخاص وانما يكون على مقاس العدل الواجب تطبيقه بغض النظر عن أي اعتبارات أخرى قد تقف أمامها القوانين عاجزة حائرة.

وكثيراً ما نسمع عبارة (القانون قانون) أو (القانون فوق الجميع) ولكن هذا القانون يجب أن لا يكون أبدا فوق الحق، فمن المفروض أن هذا القانون قد وجد لإحقاق الحق لا لتضييعه، فالقانون الذي لا يراعي مصالح الناس وأحوالهم ويدفع عنهم الأخطار ويرد المظالم عنهم، لا قيمة له، بل ويجب إلغاؤه لعدم جلبه المصلحة للناس، قال اسلم مولى عمر بن الخطاب، قدم المدينة رفقة من تجار فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف، هل لك أن نحرسهم الليلة، قال نعم، فباتا يحرسانهم ويصليان فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه اتق الله تعالى وأحسني إلى صبيك ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك ثم عاد مكانه فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبي فأتى إلى أمه فقال لها ويحك انك أم سوء مالي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء، فقالت يا عبد الله (وهي لا تعلم انه عمر بن الخطاب) أني اشغله عن الطعام فيأبى ذلك، قال ولما، قالت لأن عمر لا يفرض النفقة إلا للمفطوم، قال وكم عمر ابنك هذا، قالت كذا وكذا شهرا، فقال ويحك لا تعجليه عن الفطام فلما صلى الصبح وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء قال بؤسا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين ثم أمر مناديه فنادى لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإنا نفرض نفقة لكل مولود في الإسلام وكتب بذلك .

وهذا مثال واضح على وجوب إلغاء أي قانون يتعارض مع مصالح الناس، فالقانون أساساً هو إمرة تصدر عن شخص شرعي له الوسائل

الشرعية لممارسة الحكم مما يعني أن القانون ليس بالضرورة قاعدة حق، بما أنه لم ينتج بالضرورة لغاية العدالة[1].

أما الحق فهو الواجب المؤكد الثابت كما انه ضد الباطل، وهو ما يجب أن يكون، وهو الاداة التي يجب ان تستخدم وصولاً للعدالة، فالحق هو شئ مستمر، فما كان يوماً حقاً سيبقى كذلك للأبد، وما عداه متغير بتغير الظروف، ومن هنا نفهم ان القانون يأتي إقتضاء بالحق لا ابتداء به، كما وأن الحق ليس غاية في ذاته، بل وسيلة إلى مصلحة شرّع الحق من أجلها.

ولقد كان استخدام شعار دولة القانون وإفشاءه بين الناس للايحاء لهم، أن وجود القانون بحد ذاته سيكون كفيلاً بإنصاف الناس من بعضهم البعض، وهذا امر غير صحيح بالمرة، ولكن ومع ترديد تلك العبارة على ألسنة كثير من السياسيين والقانونيين وبعض الشخصيات الدينية والثقافية في كافة وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية، بدأت الناس تردد ما تسمع بشكل ببغاوي دون فهم، ناسين أن أي قانون قد يصبح مع مرور الزمن متخلفاً وقديماً وبحاجة إلى إستبداله، أما الحق فقديمه جديد، وقليله كثير، وهو ثابت وواجب ومحدد وصحيح ولازم، ولقد كان الحق قديماً قدم الإنسانية، وقد تجذرت فكرة الحق وأقرت بين البشر مع تقدم البشرية وتطور الحياة المدنية، فتوافق عليه الناس وأقروه لبعضهم

---

(١) في الثورة الفرنسية، والتي ألهبت العواطف الجياشة لدى كثير من المسحورقين في العالم والتي يعتبرها البعض منهم مثالاً رائعاً لثورة حققت الإنسانية والحرية والمساواة، والتي قامت بإسقاط النظام الملكي، مورست سياسات شديدة الإرهاب، وفرض هذا الإرهاب على المجتمع الفرنسي بموجب قوانين راح ضحيتها الآلاف من الرجال والنساء، ومثال ذلك قانون (برايريال ٢٢) والذي أصدره (المؤتمر الوطني) آنذاك، والذي يقضي بأشد واعنف الإجراءات والعقوبات الجذرية، وبموجب هذا القانون، أختصرت فرصة استجواب المتهم، وحرم من حق الدفاع، وحجبت الشهادة واستخدام الدليل الشفهي، وأتيح للمحكمة ان تصدر قرارها ضد كل من يشتبه بأنه يهدد سلامة الثورة او قيادتها، الذي يعتبر عندئذ (عدو الشعب)، وأعطيت المحكمة حق إصدار الحكم متى توفر الدليل المعنوي، ولم يكن هنالك سوى عقوبة واحدة وهي الإعدام.

وهكذا فقد سيق المئات ليقفوا أمام تلك المحاكم الثورية بتهم غير واضحة بل ومبهمة مثل: إلحاق الضرر بنقاء وطاقة المبادئ الثورية، وإفساد الاخلاق العامة، او إعاقة دعم الثورة، إلخ.

وهكذا نجد ان تلك القوانين قد أدت إلى إزاحة العدالة والإنسانية، وأصبحت مجرد قناع يحتمي ورائها المستبدين والأشرار والقتلة، وهذا ما أدى لاحقاً إلى خلق الديكتاتورية العسكرية الجديدة المتمثلة بنابليون بونابارت والتي شهدت فرنسا في ظله حكم الرجل الواحد والسلطة المطلقة بلا حدود.

البعض، حتى لا تطغى حاجة إنسان على حاجة غيره، وجاء الإسلام العربي منظماً لحدود الحق ومؤيداً له، وربطه بإرادة الله سبحانه وتعالى محق الحق وناصره، فضبط مفهوم الحق بما يحقق الإستقرار بين الناس في تعايشهم وتعاملهم وتوفير حرياتهم، فالدولة والفرد يتلقيان كلاهما الحق من الله تعالى، فالله الذي منح الفرد حقه، هو أيضاً الذي منح الدولة حق الطاعة على الرعية في حدود رعايتها لأحكام الله، فليس حق الدولة أقوى من حق الفرد إلا في حالة التعدي على حق الغير او في حالة التعسف فيه، وبهذا لا تملك الدولة أن تعطي للفرد حقاً، وإذا كانت الدولة غير مانحة للحق، فلا يحق لها ان تسلب الفرد حقه ظلماً وعدواناً، بل على الدولة أن تقوم برعاية حق الفرد دون التعدي على المصلحة العامة، فيتمتع بحقه دون ان يضر غيره من الأفراد أو المجتمع، ولا يحق للدولة ان تتدخل في شؤون أفرادها إلا في حق ثابت ومقرر من قبل الله عز وجل، ويكون هذا التدخل في حدود بينها الله عز وجل ضمن مقتضيات الضرورة والمصلحة العامة، فالضرورات تبيح المحظورات، وبالخلاصة فالحق يجب أن يكون هو روح القانون وأساسه ومصدر شرعيته، وعلى هذا القانون ان يكون مقتضيا بالحق لا مبتدء به، وبهذا على دولنا أن تكون دول حق أن أردنا الخير في الدنيا والآخره، هكذا كان نظام الحكم في أعظم ديمقراطية أوجدها الحكم العربي الإسلامي، ديمقراطية الباب المفتوح للحاكم، يوم كان الحاكم يفتح بابه للجميع فيدخل عليه من يشاء ليعرض شكايته أو ظلامته، يوم كان الحاكم يبت في القضية المعروضة فوراً ويعطي كل ذي حق حقه، ولم يكن هناك من محامين يتقاضون أتعاباً ولا قضاة ينالون أجراً، يوم كان الحاكم العربي المسلم يتحمل كل المسؤولية ومع ذلك لم يكن ليحيط نفسه بمظاهر الأبهة والسلطان بل كان يمشي في الشارع كتفاً إلى كتف مع بقية المواطنين، يوم كانت الخلافة العربية الإسلامية، تتطابق مع الفطرة البشرية السليمة، ومتضمنة مبادئ الحق والعدالة وحقوق الإنسان بكل ما فيها من حرية الرأي والفكر وحرية الكلمة، وحتى حرية العقيدة، لقد كان للعرب المسلمين نظام حكم متطور، وكانت العلاقة بين الحاكم والمحكوم علاقة قائمة على

الحب المتبادل والتفاهم والولاء، يقول رسول الله ﷺ: " اللهم أرنا الحق حقاً وأرزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه "، ويقول الحق عز وجل: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [البقرة: ٢١٣].

بقي أن أشير إلى أن الجهاز التشريعي والقضائي الذي أنشأه الإستعمار الغربي في بلادنا العربية الإسلامية والذي ما زال قائماً حتى اليوم ومن رحمه تخرج معظم قوانيننا التي يتم بواسطتها التحاكم بيننا، كان من أهم وسائل التخريب والظلم الممنهج في مجتمعاتنا يوم تم الأستعاضة بالنظام الغربي للقانون عن شريعة الحق بالإسلام العربي.

معلومات خاطئة يجب تصحيحها

هناك أخطاء وتحريفات تاريخية كثيرة صارت مع مرور الزمن حقائق لدى كثير من الناس لا لبس فيها، تضمنتها كثير من المؤلفات والأبحاث، حتى صارت تدرس في مدارسنا وجامعاتنا ومعاهدنا وجوامعنا، لينشأ طلابنا الأعزاء ولتكبر أجيالنا على هذه الأكاذيب وهي كثيرة وفي كل المجالات التاريخية والجغرافية والعلمية والأدبية والدينية وغيرها، إفتراءات وتحريفات وتشويهات طالت كثير من رموز هذه الأمة وشخصياتها الذين شنت عليهم حملات مسعورة لتشويه صورتهم في أذهان الأجيال العربية، وسنحاول أن نضيئ على بعض من تلك القضايا والمسائل والشخصيات.

أولاً: المرأة العربية ومكانتها في الجاهلية:

كنت جالساً في أحد الأمسيات أقلب في قنوات التلفاز العربية علّي أحظى بقناة تستحق المتابعة فوقعت عيني على برنامج في أحد القنوات العربية الشقيقة يستضيف فيه المحاور وهو مسيحي، امرأة عرف عنها بانها شاعرة ومثقفة عربية مسلمة من ليبيا الشقيقة وفي الجانب الآخر أحد المشايخ من لبنان الشقيق والذي جاء طبعا ليكون مدافعا عن الاسلام المتهم دوما بعيون الآخرين وكان موضوع ذلك النقاش هو الفضيحة التي فجرتها الشاعرة الفاضلة عندما طرحت سؤالا في أحد الاجتماعات وهو اذا كان يحق للرجل الزواج من أكثر من امرأة في الاسلام فما الذي يمنع المرأة من الزواج من أكثر من رجل؟! وما لفت انتباهي في هذا الموضوع هو جواب فضيلة الشيخ المحترم على السؤال الذي طرحته شاعرتنا الفاضلة ففي أثناء تبيينه لأسباب السماح للرجل ومنع المرأة من تعدد الأزواج، رأيته يعلن على شاشة التلفاز مباشرة أمام كل الناس ويقول: " لقد كانت نساء العرب في الجاهلية يفعلن هذا الأمر فكانت الواحدة منهن تتزوج بأكثر من رجل في نفس الوقت وعندما تحبل وتضع مولودها كانت تجمع أزواجها معا فتنظر فيهم فمن راق لها تعلنه والداً لطفلها ولا يحق لأزواجها الآخرين

الاعتراض على قرارها!!!" الى هنا انتهى كلام فضيلة الشيخ المحترم والذي قام جزاه الله خيرا بالايضاح اللازم وأعطى الجواب الكافي والوافي وهنا خطر في بالي مباشرة ما دار بين رسول الله ﷺ وبين هند بنت عتبة والتي جاءت تقود نسوة مكة لما كان رسول الله يأخذ بيعة الناس على الاسلام في مكة فلما قال لهن رسول الله: ولا تزنين فأجابت هند يا رسول الله وهل تزني الحرة؟! وانا هنا اتسائل كيف يمكن لانسان يمتلك ذرة من عقل أن يصدق مثل هذه الترهات والأكاذيب واخطر من ذلك أن ينشرها بين الناس على انها حقائق كانت في التاريخ وكيف يمكن لأحد منا أن يصدق بان العربي في الجاهلية كان يطلب من زوجته أو ابنته أن تعاشر رجلا ما عرف ببسالته أو وسامته أو غير ذلك من الصفات المحببة حتى يأتي ولده أو حفيده حاملا لهذه الصفات المميزة، وإذا كانت هذه التفاهات صحيحه فلماذا لا يذكرون لنا أسماء بعض أولئك الرجال الذين نتجوا عن تلك الزيجات، خاصة وأن العرب قد أشتهروا بمتابعة الأنساب وملاحقة الأحساب حتى كانوا يردون أصل الإنسان الى الأجداد الأوائل حتى يبلغ بعضهم بالنسب عاداً وثموداً، فهل سيشعر ذلك الشيخ المحترم وكل من يقول تلك الأكاذيب والترهات ويرددها بشكل ببغائي دون فهم أو وعي براحة الضمير عندما يعطون الإنطباع بأن العرب هم أولاد حرام جاؤوا نتيجة علاقات محرمة!!! فأين ذهبوا بكرامة ومروءة وشرف وعزة ونخوة العرب وماذا تركوا اذا لتلك الأمم الساقطة أخلاقيا وانسانيا كالفرس والروم واليونان وغيرهم.

ولماذا كلما تكلموا عن مرحلة ما قبل الاسلام لم يجدوا أمامهم الا العرب ليلصقوا بهم شتى الاتهامات والنقائص والشتائم وكأن الاسلام قد جاء الى العرب دون غيرهم ليخرجهم من الضلال الى النور وكأن الأمم الأخرى كانت بخير وهي ليست بحاجة الى الاسلام، ولماذا كلما تكلمنا عن العرب بعد الاسلام وعن دورهم فيه وقف الجميع معترضون متهمين ايانا

بالتعصب الأعمى، فلماذا يخصصون العرب دون سواهم في المغرم ويرفضون مشاركة العرب اياهم في المغنم.

ان المتتبع لأخبار وأشعار العرب في الجاهلية سيرى بأن للمرأة العربية مكانة عالية عزيزة رفيعة لا يشتم منها الاهانة لها بل على العكس تماما حتى أن بعض قبائلهم قد سميت بأسماء الأمهات مما يأكد المكانة الرفيعة للمرأة العربية في ذلك الزمان مثل قبيلة (باهلة - بجيلة - مزينة) فالعرب أصحاب الحمية كانوا يفخرون ويعتزون بنسبتهم لأمهاتهم تماما كما يفخرون بنسبهم لآبائهم وما كانوا ليقبلوا الدنية لنسائهم والشواهد كثيرة على ذلك:

قال عمرو بن المنذر بن ماء السماء وأمه هند بنت الحارث بن عمرو الكندي لجلسائه: هل تعلمون أحدا من العرب يأنف أن تخدم أمه أمي؟ قالوا: ما نعرفه الا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبي، فان أمه ليلى بنت مهلهل وعمها كليب بن وائل وزوجها كلثوم وابنها عمرو فسكت عمرو على ما في نفسه ثم أرسل الى ابن كلثوم يستزيره ويأمره أن تزور أمه هندا بنت الحارث أم الملك فقدم ابن كلثوم في فرسان من قومه تغلب ومعه أمه ليلى فنزل على شاطئ الفرات وضرب ابن هند خيامه بين الحيرة والفرات وصنع لأهل مملكته طعاما وجلس هو وابن كلثوم ووجهاء الدولة داخل السرادق وليلى أم عمرو مع هند في القبة، وقد قال ابن هند لأمه: اذا فرغ الناس من الطعام فنحي خدمك عنك، فإذا دنى الطرف فاستخدمي ليلى ومريها أن تناولك الشيء بعد الشيء ففعلت ما أمرها به ابنها، فلما استدعي الطرف قالت هند لليلى: ناوليني ذلك الطبق قالت: لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها فألحت عليها فقالت ليلى: وا ذلاه يا آل تغلب فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه والقوم يشربون وقام وتناول سيف ابن هند وهو معلق في السرادق وليس هناك سيف غيره فأخذه وضرب به رأس ابن هند فقتله وقال في ذلك شاعر التغلبيين:

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا لتخدم ليلى أمه بموفق

فقام ابن كلثوم الى السيف مصلتاً وأمسك من ندمانه بالمخنق

وقال ابن كلثوم في معلقته:

بأي مشيئة عمرو بن هند تطيع بناة الوشاة وتزدرينا

بأي مشيئة عمرو بن هند نكون لقيلكم فيها قطينا

تهددنا وتوعدنا رويداً متى كنا لأمك مقتوينا

فان قناتنا ياعمرو أعيت على الأعداء - قبلك - أن تلينا

وكان كثير من العرب لاينادي زوجته الا بكنيتها وحتى في أشعارهم وهذا من سمات التشريف في عرفهم يقول الشاعر:

سلي الطارق المعتر يا أم مالك إذ ما أتاني بين قدري ومجزري

أيسفر وجهي وهو في أول القرى وأبذل معروفي له دون منكر

فمن كانت هذه أخلاقهم يرفضون أن تخدش كبرياء امهاتهم وفي سبيل كراماتهم تهدر دماء الملوك، فهل يمكن لنا بعدها أن نصدق أن المرأة العربية كانت ممتهنة الكرامة تورث كأي قطعة متاع يمتلكونها وأن الرجل اذا مات وله زوجة وأولاد من غيرها كان الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه من غيره ويعتبرها ارثا كبقية أموال أبيه، فمن صاحب المصلحة في تشويه وتخريب واختلاق كل تلك الترهات والأكاذيب والتي تهدف للنيل من أعراض العرب وشموخهم وشرفهم وكبريائهم ونقاء أنسابهم.

وفي زمن التطوروالتقدم والحضارة والرقي، وفي أثناء متابعتي لنشرة الأخبار في أحد القنوات الأجنبيه الناطقه بالعربية، رايتهم يذيعون خبراً في مقدمة النشره، ولاحقاً تم تفصيل الخبر أثناء النشره، والخبر يتحدث باختصار عن الفتاة الكويتيه (في سلطان) البالغه من العمر ١٧ عاماً والتي يتكلم التقرير بأنها قد حققت إنجازاً مهماً للمرأة العربية الكويتيه المسلمه خصوصاً في المجتمع الكويتي المحافظ، من خلال تأكيد مشاركتها بالبطوله الأولومبيه للسباحه والتي ستقام في لندن عام ٢٠١٢، وأظهر الخبر الفتاه البطله وهي تتمرن مرتديه المايوه، وتعلق بطلة العرب قائله أنها تسعى ان لا

يكـون ترتيبـها الأخـيره بـين السـباحات المشـاركات!!، حقـاً أنـه لأنجـاز مهـم ورائع للمرأه العربية المسلمه في زمن ما بعد الجاهلية.

ولابـد لي في هـذا الإطـار مـن ذكـر حادثـة مهمـه وقعـت في التـاريخ بـين الملك النعمـان بـن المنـذر وبـين كسـرى الفرس، تلـك الحادثـه التي نسـتبين فيهـا موقـع العـرب وأحـوالهم وأخلاقهـم وسـلوكهم مقارنـة بـالأمم الأخـرى، ذلـك أنـه لمـا قـدم النعمـان بـن المنـذر علـى كسـرى وعنـده وفـود الـروم والهنـد والصـين فـذكروا مـن ملـوكهم وبلادهـم فـافتخر النعمـان بـالعرب وفضـلهم علـى جميـع الأمـم لا يسـتثنى فـارس ولا غيرهـا علـى جميـع الحاضـرين، فقـال كسـرى مغتاظا مـن زهـو النعمان وقد أخذته عـزة الملك يا نعمـان لقد فكـرت فـى أمـر العـرب وغيرهـم مـن الأمـم ونظـرت في حالـة مـن يقـدم علـى مـن وفـود الأمـم، فوجـدت للـروم حظـا فـى اجتمـاع ألفتـها وعظـم سـلطانها وكثـرة مدائنـها ووثيـق بنيانهـا وأن لهـا دينـا يـبين حلالهـا وحرامهـا ويـرد سـفيهها ويقـيم جاهلـها، ورأيـت الهنـد نحـوا مـن ذلـك في حكمتـها وطبـها مـع كثـرة أنهـار بلادهـا وثمارهـا وعجيـب صـناعتها وطيـب أشـجارها ودقيـق حسـابها وكثـرة عـددها، وكـذلك الصـين في اجتماعهـا وكثـرة صـناعات أيـديها وفروسـيتها وهمتـها في آلـة الحـرب وصـناعة الحديـد وأن لهـا ملكـا يجمعهـا، والـترك والخـزر علـة مـا بهـم مـن سـوء الحـال في المعـاش وقلـة الريـف والثمـار والحصـون ومـا هـو رأس عمـارة الـدنيا مـن المسـاكن والملابـس لهـم ملـوك تضـم قواصـيهم) تجمـع شملـهم) وتـدبر أمـرهم، ولم أر للعـرب شيئاً مـن خصـال الخـير في أمـر ديـن ولا دنيـا ولا حـزم ولا قـوة، ومـع أن ممـا يـدل علـى مهانتـها وذلهـا وصـغر همتـها محلتـهم الـتي هـم بهـا مـع الوحـوش النـافرة والطـير الحـائرة يقتلـون أولادهـم مـن الفاقـة ويأكـل بعضـهم بعضـا مـن الحاجـة قـد خرجـوا مـن مطـاعم الـدنيا وملابسـها ومشـاربها ولهوهـا ولـذاتها فأفضـل طعـام ظفـر بـه نـاعمهم لحـوم الإبـل الـتي يعافهـا كـثير مـن السـباع لثقلـها وسـوء طعمهـا وخـوف دائهـا وإن قـرى أحـدهم ضـيفا عـدها مكرمـة وإن أطعـم أكلـة عـدها غنيمـة تنطـق بـذلك أشـعارهم وتفتخـر بـذلك رجـالهم مـا خـلا هـذه التنوخيـة الـتي أسـس جـدي اجتماعهـا وشـد مملكتـها ومنعهـا مـن عـدوها فجـرى لهـا ذلـك إلى يومنـا هـذا

وإن لها مع ذلك آثارا ولبوسا وقرى وحصونا وأمورا تشبه بعض أمور الناس يعني اليمن (التي كانت خاضعة لحكم الفرس آنذاك) ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الذلة والقلة والفاقة والبؤس حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس ...

فقال النعمان أصلح الله الملك، حق لأمة، الملك منها أن يسموا فضلها ويعظم خطبها وتعلو درجتها إلا أن عندي جوابا في كل ما نطق به الملك في غير رد عليه ولا تكذيب له فإن أمنني من غضبه نطقت به، قال كسرى قل فأنت آمن، قال النعمان أما أمتك (فارس) أيها الملك فليست تنازع في الفضل لموضعها الذي هي به من عقولها وأحلامها وبسطة محلها وبحبوحة عزها وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك وأما الأمم التي ذكرت فأي أمة تقرنها بالعرب إلا فضلتها قال كسرى بماذا قال النعمان بعزها ومنعتها وحسن وجوهها وبأسها وسخائها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها وأنفتها ووفائها، فأما عزها ومنعتها فإنها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دخلوا البلاد ووطدوا الملك وقادوا الجند لم يطمع فيهم طامع ولم ينلهم نائل، حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الأرض وسقوفهم السماء وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر، إذ غيرها من الأمم إنما عزها من الحجارة والطين وجزائر البحور، وأما حسن وجوهها وألوانها فقد يعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند المنحرفة والصين المنحفة والترك المشوهة والروم المقشرة، وأما أنسابها وأحسابها فليست أمه من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيرا من أولها حتى إن أحدهم ليسأل عمن وراء أبيه دنيا فلا ينسبه ولا يعرفه وليس أحد من العرب إلا يسمى آباءه أبا فأبا، حاطوا بذلك أحسابهم وحفظوا به أنسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينتسب إلى غير نسبه ولا يدعى إلى غير أبيه، وأما سخاؤها فإن أدناهم رجلا الذي تكون عنده البكرة والناب عليها بلاغه في حموله وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة ويجتزى بالشربة فيعقرها له ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسنا لأحدوثة وطيب الذكر، وأما حكمة ألسنتهم فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه

ووزنـه وقوافيـه مـع معرفتـهم الأشـياء وضـربهم الأمثـال وإبلاغهـم في الصـفات مـا لـيس لشـيء مـن ألسـنة الأجنـاس ثـم خيلـهم أفضـل الخيـل ونسـاؤهم أعـف النسـاء ولباسـهم أفضـل اللبـاس ومعـادنهم الـذهب والفضـة وحجـارة جبـالهم الجـزع ومطايـاهم الـتي لا يبلـغ علـى مثلـها سـفر ولا يقطـع بمثلـها بلـد قفـر، وأمـا دينـها وشـريعتها فـإنهم متمسـكون بـه حتـى يبلـغ أحـدهم مـن نسـكه بدينـة أن لهـم أشـهراً حرمـا وبلـداً محرمـا وبيتـا محجوجـا ينسـكون فيـه مناسـكهم ويذبحون فيـه ذبـائحهم فيلقـى الرجـل قاتـل أبيـه أو أخيـه وهـو قـادر علـى أخـذ ثـأره وإدراك رغمـه منـه فيحجـزه كرمـه ويمنعـه دينـه عـن تناولـه بـأذى، وأمـا وفاؤهـا فـإن أحـدهم يلحـظ اللحظـة ويـومئ الإيمـاءة فهـي ولـث (عهـد) وعقـدة لا يحلـها إلا خـروج نفسـه وإن أحـدهم يرفـع عـودا مـن الأرض فيكـون رهنـا بدينـه فـلا يغلـق رهنـه ولا تخفـر ذمتـه وإن أحـدهم ليبلغـه أن رجـلا اسـتجار بـه وعسـى أن يكـون نائيـا عـن داره فيصـاب فـلا يرضـى حتـى يفنـى تلـك القبيلـة الـتي أصـابته أو تفنـى قبيلتـه لمـا أخفـر(غـدر) مـن جـواره، وإنـه ليلجـأ إلـيهم المجـرم المحـدث مـن غـير معرفـة ولا قرابـة فتكـون أنفسـهم دون نفسـه وأمـوالهم دون مالـه، وأمـا قولـك أيهـا الملـك يئدون أولادهـم فإنمـا يفعلـه مـن يفعلـه منـهم بالإنـاث أنفـة مـن العـار وغـيرة مـن الأزواج، وأمـا قولـك إن أفضـل طعـامهم لحـوم الإبـل علـى مـا وصـفت منـها فمـا تركـوا مـا دونهـا إلا احتقـارا لهـا فعمـدوا إلى أجلـها وأفضـلها فكانـت مراكبـهم وطعـامهم مـع أنهـا أكثـر البـهائم شـحوما وأطيبـها لحومـا وأرقهـا ألبانـا وأقلـها غائلـة وأحلاهـا مضـغة وإنـه لا شـيء مـن اللحمـان يعـالج مـا يعـالج بـه لحمهـا إلا اسـتبان فضـلها عليـه، وأمـا تحـاربهم وأكـل بعضـهم بعضـا وتـركهم الانقيـاد لرجـل يسوسـهم ويجمعهـم فإنمـا يفعـل ذلـك مـن يفعلـه مـن الأمـم إذا أنسـت مـن نفسـها ضـعفا وتخوفـت نهـوض عـدوها إليهـا بـالزحف وإنـه إنمـا يكـون في المملكـة العظيمـة أهـل بيـت واحـد يعـرف فضـلهم علـى سـائر غيرهـم فيلقـون إلـيهم أمـورهم وينقـادون لهـم بأزمتـهم وأمـا العـرب فـإن ذلـك كـثير فـيهم حتـى لقـد حـاولوا أن يكونـوا ملوكـا أجمعـين مـع أنفتـهم مـن أداء الخـراج والوطـف(أي الضـرب الشـديد بالرجـل علـى الأرض) بالعسـف، وأمـا الـيمن الـتي وصـفها الملـك فإنمـا أتـى جـد الملـك

إليها الذي أتاه عند غلبة الجيش له على ملك متسق وأمر مجتمع، فأتاه مسلوبا طريدا مستصرخا ولولا ما وتر به من يليه من العرب لمال إلى مجال ولوجد من يجيد الطعان ويغضب للأحرار من غلبة العبيد الأشرار، فعجب كسرى لما أجابه النعمان به وقال إنك لأهل لموضعك من الرياسة في أهل إقليمك ثم كساه من كسوته وسرحه إلى موضعه من الحيرة.

فهل بعد هذا القول قول!.

فمن هو المسؤول عن تحميل العرب أفعال وإساءات تلك الأمم المحيطة بهم في تلك الأزمان، والتي كانت تموج بالفساد والإنحلال والإنحراف ولصقها بالعرب.

فهاهو المؤرخ (بيرخانيان) في كتابه (إيران المجتمع والقانون) يقول: "إن المرأة الفارسية حسب الديانة الزرادشتية يمكن أن تبقى زوجة دائمة لزوجها الأصلي وفي الوقت نفسه تصبح زوجة مؤقتة لرجل آخر، والطفل الذي يولد من الزواج المؤقت ينسب إلى الزوج الدائم ".

كما كان للفرس أنواع آخرى من الزواج منها تبادل الزوجات، وزواج الضيزن وهو أن يتناوب الأبناء على زوجة أبيهم بعد موته فيكون أولادهم هم أخوانهم في نفس الوقت، ويذكر (ويل ديورانت) في قصة الحضارة: "كان الآباء في بلاد فارس ينظمون شؤون الزواج لمن يبلغ الحُلُم من أبنائهم، وكان مجال الإختيار لديهم واسعاً، حيث عرف عنهم بأن الأخ كان يتزوج أخته، والأب ابنته، والأم ولدها ".

كما يذكر ابن حزم في كتابه الملل والنحل: " والمجوس يعظمون الأنوار والنيران والمياه إلا أنهم يقرون بنبوة زرادشت ولهم شرائع يضيفونها إليه ومنهم المزدقية وهم أصحاب مزدك الموبذ وهم القائلون بالمساواة والنساء"، ولقد انتشر هذا النوع في العصر العباسي ومارسته بعض الفرق مثل الخرّمية والراوندية والقرامطة والخطابية والميمونية.

كما يذكر المؤرخ (Herodotus) بأن: " القبارصة كانوا يرسلون بناتهم إلى الشواطئ ليمارسن البغاء ويكسبن بعض النقود لتقديم القرابين إلى الآلهة فينوس وكسب رضاها "، وكان البغاء ينظم من قبل الكهنة.

ويذكر (Frazer) في موسوعته:

(New Account Of East India And Persia)، واصفاً الأمر عند الإغريق بأن: " البغاء الديني تمارسه بلا حدود فتاة غير متزوجة أو إمرأة متزوجة ويرتبط بالهيكل وهو من بقايا المشاعية القديمة ".

وأما اليونان فلقد حدّث التاريخ عن فشوّ الفواحش والفجور فيهم كما وإنهم قد ألبسوا الفواحش ألوان القداسة، بإدخالها معابدهم حيث اتخذ البغاء عبادة يتقرب بها لآلهتهم.

أما لدى الرومان فقد فشت فيهم الدعارة واللواط، وكان الفسق بالرجال أشد من الفسق بالنساء، وكانت المرأة عندهم تتعرض للإضطهاد والإستعباد، حيث انها كانت سلعة تباع وتشترى، بل وترهن مقابل الأموال والعقارات، والشواهد على ذلك كثيرة.

كما كان لاحقاً في الغرب والذي يتنطع اليوم ليتكلم عن كرامة المرأة وحريتها، يوم كانت تلك المجتمعات تحيا كما اليوم في حالة من الفساد والانحلال والانحطاط الأخلاقي، إذ لم يكن لهم القدرة على الحفاظ على عفة نسائهم إلا من خلال إجراءات قاهرة ومنحطة كإستخدام (حزام العفة)، وهو عبارة عن حزام جلدي أو حديدي وبه فتحتان لقضاء الحاجة، والذي انتشر في كل أرجاء الغرب المسيحي وخاصة في القرون الوسطى عندما كان الرجال يجبرون زوجاتهم على ارتدائه، ويغلقونه ويحملونه مفتاحه معهم حتى لا تخونهم زوجاتهم في غيابهم، وفي القرن الثالث عشر ازدهرت في اوروبا تجارة حزام العفة، وعندما قامت اوروبا باعلان عدوانها على المشرق العربي الإسلامي زمن الحروب الصليبية، كان من المعتاد أن يطوق المقاتل الصليبي خصر زوجته بما يسمى بحزام العفة الذي كان يغلق

فرج المرأة باستثناء فتحات ضيفة لقضاء الحاجة ويحتفظ الزوج بمفتاحه مع .. مع القس.

وقد يتصور البعض أن هذا الأمر كان يتم في أوروبا الماضي أوروبا الجهل والظلام والتخلف، إلا أن الحقيقة التي قد لا يتصورها البعض هو أن هذا الأمر ما زال مستمراً حتى الآن في أوروبا المعاصرة حيث قامت الشرطة البلجيكية عام ٢٠٠٠ م بالقبض على مواطن بلجيكي قام بإلباس زوجته حزاماً حديدياً لمنعها من خيانته، كما يقوم حداد بريطاني في مدينة مانشستر حالياً بصناعة هذه الأحزمة وهو يبيع منها عدة آلاف سنوياً وحقق من وراء ذلك أرباحاً باهظة!!!.

ولا بد أخيراً من الإشارة إلى عمل المستشرقين الأوربيين والذين دأبوا على رسم صورة سلبية للمرأة العربية في الشرق لتتماشى مع أحقادهم التاريخية ضد هذه الأمة فعمل الكثير من هؤلاء الرحالة والكتاب على كتابة روايات يشتم منها رائحة التطرف والتعصب، والتي تصور المرأة الشرقية بأنها العاشقة و(الشهوانية بالفطرة) كما في رواية (سربيغس أوف هامبتون) وفي الرواية الشعرية (لا لاروخ) لتوماس مور فقد فصلت حياة الشرق على أنه "عالم يغص بنساء ذوات عيون سوداء واسعة يملؤها الحب والرغبة، ولكنهن قابعات في أسر الرجال الأشرار".

وهاهو الرحالة (غالان) يرسم صورة سوداء قاتمة عن النساء عندما يكتب فيقول: "عالم الحريم عدواني النزعة والذاخر بالجرائم العاطفية".

وهاهو شاردان يقول: "إن الشرقيات يقضين عمرهن باللامبالاة والكسل، ولا عمل لهن إلا الإستلقاء طيلة النهار على الأسرة حيث يتلذذن بمرور أيدي الجاريات الصغيرات على أجسادهن تمسيداً ودعكاً"، ثم يضيف "إنهن أكثر نساء الأرض مكراً، وإنهن متعجرفات وغادرات ومخادعات وشريرات وفاجرات".

وأما الرحالة بورتون فيصفهن بأنهن: "مجرد أجساد خالية من أي وازع أخلاقي"، كما سعى هؤلاء إلى تثبيت هذه الترهات والأكاذيب من

خلال فن الرسم الذين سعوا من خلاله لبث هذه الصورة والأفكار المشوهة عن هذا الشرق مما أدى لاحقاً إلى قلب الحقائق وتشويهها، وإلحاق تلك النقائص والمفاسد بالعرب، وهم أكثر الأمم التي عرفتها الإنسانية طهراً وشرفاً وحسباً ونخوة، وتبرئة تلك الأمم الساقطة، من قبح أفعالها ودناءة سلوكها وتفاهة عقولها ونجاسة أصولها.

ثانياً: الحجاج ابن يوسف الثقفي:

ومن ضمن تلك الحملات المسعورة على رموز سلف الأمة، ذلك التشويه والتحريف لسيرة رجل من أعظم رجالات العرب والإسلام وهو الحجاج بن يوسف الثقفي والذي عرف بمناقبه في الجهاد والغزو في سبيل الله وسعيه لفتح بلاد الشرق كله رفعاً لكلمة التوحيد، وبالإضافة لجهاده كان عابداً قارئاً للقرآن فصيحاً بليغاً لبيباً وفضله ثابت لا ينكر، سعى طوال حياته إلى جمع كلمة العرب المسلمين ولم يكن يتردد أو يستكين في مواجهة الفتن، بل كان يسعى لها متجلداً عاملاً على لم شعث الأمة ورص صفها، وقد قال بعض السلف: "كان الحجاج يقرأ القرآن كل ليلة"[1]، بعد أن ولي إمارة العراق قام بجمع الناس على المهلب بن أبي صفرة، لحرب الأزارقة والخوارج، ولما نصرهم الله عليهم، عين قتيبة بن مسلم الباهلي على خراسان ففتح وغنم وانتصر عليهم.

كما عين محمد بن القاسم الثقفي لحرب الهند والسند، ففتح وغنم وانتصر عليهم، واستمر القواد الذين عينهم يفتحون البلاد محاربين أعداء الله والأمة.

ولا شك أن الدسّ على اسمه وتشويه صورته وحرفها انما كانت تنبع من قلوب أولئك الحاقدين الذين هالهم أن يجدوا رجلاً كالحجاج وأمثاله زمن بني أمية، يقفون في وجه الفتن والتآمر على العرب والإسلام، لذلك فقد سعى كثير من هؤلاء لاحقاً لتشويه الحقائق والوقائع من خلال تسطير

---

(١) البداية والنهاية (٩/ ١١٩).

تـاريخ أعـوج كتبـوه بأيـديهم، واسـتطاعوا أن يسـوقوه طـوال قـرون في هـذه الأمـة، حتـى تحولـت تلـك الأكاذيـب والإفـتراءات إلى صـور راسـخة في عقـول أبنـاء الأمـة، وربمـا كانـت حادثـة قتـل الحجـاج لسـعيد بـن جـبير هـي مـن أكثـر المآخـذ الـتي مـن خلالهـا يطعنـون بشخصـه ويصـورونه علـى أنـه رجـل محـب لسـفك الـدم والانتقـام، ولكـن لـو إننـا درسـنا الحـدث نفسـه بعـين محايـدة لوجدنا أن الحجـاج لم يفتر ولم يتعـدى علـى سـعيد بـن جـبير، ذلـك أن الحجـاج كـان قـد جهـز حملـة بقيـادة عبـد الـرحمن بـن الأشـعث واسـتعمل سـعيد بـن جـبير علـى عطـاء الجنـد، ووجههـا لقتـال رتبيـل ملـك الترك والـذي كـان يـؤدي الخـراج إلى أن تمـرد وعصـى فـأراد الحجـاج تأديبـه وإرجاعـه لطاعـة العـرب المسلمين، ولكـن لم يلبـث عبـد الـرحمن بـن الأشـعث حتـى انقلـب علـى الحجـاج وصـالح رتبيـل علـى أنـه إن ظهـر فـلا خـراج علـى رتبيـل مـا بقـي الـدهر، وإن هـزم منعـه ممـن يريـده، ودخـل عبـد الـرحمن البصـرة وخلـع عبـد الملـك أمـير المـؤمنين فبايعـه أهلـها وبـدأ القتـال بينـه وبـين الحجـاج واشـتد إلى أن ظفـر الحجـاج بـابن الأشـعث، وكـان ممـن خلـع الحجـاج سـعيد بـن جـبير، فلمـا مـات ابـن الأشـعث هـرب سـعيد إلى أصـبهان ثـم إلى أذربيجـان إلى أن وصـل لمكـة مسـتخفياً باسمـه، فبعـث الحجـاج مـن يحمـل اهـل العـراق الـذين هـم في مكـة فجيئ بهـم إليـه، وكـان فـيهم سـعيد بـن جـبير، فلمـا رآه الحجـاج شـتم خالـد القسـري علـى إرسـاله قـائلاً: لقـد كنـت أعـرف أنـه بمكـة، وأعـرف البيـت الـذي كـان فيـه، ثـم أقبـل علـى سـعيد وقـال: ألم أشـركك في أمـانتي؟ ألم أسـتعملك؟ ثـم تفعـل - يعـدد أياديـه عنـده - فقـال: بلـى. قـال: فمـا أخرجـك علـى قتـالي؟ فقـال لـه: أنـا امـرؤ مـن المسـلمين أخطـئ مـرة وأصـيب أخـرى. ثـم اسـتمر في محاورتـه فقـال: إنمـا كانـت بيعـة في عنقـي، فغضـب الحجـاج وقـال: ألم آخـذ بيعتـك لعبـد الملـك بمكـة بعـد مقتـل ابـن الـزبير، ثـم جـدد لـه البيعـة في الكوفـة فأخـذت بيعتـك ثانيـاً؟ قـال: بلـى. قـال: فنكثـت بيعـتين لأمـير المـؤمنين، وتـوفي بواحدة لابن الأشعث والله لأقتلنك، فضربت عنقه.

وهنا لا بد لنا من أن نقف أمام حقائق لا مناص منها وهي:

نكث ابن جبير لبيعتين لأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان وخلعه.

موافقته لابن الأشعث على الانقلاب على الحجاج، رغم أنهم كانوا في جيش خرج لجهاد عدو الله والأمة، وهذا بحد ذاته أمر خطير فما بالك وقد صالحوا رتبيل وتركوه وارتدوا على أبناء الأمة يعلنون فيها الشقاق.

عدم رغبة الحجاج بالقاء القبض على سعيد ابن جبير رغم معرفته بمكان اختباءه حتى لا يعاقبه بذنبه.

هروب سعيد ابن جبيرمن الحجاج بعد قتل الأشعث بدلاً من ذهابه إلى الحجاج واعتذاره عما بدر منه ولو فعل ذلك لعفى عنه الحجاج تماماً كما فعل مع الشعبي الذي جاء إلى الحجاج معتذراً فعفا عنه.

إذاً فإن اتهام الحجاج بأنه رجل دموي يهوى سفك الدماء هو كلام لا أساس له وتصوير معاقبته لابن جبير على انه ظلم واستبداد ما هو إلا كلام فارغ لا أساس له، ولو أننا أسقطنا ما حدث في الماضي على حاضرنا اليوم لكان ابن جبير وكل من خان عهد الله ونكث البيعة وتواطئ مع عدو الله والأمة وانقلب على بلاده محارياً معلناً فيها الشقاق، للوحق وعوقب بتهمة الخيانة العظمى.

والغريب أن كثيراً ممن كتب عن الحجاج كان يعدد محاسنه ولكنه في النهاية لا بد من أن يطعن به دونما دليل أو برهان.

يقول ابن كثير متكلماً في الحجاج: " وقد روينا عنه، أنه كان يتدين بترك المسكر، وكان يكثر تلاوة القرآن، ويتجنب المحارم، ولم يشتهر عنه شيء من التلطخ بالفروج وإن كان متسرعاً في سفك الدماء، فالله أعلم بالصواب.

ويقول ابن كثير أيضاً: " قلت: الحجاج أعظم ما نقم عليه، وصح من أفعاله سفك الدماء، وكفى به عقوبة عند الله - عز وجل - وقد كان حريصاً على الجهاد وفتح البلاد، وكان فيه سماحة بإعطاء المال لأهل

القرآن، فكان يعطي على القرآن كثيراً، ولما مات لم يترك فيما قيل إلا ثلاثمائة درهم والله أعلم "[1].

ويقول اسماعيل حقي البروسوي في (روح البيان) في تفسير سورة البقرة تحت قوله تعالى: (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ) [البقرة: ٦٠] قال: وذكر أنه استسقى الناس مراراً في زمن الحجاج فلم ينزل قطرة، فقيل لهم لو دعا شخص لم يترك سنة العصر والسنة الأولى من العشاء لحصل المقصود، وإلا لا يحصل، وإن دعوتم أربعين مرة، فتفقدوا فلم يجدوا شخصاً على الصفة المذكورة فرجع الحجاج إلى نفسه فوجدها على ما ذكر فدعا، فنزل مطر عظيم في هذا الحين، وحصل المقصود، وهذا ببركة سنة رسول الله ﷺ، مع أنه مشهور بالظلم!!!.

وأيضاً ذكر في (روح البيان) تحت قوله تعالى: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [البقرة: ١٩٥] قال: روي أن الحجاج لما ولي العراق كان يطعم في كل يوم على ألف مائدة، يجمع على كل مائدة عشرة أنفس، وكان يرسل الرسل إلى الناس لحضور الطعام، فكثر عليه ذلك، فقال: أيها الناس رسولي إليكم الشمس إذا طلعت فاحضروا للغداء، وإذا غربت فاحضروا للعشاء، فكانوا يفعلون ذلك، واستقل الناس يوماً فقال: ما بال الناس قد قلّوا؟ فقال رجل: أيها الأمير إنك أغنيت الناس في بيوتهم على الحضور إلى مائدتك. فأعجبه ذلك وقال: إجلس بارك الله عليك. هذا كرم الحجاج وإحسانه إلى الخلق مع كونه أظلم أهل زمانه.!!!

فكيف اجتمع مع من كتب هذا الكلام جهاد الحجاج واستقامته وسماحته وورعه وكرمه واحسانه مع التشهير به بأنه قاتل محب لسفك الدم وأظلم أهل الزمان، وأين العدل والتحقق والإنصاف قبل أن يكيل الاتهامات الباطلة لرجل قضى عمره في خدمة الأمة والقرآن.

---

(١) البداية والنهاية (٩ \ ١٢٥)

والأغرب ما نقله في (روح البيان) عند تفسير قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ) [آل عمران: ٢٣] ما نصه: روي ان يهودياً قال لهارون الرشيد في مسيره مع عسكره: إتق الله. فلما سمع هارون قول اليهودي نزل عن فرسه، وكذا العسكر نزلوا تعظيماً لاسم الله العظيم.

فما الذي جمع اليهودي بهارون الرشيد ولماذا يذكر اليهودي حصراً بانه قال لهارون اتق الله، وهل اليهودي أساساً يتق الله مع قومه، وكيف له الاجتماع مع أمير المؤمنين فمن الذي أوجد هذه القصة، ومن الذي أقحم اسم اليهودي فيها، وكأنه يعطي انطباع بأن اليهود أصحاب تقى وصلاح وأهل نصح، وهل كان قادة العرب والإسلام ينتظرون اليهود ليقوموا بهدايتهم وتوجيههم، سؤال أسأله وأترك لكم أن تجيبوا؟!!.

وفي الوقت الذي كان فيه العرب الأمويون الفاتحين يقومون بفتوحاتهم لنشر الإسلام العربي الرباني من سور الصين شرقاً وحتى الأندلس غرباً ومن بلاد الروس والصقالبة البلغار شمالًا الى مجاهل أفريقيا جنوباً مستعينين بأسياف الحق كالحجاج ابن يوسف الثقفي وغيره من القادة العظام، حتى لم يرى في زمن من الازمان اللاحقة فتح واحد جديد على ما فتحه الاموين في زمنهم فصح فيهم قول الشاعر:

هذه آثارنا تدل علينا ... فانظروا بعدنا إلى الآثارِ

كان العباسيون في هذه الأثناء يحيكون الدسائس والمؤامرات بالاعتماد والتآمر مع الأعاجم الذي غاظهم أن يروا العرب الفاتحين وقد أصبحوا أسياد الأرض بإذن الله، فأكلهم الحسد والحقد على العرب فانكبوا على التخطيط لهدم بنيان الحق، ولا بد من الاشاره الى الكتاب الذي ارسله سعد بن ابي وقاص الى رستم قائد الفرس اثناء الفتوحات العربية الإسلامية يدعوه الى الإسلام والذي قال له فيه:" اسلامكم احب الينا من غنائمكم، وقتالكم احب الينا من صلحكم "، فبعث اليه رستم:"انتم كالذباب اذا نظر الى العسل يقول، من يوصلني اليه بدرهمين فاذا نشب فيه قال،

من يخرجني منه بأريعه، وانت طامع، والطمع سيرديك ". فاجابه سعد : "انتم قوم تحادون الله وتعاندون انفسكم، لانكم قد علمتم ان الله يريد ان يحول الملك عنكم الى غيركم، وقد اخبركم بذلك حكماؤكم وعلماؤكم وتقرر ذلك عندكم وانتم دائماً تدفعون القضاء بنحوركم وتتلقون عقابه بصدوركم، وهذه جرأة منكم وجهل فيكم، ولو نظرتم لأبصرتم، ولو أبصرتم لسلمتم، فإن الله غالب على امره، ولما كان الله معكم كانت علينا ريحكم، والأن لما صار الله معنا صارت ريحنا عليكم، فانجوا بأنفسكم واغتنموا ارواحكم، وإلا فاصبروا لحر السلاح وألم الجراح، وخزي الافتضاح، والسلام "، لذلك فقد عمل الأعاجم مندفعين بأحقادهم القديمه على العرب الفاتحين للإنتقام منهم، مستعينين بأسياف الباطل وعلى رأسهم سيف بني العباس أبو مسلم الخراساني الذي وقف مفتخراً بعد ضياع دولة بني أمية قائلاً:

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت عنه ملوك بني مروان إذ جهدوا

ما زلت أسعى عليهم في ديارهم والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا

حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا من نومة لم ينمها قبلهم أحدُ

ومن رعى غنماً في أرضٍ مسبعةٍ ونام عنها تولى رعيها الأسدُ

ولقد كان أبا مسلم الخراساني جبار دولة بني العباس وسيفهم المسلط على رقاب العرب المسلمين والذي قتل ستمائة ألف صبراً، كلهم من العرب المسلمين في خراسان وحدها، وكان نهج عمله مع أصحابه أن لا يتركوا عربياً مسلماً يتكلم بالعربية لأنهم بزعمهم جند لبني أمية معتمدين بعملهم هذا بوصية إمامهم المزعوم ابراهيم بن محمد إمام الدعوة العباسية والذي قال لأبي مسلم الخراساني: يا عبد الرحمن انك رجل منا اهل البيت فاحفظ وصيتي وانظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم، وحلّ بين أظهرهم فان الله لا يتم هذا الأمر الا بهم، وانظر هذا الحي من ربيعة فاتهمهم في أمرهم، وانظر هذا الحي من مضر فانهم العدو القريب الدار، فاقتل من شككت فيه ومن كان في أمره شبهة، ومن وقع في نفسك منه شيء وان

استطعت ألا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل فأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله، ولا تخالف هذا الشيخ - سليمان بن كثير - ولا تعصه وان أشكل عليك الأمر فاكتف به مني [1].

تلك هي وصية الامام لأبي مسلم الخراساني وفيها افراط شديد لأنه يتهم أهل خراسان كلهم ما عدا اليمنية وأفرط كذلك في قوله لأبي مسلم "فان استطعت ألا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل"، وهذا يدل على أن الدولة العباسية انما قامت معتمدة على العجمة وهذا هو الذي أودى بالعرب والاسلام وبالعباسيين أنفسهم فقد كانت نهاية دولتهم على يد الأعاجم فما كادت دولتهم تصل الى الخليفة العاشر حتى تكالب العجم على خلفاء بني العباس وقتلوهم شر قتلة واستبدوا بالملك وضاعت الخلافة بعد ذلك والعرب المسلمون على الجملة، ومهما اجتهد البعض لايجاد مبررات لامام الدعوة العباسية ابراهيم بن محمد بوصيته تلك لأبي مسلم فلن يجد أسبابا مقنعة تجيز لرجل أعجمي بقتل العرب وبينه وبينهم ما يوقد نفسه ويضرمها غيظا عليهم.

ولو أخذنا رقم القتلى الذي قتلهم أبو مسلم الخراساني بالنسبة لمقاييس تلك الأزمان لأدركنا حجم إجرامه وحقده وكرهه للعرب المسلمين هو وأصحابه، ولا بد من أن نشير لمن قام ليطلب بثأر أبو مسلم عندما قتله لاحقاً الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، لنفهم أبعاد هذا الحقد على العرب والامويين والإسلام على الجملة، فعندما قتل أبو مسلم قام رجل يدعى (سنباذ المجوسي) ليطلب بثأره وكان من قرية (آهن) إحدى قرى نيسابور، وكان ذا أتباع فأخرج إليه أبا جعفر جيش قتله وفرق أصحابه، وبعد مقتله خرج رجل إسمه (جهور) استقل مع من معه من جنده الأعاجم إلى ان قتل هو الآخر.

---

(١) (ابن كثير ١٠\٢٨).

ولا بد من الإشارة إلى أنه وفي لحظات دولة بني أمية الأخيرة، لم يتخلى الأمويون عن واجبهم الجهادي على ثغور دولة الإسلام بل إن آخر خلفائهم مروان بن محمد الأموي لم يستقدم من جيوش الأمويين المرابضة على ثغور الإسلام للإستعانة بها على دعوة العباسيين في الداخل حفظاً لتلك الثغور، رغم تحذير والي بني أمية نصر بن سيار في خراسان والذي بعث إليهم يحذرهم من خطر بني العباس قائلا لهم:

أرى خلل الرماد وميض نار ... ويوشك أن يكون لها ضرام

فإن النار بالعودين تذكى ... وإن الحرب أولها الكلام

فإن لم تطفئوها تخرجوها ... مسجرة يشيب لها الغلام

أقول من التعجب ليت شعري ... أأيقاظ أمية أم نيام

فإن يك قومنا أضحوْا نياما ... فقل قوموا فقد حان القيام

تعزي عن رجالك ثم قولي ... على الإسلام والعرب السلام

ذلك أنه لما ظهرت الدعوة العباسية بقيادة أبو مسلم الخراساني في خراسان قام والي بني أمية على خراسان نصر بن سيار بتجهيز مولى له اسمه يزيد في خيل عظيمة ليحارب أبا مسلم بعد ثمانية عشرة شهرا من ظهوره، فوجه أبو مسلم مالك بن الهيثم ومعه مصعب من قيس فالتقوا بقرية تسمى (آلين) فتقاتلوا قتالا شديدا، وصبر الفريقان حتى انهزم يزيد مولى نصر بن سيار فأسر وانهزم أصحابه، فأمر أبو مسلم بالرؤوس، فنصبت على باب الحائط الذي في معسكره ودفع يزيد مولى نصر الى رجل من رجاله وأمره أن يتعهده ويحسن مرافقته حتى يبرئ من جراحات كانت به، فلما اندملت جراحات يزيد أرسل اليه أبا مسلم يخيره بين أن يقيم معهم ويدخل في دعوتهم أو أن يرجع الى مولاه سالما فاختار الرجوع

الى مـولاه فخلـى لـه الطريـق، وقـال أبـا مسـلم ان هـذا سـيرد عـنكم أهـل الـورع والصلاح فإنا عندهم على غير الاسلام[1].

ومـن الملاحـظ أنـه مـع إنقضـاء دولـة بـني اميـة ومجـيء العباسـيين توقفـت الفتوحـات العربيـة الإسـلامية، بـل وتراجعـت، كمـا انقسـمت دولـة الخلافـة إلى ان صارت دويلات وانتهت وتلاشت زمن الزحف المغولي.

ولـو اننـا قارنـا بـين كـل تلـك الأكاذيـب والإدعـاءات والإفـتراءات علـى الحجـاج بـن يوسـف الثقفـي والـتي الصـقت بـه ظلمـاً وعـدواناً كمـا قلنـا سـابقاً، رغـم ان الوقـائع التاريخيـة تؤكـد علـى أن الرجـل كـان مجاهـداً محبـاً للقـرآن وكـان أهـلاً للعفـو والصـفح عنـد المقـدرة كريمـاً جـواداً، وبـين جـرائم أبـي مسـلم الخراسـاني والـذي يعـد قـتلاه بمئـات الآلاف مـن العـرب المسـلمين والـذي لا يعـرف عنـه إلا الغـدر والقتـل وسـفك الـدماء والـذي كـان سـوطه سـيفه، قليـل الرحمـة، يقتـل أكيلـه وجليسـه وصـديقه وذا المنزلـة عنـده، لوجـدنا الفـارق الكـبير والتشـويه الخطـير للتـاريخ ولسـيرة رجالاتـه، فهنـاك مـن قـام بتحميـل فظـائع أبـي مسـلم وألبسـها للحجـاج زوراً وبهتانـاً، وهنـاك مـن حـاول أن يخفـي جـرائم أبـو مسـلم وأعوانـه وأسـياده وأن يلحقهـا بـبني أميـة وبـالعرب علـى الجملـة، فمـن صـاحب المصـلحة بإظهـار بـني أميـة والحجـاج بتلـك الصـورة الدمويـة البشـعة والـتي تتنـاقض مـع تـاريخهم وإنجـازاتهم في خدمـة العروبـة والإسـلام، ولمصـلحة مـن ذلـك التشـويه لمـآثر العـرب في فتوحـاتهم وعلـومهم واخلاقهم وتاريخهم وإظهارها بمظهر معاكس تماماً لحقيقتها؟!.

ولا بد من الإشارة لكلام أناس تعارضوا مع الحجاج وتحدثوا عنه:

عـن الشـعبي قولـه: سمعـت الحجـاج تكلـم بكـلام مـا سـبقه إليـه أحـد، يقـول: أمـا بعـد، فـإن الله كتـب علـى الـدنيا الفنـاء، وعلـى الآخـرة البقـاء، فـلا فنـاء لمـا كتـب عليـه البقـاء، ولا بقـاء لمـا كتـب عليـه الفنـاء، فـلا يغـرنكم شـاهد الدنيا عن غائب الآخرة.

(١) [تاريخ الطبري (١٠ – ٣٥٨)]

وقوله أيضاً: يأتي على الناس زمان يصلون فيه على الحجاج.

وقوله: والله لئن بقيتم لتمنون الحجاج.

وكان الحسن البصري يقول: وقذتني كلمة سمعتها من الحجاج، سمعته يقول على هذه الأعواد: إن امرءاً ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له، لحري أن تطول عليها حسرته إلى يوم القيامة [1].

مات الحجاج ولم يترك في بيته إلا ثلاثمائة درهم، ومصحفاً وسيفاً، وسرجاً ورحلاً، ومائة درع موقوفة [2].

والخلاصة أن الحجاج لم يكن ظالماً ولا مستبداً ولا محباً لسفك الدم، ولكن كان رجل حق في وقت كان قد فسدت فيه نفوس الناس وانتشرت الفتنة بينهم، فعمل مع تلك الكوكبة من رجال الحق على تصحيح المسار وتطهير النفوس، وقد لزمت الشدة أحياناً، وقد قيل بعض الشدة رحمة وبعض الرحمة تفريط، ومن الواجب على العرب المسلمين التأكد من مصادر معلوماتهم، وأن يتنبهوا ويتبينوا عن من وممن يأخذون علمهم، حتى لا تشحن الذاكرة العربية الإسلامية بالأكاذيب والمفتريات والتلفيقات.

وفدت ليلى الأخيلية على الحجاج فقالت فيه:

إذا ورد الحجاج أرضاً مريضة ... تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذي بها ... غلام إذا هز القناة سقاها

فقال: لا تقولي غلام ولكن قولي همام، ثم قال: يا غلام أعطها خمسمائة، فقالت: أيها الأمير اجعلها نعماً، فجعلها إبلاً إناثاً.

ثالثاً: طلائع المستكشفين الأوروبيين:

لقد تم تصوير تلك الحملات الاستعمارية الأوروبية لآسيا وإفريقيا وأمريكا لأبنائنا على انها طلائع الكشوف الجغرافية، التي قامت بها أوروبا

---

(١) البداية و النهاية (٩ \ ١٢٣).

(٢) البدية و النهاية (٩\ ١٣٩).

لتحقق اكتشافات جغرافية واسعة وصلت بهم إلى الهند ومنابع النيل، وقد حاول النفوذ الإستعماري للغرب فرضها على العقول وإعطاءها صورة الحقائق الأساسية التي لا تقبل الشك، رغم أن الحقيقة تشير إلى أن هذه الإستكشافات المزعومة، لم تكن إلا طلائع للإستعمار الوحشي الأوروبي، القائم على العنف والقتل والتنصير والسلب والنهب، ولم يكن الهدف منه الطابع العلمي، بل السيطره على ثروات الشعوب والامم ونهبها واستغلالها، وتصوير مستعمرين دموين غزاة همهم السلطة وجمع المال مثل (فاسكو دي جاما) وغيره على إنهم علماء ومستكشفين وتغييب تلك الفظائع التي ارتكبوها في كل مكان حلّوا فيه ما هو إلا تحريف للحقائق وتزوير للتاريخ، وكل تلك الكتب التي تدعي إكتشاف أوروبا لإفريقيا وإكتشاف البرتغاليين للهند وإمريكا هو محض إفتراء وكذب، فقد كان البحارة العرب والهنود قد عبروا المحيط الهندي من سواحل إفريقيا الشرقية إلى آسيا قبل مجيء الأوروبيين بقرون عدة.

وكل تلك الروايات لرحلات المستكشفين الأوروبيين الذين وصلوا إلى أراضٍ بكر لم يسبقهم إليها أحد لا أساس لها من الصحة، فرحلة (صمويل بيكر) مثلاً والتي وصفت الرجل بأنه قد وصل إلى أرض لم تطأها قدم أحد من قبله، وإستطاعته الوصول إلى منابع النيل واهتداءه إلى بحيرة (ألبرت) محض كذب وافتراء، إذ كان قد سبقه إلى هذه المناطق كثير من رحالة العرب ومستكشفيهم ومؤرخيهم والذين وصفوا طبيعة تلك المناطق وسكانها من قبائل النيل، وتحدثوا عن عاداتهم ولغاتهم وأخلاقهم، كما وأن الهند كانت أراضٍ معروفة منذ القدم.

والقول بأن فاسكو دي جاما، هو مكتشف طريق رأس الرجاء الصالح مجرد إدعاء لا علاقة له بأصل الحقيقة، فالثابت تاريخياً أن البحار العربي إبن ماجد هو مكتشف هذه الطريق، وهذا ليس غريباً إذ أن الكنعانيون العرب كانوا قد داروا حول الساحل الإفريقي الغربي حتى

وصلوا سيراليون، واكتشفوا جزر الكناري، كما إكتشفوا رأس الرجاء الصالح حوالي ٦٠٠ ق.م، أي قبل إدعاء فاسكو دي جاما بنحو ألفي عام.

وبالنسبه لإمريكا فحتى اليوم توجد في مكتبة قصر (الأسكوريال) في أسبانيا خريطة رسمها الجغرافي العربي ابن الزيات تظهر السواحل الشرقية للإمريكيتين كدليل على إكتشاف العرب المسلمين للأراضي الجديدة قبل كولومبس بعدة قرون، وكولومبس نفسه ذكر في مذكراته ورسائله أنه قد اكتشف في الهندوراس قبيلة مسلمة، كما ذكر أيضاً أن اهالي جزيرة سان سلفادور يتكلمون ببعض الكلمات العربية مع بعض التحريف في النطق، وكان كولومبس نفسه استعان بمرشدين عرب مسلمين، وفي كتابه (قصة أمريكا) أورد المؤرخ (باري نيل) الكثير من الأدلة التي تشير لتواجد العرب المسلمين في أجزاء من أمريكا ومن بين هذه الأدلة خرائط وآثار وأسماء عربية إضافة إلى كثير من العادات التي تؤكد وجود إتصال بين هنود أمريكا والمسلمين العرب، ولقد أكدت آخر الإكتشافات الأثرية في امريكا الشمالية والوسطى والجنوبية بما لا يدع مجال للشك أن العرب القدامى من الفينيقيين والكنعان هم أول من إكتشف تلك المناطق، فهنالك كتابات صخرة دايتون في أمريكا، والمزيج اللغوي في لغة وعبادة قبائل التسندال بالمكسيك والذي يحتوي على كلمات عربية قديمة، إلى مجموعة من الكتابات الكنعانية على الصخور الواقعة على ضفاف نهر الامازون، إلى كتابة صخرة غافيا في عاصمة البرازيل، ولذلك فإننا نجد في تراث الهنود، سكان البلاد الأصليين في إمريكا والمكسيك يتكلمون في موروثهم وثقافتهم القديمة عن ذلك الإنسان الأبيض، الإله الرحيم الذي كان قد دخل أرضهم وكان مثالاً رائعاً للحضارة والإنسانية، ولذلك عندما جاء ذلك المحتل الأوروبي الأبيض لتلك القارة، إعتقده سكانها أنه من نفس سلالة أولئك العرب القدامى الذين قد جاؤوا إليه في الماضي البعيد، قبل أن يصطدموا بحقيقة أولئك الأوروبيين الوحشية والهمجية والعدوانية، وفي كتاب (أحوال التربية الإسلامية في أمريكا) ذكر الدكتور كمال النمر أن بعض البحارة المسلمين انطلقوا من الأندلس عام ١١٥٠م واستقروا على

شـواطئ مـا يعـرف الآن بالبرازيـل وهنـاك كـثير مـن المصـادر الإسـلامية الـتي تحـدثت عـن رحـلات بحريـة تمـت في المحـيط الأطلسـي مثـل كتـاب الإدريسـي (نزهــة المشـتاق في اخـتراق الآفـاق) و(مسـالك الأبصـار في ممالـك الأمصــار) لشـهاب الـدين العمـري، وقـد كتـب فهـد عـامر الأحمـدي الصـحفي في جريـدة الريــاض السـعودية في عـــددها الصـــادر بتـــاريخ ١٥\٥\٢٠٠٥ في مقالـــة بعنـوان (أول مسـلم اكتشـف أمريكـا .. لم يـأت مـن الصـين) مـا نصـه: وأخـيراً يوجـد في متحـف تـايوان (الـتي يغلـب عليهـا كسـنغافورة العـرق الصـيني) مخطوطـة تـدعى «وثيقـة سـنج» قـدمت عـام ١١٧٨م الى امبراطـور الصـين جـاء فيهـا ان البحـارة العـرب اكتشـفوا اراضـي جديـدة تـدعى مـولان بـي (امريكـا حالياً).

لقـد خاضـت سـفن العـرب المسـلمين عبـاب البحـار والمحيطـات، وانتشـرت سـفنهم لتؤسـس طرقـاً تجاريـة بـين آسـيا الوسـطى وبحـار الصـين، وشـواطئ البحـر الأبـيض المتوسـط وسـاحل إفريقيـا الشـرقي وجـزر المحـيط الهنـدي وسـواحل بحـر البلطيـق والأنـدلس وشـواطئ المحـيط الأطلسـي، ودونـت الكتـب أخبـارهم ككتـاب (أخبـار الصـين والهنـد) وغـيره، ليتركـوا ميراثـاً مهـولاً مـن المعلومـات والكتـب والمخطوطـات القيّمـة الـتي ألهمـت الكـثيرين علـى مـر الأجيـال وهـاهو المستشـرق الروسـي (إغنـاتي يوليـا نـوفيتش كراتشكوفسـكي) يقـوم بـأعظم دراسـة تحليليـة لـلأدب الجغـرافي العربـي ولمصـادره ولنقـد الأبحـاث الصـادرة عنـه، والـذي أتمهـا في لينينغـراد عـام ١٩٤٣م أثنـاء الحـرب العالميـة الثانيـة والـتي تعتـبر اليـوم مرجـع أساسـي لأي باحـث في هـذا المجـال، وكـان مـن قبلـه العلامـة الهولنـدي (ميخيـل دي خُويّـة) والـذي قـام بنشـر سلسـلة (مكتبـة الجغـرافيين العـرب) والـتي اكتمـل عقـدها بظهـور الجـزء الثـامن في لايدن عام ١٨٩٤م، وعنوان هذه السلسلة باللاتينية:

(Bibliotheca Geographorum Arabicarum) وغيرهـم الكـثير، وكـان المستشـرقون الأوربيـون مـن أوائـل مـن أهـتم بدراسـة وتحليـل الأدب الجغـرافي العربي للإستفادة منه والتعلم عنه.

رابعاً: أوروبا القارة العجوز:

كثيرا ما نسمع بأوروبا القارة العجوز ونرددها بشكل أوتوماتيكي، ويقال إنها سميت بهذا الاسم باعتبار أن فيها أقدم الحضارات وهي بالتالي مهد الحضارات وآخر يقول انها سميت بهذا الاسم كونها الأكثر قدما من الناحية الجيولوجية، ورأي آخر يقول انها لقبت بهذا اللقب كونها احتضنت بذور الفلسفة الاغريقية، وسنحلل كل تلك الاحتمالات لنرى كيف استحقت اوروبا هذا اللقب، وعلى أي أساس.

ولنبدأ بالاحتمال الأول وهو أنها مهد الحضارات، وهذا ما لا يصدق باعتبار أن العلم قد أكد، والعالم قد اجمع على اعتبار المنطقة العربية هي منشأ الحضارات وهي أساس الانسانية الأولى وفيها زهرت أول ثمار الحضارة البشرية، وتلك المكتشفات واللقى الأثرية لخير شاهد على أن الحضارة الأولى كانت في بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية ومصر، وفي أرض العرب توجد أقدم المدن المأهولة في التاريخ كدمشق والقدس وغيرها، وفي الأرض العربية أسست المجتمعات البشرية الاولى واستطاع الانسان العربي في سوريا والعراق من بناء البيوت والمدن ووضع أسس الزراعة، وتدجين الحيوانات.

واما انها الأكثر قدما من الناحية الجيولوجية فهذا أيضا غير دقيق على الاطلاق، حيث أن في العالم مناطق تعتبر أقدم من اوروبا جيولوجيا، وبعض المناطق تعتبر الأقدم على سطح الأرض إذ يتجاوز عمرها (٤ بلايين) عام وهي تقع خارج نطاق القارة الأوروبية.

والرأي الذي يقول بانها سميت بهذا اللقب بسبب كونها احتضنت نشأة الفلسفة الإغريقية، فأقول لأصحاب هذا الرأي على الأرض العربية اخترع الحرف والكتابة وفي الارض العربية كان مهبط رسالة السماء، وفيها منشأ الديانات، وفي الأرض العربية أنشأت أول الجامعات والمكتبات، وفيها وجد التعليم النظامي، وعلى الأرض العربية سنّت أول القوانين، ووضعت أول الدساتير.

وأما إذا كانت أوروبا قد لقبت نفسها بالقارة العجوز لتكون مقابلا لاسم العالم الجديد الذي يطلق على قارتي امريكا الشمالية والجنوبية، باعتبار ان الأوروبيين يعتبرون أنفسهم مكتشفي امريكا، وبالتالي فإن قارتهم اوروبا من وجهة نظرهم تمثل العالم القديم أو القارة العجوز فلندعهم وشأنهم وهرطقاتهم، على ان لا ننخدع بمقولاتهم وننجر ورائها ونرددها وكأنها حقائق علمية بحتة.

يبقى احتمال واحد لم نذكره وهو الذي يقول أنها سميّت بهذا اللقب كون سكانها هم الأكثر شيخوخة بين سكان قارات العالم الأخرى، وهذا الاحتمال لن اجادل فيه إذ ليس لدي احصائية واضحة حول هذا الأمر ولكن قبل أن أنهي حديثي في هذا الموضوع أحب أن أنوه إلى أن اسم أوروبا نفسه قد أخذ من اسم اميرة سورية قديمة كانت ابنة لملك صور.

ويبقى السؤال من الذي يستحق لقب القارة العجوز أو الأرض العجوز.

أما آن الأوان

أمـا آن الأوان للعـرب المسـلمين أن يغـيروا النظـام التعليمـي في العـالم العربـي الإسـلامي الـذي لا يخـرّج مفكـرين ولا مبـدعين، وإنمـا يخـرّج أنـاس يـرددون المعلومـات دون فهـم أو تفكـير، وينشـؤوا نظـام يعلمهـم أن لا يقبلـوا أمـراً إلا بعـد تـدبر وبرهـان، نظـام تعليمـي يـرفض نظريـة أنـا أفكـر وعليـك أن تسـمع وتطيع، ويؤمن بنظرية لنفكر معاً ونتقاش معاً ولنعمل معاً.

أمـا آن الأوان للعـرب المسـلمين أن يعملـوا بأسـلوب علمـي ويقومـوا بتعبئـة شـاملة للمـوارد البشـرية والإقتصـادية، والعمـل بشـكل جـاد مضـني وفـق تخطـيط دقيـق بعيـدأعن الأحـلام، ويـدركوا أن الـدعوات الطوباويـة لاتحـل المشـكلات، وأن المطلـوب هـو الحنكـة والحكمـة ومزيـد مـن إسـتخدام العقـل، ولـيس مجـرد الحمـاس والعنـاد ومناطحـة الصـخر، معتمـدين علـى أنفسـهم بعـد التوكـل علـى الله، مـؤمنين بـذاتهم وبدينـهم وبقـدراتهم، لينهضـوا أخـذين مكانهم الذي يستحقون؟!.

أمـا آن الأوان للعـرب المسـلمين مـن أن يتخلصـوا مـن ظـاهرة (الفـرد - القيـادة التاريخيـة) الـتي تقـبض بيـديها علـى كـل السـلطة وتلغـي الآخـرين، ويتعلمـوا أن القيـادة لا بـد أن تكـون جماعيـة، ويجـب منـع تمركـز السـلطة في أيـدي فـرد واحـد، أو أفـراد قلـة، ويجـب التفرقـه بـين العمـل الحزبـي والعمـل الحكـومي، بمعنـى أن القيـادة يجـب أن تكـون للمؤسسـات، للقضـاء علـى الإسـتبداد تمامـاً، فالمسـتبد لا يمكـن أن يقـرب إلا الأشـرار الـذين يتملقونـه، والـذين يصـلحون للقيـام بالأعمـال الدنيئـة والشـريرة لإرضـائه، وهـذا بعكـس الإنسـان الحـر الـذي يـأبى التملـق والخسـة والنفـاق، وإن طـول مـدة الحكـم، أي حكـم يسـارياً كـان أم يمينيـاً شـرقياً كـان أم غربيـاً سـتؤدي لاحقـاً إلى خـدر العقـول وإخمـاد النقـاش السياسـي وهـذا مـا يعـني لاحقـاً سـقوط ذلـك الحكـم وزوالـه، لـذلك، فعلـى العـرب المسـلمين إذا مـا تمكنـوا فحكمـوا أن يعملـوا دومـاً على التفكير في مشروعات جديدة للغد وللمستقبل.

أمـا آن الأوان لأجيـال العـرب المسـلمين، الـذين خرجـوا مـن رحـم الرضـوخ والاسـتكانة والهزيمـة، أن تأخـذ قـرار المواجهـة والبنـاء، مندفعـة للعـودة بقـوة إلى مبادءهـا الربانيـة الأصيلة متشـرية طاقـة الحـق الوثابـة مـن النبـع القرآنـي، وهـي الـتي ضـاقت سـخطاً وغضـباً علـى كـل انحـراف وهزيمـة وتخلـف حلـت بأمـة العـرب المسـلمين، لترفـض تلـك الظـروف الصـعبة القـاهرة والـتي يحـاول أعدائها تكريسها كنمط مستمر لحياتهم.

أمـا آن الأوان للعـرب المسـلمين أن يطفئـوا ويخمـدوا تلـك النـار المشـتعلة والمتأججـة في قلـوب فئـة مـن النـاس سـلّموا للعـرب المسـلمين ولكنـهم لم يسـلموا، تمامـاً كمـا أطفئـوا نـيران المعابـد المجوسـية لتلـك الفئـة الغـادرة الحاقـدة الـتي قتلـت سـيدنا عمـر بـن الخطـاب، وعثمـان بـن عفـان، وعلـي بـن أبـي طالـب، والـتي كانـت تعمـل في الخفـاء، أمـا الآن فإنهـا تعمـل في العلـن علـى مرآى ومسمع من العالم أجمع.

أمـا آن الأوان لأجيـال العـرب المسـلمين أن تفجـر ثـورة الحـق مـن جديـد لتعيـد الإعتبـار للعروبـة ولقيمهـا الإنسـانية والأخلاقيـة، ولتسـقط أوثـان الإسـتبداد والتخـاذل والهزيمـة، فتغـدوا نحـو المسـتقبل بخطـوات واثقـة نحـو النـهوض والنصـر والبنـاء علـى أسـاس صـلب مـن العقـل والعـدل والكرامـة والحريـة، لتـتخلص مـن كـل الموروثـات الفاسـدة والمحبطـة والرتيبـة، والـتي تجعـل مـن العربـي المسـلم أسـير الخرافـة والجهـل والإسـتبداد، فتعـود إلى الإسـلام العربـي الربـاني، هـذا الإسـلام الـذي تجـاوز الجميـع وسـبقهم بعـد أن اسـتوعبهم، ذلـك الإسـلام الـذي يخاطـب العقـل قبـل العاطفـة، والـذي أوجـد التـوازن بـين الغرائـز والحاجـات، والـذي جعـل الإنسـان منسـجماً مـع نفسـه ومحيطه.

أمـا آن الأوان للعـرب المسـلمين مـن أن يقومـوا بعمليـة إصـلاح شـاملة وجذريـة وتفعيـل كـل طاقـات الأمـة مـن أجـل معركـة المصـير، والتحـرر مـن كـل قيـود التبعيـة الفكريـة والسياسـية والإقتصـادية والعسـكرية للآخـرين، إصـلاح حقيقي يخرج العرب من طور الأحلام إلى طور تحقيقها وجعلها أمراً واقع.

أما آن الأوان للعرب المسلمين أن يفهموا أن الصراع بينهم وبين الصهيونيه هوصراع تاريخي ومستمر ما بقيت الصهيونيه محتله لأرضهم، وهو صراع لن ينتهي في جيل أو جيلين، لذلك حين يطلب من جيل واحد فقط أن يصفي تركة هذا الصراع المتفجر منذ أكثر من مائة سنه، فالذي يطلب عملياً هو خيانة الأمانه والتسليم للعدو والخروج من الصراع، ولنا في ما سبقنا عبره فالعرب المسلمون قاوموا الغزو الصليبي أكثر من مئتي سنه، وحتى بعد تحرير القدس على يد صلاح الدين، فإن تطهير الأرض العربية من دنس الوجود الصليبي، أستمر بعد ذلك لمائه سنه أخرى.

أما آن الأوان للعرب المسلمين من أن يتركوا التنويريين المتحررين المرتدين الذين يدّعون العروبة، خريجي المدارس الفلسفية والفكرية الغربية المختلفة، مع شركائهم الأصوليين أنصار تقييد العقل بكوابح المسلمات والمقولات الصنمية، في الزوايا المظلمة حيث هم ويتجاوزوهم لهدم ثقافة الظلام والإنحلال والضياع الخارجة من رحم الهزيمة واستلاب العقل وأسر حريته، فيخرجوا الوضع العربي من حالة رد الفعل إلى حالة الفعل، وأن يوقفوا تبعيتهم العمياء لعمامة بيضاء أو سوداء أو خضراء، ويجعلوا تبعيتهم لنهج الله الحق في كتابه بعد فهمه باللسان العربي المبين، ورفض عبوديتهم لغير الله عز وجل، فيسكتوا تلك الأصوات النشاز المجوجة باليأس والإحباط والتي تتعالى يوماً بعد يوم، فينطلقوا إلى تحرير ذواتهم ودولهم وأقصاهم، ويعملوا على تحرير العالم وإرجاعه عربياً من جديد كما خلقه الله من قبل، فيملؤوا الأرض عدلاً بعد ما ملئت جوراً وظلماً، فيجعلوها رسالتهم، فكل جيل يقوم بما يستطيع ويسلم الراية إلى من سيأتي من بعده، حتى لا يموتوا على فراشهم حتف أنوفهم كما تموت البعير. أحسب أنه قد آن الأوان لكل هذا، فلا نامت أعين الجبناء.

فهمنا الخاطئ لمفهوم السعادة

ربما كانت التعاسة والحزن والسخط وعدم الرضا بين البشر من أكثر سمات هذا العصر الذي نحيا فيه، وكنت قد أستبينت آراء الناس في لقاءاتي ونقاشاتي معهم، وهم من مختلف المشارب والطبقات والاتجاهات فكنت أسألهم أولا : هل أنت سعيد في حياتك؟ فكان الجواب الدائم على ألسنة جميع من سألت هو: لا، إلا قلة قليلة، فكنت أتبع سؤالي الأول بالثاني: ما هو مفهومك عن السعادة؟ وكانت تأتيني إجابات مختلفة، ولست هنا بصدد تحليل الإجابات ولكني توصلت من خلالها إلى أن قلة من الناس اليوم الذين هم راضون عن ربهم، وأما اكثرهم فلا، فهل حقاً قد ضاعت السعادة بين الناس أم أن الناس أنفسهم باتوا يتعامون عن السعادة الحقيقية والدائمة، ويسعون لاهثين إلى سعادة مزيفة مؤقتة، وإذا اتفق المفكرين والفلاسفة الأولين على أن تعريف السعادة هي عبارة عن حالة من السكينة والطمأنينة البعيدة عن القلق والتي تتصف بالديمومة رغم اختلافهم في أسبابها وشروطها الباعثة عليها، فإني أتساءل، كيف يمكن لإنسان أن يشعر بطعم السعادة الحقيقية وهو منقطع عن نبعها الأساس وهو الإتصال بالله عز وجل، فلو فكر أي إنسان بعطاءات الخالق له ولسواه وتلك النعم اللا محدودة التي أهديت إلينا من لدن الله عز وجل بشكل مباشر دون أن نطلب أو نتزلف أو حتى ان نتمنى، لكان عليه ان يستطعم السعادة في كل ثانية من عمره، يقول تعالى: (وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) [إبراهيم: ٣٤].

فلو إنا قد وضعنا الحياة بكل متعها وبهرجتها في كفة ميزان، وخيّر أي واحد منا أن يتنازل عن نعمة واحدة من نعم الله عليه كالبصر أو السمع... إلخ، فهل كان سيقبل؟.

فلماذا إذاً كل هذا الجحود والغضب والتمرد على الله، ألأنه لا يمنن خلقه في كل يوم بما أعطاهم وسيعطيهم، أم لأن الله رحيم بخلقه فلا

يعجل على من تمرد وطغى وبغى وضل منهم، ألا يستحق الله منا كل الشكر والامتنان، يقول تعالى: (قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) [النمل: ٤٠]، ألم يكن خير خلق الله محمد ﷺ في كل حركة من حركاته يظهر ذلك الإمتنان لفضل الله عليه، فكان ﷺ إذا نظر في المرآة قال: (الحمد لله الذي خلقني فسواني، اللهم كما أحسنت خَلقي فحسّنْ خُلُقي) وإذا لبس ثوباً قال: (الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي)، وإذا أكل طعاماً قال: (الحمد لله الذي أطعمنا فأشبعنا، وسقانا فأروانا، وجعلنا مسلمين)، وإذا شرب ماءاً قال: (الحمد لله الذي جعل الماء فراتاً برحمته، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا)، وإذا ركب مركوباً قال: (الحمد لله... سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين).

إن هذه النفوس التائهة والمحرومة من لذة الإتصال بالله عز وجل قد خسرت أجمل ما في الحياة وضاعت في زواريبها العابثة، يقول أبو العتاهية:

فيا عجباً كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد
ولله في كل تحريكة ... وتسكينة في الورى شاهد

فالمؤمن الحقيقي الحر هو الذي يعبد الله حباً وكرامة لأنه يستحق عز وجل أن يعبد، وقد قيل: (إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار).

وحدث أنني كنت في أحد الأيام أستقل إحدى وسائط النقل العام، وصدف أن في المقعد المجاور لي كان يجلس شاب تظهر على ملامحه البساطة الشديدة، فدار بيني وبينه نقاش وعرفت منه أنه في الثانية

والثلاثين من عمره يدعى (ط. أ) وصل في تعليمه حتى الصف السادس الابتدائي، وهو يعمل مستخدماً في أحد دوائر الدولة، ويعمل بعد انتهاء دوامه عملاً إضافياً وهو بيع الأكياس البلاستيكية للمتاجر التي يدور عليها عارضاً بضاعته، وعليّ أن أعترف بأنه عندما دار بيننا النقاش للوهلة الاولى لم أكن أتخيل بان هذا الجالس أمامي سيخرج منه كل ذلك الإيمان الصادق وكل تلك الحكمة، فما ان تكلم الرجل ببساطته، إستمعت إليه منصتاً ولما أنهى كلامه سألته نفس السؤال: هل أنت سعيد في حياتك؟ فأجابني على الفور دون تردد قائلاً: الحمد لله.. الحمد لله ولماذا لا أكون سعيداً، فقلت له: ولما أنت سعيد؟ فأجاب: عندي زوجة طيبة مطيعة كانت معي في السراء والضراء، وعندي منزل آوي إليه في المساء، وقد أعطاني الله من رزقه بما يشبعني وزوجتي ولم يحجني لأحد سواه، فلماذا لا اكون سعيداً، ثم قلت له: ماذا لديك من اولاد؟ فقال: لدي رحمة الله، أنا متزوج من سنتين وأعطاني الله ولداً ثم أخذه فلم يعش، الحمد لله على كل حال، لقد قالها بتسليم كامل ورضى بقضاء الله عز وجل وشعرت بسعادة تغمرني وأنا أستمع لهذا الشاب والذي ربما لو مر من بين كثيرين منا فإنه لن يلفت نظر أحد إليه لبساطته الشديده ورقة حاله، فقلت له: إنك يا صديقي مثال للمؤمن الصادق فإني قد سألت كثيرين غيرك نفس السؤال وكانت إجابتهم هي بأنهم لا يشعرون بالسعادة، فأجابني على الفور قائلا: ذلك أنهم لم يفهموا الحياة، وتكلم كلاماً رائعاً جعلني أخبره في نهايته بأنه فيلسوف حقيقي، فطلب مني أن أتوقف عن مديحه، فقلت له: إن مدح الإنسان في وجهه مذمة ولكني أجد نفسي مضطراً لأعبر لك عن سعادتي لما قلته، لأنك قد قلت حقاً كلاماً لم أسمعه من أصحاب الشهادات العلمية العالية وأصحاب المال والاعمال، فلما وصلنا إلى نهاية الطريق وودعنا بعضنا، أخبرته بأننا إذا كنا من أصحاب الأعمار الطويلة فلربما نلتقي مجدداً، فقال لي: لا تقل لأحد أطال الله عمرك لأنك ربما كنت تدعو له بالشر والعذاب ولكن قل بارك الله في عمرك فذلك أفضل، فشكرته

وودعته وهو يدعو لي دعوات كثيرة أسأل الله أن يتقبلها منه، إن هذه الحادثة جعلتني أذكر قول الشاعر:

ترى الرجل الهزيل فتزدريه   وفي أثوابه أسد هصورُ

وكانت صدفة جميلة تلك التي جمعتني مع هذا الشاب البسيط رقيق الحال، لأرى فيه نموذجاً صادقاً لمؤمن سعيد بما آتاه الله عز وجل، راضياً تمام الرضى عن ربه دون تأفف أو تململ أو تذمر، متفائلاً بالمستقبل، وتساءلت كيف سيكون مجتمعنا لو ان فكر هذا الشاب كان حالة عامة فيه وليس حالة استثنائية عابرة؟!.

ومن الغريب حقاً أن يحيى بعض البشر وهم مستغنين عن رحمة الله ولطفه بهم، فيعيشون في غربة عن الحق، مفتقدين تلك السعادة التي لا تتم إلا باستشعار عظمة نعم الخالق فينا، وكل من اختار أن يحيى بعيدا عن الله تراه يعيش في حالة مستمرة من الخوف والقلق وقد تصل ببعضهم إلى درجة الانتحار، فهم كمن يمشي في ظلام دامس لا يرى فيه شيئاً، ومن كان كهؤلاء فمن أين له أن يستشعر السعادة والطمأنينة، بل إن بعض الناس قد وصلت بهم الوقاحة والفجور إلى التطاول على الله عز وجل ومس الذات الإلهية بأفظع وأقبح الألفاظ، فصح فيهم قول الله عز وجل: (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا) [الطارق: ١٧].

لقد خلق الله الخلق وكان أعلم بهم، فأعطاهم كل ما يمكن للإنسان أن يرجوه ويتمناه، تتحقق لهم تلك السعادة المرجوة في الحياة وبعد الممات شرط أن يمشوا على الدرب الإلهي الذي رسمه الله لهم، يقول تعالى: (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى) [طه: ١٢٣ - ١٢٦]، وهذا القول هو فصل الخطاب، فطوبى لمن فهم معنى السعادة الحقيقية واستمسك بها، عن السيدة عائشة رضي الله عنها

قالت: كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا، يا رسول الله، وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً.

فكل ما عدا ذلك سعادة مؤقتة سرعان ما تزول وتتلاشى، فمن كان مع الله كان الله معه، ومن كان الله معه كيف له أن يخشى شيئاً، عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل، قال: ((إذا تقرب العبد مني شبراً تقربت منه ذراعاً، وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة)).

فالمؤمن العاقل هو ذلك الإنسان الذي يسعى بروح الأمل دوماً في شتى مجالات حياته فيعمل متوكلاً على الله منتظراً منه بشارة النجاح والخير، سعيداً بما اعطاه الله وقسم له، متيقناً بقرب الله منه، يقول تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة: ١٨٦]، وما مشاكل الحياة وعذاباتها إلا تذكيراً لهذا الإنسان بهذه السعادة التي اعتادها فنسيها، وظنها تحصيل حاصل، فمن نسي سعادة الصحة لن يذكرها حتى يمرض، ومن نسي سعادة المال فلن يذكرها حتى يفتقر، ومن نسي سعادة الطمأنينة والأمان لن يذكرها حتى يقلق ويخاف، ومن نسي سعادة الحق فلن يذكرها حتى يسقط في الباطل، فالأشياء تعرف بأضدادها، فالله سبحانه وتعالى يدخل عباده في عملية تنقية دائمة من خلال اختبارات حياتية تختلف شدتها باختلاف الشخص نفسه، وقد ورد في الأثر: " وعزتي وجلالي لا أقبض عبدي المؤمن وأنا أحب أن أرحمه، إلا ابتليته بكل سيئة كان عملها سقماً في جسده، أو إقتاراً في رزقه، أو مصيبة في ماله أو ولده، حتى أبلغ منه مثل الذر، فإذا بقي عليه شيء شددت عليه سكرات الموت حتى يلقاني كيوم ولدته أمه "، فمن كان منهم ضالاً طريقه يجب أن يفهم أنها إشارة السماء له ليرجع إلى الحق ومن كان منهم على الحق فأختُبر، فعليه أن يعلم أنه يُختبر في صدق إيمانه وثباته على الحق وتطهيراً له من أي سوء، فعلى

الناس أن يفهموا بأنهم في امتحان مستمر في هذه الحياة لا ينتهي إلا بالموت، عندها فقط سيعلم كل منا نتيجة أفعاله، فإما النجاح والجنة والسعادة الأبدية، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]، وإما الرسوب وجهنم وعقاب شديد، ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧]، لذلك فإن المؤمن الحر هو ذلك الذي يتذكر السعادة المهداة له من الله في كل أحواله ولا ينتظر أن يفقدها حتى يتذكرها وصدق الله عز وجل إذ يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

الخاتمة

بعد كل ما تقدم ذكره، نرى ان أعداء العروبة قد سعوا إلى انتهاج كل الوسائل واتباع كل الطرق لتدمير أمة العرب الربانيين، وحرفهم بعيداً عن الإسلام العربي، وطوال قرون لم يدخروا جهدا في سعيهم هذا، فنشروا بذور الخلاف والشقاق بين أبناء الأمة الواحدة وأججوا فيها نيران التعصب الأعمى دينياً وقومياً وقبلياً، عاملين على قلب الحقائق وتشوية التاريخ فيها، ولما عمّت غشاوة الحيرة والتخبط عقول ونفوس العرب المسلمين زجهم أعدائهم في دوامة لا متناهية من الأفكار والنظريات والآراء المتناقضة فعمت ظلمة الجهل والفقر والخلاف والتناحر أرواح أحفاد أولئك الأحرار الأنجاد، فتعطلت أفهامهم، وانطفئت عقولهم، وغابت شمسهم، وضاعت قضيتهم الجامعة وانفرط عقدهم، وحولت مجتمعاتهم الرحيمة الخيرة المتآلفة إلى مجتمعات مادية أنانية منحلة الأخلاق مقطعة الأرحام غليظة القلب، وبعد أن نجح أعدائهم من اختراقهم واستعمارهم ونهبهم، فرضوا نمطاً مشوه من الفكر والسياسات والسلوك عليهم، ومن المعلوم أن من يتحكم بفكر أمة ما، فأنة يسيطر على تلك الأمة، فعمت الأخطاء وتضخمت حتى أعاقت كل وسيلة من وسائل القيام والنجاح والتقدم لهذة الأمة، فتساقطت حصونها الواحد تلو الأخر، وأخترقت دفاعاتها تباعاً، وتفككت قوى العرب الجامعة واستنزفت، ووضعت العقبات في وجه أبناءها من العقلاء والشرفاء المخلصين، ومنعوا من التقدم إلى الصفوف الأمامية وحرموا الصدارة، وضاع قرن ونصف من الزمن وهذه الأمة تدور في حلقات مفرغة، من صراع القوميات وحروب الحدود وجدل الأديان وكراهية الإخوة والسقوط في آتون الظلم والإستبدادوالفقر والجهل، فتبدلت أولوياتها .

لقد أستُهدف العرب المسلمين في هويتهم وتاريخهم ودينهم ولغتهم ومساجدهم ومدارسهم، وكل ذلك حتى لا تقوم للإسلام العربي قائمة،

ذلك الإسلام العربي الذي جاء ليعلن الوحدانية لله عزوجل وليهدم طواغيت البشر ممن جعلوا انفسهم آلهة من دون الله والذي شكل خطراً وزلزل أنظمة الكفر والإلحاد والإستعباد والهمجية بالشعوب.

لذلك فقد عمل الغرب المتصهين من خلق حالة من الفوضى الخلاقة والتخريب المنهج في هيئات العرب المسلمين التعليمية والإدارية والمالية والسياسية والدينية، من خلال اختراقها من قبل أناس دعموا بكل الوسائل، ومهدت لهم الطرق للوصول إلى المراكز الحساسة والعالية والخطيرة، ليمارسوا من خلالها عملية الهدم الداخلي مستفيدين من تلك السلطة والنفوذ الممنوح إليهم، فسيطرت تلك الفئات الإنتهازية الفاسدة والمنحرفة والتي على أكتافها قامت أنظمة الإستبداد والظلم، وكانت تلك الفئات المنافقة والمتملقة أكثر من أستفاد من تلك الأنظمة، والتي أستفادت منهم بدورها من خلال جعلهم أدوات وضيعة في يد تلك الإنظمة الإستبدادية.

وأمام هذه الصورة السوداء ظن البعض أن هذه الأمة قد أصبحت أرضاً بوراً خراباً لا حياة فيها ولا أمل يرجى منها، إلا أن تلك الصورة لا تعكس الواقع الحقيقي برغم ما فيه من ألم ومرارة، فهذه الأرض تحوي في باطنها أسباب الحياة والبركة، فإذا ما جاءت غيمات الخير والبشر وهطلت بماءها عليها، فلسوف تجدها تحيا وتربو وتشرق بأنواع الحياة وتعطي بما لا عين رأت ولا أذن سمعت، يقول رسول الله ﷺ:(إن الخير باقٍ في أمتي الى يوم القيامة)، وعندما نتكلم عن غيمات الخير والبشر هنا، فإنما نقصد تلك الفئة من العرب المؤمنين، الذين فهموا الهدف ووحدتهم القضية وسعوا بكل قواهم لإدراك الغاية متوكلين على الله ومتسلحين بفهم عربي للقرآن الكريم ومستعينين بالصبر والحزم والعزم والكتمان، ومستعدين للحظة المواجهة المصيرية مع قوى الإستبداد والطغيان في هذا العالم، تلك الفئة المؤمنة التي تعلم أن كل من يتبع طريقاً يجهله ودون ان يستعد له بشكل مناسب عليه ان يتوقع الأسوء، والتي تدرك أن الفهم الخاطئ للأشياء يؤدي إلى الفعل الخاطئ وبالضرورة إلى النتيجة الخاطئة، وهذا ما يقود لاحقاً

إلى توقف عملية التطور الطبيعي ويدفعها بالإتجاه المعاكس، تلك الفئة المؤمنة التي تفهم وتعي أن السلاح الحاسم في المعارك الكبرى والفاصلة بعد التوكل على الله عزوجل إنما يكمن بالتنظيم والخطط، والإعداد بالرجال، والإستعداد بالسلاح، والبذل في المال، وليس فقط بالتمنيات والدعوات وحجم المشاعر.

إن العالم اليوم يعيش في حالة من الظلم الإنساني والضياع الأخلاقي والفراغ الروحي، وذلك كله بسبب تضييع البوصلة الربانية، لذلك فقد صار لزاماً على العرب المسلمين اليوم الإنتفاض من غبار قرون التغييب القسري والتجهيل الذاتي، وتحطيم كل تلك القيود من الأكاذيب والإدعاءات الباطلة والصور المشوهة والتي أدت إلى تنكيس رايتهم وتضييع شخصيتهم الأصيلة، وذلك حتى يستطيعوا من استعادة وممارسة دورهم المحوري والقيادي في هذا العالم، وأخذ مكانهم الذي يستحقون، وليدخلوا دائرة الفعل بدل الإكتفاء برد الفعل، وليعيدوا إحياء تلك القيم والمثل العربية العليا والسامية والشريفة في حياتهم والتي كانت جزء أصيل من شخصيتهم الفذة والرائعة، وأولها الشرف والأخلاق والنبل والجرأة والشجاعة والإخلاص والعطاء، ولن يكون ذلك إلا بالتعلم من كل تلك الاخطاء الماضية والتي تعينهم على إعادة بناء الأمة حجراً حجراً لتحقيق إنجازات ثابتة وحقيقية تمكنهم من التقدم الى الأمام وإرجاع الحق إلى نصابه والإنتقام من كل قوى الشر والطغيان، وإعادة الإتصال بالله عز وجل من خلال تفعيل قرآنة العربي في ذواتهم وعقولهم وسلوكهم، والمشي على خطى نبية العربي محمد، في إتباع تعاليم الإسلام العربي، واضعين قول عمر بن الخطاب رضي الله عنة بين أعينهم إذ يقول: "إنكم لاتغلبون عدوكم بعدد ولا عدة ولكن تغلبونهم بهذا الدين فاذا استويتم انتم وعدوكم في الذنوب كانت الغلبة للأقوى"، وذلك كي يرجع للعرب المسلمين مجدهم وعزهم، فيسترجعون إحترامهم لأنفسهم وينتزعون إحترام الآخرين لهم، فيعم الخير والعدل والبركة بهم ولهم.

وأخيراً يقول الشاعر هارون هاشم رشيد :

لـــن ينـــامَ الثـــأرُ في صـــدري وإن طـــالَ مـــداه

لا.. ولـــن يهـــدأ في روحـــي، وفي قلـــبي لظـــاه

صـــوتُ امـــي لم يـــزلْ في مســـمعِ الـــدنيا صـــداه

وأبي.. مـــا زالَ في سمعـــي وفي روحـــي نـــداه

***

أنْ تقـــدمْ.. ثابـــتَ الخطـــوِ إلى الحـــق، تقـــدمْ

وتقحـــمْ.. حالـــك الأهـــوالِ للثـــأر تقحـــمْ

ســـوف تطويـــكَ الليـــالي الســـودُ.. إن لم تـــتعلمْ

كيـــف تطفـــي غلّـــة الثـــأرِ بـــنيران ودمْ

المصادر

١ - القرآن الكريم.

٢- كتاب صحيح البخاري بتحقيق د. مصطفى البغا مكتبة دار العلوم، دمشق ١٩٩٨.

٣- تفسير الطبري / محمد ابن جرير الطبري، دار إحياء التراث بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠١.

٤- (كتب العهد القديم والعهد الجديد) النسخة الصادرة عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

٥- تاريخ فلاسفة الإسلام في الشرق والغرب/ تأليف محمد لطفي جمعة / المكتبة العلمية بيروت.

٦- المسلمون الأعراب / تأليف خالد محمد حمد / دار يعرب للدراسات والنشر والتوزيع دمشق الطبعة الثانية ٢٠١٠.

٧- تكثير الأقلية وتقليل الأكثرية / تأليف خالدد محمد حمد / دار يعرب للدراسات والنشر والتوزيع دمشق ٢٠١٢.

٨- الإستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء / إدوارد سعيد / ت.كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٥.

٩- أنساب العرب / سمير عبد الرزاق القطب / الدار العربية للتوزيع، الزرقاء الأردن.

١٠- تاريخ الدولة الأموية / د محمود السيد / مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ٢٠٠٢.

١١- لماذا ظهر الإسلام في جزيرة العرب / أحمد موسى سالم /.

١٢- الحديث النبوي والتاريخ / د. أحمد جمال العمري / دار المعارف القاهرة ١٩٩٠.

١٣- فجر الإسلام / أحمد أمين / دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٥.

١٤- شبهات حول التغريب في غزو الفكر الإسلامي / أنور الجندي / المكتب الإسلامي دمشق ١٩٧٨.

١٥- السيرة النبوية وأوهام المستشرقين / عبد المتعال محمد الجبري / مكتبة وهبة القاهرة ١٩٨٨.

١٦- طبائع الإستبداد / عبد الرحمن الكواكبي / الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٣.

١٧- العروة الوثقى / السيد جمال الدين الفغاني والشيخ محمد عبده / دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٣.

١٨- دولة الرسول في المدينة / د. محمد ممدوح العربي / الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨.

١٩- تطور علم التاريخ الإسلامي حتى نهاية العصور الوسطى / د. أحمد رمضان أحمد / الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩.

٢٠- المدخل إلى التاريخ العربي / إسماعيل العربي / دار الفكر دمشق ١٩٨٢.

٢١- لسان العرب، العلامة إبن منظور / ت. أمين محمد عبد الوهاب / دار إحياء التراث العربي بيروت.
٢٢- ملاحظات حول السينما الصهيونية / عز الدين المناصرة / دار يعرب، دمشق ١٩٨٩ .
٢٣- كتاب الفوائد / الإمام إبن قيم الجوزية / دار مكتبة الحياة، بيروت.
٢٤- القوى الفاعلة في القرن الحادي والعشرين / د. خير الدين عبد الرحمن / دار إشراق، عمان ١٩٩٦.
٢٥- من الأسطورة إلى التوحيد، التحريف من الموسوية إلى اليهودية / وليد مدفعي / دار يعرب ٢٠٠٤.
٢٦- لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم / الأمير شكيب أرسلان / دار مكتبة الحياة بيروت.
٢٧- معجم الأدباء / ياقوت الحموي / دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩١ .
٢٨- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، إحياء التراث بيروت ١٩٩٦ .
٢٩- اليهود وبني إسرائيل في القرآن الكريم / منصور إبراهيم / مركز الذاكرة والتراث الفلسطيني، بيروت ٢٠٠١.
٣٠- هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى / ابن قيم الجوزية، منوشرات مكتبة الحياة، بيروت.
٣١- أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ / د. جمال عبد الهادي سعود / دار الوفاء، منصر المنصورة ١٩٨٤ .
٣٢- إعجاز القراءات القرءانية / صبري الأشوح / مكتبة وهبة القاهرة ١٩٩٨ .
٣٣- الإستعمار الفرنسي في المغرب العربي / هنري كلود وأندريه برينان وآيف لاكوست / ت. محمد عيتاني / مكتبة المعارف بيروت.
٣٤- رسالة الطريق إلى ثقافتنا / محمود شاكر / دار المدني، جدة ١٤٠٧ ه.
٣٥- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي / محمد البهي / طبعة رابعة مكتبة وهبة / القاهرة ١٣٨٤ ه.
٣٦- العالم الإسلامي والإستعمار السياسي والإجتماعي والثقافي / أنور الجندي / دار المعرفة ١٩٧٠.
٣٧- التنصير في البلاد الإسلامية، أهدافه، ميادينه، آثاره / محمد بن ناصر الشتري / دار الحبيب الرياض ١٩٩٨ .
٣٨- المخططات الإستعمارية لمكافحة الإسلام / محمد محمود الصواف.
٣٩- تهذيب سيرة ابن هشام / عبد السلام هارون.
٤٠- جمهرة أنساب العرب / لابن حزم الأندلسي.
٤١- البداية والنهاية / لابن كثير / دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٨ .
٤٢- سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب / للسويدي.

٤٣- مقدمة ابن خلدون / دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٣ .

٤٤- تاريخ العرب / د. محمد أسعد طلس.

٤٥- لسان العرب / لابن منظور.

٤٦- قصة الحضارة / ويل ديورانت.

٤٧- صدام الحضارات / صموئيل هنتكون.

٤٨- مفصل العرب واليهود في التاريخ / د. أحمد سوسة.

٤٩- أعمد الحكمة السبعة / لورانس العرب.

٥٠- شمس العرب تسطع على الغرب / د. زيغريد هونكة.

٥١- حصوننا مهددة من داخلها / د. محمد محمد حسين.

٥٢- تاريخ الشعوب الإسلامية / كارل بروكلمان / دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٢ .

٥٣- حكومة العالم الخفية / شيريب سبيريدوفيتش / دار النفائس، بيروت ١٩٩٠ .

٥٤- أحجار على رقعة الشطرنج / غاي كارليام / دار النفائس، بيروت ١٩٨٨ .

٥٥- التبشير والإستشراق خطط ومنهج وتطبيق وأثر ذلك على الإسلام والمسلمين في الفرد والمجتمع وواجب الامة نحو ذلك / د. عبد الله عبد الحي محمد / دار الطباعة المحمدية، الأزهر ١٩٨٥ .

٥٦- المستشرقون والقرآن الكريم / د. إسماعيل عبد العال / رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة عدد ١٠٤، ١٩٩٠ .

٥٧- من معالم النظام السياسي في الدولة الإسلامية / د. جابر محمد دياب / مكتبة الزهراء القاهرة ١٩٩٢ .

٥٨- نقض مطاعن القرآن الكريم / بقلم محمد أحمد عرفة تعليق محمد رشيد رضا صاحب المنار / مكتبة الزهراء ١٩٨٦ .

٥٩- نظم القرآن / من تراث الجاحظ، ت. سعد عبد العظيم / مكتبة الزهراء القاهرة ١٩٩٥ .

٦٠- تاريخ الحضارات العام / رولان موسينيه / منشورات عويدات، لبنان ١٩٦٦ .

٦١- أوروبا القرون الوسطى / فيصل السامر / بغداد ١٩٨١ .

٦٢- نهاية التاريخ / فرنسيس فوكوياما .

٦٣- حضارة العرب / غوستاف لوبون.

٦٤- التبشير والإستعمار / عمر فروخ والخالدي.

٦٥- أصل الإنسان / د. موريس بوكاي.

٦٦- تاريخ البشرية / آرنولد توينبي (جزءان).

٦٧- حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي / د. عماد الدين خليل.

٦٨- دراسات تاريخية في القرآن الكريم / د. محمد بيومي مهران / دار النهضة.

٦٩- الأساطير في المعتقدات القديمة والتورات / د. علي الشوك.
٧٠- بنو إسرائيل والعبرية الحديثة / علي رؤوف سيد / جامعة الكويت.
٧١- الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه / د. حسن ظاظا / دار القلم، دمشق ١٩٨٧.
٧٢- يقظة العالم اليهودي / إيلي ليفي أبو عسل / طبعة أولى، مطبعة النظام بمصر، القاهرة ١٩٣٤.
٧٣- أسرار العقل الصهيوني / د. عبد الوهاب المسيري / دار الحسام القاهرة.
٧٤- التناقض في تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى سبي بابل / إعداد محمد قاسم / جامعة قطر ١٩٩٢.
٧٥- الصهيونية العالمية / عباس محمود العقاد / دار الجليل، الفجالة ١٩٦٨.
٧٦- السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية / زياد أبو غنيمة / الأردن دار عمان ١٩٨٩.
٧٧- الدعاية الصهيونية وسائلها وأساليبها وطرق مكافحتها / حامد محمود / مكتبة الأنجلومصرية.
٧٨- (اليهودي حسب التلمود) القسم الاول من الكنز المرصود في قواعد التلمود / روهلنج / دار القلم دمشق، دار العلوم بيروت ١٩٨٧.
٧٩- القبيلة الثالثة عشر ويهود العالم / آرثر ليستر / ت. أحمد نجيب هاشم / الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٤.
٨٠- إسرائيل ذلك الدولار الزائف / ألفريد ليلنتال / بيروت دار العلم للملايين ١٩٦٥.
٨١- تركيا الفتاة / أرنست رامزور / بيروت مكتبة الحياة ١٩٦٠.
٨٢- أتاتورك وخلفائه / مصطفى الزين / بيروت دار الكلمة للنشر ١٩٨٢.
٨٣- جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك / زياد أبو غنيمة / الأردن عمان دار الفرقان ١٩٨٦.
٨٤- المؤامرة الكبرى في صدر الإسلام / علاء الدين المدرس / القاهرة ٢٠٠٥.
٨٥- حضارة واحدة أم حضارات في الوطن العربي القديم / د. محمد قبيسي.
٨٦- تاريخ الأمة الواحدة / د. جمال عبد الهادي مسعود / دار الوفاء المنصورة مصر ١٩٩١.
٨٧- الشام الحضارة / عفيف بهنسي / طبعة اولى دمشق ١٩٨٦.
٨٨- الظاهرة القرآنية والعقل / علاء الدين المدرس / عالم الكتب ٢٠٠٨.
٨٩- التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي / الأمير شكيب أرسلان.
٩٠- في الشعر الجاهلي / طه حسين / منشورات النهار القاهرة ١٩٩٦.
٩١- في التاريخ العباسي والفاطمي / د. أحمد مختار العبادي / شباب الجامعة الإسكندرية ١٩٩٣.
٩٢- طبقات الأمم / صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي.
٩٣- الملل والنحل / للشهرستاني.

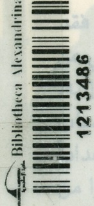
٩٤- الطبقات الكبرى / لابن سعد / بيروت دار صادر.
٩٥- فساد النظام العالمي / نصر شمالي / دار المستقبل دمشق ١٩٩٥ .
٩٦- قصة الفلسفة / ويل ديورانت.
٩٧- أبولودور الدمشقي أعظم معمار في التاريخ القديم / عدنان البني / وزارة الثقافة السورية ١٩٩٠.
٩٨- السوريون صانعوا القانون الروماني / أحمد غسان سبانو / لندن ٢٠٠٧ .
٩٩- مدينة ايزيس التاريخ الحقيقي للعرب / بيير روسّي / ت. فريد جحا / دار البشائر ٢٠٠٤ .
١٠٠-الأمة الإسلامية وعوامل صحتها ومرضها / د. ماجد عرسان الكيلاني.
١٠١-دراسة مقارنة للكتب المقدسة / د. موريس بوكاي.
١٠٢-العبادات في الأديان السماوية / عبد الرزاق رحيم الموجي / دار الأوائل دمشق ٢٠٠١ .
١٠٣-الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام / د. أميمة الجلاهمة / مكتبة زهراء الشرق القاهرة ١٩٧٠ .
١٠٤-الفكر التاريخي في الإسلام / عبد اللطيف شرارة / دار الأندلس بيروت ١٩٨٣ .
١٠٥-العرب والبرابرة / عزيز العظمة / قبرص، لندن، الطبعة الأولى ١٩٩١ .
١٠٦-قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس / د. السيد عبد العزيز سالم.
١٠٧-فضل العلماء المسلمين على الحضارة الاوروبية / د. عز الدين فرج.
١٠٨-تاريخ العلوم عند العرب / د. حسن عاصي / دار المواسم بيروت ١٩٩٢ .
١٠٩-تاريخ الجاهلية / عمر فروخ / دار العلم للملايين.
١١٠-المغول في التاريخ / د. فؤاد عبد المعطي الصياد / بيروت دار النهضة العربية ١٩٨٠ .
١١١- العرب إنتصارات وأمجاد الإسلام / أنتوني نتنج / ت. الدكتور راشد البراوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
١١٢-العلقمي أمام التاريخ / سلمان التكريتي / مكتبة الشرق الجديد، بغداد ١٩٨٨ .
١١٣-تاريخ العراق بين إحتلالين / عباس العزاوي / شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد ١٩٣٥ .
١١٤-الشاهنامة الفردوسي الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٠ .
١١٥-تتمة المختصر في أخبار البشر / ابن الوردي / دار المعرفة، بيروت ١٩٧٠ .
١١٦-تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي / د. حسن إبراهيم حسن / دار إحياء التراث العربي.



إن الحقد المتأجج في صدر أعداء (أمة العرب المسلمين) ما ازداد مع الأيام إلا اتقاداً على أحفاد أولئك الفاتحين العظام، الذين قادوا لواء الحق و نشروا رسالة السماء في هذا العالم، مبددين ظلام الوثنية والإلحاد ومسقطين طواغيت الكفر والشرك في كل مكان حلّوا فيه.

فكان ذلك المعسكر الغربي اليهودي الشعوبي، الذي تغلغل واجتهد لتشويه وتخريب الأمة العربية الإسلامية في شخصيتها وتاريخها وأخلاقها وعقلها ومبادئها ومنظومة عملها، وعمل على ترسيخ الأخطاء فيها، وجعله مفهوماً عاماً، مما أدى لانكشافها أمام كل الاطماع والضربات، حتى وصل الأمر اليوم بسيدة الأمم إلى أن تدخل في مرحلة الفناء الذاتي، واندحارها عن القمة مكانها الأصلي.

فكان تقهقر هذه الأمة أمراً محتوماً، إلا أنه ليس بنهائياً، فق[...] تعالت دعوات فئة من العرب المؤمنين، الذين رفضوا التعام[...] خطورة الخصوم، وأدركوا الحق وفهموا أسباب الوصول [...] فبدأوا بالعمل من أجل الإعداد والإحتشاد، واتباع أ[...] النصر، متبعين أوامر الله في القرآن الكريم، وكل ذلك إسن[...] لمعركة إعادة إحياء المجتمع العربي الرباني الأصيل، ونرجو[...] الله التوفيق.





ISBN 978-9933-480-16-5
9 789933 480165

